

الرهائن السياسيون
في الأندلس

www.ebibliomania.com



+201065534541

+201208868826



fb.com/Books.Bibliomania/



fb.com/bibliomania.eg/



Insta:books.bibliomania/

Books _ ببليومانيا

fb.com/groups/Bibliomania.Books/



@BibliomaniaEg

الرهائن السياسيون في الأندلس

منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية عصر ملوك الطوائف

٩٢-٤٧٩ هـ / ٧١١-١٠٨٦ م

رسالة ماجستير في الآداب

تأليف

الدكتور

مدرحت محمد عبد الحارث إبراهيم

المدرس بقسم التاريخ كلية الآداب

جامعة جنوب الوادي بقنا



ببليومانيا
للنشر والتوزيع





ببلومانيا للنشر والتوزيع



نوع العمل: دراسة بحثية

اسم العمل: الرهائن السياسيون في الأندلس

اسم المؤلف: د. مدحت محمد عبد الحارث إبراهيم

تدقيق لغوي: فريق ببلومانيا

اعداد ومراجعة: فريق ببلومانيا

تصميم الغلاف: عبد الرزاق طواهرية

رقم الإيداع: ٢٠١٨/٢١٣٣٨

الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6607-66-0

الناشر / دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

المدير العام / جمال سليمان

تليفون / 26061014 (+20)

هاتف محمول / 1208868826 (+20) - 1065534541 (+20)

صفحة الدار على موقع فيسبوك:

<https://www.facebook.com/bibliomania.eg/>

الموقع الإلكتروني: www.ebibliomania.com

الطبعة الأولى ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٨ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ

الْمُنْزِلِينَ (٥٩) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠) {

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

سورة يوسف، الآيتان {٥٩-٦٠}

الإهداء

إلى أبي رحمه الله
إلى وأمي حباً واعتزازاً
إلى زوجتي أم المؤيد أكرمها الله
إلى الذين هداهم الله إلى الحق وإلى الطريق المستقيم
إلى العلم وأهله

بين يدي الكتاب

أود أن أشير إلى أن هذا الكتاب هو أول عمل أكاديمي قمت به في بداية مشواري العلمي بعد أن أصبحت معيداً في قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة جنوب الوادي، فقد حرصت أن أقدمه بدون تعديلات لكونه باكورة انتاجي العلمي، ولذا فقد تجدون فيه بعض المآخذ، فنكم قراءنا الأعزاء نلتمس العذر، وكذلك مرحباً بأي إضافات تخدم الموضوع، وراجياً المولى سبحانه وتعالى أن تجدوا فيه ما يفيدكم.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

لا يزال التاريخ الإسلامي بآفاقه الحضارية والثقافية والعلمية والسياسية يشكل مجالا رحباً وخصباً للدارسين والباحثين في مجال الدراسات التاريخية والحضارية. وعلى الرغم مما أنجز من دراسات علمية رصينة في المجالات التاريخية والحضارية التي تناولت تاريخ وحضارة الأندلس في العصور الوسطى؛ فهناك جوانب كثيرة بحاجة ماسة إلى توجيه جهود الباحثين والدارسين إليها ليسبروا أغوارها، ويكشفوا عن غوامضها، رغم المشقة والصعوبات التي سوف تواجههم في هذا الميدان.

تتناول هذه الدراسة الرهائن السياسيين في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الطوائف (٤٧٩-٩٢هـ / ١٠٨٦-٧١١م) كظاهرة تاريخية ذات ملامح سياسية واجتماعية ونفسية، جديرة بالدراسة.

موضوع (الرهائن السياسيون) يُعد فكرة جزئية صغيرة، اعتمدت في دراسته على النطاق الأفقي القائم على دراسة جزئية صغيرة في فترة زمنية كبيرة أكثر من اعتمادي على النطاق الرأسي

القائم على دراسة جزئية كبيرة في فترة زمنية قصيرة جداً، والسبب في ذلك يرجع إلى الرغبة في استيفاء أفكار البحث التي تتصف مادته بالندرة المصدرية. ولقد اخترت الإطار الزمني للموضوع مبتدئاً من الفتح الإسلامي للأندلس حتى نهاية عصر ملوك الطوائف وذلك لما تتميز به هذه الفترة من خصوصية بين فترات التاريخ الأندلسي الطويل الممتد من (٩٢- ٨٩٧هـ/ ٧١١م- ١٤٩٢م).

وتناثر المادة العلمية الخاصة بموضوع البحث (الرهائن السياسيون في الأندلس) وتشتتها عبر عشرات المصادر احتاج بذل الوقت الطويل والجهد الكبير من أجل جمع شتات هذه المادة قبل تصنيفها وتفسيرها وهو الأمر الذي مثل تحدياً كبيراً كان بمثابة أحد أهم أسباب اختيار هذا الموضوع دون غيره للبحث.

وقد حرصت على تتبع حالات اتخاذ وسيلة الرهائن قبل فترة الدراسة وأثناءها متبعا للجدور التاريخية لحالات الرهائن منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم حتى فترة الدراسة وأثناءها. وبينت أوضاع الأندلس السياسية للوقوف على أثرها في اتخاذ الرهائن، ووضحت ماهية الرهائن وسماتهم والغرض من اتخاذهم، وقت بشرح أسباب التغير السياسي الذي طرأ على بلاد الأندلس من جراء اتخاذ الرهائن وأثر ذلك على العوامل الداخلية والخارجية والفكرية والسياسية والاجتماعية في الأندلس الإسلامية وجيرانها.

وأما خطة الدراسة:

فالبحث يحتوي على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول رئيسية ثم خاتمة تستعرض أهم ما توصل إليه البحث من نتائج خلال فترة الدراسة.

المقدمة: تناولت بالحديث التعريف بموضوع وأهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومدى توفر المادة العلمية فيه والهدف من هذه الدراسة، بالإضافة للتعريف بأهم المصادر والمراجع الحديثة العربية التي اعتمدت عليها في دراستي لهذا الموضوع.

التمهيد: تحدثت فيه عن الرهينة لغةً واصطلاحاً ثم بينت الفرق بين الرهينة والأسير، وتحدثت عن نشأة وتطور استخدام هذه الوسيلة في الحضارة الإسلامية حتى الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس.

الفصل الأول: جغرافية بلاد الأندلس، وسكانها، وأثرهما في سياسة اتخاذ الرهائن.

فقد خصص الفصل الأول لدراسة محورين هامين المحور الأول جغرافية بلاد الأندلس وكيف كانت سبباً مباشراً في سياسة اتخاذ الرهائن، والواقع ما وجدته في المصادر والمراجع الحديثة عن جغرافية الأندلس دفعني بقوة لإثبات أن جغرافية بلاد الأندلس كانت من أهم الأسباب وأقواها لظهور سياسة اتخاذ الرهائن في الأندلس، وجاء المحور الثاني عن عناصر المجتمع الأندلسي التي تنوعت أصولها البشرية وعقائدها وثقافتها، فكانت البيئة الاجتماعية في الأندلس غير منسجمة، لأنها تألفت من شعوب وأجناس مختلفة تتنافر مصالحها مع بعضها البعض فأدى ذلك إلى ظهور سياسة اتخاذ الرهائن.

الفصل الثاني: رهائن الصراعات الداخلية والخارجية في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى

نهاية عصر الولاة (٩٥- ١٣٨هـ/ ٧١٤- ٧٥٦م).

تحدثت فيه عن فتح الأندلس، الجيش الفاتح للأندلس وكيف كان هذا الجيش جله من الرهائن، وتحدثت عن الأندلس وأحوالها السياسية المضطربة في هذا الوقت، والتي أدت بدورها لانتخاذ الرهائن، وتحدثت عن رهائن الصراعات الخارجية خلال عصر الولاة، وكيف استطاع "بلاي" الهروب من يد المسلمين وأستطاع إنشاء مملكة صغيرة في أقصى الشمال، وتحدثت عن توقف فتوحات المسلمين فيما وراء جبال البرتاب وأثر ذلك على المناطق التي كانت في حوزتهم واستردها الإفرنج وأخذوا المسلمين فيها رهائن حتى يتم المساومة عليهم إذا رجع المسلمين مرة أخرى.

الفصل الثالث: الرهائن السياسيين في الأندلس منذ عهد عبد الرحمن الداخل إلى نهاية عهد

عبد الرحمن الأوسط (١٣٨- ٢٣٨هـ/ ٧١٤- ٨٥٢م).

تحدثت فيه عن قيام الدولة العباسية وهروب عبد الرحمن الداخل إلى أن أستطاع تكوين ملكه في الأندلس بعد صراعه مع يوسف الفهري وأبنائه، ومواجهته لأصحاب الثغور والتمردات في سرقسطة، وتحدثت عن الأحوال السياسية الداخلية والخارجية في الأندلس والتي أدت لانتخاذ رهائن في عهده وعهد خلفائه إلى نهاية عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (١٣٨- ٢٣٨هـ/ ٧١٤- ٨٥٢م).

الفصل الرابع: الرهائن السياسيين في الأندلس منذ عهد الأمير محمد إلى نهاية عصر الإمارة

(٢٣٨ / ٣١٦ هـ / ٨٥٢ - ٨٥٢ م)

تناول حديثي في هذا الفصل رهائن الصراعات الداخلية والخارجية في الأندلس منذ عهد الأمير محمد إلى نهاية عصر الإمارة (٢٣٨-٣١٦ هـ / ٨٥٢-٨٥٢ م)، وبينت فيه كثرة الثوار والخارجين في هذه الفترة وأثر ذلك على أحوال الأندلس الداخلية والخارجية الأمر الذي أدى إلى الإسراف في اتخاذ الرهائن من الثوار والخارجين، وكان جلهم من الأطفال لدرجة أن وجدت دار خاصة لتعليمهم سميت بدار الرهن في قرطبة.

الفصل الخامس: الرهائن في عصريّ الخلافة وملوك الطوائف

(٣١٦-٤٢٢ هـ / ٩٢٨ - ١٠٣٠ م)

تحدثت فيه عن الرهائن في عصر الخلافة وكثرتها في عهد عبد الرحمن الناصر ليحكم قبضته على الأندلس كاملة، وقّلتها في عهد خلفه الحكم المستنصر، وأثر اتخاذ هذه الرهائن على الأحوال السياسية، وتناولت في حديثي اتخاذ خلفاء بني أمية الرهائن من زعماء المغرب لإحكام السيطرة عليها، واتخاذهم رهائن من الممالك النصرانية لضمان تنفيذ المعاهدات، ثم تحدثت عن سقوط دولة بني أمية وانتهاء الخلافة وضعف ملوك الطوائف الذين قدموا الرهائن للمالك النصرانية كدليل على الخضوع.

الخاتمة

وختمت البحث بخاتمة شرحت فيها النتائج التي توصلت إليها من دراساتي لموضوع الرهائن السياسيين من كافة جوانبها.

ولا يسعني في النهاية إلا أن أستعير ما قاله "العماد الأصفهاني" بشأن التأليف والكتابة فقال "إني رأيتُ أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غَدِهِ: لو غَيَّرَ هذا لكان أحسن ولو زِيدَ هذا لكان يُسْتَحَسَن ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل، وهذا أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"

وختاماً، أَسْجِدُ للهِ شُكْرًا على ما وفقني إليه من انجاز هذا العمل، ودائمًا سيظل الكمال لله وحده وتلك عصمة لا يملكها بشر، فإذا كنت قد وفقت فهذا من عند الله، وإذا كنت قد أخطأت فهذا من طبيعة البشر، والله أسأل أن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعل هذا العمل شاهدًا لنا لا علينا، وأن يثيبنا عنه خير الجزاء إنه نعم المولى ونعم النصير.

والله الموفق

المؤلف

التعميد

الرَّهْنَةُ لُغَةً وَاصْطِلَاحاً:

الرَّهْنَةُ فِي اللُّغَةِ:

الرَّهْنَةُ فِي اللُّغَةِ مَأْخُودَةٌ مِنَ الرَّهْنِ، وَهُوَ الثَّبُوتُ والدَّوامُ، وَجَمْعُهُ رُهُونٌ^(١) وَيَأْتِي بِمَعْنَى الْحَبْسِ^(٢) وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى "كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ"^(٣) وَقَوْلُهُ تَعَالَى "كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ"^(٤) أَيْ مَحْبُوسَةٌ بِمَا قَدَمَتْ وَمَرْهُونَةٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكَسْبِهَا^(٥) وَالْمُرْتَهِنُ: هُوَ الَّذِي يَأْخُذُ الرَّهْنَ^(٦) وَمُرْتَهِنٌ وَمَرْهُونٌ أَيْ مَأْخُودٌ^(٧) وَالرَّهْنَةُ: تُطْلَقُ عَلَى مَنْ حُبِسَ، عَلَى أَنْ لَا يَفُكَّ قَيْدَهُ إِلَّا بِمُقَابِلِ، وَجَمْعُهَا رَهَائِنٌ أَوْ رُهْنَاءُ^(٨).

- الرَّهْنَةُ اصْطِلَاحاً:

اهْتَمَّتْ الْعِدَّةُ مِنْ كُتُبِ الْفَقْهِ، وَالسِّيَاسَةِ الشَّرْعِيَّةِ بِمَوْضِعِ الرَّهَائِنِ وَتَحَدَّثَتْ فِي الْعِدِيدِ مِنْ مَسَائِلِهِ، وَيَنْتِ الْعِدَّةُ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِمَسَائِلِ الرَّهَائِنِ مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلَكِنَّا لَمْ نَقْدِمَ تَعْرِيفاً اصْطِلَاحِيّاً لِلرَّهَائِنِ^(٩).

(١) الفقيومي: المصباح المنير: مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٧م، (مادة رهن) ص ٩٢.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٨٨٢م، "مادة رهن" ج ١٣، ص ١٨٨.

(٣) سورة الطور: الآية "٢١".

(٤) سورة المذثر: الآية "٣٨".

(٥) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، (د. ت)، ج ٢٩، ص ١٣١.

(٦) ابن منظور: لسان العرب، مادة "رهن"، ج ١، ص ١٨٨؛ الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، لبنان ١٩٨٩م، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٧) الفقيومي: المصباح المنير "مادة رهن" ص ١٥٠.

(٨) ابن سيدة: المخصص، تحقيق خليل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٦م، ج ٤، ص ١٨.

(٩) ابن منظور: لسان العرب، مادة رهن، ج ١، ص ١٨٨.

(٩) محمد بن الحسن الشيباني: السير الكبير، تحقيق أبو عبد الله حسن محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٩٧م، ج ٥، ص ٤٢-٦٢.

أبو عبيد: الأموال، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٩م، ص ٢٥٣، ٢٥٤؛ الماوردي: الأحكام

السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت ١٩٨٩م، ص ٧٠؛ الماوردي: الحاوي في فقه

الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤م، ج ١٣، ص ١٢٤؛ شرف الدين الحجاوي: الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل،

تحقيق عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة (د. ت)، ج ٤، ص ٢٩٤؛ عبد القادر عودة:

التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، دار الكتاب العربي، (د. ت)، بيروت، ج ٢، ص ٦٩٣.

أما بالنسبة للمعاجم، والأبحاث، والدراسات الحديثة، فقد تناولت تعريفاً للرهائن، فالرهينة في معجم لغة الفقهاء: «هُوَ مَا يُؤْخَذُ مِنَ الْآدَمِيِّ ضَمَاناً لِعَدَمِ غَدْرِ الْعَدُوِّ حَتَّى إِذَا مَا غَدَرَ كَانَ لِمَنْ غَدَرَهُ حَقُّ قَتْلِ هَؤُلَاءِ الرِّهَائِنِ»^(١٠)، أو أنه شخص أُخذ قهراً، وحُبسَ للمساومة على أمرٍ سياسي أو غيره، وتُجمَعُ على رهائن، والرهينة قد يكون شخصاً ذا مكانة^(١١).

والرهائن هم أولئك الأشخاص الذين تُسلمهم دولتهم أو قومهم إلى مَنْ يَعْقِدُونَ مَعَهُمْ مَعَاهِدَةً مِنَ الْمُعَاهَدَاتِ الَّتِي تَشْتَرِطُ عَلَى الطَّرْفَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا تَقْدِيمَ رِهَائِنَ بَشَرِيَّةٍ إِلَى الطَّرْفِ الْآخَرِ ضَمَاناً لِلْوَفَاءِ بِهَا، عَلَى أَنْ يُعَادَ هَؤُلَاءِ الرِّهَائِنُ إِلَى قَوْمِهِمْ بَعْدَ انْتِهَاءِ مَدَّةِ الْمَعَاهِدَةِ، وَيَبْقَى أَمْرُ الرِّهَائِنِ فِي يَدِ آخِذِيهِمْ سِوَاءَ بَقَائِهِمْ أَوْ حَبْسِهِمْ أَوْ ضِيَاغَتِهِمْ، وَذَلِكَ وَفْقاً لَوَفَاءٍ أَوْ غَدْرِ الطَّرْفِ الْآخَرِ^(١٢).

وهذا التعريف ينطبق على شأن الرهائن السياسيين في الأندلس، وسوف تُوضَّحُ الدراسة نوعين من الرهائن، النوع الأول: وهم الرهائن الطوعيون وهم أفراد من ذوي المنزلة الرفيعة كانوا يُسلمون أنفسهم لتنفيذ المعاهدات وأما النوع الثاني: وهم الرهائن غير الطوعيين الذين يُحتجزون بشكلي عشوائي من أجل التوصل إلى سيطرة عسكرية حاسمة. ولكي تتضح الدراسة نوضح الفرق بين الرهينة والأسير:-

من الضروري عند الكتابة عن الرهائن توضيح الفرق بين الأسير، والرهينة وذلك لاعتقاد البعض بعدم وجود فرق بينهما، وقد سبق تعريف الرهينة لغةً واصطلاحاً. أما الأسير في اللغة:

(١٠) محمد رواس قلعه جي، حامد صادق قنبيبي: معجم لغة الفقهاء، ط٢، دار النفائس، بيروت ١٩٩٨م ص ١٧٢.

(١١) أحمد رضا: قاموس العامي الفصيح، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨١م، ص ٢١٩.

(١٢) محمد خير هيكل: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ط٢، دار البيارق، لبنان- بيروت ١٩٩٦م، ج ٣، ص ١٥٩٠.

الأسْرُ: الشَّدُّ والعَصْبُ وشِدَّةُ الخَلْقِ والخلْقُ، والأسِيرُ: الأَخِيذُ والمَقِيدُ (١٣) الأسِيرُ: المَحْبُوسُ.
والأسْرُ: الشَّدُّ وثَقَاةً، فهو مَأْسُورٌ. والإِسَارُ: الرِّبَاطُ (١٤)، وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
قَوْلُهُ تَعَالَى "وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا" (١٥).
الأسِيرُ فِي الْإِصْطِلَاحِ:

الأسْرُ: الحبْسُ وَهُوَ وَقْعُ الْعَدُوِّ الْمَحَارِبِ حَيًّا فِي يَدِ عَدُوِّهِ أَثْنَاءَ الْقِتَالِ (١٦)، وَعَرَّفَ الْمَوَارِدِيُّ
الْأَسْرَى فِي الْإِصْطِلَاحِ بِقَوْلِهِ: "هُمُ الْمُقَاتِلُونَ مِنَ الْكُفَّارِ إِذَا ظَفَرَ الْمُسْلِمُونَ بِأَسْرِهِمْ أَحْيَاءً" (١٧)
وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرَّهَائِنِ وَالْأَسْرَى، يَوْفَرُ إِطَارًا تَحْلِيلِيًّا هَامًا مِنْ خِلَالِهِ يُمْكِنُ تَعْرِيفُ الرَّهْنَةِ
وِاسْتِخْدَامُهَا وَتَطَوُّرُهَا.

الرَّهَائِنُ أَعْدَادُهُمْ تَكُونُ قَلِيلَةً، وَلَكِنَّهُمْ يُمَثِّلُونَ الْأُمَّةَ بِأَسْرِهِا وَهُمْ يَكُونُونَ عَلَى دَرَجَةٍ قَرَابَةٍ كَبِيرَةٍ
مِنَ الْحَاكِمِ أَوْ الثَّائِرِ، كَأَبْنَيْهِ، أَوْ أَخِيهِ، أَوْ مِنَ الْقَادَةِ، أَمَا الْأَسْرَى: فَأَعْدَادُهُمْ قَدْ تَكُونُ كَثِيرَةً،
وَالْأَسْرَى لَهُمْ أَحْكَامٌ وَمَعَامِلَاتٌ خَاصَّةٌ مِثْلُ الْفِدَاءِ أَوْ الْقَتْلِ، وَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ خَاصًّا
بِأَحْكَامِ الْأَسْرَى كَانَ فِي آيَتَيْنِ هُمَا قَوْلُهُ تَعَالَى "مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُبَيِّنَ فِي
الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (١٨) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "فَإِذَا
لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِذَا فِدَاءٌ
حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا" (١٩)، وَجَهُ الدَّلَالَةِ: أَنَّ الْآيَةَ الْأُولَى لَا تَدُلُّ دَلَالَةً قَطْعِيَّةً عَلَى
وَجُوبِ قَتْلِ الْأَسْرَى، أَمَا الثَّانِيَةُ فَهِيَ تَحْصُرُ مَصِيرَهُمْ فِي شَيْئَيْنِ: الْمَنِّ وَالْفِدَاءِ (٢٠) وَيَكُونُ
وَلِيُّ الْأَمْرِ فِي الْأَسْرَى مَخِيرًا فِي اسْتِعْمَالِ الْأَصْلَحِ مِنْ أَرْبَعَةِ أُمُورٍ أَحَدُهَا: أَنْ يَقْتُلَهُمْ صَبْرًا

(١٣) الْفَيْرُوزِ أِبَادِي: الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، ط٣، الْهَيْئَةُ الْمِصْرِيَّةُ الْعِلْمِيَّةُ لِلْكِتَابِ، الْقَاهِرَةُ ١٨٨٣م، ج١، ص٣٦١.
(١٤) الصَّاحِبُ بْنُ عَبْدِ: الْمَحِيطُ فِي اللُّغَةِ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدٍ حَسَنِ آلِ يَاسِينَ، مَطْبَعَةُ الْمَعَارِفِ بِبَغْدَادِ ١٩٧٥م، ج١، ص٢٧٤؛ الْمَعْجَمُ
الْوَسِيطُ، ط٤، تَحْقِيقُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، مَطْبَعَةُ الشُّرُوقِ الدَّوْلِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ ٢٠٠٣م، ص١٧.

(١٥) سُورَةُ: الْإِنْسَانِ: آيَةُ ٨."
(١٦) مُحَمَّدٌ رَوَّاسٌ: مَعْجَمُ لُغَةِ الْفُقَهَاءِ: ص٤٧.
(١٧) الْمَوَارِدِيُّ: الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةُ ص١٦٦.
(١٨) سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الْآيَةُ "٦٧".
(١٩) سُورَةُ: مُحَمَّدٌ: الْآيَةُ "٤".
(٢٠) عَبْدُ اللَّطِيفِ عَامَرٌ: أَحْكَامُ الْأَسْرَى وَالسَّبَا فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، دَارُ الْكُتُبِ الْإِسْلَامِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ ١٩٨٦م، ص١٣.

بضرب العنق، والثاني: أن يسترقهم ويجري عليهم أحكام الرِّقِّ مِنْ بَيْعٍ أَوْ عِتْقٍ، والثالث: أن يُفَادِيَ بهم على مالٍ أو أسرى، والرابع: أن يَمُنَّ عليهم ويعفو عنهم^(٢١).

والرهينة يكون بمثابة الضيف في القصر في أغلب الأحيان وذلك عندما يكون ذا أهمية كبيرة، ويتمتع بنمط عيشٍ مماثلٍ للذي تركه في بلاده بما يتلاءم مع مكانته الاجتماعية ولكن يكون محجوراً عليه في القصر ويختلف الأمر من رهينة لأخرى حسب أسباب الرهن، أمّا الأسرى فهم يكونون في سجونٍ جماعيةٍ، والرهائن يأخذون رهناً لتنفيذ اتفاقيةٍ أو لفرض الطاعة والولاء، أما الأسرى فيأخذون أثناء الحروب القائمة أو في ظروف احتمالات الحروب.

والرهينة يُقدم كضمانٍ للعدو المنتصر وحتى للحليف من أجل تنفيذ وعدٍ أو معاهدةٍ، أو كرمزٍ للخضوع من جانب الطرف المهزوم، وكما أن احتجاز الرهائن يُعتبر وسيلةً قبيحة لمعاينة من تُسَوَّلُ له نفسه زعزعة النظام القائم أو من يشن هجمات تهدد استقرار المنطقة.

واتناء الرهينة إلى أرقى الطبقات الاجتماعية شرطاً لا غنى عنه لقبول شخص كضمانة للمعاهدة، وكان استخدام الرهائن من ذوي المراتب الرفيعة في تنفيذ الاتفاقيات والتحالفات والعهد دليلاً واضحاً على إخلاص الممالك التابعة وإخلاص الثوار والخارجين، واتخاذ الرهائن يضمن فرض وجهات النظر السياسية من قبلي أخذ الرهينة، وعدم اتخاذ مواقف عدوانية ضده.

يخضع الرهائن غير الطوعيين إلى ظروف المعيشة نفسها التي يخضع لها أسرى الحروب في أغلب الأحيان، ومن المرجح دائماً أن يؤخذ الرهائن من المدنيين غير المقاتلين، مثل: الأطفال ومن الممكن أن يؤخذ الرهينة كضمانٍ لحماية حياة آخرين، وقد يؤخذ الرهائن كدروع بشرية.

(٢١) الماوردی: الأحكام السلطانية ص ١٦٦.

وكان أمرُ اتخاذِ الرهائنِ شائعاً في العصورِ القديمةِ والوسطى كصورةٍ لتنفيذِ المعاهداتِ والاتفاقياتِ وفرضِ الطاعةِ والولاءِ، وقد يتمُّ حبسُ الرهائنِ ليتمَّ فكُّ أسرى عند الطرفِ الثاني، وأخذُ الرهينةِ يكونُ مشروطاً، وأما احتباسُ الأسيرِ لا يلزمُ أن يكونَ مقابلَ حقٍّ. ولُفظُ الرهينةِ في الدراسةِ يطلقُ على (الرجالِ والنساءِ والأطفالِ) أمَّا لفظُ الأسرى: يطلقُ على الرجالِ المقاتلينَ، أما لفظُ السبيِّ: يطلقُ على مَنْ يظفرُّ به المسلمونَ حياً من نساءِ أهلي الحربِ وأطفالِهِم والأسرى لا يؤخذونَ باتفاقياتِ وعهود، ولكن يتمُّ أسرهم عند وجودِ حربٍ قائمة، أو مُتوقَّعة أما الرهائنُ: فيؤخذون في أغلبِ الأحيانِ عن طريقِ معاهداتٍ واتفاقياتٍ. وقد اتخذَ قادةُ فتحِ بلادِ المغربِ رهائنَ كثيرةً ليضمنوا ولاءَ قبائلِ بلادِ المغربِ، فأسلم هؤلاءِ الرهائنُ وتشرَّبوا الدينَ الإسلامي ومبادئه وحسنَ إسلامهم، فكانوا نواةَ الجيشِ الذي فتحَ به طارقُ بن زيادَ الأندلسَ، لكنَّ الأسرى لهمُ أحكامٌ خاصةٌ، وسوفَ يتضحُ ذلكَ من خلالِ هذهِ الدراسةِ.

الرهائن في الإسلام قَبيل الفتح الإسلامي للأندلس:

اتخاذ الرهائن ظاهرة قديمة ليست في الأندلس فحسب، ولكن في دول وحضارات أخرى قديمة كما تؤكدُها الدلائل التاريخية^(٢٢)، فإنَّ ظاهرة أخذ الرهائن نظامٌ فريدٌ أملتُهُ الظروفُ السياسية حيثُ تميَّزَ هذا النظامُ بوسائله المتعددة، ومقاصده وغاياته التي تملخصُ في تثبيتِ النظام وفرضِ الولاء، والدافعُ إلى اتخاذ الرهائن ليس فقط فرضُ السيطرة السياسية، ولكن أيضاً فرضُ الزعامة الروحية من خلال حمل المناهضين والخارجين والثوار على الانضواء تحت راية الحكومة القائمة.

وهناك أمثلة عديدة للرهائن خلال القرن الأول الهجري:-

كُتِبَ السيرة النبوية مليئةً بالعديد من الحوادث التي تعرضتُ لمسألة الرهائن ومنها:
ما ورد في البداية والنهاية لابن كثير، عند قيام أهل قریش في فداء أسراهم عقب هزيمة بدر في سنة (٢هـ/٦٣٢م)، حيثُ رَفَضَ أبو سفيان بن حرب زعيمُ قریش أن يفندي ابنه عمرو قاتلاً "أيجتمعُ على دمي ومالي، قتلوا حنظله وأفدي عمرًا! دعوه في أيديهم يسكوه ما بدا لهم،

(٢٢) فقد أخذ نبي الله يوسف عليه السلام أخاه شمعون رهينة عنده قال تعالى (وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِنْ آبَائِكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) القرآن الكريم: سورة يوسف الآية (٥٩)؛ وأن بخت نصر عندما أراد تخريب بيت المقدس صالحه ملكها وكان من آل داود وصانعه عن بني إسرائيل وأخذ منه بخت نصر رهائن ورجع، فلما بلغ طبرية بلغه أن بني إسرائيل ثاروا على ملكهم فقتلوه لأجل أنه صالحه فضرب رقاب من معه من الرهائن ورجع إليهم فأخذ المدينة عنوة؛ وقتل المغاتلة وسبي الذرية، وأن أمر إتخاذ الرهائن كان معلوماً عند العرب قبل الإسلام وهناك العديد من الحوادث التي تؤكد ذلك، فمناها في حرب الفجار الثانية التي كانت بين قريش ومعها كنانة ضد قيس واصطلحوا على أن يعدوا القتلى فاي الفريقين فضل له قتلى أخذ ديتهم من الفريق الآخر، فتعادوا القتلى فوجدوا قريشاً وبني كنانة قد أفضلوا على قيس عشرين رجلاً قرهن حرب بن أمية يومئذ ابنه أبا سفيان في ديات القوم حتى يؤديها ورهن غيره من الرؤساء وأنصرف الناس بعضهم عن بعض. لمزيد من التفاصيل أنظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م، ج١، الصفحات ٢٠٠ - ٤٧٢، ٥٣٧، ٥٣٦، ٥٣٥؛ القرطبي: تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ج٢، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٤م، ج٩، ص ٢٢١، ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة الصفا، القاهرة ٢٠٠٣م، ج١، ص ٢٣، الشوكاني: الجامع بين فن الرواية والدراسة من علم التفسير، ج ٤، مراجعة يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٧م، ص ٣٠٧.

وبينما هو كذلك إذ أقبل سعد بن النعمان بن أكال^(٢٣) معتمراً ولم يكن يظن أن يُحبس بمكة لأنه جاء معتمراً وأن قريش لا يعترضون أحداً جاء حاجاً أو معتمراً، فعداً عليه أبو سفيان بن حرب فحبسه بابه عمرو وأصبح سعد بن النعمان رهينةً عند أبي سفيان حتى يفك ابنه عمراً، ثم قال أبو سفيان:

أرھط ابن أكال أجيبوا دُعاءهُ ... تعاقدم لا تُسلِّبوا السید الکھلاً
فإن بني عمرو لئام أذلة ... لئن لم يفكوا عن أسيرهم الکجلاً
فأجابه حسان بن ثابت

لو كان سعد يوم مكة مُطلقاً ... لأكثر فيكم قبل أن يُوسر القتلاً
بِعُضْبِ حُسامٍ أو بِصُفراءِ نَبَعَةٍ ... تَحْنُ إذا ما أنبَصت تحفرُ النبلا^(٢٤)
ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله فأخبروه خبره، وسألوه أن يُعطيهُم عمراً بن أبي سفيان: يفكوا به صَاحِبَهُم، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعثوا به إلى أبي سفيان فحلى سبيلاً
سعد^(٢٥) فاستُخدِمَ الرهينةُ في هذا الموقفِ لفك الأسير.

(٢٣) سعد بن النعمان: سعد بن النعمان بن زيد بن أكال بن لودان بن الحارث بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ثم أحد بني عمرو بن عوف وأحد شيوخ المسلمين، خرج للعمرة بعد واقعة بدر فعدا عليه أبو سفيان ابن حرب فحبسه بابه عمرو. الطبري: تاريخ الأمم والملوك (المعروف بتاريخ الطبري)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م، ج ٢، ص ٤٢؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٦م، ج ١، ص ٣٦٤.
(٢٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ط ٢، تقديم وتعليق طه عبد الرؤف سعد، دار الجبل، بيروت ١٩٧٥م، ج ٢، ص ٢١٢، ٢١٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت ١٩٩٦م، ج ١، ص ٤٦٥، ٤٦٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٢٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٢، ج ٣، ص ٢٥٣، ٢٥٢؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قمحية وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م، ج ١٧، ص ٤٣.
(٢٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ص ٢١٢، ٢١٣؛ ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير، ط ٣، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م، ص ١١١؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج ١، ص ٤٦٥، ٤٦٦.

وفي سنة (٣٠٣هـ/ ٦٣٣م) قُتِلَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ (٢٦) الذي أهدر النبي محمد صلى الله عليه وسلم دمه لأنه آذى الله ورسوله فتكفل الصحابي محمد بن مسلمة (٢٧) بقتله واستخدم ومن معه الحيلة في ذلك حيث قال أحدهم لكعب بن الأشرف (أردنا أن نُسَلِّفَنَّا وَسَقَاً) (٢٨) أو وَسَقَيْنَ، فقال له كعب بن الأشرف أرهوني، فقالوا أي شيء تريد؟ قال: أرهوني نساءكم، قالوا: كيف نُزهِنُكَ نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: أرهوني أبناءكم، فقالوا كيف نُزهِنُكَ أبناءنا؟ فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ فيقال: رُهْنٌ بوسقٍ أو وسقين، هذا عار علينا، ولكن نُزهِنُكَ اللَّأَمَةَ يعني السلاح (٢٩)

وفي سنة (٥٥هـ/ ٦٢٦م) كَانَ لاسْتِخْدَامِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ نَعِيمِ بْنِ مَسْعُودٍ (٣٠) لِمَسْأَلَةِ الرِّهَائِيِّ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ الْأَثَرُ الْأَكْبَرُ فِي تَفْرِيقِ الْأَحْزَابِ وَتَشَتِّيرِهِمِ وَاتِّصَارِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ (٣١)

(٢٦) كعب بن الأشرف: كان من بني نيهان من طيء، وكانت أمه من بني النضير، وكان غنياً مترفاً وشاعراً من شعراء العرب؛ وكان حصنه في شرق جنوب المدينة خلف ديار بني النضير، ما زالت بقاياه إلى اليوم، يبيع فيه التمر والطعام، أدرك الإسلام، ولم يسلم، هجا النبي ﷺ وأصحابه، وحرّض القبائل عليهم وأذاهم وشهر بنسائهم؛ وكان كبر عليه قتل من قتل بيدر من قریش فسار إلى مكة وحرّض على رسول الله ﷺ. ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٨٧، ابن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٣٨، خير الدين الزركلي: الأعلام، ط ١٥، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٢ م، ج ٥، ص ٢٢٥؛ صفى الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، دار ابن خلدون، الإسكندرية، (د) ص ١٩٠.

(٢٧) محمد بن مسلمة: محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس، يكنى أبا عبد الرحمن، شهد بدرًا والمشاهد كلها وكان من فضلاء الصحابة؛ وهو أحد الذين قتلوا كعب بن الأشرف، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في بعض غزواته، واعتزل الفتنة ولم يشهد الجمل ولا صفين، ومات بالمدينة ولم يستوطن غيرها، وكانت وفاته بها في صفر سنة (٤٣هـ/ ٦٦٣م)؛ وقيل: سنة (٤٦هـ/ ٦٦٦م)، عن عمر يناهز (٧٧) سنة وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ أمير على المدينة. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢، ص ٢١٦.

(٢٨) الوسق: يفتح الواو وكسرهما، والفتح أشهر، والوسق مكيلة معلومة، وقيل: هو حمل بعير، وجمعه: أوساق، وهو ستون صاعاً، والصاع، خمسة أرباط وثلث ٣، قالوسق: يساوي ٦٠ صاعاً، وأن الصاع يساوي ١١٧٥ جراماً، فيكون مقدار الوسق (١٢٠) كيلو جرام و٥٠٠ (جراماً). عبد الله بن سليمان المنيع: تحويل الموازين والمكاييل الشرعية إلى المقايير المعاصرة، مجلة البحوث الإسلامية، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، العدد التاسع والخمسون الرياض، ٢٠٠٠ م، ص ١٨٤.

(٢٩) ابن عبد البر: الدرر، ص ١٤٤، ٤٣؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق على شكري، دار الفكر، بيروت ١٩٩٨ م، ج ٥٥، ص ٢٧٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٣٨، ٣٩؛ صفى الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، ص ١٩١.

(٣٠) نعيم بن مسعود: هو نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفة بن خلابة بن سبيع بن بكر بن أشجع بن ريث بن غطفان الغطفاني الأشجعي أبو سلمة، أسلم في غزوة الخندق، وهو الذي أوقع الخلاف بين قريظة وغطفان وقریش يوم الخندق وخذل بعضهم عن بعض، ومات نعيم في زمن خلافة عثمان وقيل: بل قتل يوم الجمل قبل قدوم علي البصرة مع مجاشع بن مسعود السلمى وحكيم بن جبلة العبدي. ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٣٨، ١٣٧؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٣٠١، ٣٠٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة ج ٥، ص ٣٢٩.

(٣١) ابن هشام: السيرة النبوية ج ٣، ص ١٣٨؛ السيوطي: الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥ م، ص ٣٩٠.

ويرى أحد المؤرخين (٣٢) أنَّ أبا سفيان أصبح رهينة بيد المسلمين وذلك في سنة (٨هـ / ٦٢٩م) (في حوادث فتح مكة) وذلك عندما أراد أبو سفيان أن يستأمن لنفسه من رسول الله، فهم به سيدنا عمر بن الخطاب راغباً في قتله ولكن أجاره العباس، حيث أمر النبي بحبس أبي سفيان ببطن الوادي حتى تمر به جنود الله ففراها (٣٣).

وكان النبي ﷺ يريد أن يشن حرباً نفسية للتأثير على معنويات قريش حتى يتسنى له القضاء على روح المقاومة عند زعيم مكة وحتى يرى أبو سفيان بعيني رأسه مدى قوة ما وصل إليه الجيش الإسلامي من تسليح وتنظيم وحسن طاعة وانضباط وبذلك تحطم أية فكرة في نفوس المكّيين يمكن أن تحلهم على مقاومة هذا الجيش المبارك إذا دخل مكة، وبالفعل تم ما رسمه رسول الله ﷺ (٣٤) من تسليم مكة بدون أي مقاومة تذكر، عندما رأى أبو سفيان ذلك المشهد وهو مرهون في بطن الوادي مُشاهداً الجنود.

ونجد أن خالد بن الوليد يريد أن يتخذ رهائن من بلاد فارس وذلك في سنة (١٢هـ / ٦٣٣م) لفرض السيطرة والنفوذ الإسلامي عليهم، ويتضح ذلك من رسالته إليهم قائلاً: "من خالد بن الوليد إلى رستم ومهران ومرازبة (٣٥) فارس، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فالحمد لله الذي فضّ خدمتكم، وسلب ملككم، ووهن كيدكم، وإنه من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ما لنا وعليه ما علينا. أما بعد: فإذا جاءكم كتابي فابعثوا

(٣٢) الصلابي: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار الدعوة، الإسكندرية ٢٠٠٨م، ص ٦٩٧، ٦٩٨.

(٣٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٥، ص ٦٠، ابن عبد البر: الدرر، ص ٢١٧.

(٣٤) الصلابي: السيرة النبوية، ص ٦٩٧، ٦٩٨.

(٣٥) مرازبة: جمع مرزبان، والمرزبان: الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك، وهو لفظ فارسي معناه: الرئيس في القوم، واللقب أطلقه الفرس أيضاً على الفارس الشجاع ممن هو دون الملك في الرتبة. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٨٨٢م، ج ١٣، ص ٤٠٦؛ مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦م، ص ٣٩٤.

إِلَى الرَّهْنِ، وَاعْتَقِدُوا مِنِّي الدِّمَّةَ، وَالْأَبْ؛ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لِأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ قَوْمًا يَحْبُونَ الْمَوْتَ
كَمَا تَحْبُونَ الْحَيَاةَ" (٣٦).

وَكَانَ مِنْ شُرُوطِ عَقْدِ صُلْحِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ (مُعَاهِدَةُ بَابِلْيُونِ الثَّانِيَةِ ٢١ هـ/٦٤٢م) الَّتِي عَقَدَهَا
الصَّحَابِيُّ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مَعَ الْمُقَوْسِ أَنْ يَكُونَ لَدَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الرُّومِ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ مِنْ
الْعَسْكَرِيِّينَ وَخَمْسُونَ مِنَ الْمَدَنِيِّينَ بِمَثَابَةِ رَهَائِنَ لَتَنْفِيزِ الْمُعَاهِدَةِ (٣٧).

وَعِنْدَمَا كَانَ مُعَاوِيَةُ وَالْيَأَى عَلَى الشَّامِ خِلَالَ عَهْدِ الْخُلَيْفَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ (٢٣ - ٣٥ هـ/٦٤٣ -
٦٥٥م) أَرْسَلَ الْإِمْبَرَاطُورُ الْبِيزَنْطِيُّ "قَنْسَطَانْز" مَبْعُوثًا إِلَى مُعَاوِيَةَ يُعْرِضُ عَلَيْهِ رَغْبَةَ
الْإِمْبَرَاطُورِ فِي عَقْدِ اتِّفَاقِيَّةٍ لِلسَّلَامِ بَيْنَهُمَا وَذَلِكَ نَتِيجَةً لِلانْتِصَارَاتِ الَّتِي حَقَّقَتْهَا قُوَاتُ مُعَاوِيَةَ
عِنْدَمَا كَانَ وَالْيَأَى عَلَى الشَّامِ، فَوَافَقَ مُعَاوِيَةُ عَلَى أَنْ يَحْتَجِرَ بَعْضَ الرِّهَائِنِ الْبِيزَنْطِيِّينَ فِي دِمِشْقَ
سَنَةِ (٣١ هـ/٦٥١م)، كَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ "جَرْجِيوْرِي" ابْنُ "ثِيودُور" شَقِيقُ الْإِمْبَرَاطُورِ (٣٨)
وَفِي إِمَارَةِ مُعَاوِيَةَ عَلَى الشَّامِ، صَاحَتْهُ الرُّومُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْهِمْ مَالًا، وَارْتَهَنَ مُعَاوِيَةُ مِنْهُمْ رَهْنًا،
فَجَعَلَهُمْ بِعْلَبِكَ (٣٩) وَغَدَرَتِ الرُّومُ، فَأَبَى مُعَاوِيَةُ وَالْمُسْلِمُونَ أَنْ يَسْتَحْلُوا قَتْلَ الرِّهَائِنِ، وَخَلُّوا
سَبِيلَهُمْ، وَاسْتَفْتَحُوا بِذَلِكَ وَقَالُوا "وَفَاءٌ بِغَدْرِ خَيْرٍ مِنْ غَدْرِ بَغْدَرْ" (٤٠).

(٣٦) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٣٠٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٦، ص ٢٨٨؛ محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية في العصر النبوي والخلافة الراشدة، ط ١، دار النفائس، بيروت ١٩٨٧م، ص ٣٨٥، ٣٨٤.
(٣٧) ألفرد ج؛ بنتر فتح العرب لمصر، ط ٢، ترجمة محمد فريد أبو حديد، المركز العربي للنشر والتوزيع، القاهرة (د.ت)، ص ٢٩٩؛ حسن إبراهيم حسن: سيرة عمرو بن العاص، ط ٢، دار ابن خلدون، الإسكندرية ١٩٢٤م، ص ١٠٥؛ إبراهيم القلا: تاريخ مصر الإسلامية وجوانب من حضارتها منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠-٥٦٧ هـ/ ٦٤٠-١١٧١م)، دار العلم والإيمان، القاهرة ٢٠٠١م، ص ٢٨.

(٣٨) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار المنصور، لبنان ١٩٨٦م، ص ٥٧.
(٣٩) مدينة بعلبك: مدينة حصينة قرب دمشق، وإلى أهل بعلبك بعث إلياس النبي ﷺ وكان لأهل بعلبك صنم يدعى بعلأ والبلع بلغة اليمن الرب، فسميت بعبادة أهلها بعلأ واسم الموضع بك، وفتحت مدينة بعلبك صلحا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة (١٤ هـ / ٦٣٥م). الحميري: الروض المعطار، ط ٢، تحقيق إحسان عباس، دار السراج، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ١٩٨٠م، ص ١٠٩؛ الزركلي: الأعلام، ج ١، هامش ص ١٧٧.

(٤٠) أبو عبيد: الأموال، ص ٢٥٣، ٢٥٤؛ أبو علي: الأحكام السلطانية، ط ٢، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م، ص ٤٨، ٤٩.

وفي سنة (٣٦هـ/٦٥٦م) أثناء الصراع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قَادَ عمرو بن العاص جيشاً إلى مصر ووصل بالقرب من القُسطاط^(٤١) في منطقة عين شمس^(٤٢) فتصدى له محمد بن أبي حذيفة^(٤٣) ودارت المفاوضات بينهما على أن يأخذ عمرو رهائن منه فأخرج محمد رهناً عدتهم ثلاثون نفساً وهو من بينهم، وتم سجنهم فهربوا من السجن فأدرِكُوا، فقتلهم معاوية كُلَّهُمْ وتم قتلهم في ذي الحجة سنة (٣٦هـ/٦٥٦م)^(٤٤)

(٤١) القُسطاط: كانت قضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقي الذي يعرف بجبل المقطم، ولم يكن فيه من العمارة والبناء سوي حصن يعرف بقصر الشمع، ويمتاز موقع المدينة بتوسطه بين مصر السفلي والعلوي، ووجودها على رأس الدلتا قد جعلها في مأمن من هجمات العدو، كما كان لها جانب يمكن أن يضطرد اتساعها منه وهو الشمال، وبني عمرو بن العاص المسجد الجامع، ودار إمارته، وقد اتسعت حتى أصبحت حاضرة مصر الإسلامية حتى أواسط القرن الثالث للهجرة. المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق غازي طليمات، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٠م، ص ١٧٧، ١٧٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٤٤٢؛ إبراهيم الفلا: نظم الحضارة الإسلامية، دار العلم والإيمان، القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٣٠٤، ٣٠٥.

(٤٢) عين شمس: وهي مدينة قديمة، وبها آثار عجيبة، وهي تلي جبل المقطم، وفيها آثار كثيرة وبنیان عجيب من أساطين رخام وتمائيل ونقوش. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م، ج ٤، ص ١٧٨، ١٧٩؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٤٢٢.

(٤٣) محمد بن أبي حذيفة: محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، ولد بأرض الحديشة وكان أبوه من السابقين واستشهد باليمامة، ربه عثمان بن عفان، أظهر الخلاف لعثمان، ووثب على والي مصر (عقبة بن عامر) سنة (٣٥هـ/ ٦٥٥م) ودعا إلى خلع عثمان، فكتب إليه عثمان بعتابه ويذكر تربيته له، فلم يزدجر، وسير جيشاً إلى المدينة فيه ستمائة رجل كانت لهم يد في مقتل الخليفة عثمان، قبض عليه معاوية وسجنه في دمشق؛ ثم أرسل إليه من قتله في السجن. ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٨، ص ٨٣؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق على محمد البجاوي، دار الجبل، بيروت ١٩٩١م، ج ٦، ص ١٢.

(٤٤) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (٤٤)؛ ج ١، ص ١٢٣؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١م؛ ص ٤٣٥، ابن حجر: الإصابة، ج ٦، ص ١٢.

وجعل معاوية بن سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٧٩ م) على خراسان (٤٥) سعيد بن عثمان بن عفان (٤٦) سنة (٥٦هـ/٦٧٥ م) وغزا بلاد ما وراء النهر و صالح أهل سمرقند (٤٧) على أن يدخل باباً من أبوابها ويخرج من الآخر وأخذ منهم رهائن حتى لا يغدروا به، فدخل وخرج وانصرف بالرهائن وغدر بهم وحملهم إلى المدينة وجعل يستغلهم في النخيل والطين وهم أولاد الدهاقين (٤٨) وأرباب النعم فلم يطيقوا ذلك العمل وسموا عيشهم فوثبوا عليه في حائط له فقتلوه ثم قتلوا أنفسهم خنفاً (٤٩)

(٤٥) خراسان: يضم الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة وألف ثم سين مهملة وألف ونون وخراسان في اللغة الفارسية القديمة كانت تطلق على البلاد الشرقية وكان هذا أوائل القرون الوسطى، وخراسان اسم مركب ومعناها بالعربية طلوع الشمس، وقيل معنى "خر" كل، و"اسان" معناه سهل، أي كل بلا تعب، وخراسان تشتمل على كور عظام. أبو الفداء: تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود البارون، ماك توكين، طبعة باريس ١٨٤٠م، دار صادر بيروت، ص ٤٤١؛ السمعاني: الأذنباب، تعليق عبد الله بن عمر البارودي، دار الجنان، بيروت ١٩٨٨م، ج ٢، ص ٣٣٧؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٥٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٢١٥، ٢١٤؛ سعيد عثمان: خراسان منذ ظهور الأسلاجة حتى الغزو الغزنوي؛ رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي ٢٠٠٠م.

(٤٦) سعيد بن عثمان بن عفان الأموي القرشي: والي من الفاتحين، نشأ في المدينة، وبعد مقتل أبيه وفد على معاوية، فعينه والياً على خراسان سنة (٥٦هـ/٦٧٥ م)، ففتح سمرقند، وأصيب عينه بها، وعزل عن خراسان سنة (٥٧هـ/٦٧٦ م) ولما مات معاوية، انصرف إلى المدينة؛ فقتله أعلاج كان قدم بهم من سمرقند. الذهبي: العبر في خبر من غير، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد ببيوني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م، ج ١، ص ٤٤٤؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ١، ص ١٩٣؛ الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٩٨.

(٤٧) سمرقند: تم الفتح الإسلامي لمدينة " سمرقند" على يد القائد " قتيبة بن مسلم الباهلي" سنة (٨٧هـ/٧٠٥ م) و أعاد فتحها مرة أخرى سنة (٩٢هـ/٧١٠ م) وهي من بلدان ما وراء النهر، وتعد من أقدم وأعرق المدن الإسلامية، وقد كانت عاصمة بلاد ما وراء النهر لمدة خمسة قرون منذ عصر السامانيين إلى عصر التيموريين، خربها المغول سنة (٦١٦هـ/١٢١٩ م) ثم جدد بناءها تيمورلنك واتخذها عاصمة له وشيّد فيها المساجد وأقام الربط وما زال بعض ذلك قائماً إلى يومنا؛ كانت أكبر مركز لصناعة الورق (الكاغذ) ومنها انتشرت في العالم الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري، وهي اليوم تقع في ولاية (أوزبكستان) الروسية. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٢؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٣٢٢؛ كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ط ٢، ترجمة بشير فرانسيس - كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م، ص ٥٠٦ - ٥١٠.

(٤٨) الدهاقين: الدهقان لفظ فارسي مركب من (ده) بمعنى قرية، و(قان) بمعنى شيخ أو رئيس القرية وزعيم الفلاحين، كما تعني القوي على التصرف؛ وشاع استعماله كلقب في بلاد فارس قبل الإسلام لرؤساء القرى والأقاليم، وورد ذكره في المصادر العربية والإسلامية على أنه لقب من ألقاب أعيان الفرس ممن كان لهم المشورة والرأي عند الملك، وجمعه دهاقنة. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، الدار الفنية، القاهرة ١٩٨٩م، ص ٢٩٠؛ الصلّابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداييع الانهيار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م، ص ٣٨٩؛ مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص ١٨٦.

(٤٩) ابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص ٣٥٦؛ المطهر بن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د. ت)، ج ٦، ص ٤.

وفي فتوح بلاد المغرب^(٥٠) لجأ قادة الفتح الإسلامي لسياسة اتخاذ الرهائن، وذلك حتى يضمنوا ولأء القبائل البربرية، فكان عقبة بن نافع^(٥١) يتخذ رهائن من قبائل المصامدة^(٥٢) وترك بعض أصحابه يعلمونهم القرآن والإسلام^(٥٣)، وفي حرب حسان بن النعمان^(٥٤) ضد الكاهنة استأمن إليه جماعة من البربر فلم يقبل أمانهم إلا أن يعطوه من قبائلهم اثني عشر ألفاً يجاهدون مع العرب فأجابوه وأسلموا على يديه وذلك في سنة (٨٢هـ/٧٠١م)^(٥٥).

(٥٠) بلاد المغرب: يطلق العرب اسم إفريقية على الأقطار الواقعة شمال هذه القارة دون مصر، وأن حد إفريقية من برقة شرقاً إلى طنجة الخضراء غرباً، وعرضها من البحر إلى الرمال التي في أول السودان، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول إفريقية ويمتد من حدود مصر الغربية إلى شرق الجزائر، والثاني من المغرب الأدنى ويشمل قطر الجزائر تقريباً، والثالث المغرب الأقصى ممتداً من غرب الجزائر إلى المحيط، يشمل إقليم مراكش وطنجة، وكانت كلمة إفريقية تطلق أيضاً في العصور الوسطى على إقليم تونس وما يليه. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٢٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ط ٤، مكتبة الخانجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣م، ج ١، هامش ص ١٥.

(٥١) عقبة بن نافع: عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري ولد خلال عهد رسول الله ﷺ، وهو ابن خالة عمرو بن العاص وولاه عمرو بن العاص إفريقية وهو على مصر افتتح عامة بلاد البربر وهو الذي اختط القيروان وذلك في زمن معاوية (٤٠، ٤٢هـ/ ٦٦٢، ٦٦٩م) وقتل عقبة بن نافع سنة ثلاث ومستين بعد أن غزا السوس الأقصى، قتله كسيلة بن لمزم الأودي وقتل معه أبا المهاجر دينار، ثم قتل كسيلة على يد زهير بن قيس البلوي. ابن عبد البر: الاستيعاب، ص ٣٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٤، ص ٥٠؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٥، ص ٦٤.

(٥٢) المصامدة: بفتح الميم، والصاد المهملة، والميم الأخرى المكسورة، بينهما ألف، وفي آخرها الدال المهملة، وهم من ولد مسمود بن يونس من بربر الرنس، وهم أكثر قبائل البربر بالمغرب الأقصى ولهم بلاد كثيرة يقال لها بلاد المصامدة: وهم قوم سود طوال، ومن بطونهم غمارة، و بر غواطة أهل تامسنا وما اتصل بها ومنهم أهل جبل درن القائمون بدعوة محمد بن تومرت مهدي الموحدين. ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م، ج ٣، ص ٢١٩؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، سهيل نكار، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠م، ج ٦، ص ٢٧٥؛ الأنساب: السمعاني، ج ٥، ص ٣٠٨، ٣٠٩؛ القفشندي: قلاند الجمان، ص ١٦٩؛ السلاوي: الاستقصا في الأخبار المغرب الأقصى، تحقيق جعفر السلاوي، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٩٧م، ج ١، ص ١٢١.

(٥٣) ابن عذاري: البيان الأندلس في أخبار الأندلس والمغرب، ط ٣، تحقيق ج ٣؛ كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، بيروت ١٩٨٣م، ج ١، ص ٤٢.

(٥٤) حسان بن النعمان: حسان بن النعمان بن عدي الأزدي الغساني، من أولاد ملوك غسان، كان يلقب بالشيخ الأمين، ولي إفريقية في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة (٥٧هـ/٦٧٦م)، زحف لأفريقية بأربعين ألف مقاتل، فكانت له وقائع كثيرة مع الروم في قرطاجنة، ومع الملكة دهبنا (الكاهنة البربرية) في قايس وجبل أوراس، ظهرت فيها بطولته، ودانت له إفريقية كلها، وبعد أن عم الإسلام إفريقية، أقام بالقيروان، فجدد بناء مسجدها سنة (٨٤هـ/٧٠٣م)، ودون الدواوين وولي الولاية، ثم رحل قاصداً عبد الملك ابن مروان واعتزل الأعمال في أول عهد الوليد بن عبد الملك؛ وتوجه إلى أرض الروم غازياً، فتوفي بها. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ط ٢، مكتبة مبدولي، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٢٠٠ - ٢٠٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٥، ص ٣٩٣، ٣٩٢؛ الصغدني: الوافي بالوفيات تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركحي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ٢٠٠٠م، ج ١١، ص ٢٨٧؛ الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٧٧.

(٥٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٣٨؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٢٣٩؛ السلاوي: الاستقصاء، ج ١، ص ١٥٠؛ عبيد الله بن صالح: فتح العرب للمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، تعليق حسين مؤنس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد ١٩٥٤م، مج ٢، ص ٢٢٣.

وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) خرج موسى بن نصير (٥٦) غازياً لبلاد المغرب سنة (٨٩هـ/٧٠٨م) وتبع البربر، وحظي المغرب الأوسط (٥٧) بأكثر أعمال موسى بن نصير الحربية نظراً لأن ميدانه كان محوراً للتحالف البيزنطي البربري الذي كان سبباً في إخفاق الكثير من الجهود الحربية للمسلمين في المغرب، ومن هنا كان لموسى بن نصير سياسته الخاصة، فقد أوصى موسى بن نصير قائده عياش بن أجبل (٥٨) الذي أرسله لإخضاع بعض قبائل المغرب الأوسط، باتهاج سياسة الاسترضاء مع القبائل الراغبة في الصلح وأن يعاملها معاملة كريمة ويترك تدبير أمورها بيد أناس من أهلها، مع إصراره على ضرورة أخذ رهائن منهم ضماناً لاحترامهم للعهود والمواثيق (٥٩) وتمكن القائد عياش بن أجبل من إرغام قبائل هواره (٦٠) وزناته (٦١) على الصلح بعد أن أغار عليهم وأسر أميرهم (كلمون)

(٥٦) موسى بن نصير: أبو عبد الرحمن والي أفريقية والمغرب وصاحب فتح الأندلس، وهو من التابعين، توفي سنة (٩٩هـ/٧١٧م). الضبي: بغية الملتصم، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة ١٩٨٩م، ج ٢، ص ٦٠٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٥٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٣٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٣. (٥٧) المغرب الأوسط: يمتد من مدينة تاهرت حتى وادي ملوية وجبال تازة غرباً، وقاعدته تلمسان، ويمثله الجزائر حالياً، صابر محمد دباب: بلاد المغرب في القرن الأول الهجري، مكتبة النصر، القاهرة ١٩٩٢م. (٥٨) عياش بن أجبل الرعيبي: قائد بحري؛ يعني الأصل، مصري المنبت؛ كان في المغرب مع موسى بن نصير، وولي شريطه، ودخل معه الأندلس؛ وولي البحر زمن بني أمية؛ وقدم بالسفن من الأندلس إلى إفريقية سنة (١٠٠هـ/٧١٨م)، وانقطع خبره بعد هذه الرحلة؛ الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ٩٩.

(٥٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٤١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٢٣٩؛ السلاوي: الاستقصا، ج ١، ص ١٥٢. (٦٠) قبيلة هواره: من بطون البرانس باتفاق من نسبة العرب، وبعض نسبائهم؛ يقولون إنهم من عرب اليمن، فتارة يقولون: إنهم من عاملة، إحدى بطون قضاة، وتارة يقولون أنهم من كندة من السكاسك، جهلوا أنسابهم؛ ويطون هواره يتناسبون كما تتناسب العرب، فمنهم بنو اللهان، ومليلة وورسطقة؛ فيطون اللهان بنو درما، وبنو مرمرزان، وبنو ورقلة، وبنو مسراتة، ومنزل هواره من آخر عمل سرت إلى طرابلس؛ وناصرت قبيلة هواره خوارج المغرب ثم خضعت للخلفاء الفاطميين. ابن خلدون: تاريخه، ج ٦، ص ١٨٢؛ الفلقشندي: قلاند الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ط ٢، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة ١٩٨٢م، ص ١٦٨، ١٦٧؛ الفلقشندي: نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، ط ٢، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٠م، ص ٤٤٢، ٤٤١؛ عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص ٤٣٤.

(٦١) زناته: بفتح الزاي والنون وألف بعدها تاء مثناة من فوق ثم هاء، وهم إحدى مجموعتين كبيرتين من المجموعات البربرية التي سكنت الجزائر قبل الفتح الإسلامي. والمجموعة الأخرى صنهاجة. وهي مجموعة عرفت بالاستقرار، وينبع كلاً منهما قبائل كثيرة. ومن خصائص زناته أنه كان يغلب عليها الترحال، ولهجاتها تختلف عن سائر اللهجات البربرية الأخرى. وكان غالبها بالمغرب الأوسط، حتى كان يقال عنه وطن زناته. ومنهم بالمغرب الأقصى أمم أخرى وهم لهذا العهد أهل دول، ومنهم بنو مزين و بنو عبد الواد، ملوك تلمسان ومن بني مزين بنو عبد الحق ملوك المغرب الأقصى في مدينة فاس. ابن خلدون: تاريخه، ج ٦، ص ١٢٢؛ الفلقشندي: قلاند الجمان، ج ١، ص ١٧٦، ١٧٧.

فلما رأت قبائل كثامة^(٦٢) ذلك أسرعَتْ فقدمَتْ على موسى برهائنها فولى عليهم رجالاً منهم^(٦٣) وتقدم موسى بقواته وقتل في البربر قتلاً ذريعاً وسبى منهم سبياً عظيماً وتوغل في جهات المغرب حتى انتهى إلى السوس الأدنى^(٦٤)، ثم تقدم إلى مدينة سبتة^(٦٥) فصانعه صاحبها يليان^(٦٦) بالهدايا وأدعن للجزية وكان نصرانياً فأقره عليها، واسترهن ابنه وأبناء قومه على

(٦٢) كثامة: ضم أوله وفتح التاء فوقها نقطتان وبعد الألف ميم، وهي من قبائل البربر بالمغرب وأشدهم بأساً وقوة وأطولهم باعاً في الملك عند نسيابة البربر، وهم من ولد كثام بن برنس ويقال كتم ونسيابة العرب يقولون إنهم من حمير ذكر ذلك ابن الكلبي والطبري وأول ملوكهم فريش بن صيفي من ملوك التباغة وهو الذي افتتح أفريقية وبه سميت. ابن خلدون: تاريخه، ج٦، ص ١٩٥؛ السمعاتي: الأنساب، ج٥، ص ٣١؛ ابن الأثير: اللباب، ج٣، ص ٢١٩؛ أحمد مختار العبادي: سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد الخامس، مدريد ١٩٥٧م، هامش ص ٢.

(٦٣) محمد عيسى الحريري: الدولة الرسمية في المغرب الإسلامي، ط٣، دار الفلم، الكويت ١٩٨٧م، ص ٤١. (٦٤) السوس الأدنى: كورة كبيرة بالمغرب، مدينتها طنجة، والسوس مدينة المغرب كانت الروم تسميها: قمونية، وبين السوس الأدنى والسوس الأقصى مسيرة شهرين، والسوس الأدنى يمتد من القيروان على ألفي ميل ومائة وخمسين ميلاً (والميل يساوي ١٨٤٨ متراً) وأهلها من أنجاد البربر وفرسانهم؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ٢٨١؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ١٥؛ محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، دار منار للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٣ م، ج١، ص ٢٢٢؛ محمد صبحي حسن: الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، مكتبة الجيل الجديد، اليم ٢٠٠٧م، ص ٧١.

(٦٥) سبتة: مدينة مطلة على مضيق جبل طارق في شمالي المغرب الأقصى وهي عبارة عن شبه جزيرة في المضيق تحيط بها الجبال من ناحية الجنوب وهذا الوضع جعل اتصالها بالأندلس قريباً جداً لذلك امتازت بطابع أندلسي في مظهرها وثقافتها بل وفي وضعها السياسي إذ خضعت للدولة الأموية في الأندلس ثم سيطر عليها بنو حمود الأدارسة في عصر ملوك الطوائف ثم دخلت في طاعة المرابطين ثم الموحدين بالمغرب؛ واستولى عليها البرتغاليون سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م)، ثم استولى عليها الأسبان سنة (٩٨٨هـ/١٥٨٠م) ولا تزال المدينة في أيديهم إلى الآن. الحميري: الروض المعطار، ص ٣٠٣. المقرئ: نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨، ج١، ص ٤٣١؛ السنيني: اختصار الأخبار عما كان يتغير سبتة من سني الآثار، ط٢، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٨٣م، ص ٢٧-٣٩؛ السلاوي: الإستقصا، ج٤، ص ٩٢؛ الصلاحي: فقه التمكن عند دولة المرابطين، دار أقرأ، القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٦٤.

(٦٦) يليان: حاكم مسيحي يدعى: (يُليان، جوليان، يوليان، وليان، بليان، إليان، جليان) حاكم مدينة سبتة وما يجاورها، وكانت له عدة وقعة، ولم يتمكن موسى بن نصير من فتحها، فعقد الصلح مع يليان، وأقره في منصبه، مقابل اعتراف الأخير بالفتح الإسلامي، وقد شجع يليان موسى بن نصير وطارق بن زياد على فتح الأندلس، وعاونهم في الفتح؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢٠٥؛ ابن الكردبوس: الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبادي، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٦٥م، مج ١٣، هامش ص ٤٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣٥؛ محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج١، ص ١٤٤.

الطاعة، فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا لموسى وبذلوا له الطاعة، فقبل منهم وولى عليهم^(٦٧)، وغزا موسى بن نصير طنجة^(٦٨) وافتتح مدينة درعة^(٦٩).

وصحراء تافيلالت^(٧٠) وأرسل ابنه إلى السوس فأدعن البربر لسلطانه وأخذ رهائن المصادمة فأتزهم بطنجة وذلك سنة (٨٨هـ / ٧٠٦م) وولى عليها طارق بن زياد الليثي^(٧١) وأنزل معه سبعة وعشرين ألفاً من العرب واثنى عشر ألفاً من البربر وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه، ثم أسلم بقية البربر على يد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر^(٧٢) سنة

(٦٧) الفلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء تحقيق يوسف على طویل، دار الفكر، دمشق ١٩٨٧م، ج ٥، ص ١٥٣؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٦، ص ٢٨٢؛ السلاوي: الاستقصاء، ج ١، ص ١٥٢.

(٦٨) طنجة: مدينة قديمة بالمغرب على ساحل البحر، بينها وبين وسبته ثلاثون ميلاً في البر، افتتحها غثبة بن نافع وقتل رجالها وسبي من فيها، وهي آخر حدود إفريقية من المغرب ومسافة ما بين طنجة والقروان ألفا ميل، وقيل أن عمل طنجة مسيرة شهر في مثله وأن ملوك المغرب من الروم وغيرهم من الأمم كانت دار مملكتهم مدينة طنجة، وكانت طنجة قاعدة المجاز الكبرى إلى الأندلس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٣.

(٦٩) درعة: مدينة بالمغرب في جهة سجلماسة، وهي مدينة عامرة، بها وأسواق ومتاجر رانجة، وبين درعة وسجلماسة ثلاث مراحل (المرحلة عند الجمهور تساوي أربعة وعشرين ميلاً، والميل يساوي ١٨٤٨ متراً، فالمرحلة تساوي ١٨٤٨ × ٣ = ٥٥٤٤٨ متراً) وتساوي ٤٤٣٥٢ كيلو متراً) وليس لها سور إنما هي قرى متصلة، وفيها أخلاط من البربر، وبين درعة والسوس الأقصى أربعة أيام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٥١؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٢٣٦، ٢٣٥؛ الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، مطابع دار الصفوة، القاهرة ١٩٨٣م، ج ٣٨، ص ٣٢٤؛ محمد صبيح: الإيضاحات العصرية للمقائيس والمكاييل، ص ٧١.

(٧٠) صحراء تافيلالت: افتتحها موسى بن نصير سنة (٨٨هـ / ٧٠٦م)، السلاوي: الاستقصاء، ج ١، ص ١٥٢.

(٧١) طارق بن زياد: طارق بن زياد بن عبد الله هو بربري من قبيلة نفزة البربرية، وقيل أنه فارسي من همدان، وذكر أنه عربي من قبيلة صندف، كان مولى لموسى بن نصير من سبابة البربر، وقيل عنه أنه ليس بمولى يسميه ابن خلدون طارق بن زياد الليثي ولما تم موسى فتح طنجة، ولي عليها طارقاً (سنة ٨٩هـ / ٧٠٧م) وأمره موسى بن نصير بغزو الأندلس فاستولى على الجبل (جبل طارق) وتغلغل في أرض الأندلس، وعبر إليه موسى بن نصير بالرجال والعتاد بناءً على استغاثة من طارق، واستدعاه الوليد إلى الشام، فقصدها مع موسى سنة (٩٦هـ / ٧١٤م)، وتوفي سنة (١٠٢هـ / ٧٢٠م). ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢؛ الحميدي: جذوة المقتبين في ذكر ولاة الأندلس، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٨م، ص ٤٣؛ الضبي: بغية الملتصق، ص ٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٥٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٤٠؛ الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨١م، ج ٤، ص ٥٠٠؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٤٠.

(٧٢) إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر: مولى بني مخزوم كنيته أبو عبد الحميد من صالحى أهل الشام وخيار المشقين ولاة عمر بن عبد العزيز على إفريقية في المحرم سنة (٩٩هـ / ٧١٧-٧١٨م) فكان خير أمير، قال ابن خلدون: وأسلم جميع البربر في أيامه، وأرسل معه عشرة من فقهاء التابعين وعلمائهم يفقهون الناس في أمور الدين، وكان هذا الأمير في غاية الزهد والتواضع حريصاً على نشر العلم وسار في أهل البلاد بسيرة العدل، وكان شديد الحفظ لحديث رسول الله ﷺ، فقد روي عنه ابن عساکر أنه قال: ينبغي لنا أن نحفظ حديث رسول الله ﷺ، كما نحفظ القرآن، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، وغيرهم؛ ومكث في القيروان معلماً للناس، ناشراً للسنه، لمدة (٣٣) سنة حيث توفي بها سنة (١٢١هـ / ٧٤٨م). ابن عساکر: مختصر تاريخ دمشق، تحقيق إبراهيم صالح، دار الفكر، دمشق ١٩٨٧م، ج ٤، ص ٣٥٨، ٣٥٩؛ أبو حاتم البستي: مشاهير علماء الأمصار، تحقيق مجدي بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م، ص ٢١؛ الصلابي: عمر بن عبد العزيز، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٢٥٩.

(١٠١هـ/٧١٩م) خلال عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧ - ٧١م) (٧٣)

وبرز موسى بن نصير قائداً منتصراً في فتح بلاد المغرب، ويرجع ذلك إلى السياسة التي اتبعها، فحين كان يقدم على موسى وفود القبائل ليعلموا ولاءهم كان يولي عليهم رجلاً منهم ويأخذ رهائن من خيارهم^(٧٤) لضمان هذا الولاء، كما فعل مع وفد كرامة ومع وفد مصمودة وغيرهم^(٧٥) ونجد أن موسى جمع رهائن المصامدة مع رهائن البربر الذين أخذهم من إفريقية والمغرب، وجعل عليهم مولاة طارق بن زياد، وترك موسى سبعة عشر رجلاً من العرب يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام، وفي سنة (٩٢هـ/٧١٠م) جاز طارق إلى الأندلس وافتتحها بمن كان معه من العرب والبربر ورهائيتهم الذين تركهم موسى عنده والذين أخذهم حسان بن النعمان من المغرب الأوسط قبله^(٧٦).

(٧٣) ابن خلدون: تاريخه، ج ٦، ص ١٤٤؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ١٥٢، ١٥٧، ١٩٢.

(٧٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٤١.

(٧٥) السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ١٥٢.

(٧٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٤٢، ٤٣؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ١٥٢.

الفصل الأول

جغرافية بلاد الأندلس وسكانها وأثرهما في سياسة اتخاذ الرهائن

١- جغرافية بلاد الأندلس وأثرها في اتخاذ الرهائن.

٢- عناصر المجتمع الأندلسي وأثرها في سياسة اتخاذ الرهائن.

جغرافية بلاد الأندلس وأثرها في اتخاذ الرهائن:

تقع شبه الجزيرة الأيبيرية في الجنوب الغربي من القارة الأوروبية تفصلها من الشمال عن جنوب فرنسا جبال ألبرت أو البرتاب (Pyrenees) ويفصلها عن الجنوب حدوداً للقارة الأوروبية عن إفريقية مضيق جبل طارق الذي يبلغ عرضه من الشرق إلى الغرب ١٣-٣٧ كم، وتقع سواحلها الشمالية والشمالية الغربية على المحيط الأطلسي عند خليج إسقايه (Biscay) وتقع سواحلها الغربية على المحيط الأطلسي، وتقع سواحلها الشرقية والجنوبية الشرقية على البحر المتوسط ويسمى بالبحر الرومي أو البحر الشامي أو بحر تيران^(١).

وجزيرة الأندلس محاطة تماماً بمياه البحر المتوسط والمحيط الأطلسي باستثناء شريط ضيق في الشمال يبلغ عرضه أقل من ثلاثمائة ميل ويتصل بالحدود الجنوبية لفرنسا حيث تقع جبال البرنيه^(٢) التي جعلت إسبانيا منعزلة تماماً عن أوروبا^(٣).

(١) عبد الرحمن على الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط٢، دار القلم، دمشق بيروت ١٩٨١م، ص ٣٥، ٣٦.

(٢) جبال البرنيه: هي سلسلة من الجبال تمتد على مسافة ٤٤٠ كم من خليج بسكاي في الغرب إلى البحر المتوسط في الشرق ويبلغ ارتفاعها في أعلى قممها ٣٤٠٤ كم وسفوحها الشمالية تقع في فرنسا، بينما تقع سفوحها الجنوبية في إسبانيا، فهي تفصل شبه الجزيرة الأيبيرية عن فرنسا، وقد عبرت المراجع العربية عن جبال البرانس باسم جبل " البرتاب " أو جبل " البرت"، وأن هذه التسمية مأخوذة من التسمية اللاتينية (Portus) ومن الإسبانية (Puerto) ومعناها المنفذ؛ والمرور عبر بواباتها الأربع أمراً صعباً، ويزيد من صعوبة أن أقام بالجهة الغربية من هذه الجبال البشكنس، وكانوا يضايقون من يحاول عبور البرتاب من ناحيتهم، وفعلوا ذلك مع شارلمان (٧٦٨-٨١٤ م) وأصابوه بنكبة في رونسفال، وقد تنبه العرب لذلك فكانت معظم غزواتهم من الناحية الشرقية. إينهارد: سيرة شارلمان، ترجمة وتعليق عادل زيتون، دار حسان، دمشق ١٩٨٩، ص ٧٤؛ عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، دار عين للدراسات والبحوث، القاهرة ١٩٩٥م، ص ٨، ٩.

(٣) حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٦م، ص ٤٨١؛ محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، دار المنار للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٣م، ج ١، ص ٨٨.

وتباين الخصائص المناخية لشبه جزيرة الأندلس، حيث نجد أن جبل الشارات^(١) يقسمها من الوسط، فيختلف شمال الأندلس عن جنوبها، فلكل منهما طابعه المناخي الخاص، فالجنوب له مناخ الشمال الإفريقي أو حوض البحر المتوسط، والشمال له مناخ أوروبيا يبردها وصقيعها، وقد أثر هذا التنوع في المناخ وفقر البيئة الشمالية وجفافها الشديد وصعوبة التضاريس فيها في أمزجة الناس وطباعهم حتى أنك لتجد الأندلسي الشمالي يتصف بالخشونة والقسوة والعصبية بخلاف الأندلسي الجنوبي الذي يتصف بالهدوء والمسالمة، وكان هذا من العوامل التي زادت من التناقض بين سكان الأندلس، وبين سكان الممالك النصرانية، وساعد على استمرار هؤلاء الإسبان في مقاومتهم لمسلمي الأندلس عدة قرون^(٢).

وتنوع الخصائص الجغرافية للأندلس^(٣) من تباين في سطح الأرض وتقطعها الحاد وتعدد الأقاليم المناخية والغطاء النباتي وأنماط الحياة الزراعية، وتترق سلاسل الجبال إسبانيا من الداخل، فلا تترك سوى أرضاً صغيرة المساحة منخفضة^(٤)، وأكثر مظاهر التضاريس شيوعاً في شبه الجزيرة الأيبيرية الجبال، حيث تنتشر السلاسل الجبلية الضخمة في كل اتجاه وتفصل تماماً بين المناطق المتميزة، وتميز جبال إسبانيا بالقسوة والعزلة، كما أنها شاهقة الارتفاع^(٥).

(١) جبل الشارات: هو سلسلة جبال تسمى سيارا مورنيا (guadarrama) وتمتد من مدينة سالم إلى قلمرية في البرغال، وهي تفصل بين الأندلس وفرنسالة ولغة الشارات تطلق أيضاً على إقليم يسمى إقليم الشارات ومن أعماله مدن طلبيرة وطليلة ومجريط وأقلش ووادي الحجاره. ابن خلدون: تاريخه، ج ١، ص ٨٤؛ رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، دار الكتاب المصري، القاهرة (د. ت)، ص ٦٥.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص ١٦٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٥٤؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٤٧، ص ١٣٤؛ رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٦٤.

(٣) خريطة توضح جغرافية الأندلس: انظر ملاحق الرسالة ص ٣٣١.

(٤) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ١١، ١٢.

(٥) كولان، ج ٤؛ س: الأندلس، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، دار الكتاب المصري، القاهرة ١٩٨٠م، ص ٧٥.

Crow, Spain the root and the flower, op, cit, p2.

هذا بالإضافة إلى الوديان الطويلة التي توازي الأنهار الكثيرة التي تمتد من الشرق إلى الغرب أو بالعكس، وتفصل هذه الوديان بعضها عن البعض الآخر سلاسل جبلية تسير في نفس الاتجاه وتقطع الجزيرة بالعرض^(١)، فضلاً عن ذلك تتميز الأنهار في الأندلس بسرعة الجريان، فكانت عائقاً للملاحة معظم شهور السنة، حيث فشل النورمان^(٢) في اقتحامها أحياناً، وتتميز كل منطقة من هذه المناطق بخصائص جغرافية ومناخية وثقافية ونفسية وحتى لغوية تختلف عن الأخرى، وهذا أعاق تطور مجتمع شبه الجزيرة إلى أمة واحدة^{(٣)(٤)}، وتشكل هذه المشاعر المحلية أحد مظاهر الضعف الأساسية لأي نظام، وزاد العرب على تلك المصاعب الطبيعية اختيارهم موقع العاصمة بعيداً إلى الجنوب، وتم اختيارهم لها لأنها تتوسط إقليماً خصباً^(٥)

وموقع وجغرافية الأندلس البعيد والمنعزل عن الدولة الإسلامية هيأ لها الفرصة لأن تتخذ لنفسها في وقت مبكر طريقاً مستقلاً عن الدولة الإسلامية العامة، سياسياً ومذهبياً، ويعود ذلك إلى سنوات قليلة من الفتح، فلا نجد في مصادرنا خبراً بأن الأندلس أرسلت مალأ إلى حاضرة الدولة، مع أنها قطر عظيم الجباية، وأن أهل الأندلس غالباً ما يختارون

(١) رجب عبد الحليم: العلاقات، ص ٦٥.

(٢) النورمان: هم مجموعة الشعوب التي سكنت حوض بحر البلطيق (Baltic) وشبه جزيرة إسكندنبانوة (Scandinavia) وشبه جزيرة الدانمرك (Danes) وقد ذكر هؤلاء الاقوام في التاريخ بعدة أسماء، فالمصادر الإسلامية قد أطلقت عليهم في الأعم اسم المجوس، ويرجع هؤلاء النورمان في أصلهم إلى العنصر الجرمانى (Germani) وموطنهم الأصلي هو شبه جزيرة إسكندنبانوة تمرسوا على ركوب البحر واشتهروا بجراتهم. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، ط ٢، القاهرة ١٩٨٩م، ص ٧٨؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢؛ ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م، م ٤، ج ١٣، ص ٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٦١، ٢٦٢.

Contor (N. F): Medieval History The Macmillan Company. New York 1964 P.121.

(7) Crow, Spain the root and the flower, op, cit, p1.

(٤) يرجع الباحث عدم تطور مجتمع الأندلس إلى أمة واحدة إضافة إلى ما سبق هو ترك فريضة الجهاد في سبيل الله، وذلك لأنها تجمع المسلمين كلهم تحت راية واحدة دون تميز، فعندما ترك المسلمون في الأندلس فريضة الجهاد وتحمل مسئولية نشر الدين للذين يلونهم من الكفار ظهرت وتفشلت المشاكل فيما بينهم ومن بينها العصبية، فكان بقاؤهم في الأندلس حتماً إلى زوال، وخصوصاً أنهم بجوار أعداء ترتب بهم وتمدد العون والمساعدة لكل خارج عن السلطة المركزية.

(٥) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٢٧.

وَلَاتَمَّ وكانت الدولة ويمثلها ولاية المغرب تَرْضَى بهذا الواقع الذي لم يكن بإمكانها تغييره، بل بسكوتها أضفت عليه طابعاً شرعياً^(١).

وتركت الطبيعة الجغرافية أثرها على الاستيطان الإسلامي الأول وهو بدوره ترك أثره على الوجود الإسلامي ذاته، فانتشر العرب على نحو خاص لدى الأراضي الخصبية المنبسطة بأحواض الأنهار الكبيرة في الجنوب والشرق، في حين اختار الكثير من البربر أن يسكنوا في المناطق الجبلية وبخاصة الوسطى التي سبق أن ألفوا مثلها في وطنهم ببلاد المغرب، وهذا الاستقرار خضع لتطورات التاريخ الأندلسي وأحداثه المتعاقبة والمتناقضة^(٢).

ولقد تفاوتت أيضاً الكثافة العددية للسكان بسبب الطبيعة الجغرافية للأندلس، فجعل المسلمون مدينة قرطبة نواة استقرارهم بحكم موقعها، وكانت أعداد المسلمين قليلة في جليقية Galicia^(٣) وذلك لبعدها أولاً وغيومها وبرودتها ثانياً، كما أن الأراضي التي تلي جليقية شرقاً تحيط بها جبال كنتبريه Contabria التي تقع في أقصى الشمال الغربي من الأندلس، وهي جبال شديدة الوعورة، وكانت بها بقايا قوطية، تركها العرب وشأنها، لذلك تهيأت الفرصة لنصارى الشمال كي توجد لهم نواة صغيرة في جبال كنتبريه، هيأت لهم فترة حضانية فأخذت تنمو وتشتد داخل هضابها النائية، وأصبحت نواة للمملكة النصرانية القوية بسبب ما يجري من

(١) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ١١، ١٢.

(٢) خليل السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت ٢٠٠٠م، ص ٨٠، ٨١، عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٣٦، ٣٧.

(٣) جليقية: أو أستوريس (Asturias) أو (أستورياس تمتد من ولاية بسكونية شرقاً إلى المحيط غرباً، ومن خليج بسكونية شمالاً حتى نهر دويرة جنوباً وهي هضبة قاحلة، وتعد من المناطق الوعرة جداً وتتميز بقساوة المناخ، وهي بلاد لا يطيب سكانها لغير أهلها وبلد الجليقيين سهل، والغالب على أرضهم الرمل وأكثر أوقاتهم الدخن والذرة، ومعلولهم في الأشربة على شراب التفاح واليشكة وهو شراب يتخذ من الدقيق، وأهلها أهل غدر وبنائة أخلاق وفيهم بأس شديد، لا يرون الفرار عند اللقاء ويرون الموت دونه، وقد اعتقد الفاتحون أنها ليست ذات أهمية بالنسبة إليهم فأغفلوها، وقد استغلت بعض قلوب القوط المنهزمة هذه الظروف، فلجأت إلى هذه الجبال واختفت فيها تنتظر الفرصة المواتية للجمع والاستعداد لمقاومة الفتح الإسلامي للأندلس، أما المسلمون فقد استهينوا أمر هذه الأماكن، وقلة عدد القوط الملتجئين إليها، فتركوهم وشأنهم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٥٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٥٤؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٤٧، ١٣٤.

حروب بين العصابات العربية والبربرية في أواخر عصر الولاة^(١)، ولقد استفاد هؤلاء النصارى مما حدث من تغيرات وتوسعوا بحدود مملكتهم الناشئة لتسير هذه الحدود مع جبال كتبريه في امتدادها غرباً، ثم التوائها جنوباً لتصل على مقربة من نهر المنيو Mini^(٢).

وتركت الطبيعة الجغرافية أثرها على سكان شبه الجزيرة الذين عاشوا في مجتمعات صغيرة منعزلة عن بعضها البعض، تختلف فيما بينها في أنماط الحياة ودرجات الحضارة وطرق التفكير فأدى ذلك إلى بروز النزعة المحلية التي ترتبت عليها أكبر مشكلة واجهت الأندلس وهي التعددية السياسية فالأندلس (إسبانيا كذلك) لم تكن دولة واحدة في فترات طويلة من تاريخها فكانت ممزقة تحت سيادة اسمية، والفترة النموذجية التي حظي خلالها الأندلس باستقرار سياسي واضح هي فترة الخلافة:

(عصر الناصر،^(٣) والمستنصر،^(٤) والدولة العامرية^(٥))، وهي فترة لا تتعدى في

مجملها

(١) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٨٣؛ عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٣٦ - ٣٨؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٤٩.

(٢) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٣٦ - ٣٨ .
(٣) الناصر: هو عبد الرحمن بن محمد، الذي قتله أخوه مطرف، ابن الأمير عبد الله؛ كنيته: أبو المطرف؛ لقبه: الناصر لدين الله؛ أمه: أم ولد تسمى مزنة، ولي في اليوم الذي توفي فيه جده الأمير عبد الله وبيع له فيه، في مستهل ربيع الأول سنة (٣٠٠هـ / ٩١٢م)، وهو أول من تلقب بالخلافة من رجال الدولة الأموية في الأندلس، وتوفي يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان المعظم سنة (٣٥٠هـ / ٩٦١م)؛ فكانت خلافته (٥٠ سنة) وستة أشهر وثلاثة أيام؛ وكان عمره (٧٣ سنة) وسبعة أشهر . ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٤٧٦؛ ابن الأبار: الخلعة السرياء، تحقيق حسين مؤنس، ط ٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥، ج ١، ص ١٩٧؛ ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩م، ج ١، ص ١٨١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٥٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٣٢؛ الذهبي: العبر، ج ١، ص ٤٣٨.

(٤) المستنصر: هو الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، كنيته: أبو المطرف؛ أمه: اسمها مهران؛ بوع له بعد موت أبيه لثلاث خلون لرمضان سنة (٣٥٠هـ / ٩٦١م) وأبدي إهتماماً كبيراً بالعلم والعماء وتوفي سنة (٩٧٦هـ / ٩٧٦م) وكان عمره: (٦٣) سنة وسبعة أشهر فكانت دولته خمس عشرة سنة، وسبعة أشهر، وثلاثة أيام . ابن الأبار: الخلعة السرياء، ج ١، ص ٢٠٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٣٢؛ خوليان ريبيرا: التربية الإسلامية في الأندلس، ط ٢، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٤، ص ١١ .

(٥) الدولة العامرية: قامت الدولة العامرية على يد محمد بن أبي عامر وذلك بعد أن تخلص من خصومه بعد وفاة الحكم المستنصر سنة (٣٦٦هـ / ٩٧٦م) و اتخذت الدولة العامرية شرعيتها من حماية الخليفة هشام المؤيد والحكم باسمه، وأنفرد محمد بن أبي عامر بالسلطة وتسمي في عام (٣٧١هـ / ٩٨١م) بالحاجب المنصور ودعي له على منابر المساجد، وإستيفاء لرسم الملوك كانت الكتب تنفذ عنه وأخذ الوزراء وكبار أعيان الدولة بتقبيل يديه وتبجيل وجهه بني أمية، وقام ببناء مدينة الزاهرة سنة (٣٦٨هـ / ٩٧٨م) وأنقل إليها سنة (٣٧٠هـ / ٩٨٠م) ونقل إليها خزائن الأموال والأسلحة وإدارات الحكومة وحاشيته ووزرائه متخذاً سمة الملك فيها، فجلس على كرسي الملك وأمر أن يحيى تحية الملوك وجعل له حرساً خاصاً من البربر والصقالبة وتلقب

مائة عام (٣٠٠ - ٣٩٩ هـ / ٩١٢ - ١٠٠٨ م) (١).

استفاد ثوار الأندلس من طبيعة الأندلس الجغرافية ومن وعورة أقاليمها وانقطاعها واكتفائها بنفسها لآمادٍ متطاولة، مما سهّل عليهم إعلان العصيان والاتجاء إلى المناطق المنيعّة فضلاً عن وفرة القلاع وحصانها، وتعذّر سبيل الوصول إليها، ويذكر ابن الخطيب أن منعة البلاد وحصانة المعاقلي من أحد أسباب كثرة الثوار في الأندلس (٢).

ويؤكد على ذلك قول المقرئ أن بعض الحصون ظل صامداً لأكثر من عشرين سنةً لكثرة ما تمّ تخزينه من عدةٍ وعتاد (٣)، كما أفادوا من المناخ الذي كان يهيئ الفرصة لحفظ مئونة المدن وطعامها لسنواتٍ طويلة (٤).

والقرب من الممالك النصرانية في الشمال الإسباني أدى إلى صعوبة الموقف أمام حكام قرطبة، وذلك لأن أي ثائر يمكنه أن يتلقى العون والمساعدة من ملوك النصارى في الشمال الإسباني، لذلك اتبع أمراء بني أمية وخلفاؤهم فيما بعد أسلوب اللين مع الثوار وخاصةً في الثغور (٥) الإسلامية في الشمال واتبعوا معهم أيضاً أسلوب الاصطناع، فكانوا

بالمنصور وقلد الحجابة لابنه عبد الملك سنة (٣٨١ هـ / ٩٩١ م) وكان عمر عبد الملك في الثانية عشرة من عمره، وتسمي المنصور كذلك في سنة (٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م) وتسمي بالملك الكريم، وانتهت الدولة العامرية بمقتل عبد الرحمن بن المنصور في (الثالث من شهر رجب سنة ٣٩٩ هـ / الثالث من شهر مارس سنة ١٠٠٩ م). لمزيد من التفاصيل عن الدولة العامرية ينظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٧٢ - ٢٩٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٤٤؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٦ م، ص ٨٣-٥٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٥٣٥؛ السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢ م، ج ١، ص ٢٥٩، ٢٦٠؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ١٩٢.

(١) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٥١.

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٣٦؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١١٣.

(٣) المقرئ: نفع الطبيب، ج ١، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

(٤) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن على الحجي، دار الإرشاد، بيروت ١٩٦٨ م، ص ٨٨؛ عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٥٢.

(٥) الثغور: مفردا ثغر هو كل موضع قريب من أرض العدو، و المقصود بالثغور في الأندلس تلك الأقاليم القريبة من الممالك المسيحية في الشمال والتي اتخذها المسلمون كمعاقل للاعتصام بها عند الخطر، أو لتنظيم وسائل العزو عندما يقرر القيام به وهذه الثغور ثلاثة هي: الثغر الأعلى وقاعدته مدينة سرقسطة ويواجه مملكة نبرة، الثغر الأوسط وقاعدته مدينة سالم (Medinaceli)، ثم تحولت إلى مدينة طليطلة (Toledo) ويواجه مملكة قشتالة (Castile) وليون (Leon)، الثغر الأدنى وقاعدته مدينة ماردة ثم انتقلت إلى مدينة بطليوس. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ١١٧، ١١٨؛ عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي، ص ٣٨؛ حتملة: موسوعة الديار الأندلسية، المكتبة الوطنية، عمان ١٩٩٩ م، ج ١، ص ٣٥٥.

يصطنعون قوماً ليضربوا آخرين^(١)، فالعصبية المحلية والشخصيات الكبيرة كانت تمكن نفسها في الأندلس في كثير من الأحيان وخاصة في مناطق الثغور وقد يتحد هؤلاء بالممالك النصرانية أعداء الدولة في حالات معينة، وهذه ظاهرة عامة صاحبت الوجود الإسلامي في الأندلس بل إننا نشاهدها غير مرة في عصر الخلافة ذاته مثل ثورة محمد بن هاشم التجيبي^(٢) ضد الخليفة عبد الرحمن الناصر بسرقسطة^(٣) وتحالفه مع النصارى وهو أزهى عصور هذا الوجود^(٤)، وكذلك الاتصال والملاصقة بين الثغور الإسلامية وبين الممالك النصرانية كان عامل ضعف واستنزاف لقوة حكومة قرطبة على مدى التاريخ^(٥) وهذا ما أدركه المنصور بن أبي عامر^(٦)

(١) رجب عبد الحليم: العلاقات، ص ٦٦.
(٢) محمد بن هاشم التجيبي: طلب من الخليفة الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) أن يقره على حكم سرقسطة بعد وفاة والده هاشم بن محمد سنة (٣١٨ هـ / ٩٣٠م) فلم يجبه الخليفة الناصر إلى ذلك، فسار محمد بن هاشم إلى قرطبة مؤكداً لولائه فصدر الأمر بتوليته في رجب سنة (٣١٨ هـ / ٩٣٠م) والتزم بدفع الجباية وداوم على هذا الولاء نحو ثلاث سنوات وأراد الناصر أن يختير لواء أهل سرقسطة وذلك بدعوتهم للمشاركة في غزواته ضد النصارى سنة (٣٢٢ هـ / ٩٣٣) فتخلف محمد بن هاشم عنه فبدأ الناصر بهجمة أملاكه وحاصر مدينة سرقسطة، وتكررت غزوات الخليفة عبد الرحمن الناصر عليها حتى اضطر محمد بن هاشم إلى طلب الأمان والصلح. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٠؛ العذري: نصوص عن الأندلس، تحقيق عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ١٩٦٥م، ص ٤٤؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله القاضي: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان ١٩٩٥م، ج ٢، ص ٢٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٠٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٠٦-٤١٣.

(٣) مدينة سرقسطة: تعد من كبريات مدن الأندلس وأعظمها، وسرقسطة تعريب للإسم الروماني قيصر إجستا "Caesar Augusta" وذلك لأن أغسطس قيصر هو الذي أسسها سنة (٢٣ ق م)، ودخل الجيش الإسلامي مدينة سرقسطة في سنة (٩٤ هـ / ٧١٢م) دون قتال، وتقدر المسافة بين قرطبة وسرقسطة بعشرة أيام ولمدينة سرقسطة عدة مسميات منها (أم الثغر الأعلى) و(المدينة البيضاء) وعروس الأيبرو وهي تقع في شمال شرق الأندلس على الضفة اليمينية من وأدى نهر الإبرو، واتخذ المسلمون مدينة سرقسطة قاعدة لإنطلاق الحملات العسكرية حتى عصر الإمارة، وسقطت المدينة في يد النصارى بقيادة ألفونسو السادس صلحا بعد حصار استمر سبعة أشهر وذلك في سنة (٥١٢ هـ / ١٨ ديسمبر ١١١٨م). الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص ٨١، ٨٢؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١١، ٢١٢؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٣١٧؛ السلاوي: الإستقصا، ج ٢، ص ٦٦، ٦٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٤، ص ٤١٥؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ١٦٣.

(٤) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٥٢.
(٥) رجب عبد الحليم: العلاقات، ص ٦٧.

(٦) المنصور بن أبي عامر: المنصور بن أبي عامر (٣٢٦ - ٣٩٢ هـ / ٩٣٨ - ١٠٠٢م) هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر محمد بن الوليد يزيد بن عبد الملك بن أبي عامر المعافري، من رجال معافر البنية إحدى قبائل حمير، وكان جده عبد الملك من أوائل الداخلين في الأندلس مع طارق بن زياد، وعبد الملك المكنى بأبي حفص والد محمد ابن أبي عامر من أهل الدين والزهد، وكان متزوجاً من بريهة بنت يحيى ابن زكريا، فولدت له محمد بن أبي عامر بقرية طرش ومات في مدينة طرابلس الغرب بليبيا وهو عائد من الحج، ورحل محمد بن أبي عامر إلى قرطبة وهو شاب في مقتبل العمر، وكان ممن طلب العلم والأدب وساعدته المقادير فترقي، واستخلف على قضاء كورة (زربة) ثم عهد إليه بوكالة السيدة صبح (أم هشام المؤيد) فولي النظر في أموالها وضبايعها، وعظمت مكانته عندها، ثم وولي الشرطة والسكة والمواريث، وأضيف إليه القضاء بالشمالية، ولما مات المستنصر الأموي كان (المؤيد) صغيراً، وخيف الاضطراب، فضمن ابن أبي عامر لأم المؤيد سكنوا البلاد واستقرار الملك لابنها؛ وقام بشؤون الدولة، ودامت له الإمارة (٢٦) سنة، غزا فيها بلاد الإفرنج (٥٦ غزوة)، لم يهزم له فيها جيش. الحميدي: جذوة المقتبس

بثاقب بصره، حيثُ أنه قبلَ وفاته أرادَ تخريبَ الثغور^(١) التي تغلبَ عليها وذلك بعد أن حصَّنَها غايةَ التحصين فاتصلت العمارة بها وذلك خوفاً من أن يستولي عليها النصارى بعد وفاته فيملكون أغلب الجزيرة، فأراد من تخريب تلك المناطق أن يجعلَ مسيرة عشرة أيام^(٢) بين بلاد المسلمين وبلاد الروم فيأياً وقفاراً فلا يصل الروم إلى بلاد الإسلام إلا بالمشقة وكثرة الزاد وصعوبة المراح^(٣).

وقد ساعدت البيئة الطبيعية والجغرافية في الأندلس على إضعاف البنية الاجتماعية، وعلى إثارة العنصرية والحركات الانفصالية، وأدت إلى تنوع غريب في العادات والتقاليد، وذلك رغم أن الإسلام قد طبع البلاد بطابع جديد، وأذاب عوامل التمييز والاختلاف، إلا أنه قد بقي منها ما يكفي لجعلها تُتَوَّنًا لحرب أهلية عند أول إشارة لها، وكان الثوار والمارقون ضد قرطبة يعلنون عصيانهم لها وهم آمنون مطمئنون خلف حصونهم وجبالهم الشاهقة أو أنهارهم الكثيرة المتعددة الفروع والمصادر مما يشكل عقبة أمام جيوش قرطبة إذا ما حاولت أن تقضي على ثورتهم^(٤)، بل إن الطبيعة الجغرافية الوعرة لم تجعل للمعارك في غالب الأحوال نتائج حاسمة على مسار الصراع بين المسلمين بعضهم وبعض^(٥)، ووفرت وعورة التضاريس في شبه جزيرة الأندلس للخارجين والثوار وقطاع الطرق فرصاً ممتازة لشن حرب عصابات حقيقية ضد الحكومة وممثليها وغالباً ما كانت هذه الحروب تهدف إلى الثراء الذاتي^(٦) ومن الأمثلة

في ذكر ولاية الأندلس، ص ٧٨، ٧٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٥٦، ٢٥٧؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٥٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٨٩؛ أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٥، ص ٢٤٢؛ الزركلي: أعمال الأعلام، ج ٦، ٢٢٦.

(١) انظر ملاحق الرسالة ص ٣٢٣.

(٢) مسيرة اليوم والليل: تساوي مسيرة أربعة برد، والبريد يساوي (٢٢,١٧٦) كيلو متراً، فالمسيرة تساوي (٨٨,٧٠٤) كيلو متراً). للبرسخسي: المبسوط، تحقيق خليل محي الدين، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠م، ص ٤٣١؛ محمد صبحي: الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل، ص ٤٧.

(٣) ابن الكردبوس: الإكتفاء في أخبار الخلفاء، مج ١٣، ص ٦٤، ٦٥.

(٤) رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٦٥.

(٥) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٥٦.

(6) Crow, Spain the root and the flower, op, cit, p187.

على ذلك خلُع القبائل البربرية المستقرة في تاكرنا^(١) Takarna للطاعة سنة (١٧٨هـ/٧٩٤م) حيث عاثت في تلك المنطقة فساداً، فقتلوا وسلبوا وقطعوا الطريق على السكان وهددوا أمن المنطقة إلى أن استطاعت قوات الخلافة تحريب منطقتهم وتشيت شملهم^(٢).

لذلك أصبحت ضرورة ملحة لنظام اتخاذ الرهائن، هذا النظام الذي فرضته طبيعة الأندلس الجغرافية ووعورة أقاليمها، وأملته الظروف السياسية آنذاك، كنوع من أنواع الدبلوماسية السياسية وذلك لفرض النفوذ أو الزعامة الروحية.

وهذا ما حدث مع مدينة طليطلة^(٣) التي تتميز بمحاصنها الطبيعية، حيث إنها تقع على هضبة صخرية ترتفع عن سطح البحر بأكثر من ٥٠٠م، ويحيط بها نهر التاجه من ثلاث جهات عدا الجهة الشمالية على شكلٍ يقرب من ثلثي الدائرة بالإضافة إلى إحاطة نهر التاجه فإن طليطلة محاطة بسبعة جبال كما يذكر الإصطخري^(٤)، وأهم الجبال المحيطة بطليطلة جبل

Hole, Edwyn: Andalus: Spain under the Muslims , London 1958 , p 47, 65.

(١) تاكرنا: منطقة جبلية تشمل اليوم الإقليم الجبلي المحيط بمدينة رندة الواقعة على نحو مائة كيلو متر غرب مالقة بمقرية من استجة، وهي قديمة، ولها آثار كثيرة، الحميري: الروض المعطار ، ص ١٢٩ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٦-٩٢٨م) مؤسسة شباب الجامعة ، إسكندرية ١٩٩٣م، ص ٢٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣٠٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٦٤؛ ابن خلدون العبر، ج ٤، ص ١٦٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٢٧؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٣٠.

(٣) مدينة طليطلة (Toledo): كانت تسمى في اللاتينية "تولاطو"، ومعنى طليطلة "أنت فارح" أو "فرح ساكنها" وذلك لحاصنتها ومنعتها، وهي من الجزيرة كنقطة الدائرة وواسطة الفلاة تدركها من جميع نواحيها، فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد، وموسى بن نصير سنة (٩٢هـ/٧١٣م) وجعلوها قاعدة الثغر الأدنى للدولة الإسلامية وسقطت طليطلة في يد ملك (قشّ تالة) (الفونسو السادس) في المحرم سنة (٤٨٧هـ/١٠٨٥م) وما تزال إلى اليوم تحتفظ بأسوارها؛ ابن الشباط: وصف الأندلس: تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة الدراسات الإسلامية، إسبانيا - مدريد ١٩٦٧، مج ١٤، ص ١٢٠؛ البكري: جغرافية الأندلس، ص ٨٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٩؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٣٩٣؛ ٣٩٤؛ ابن بسلام: النخبة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٩٧م، ق ٣، مج ١، ص ٩٣؛ حمدي عبد المنعم: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٨، ص ١- ١١.

(٤) الإصطخري: مسالك الممالك، مطبعة بريل، لين ١٩٢٧م، ص ٤٢.

الشارات في شمالها وسلسلة جبال أوريتانا Cordiller Oretana في الجنوب، وأهم أجزائها جبال طليطلة^(١)، ويتميز سطح طليطلة الداخلي بالاستواء^(٢) ويوجد بها جبل عمروس^(٣) ويتضح مما سبق أن طليطلة تتميز بموقع إستراتيجي وجغرافي هام، فهي محصنة طبيعياً ولهذا فإنه يصعبُ على الجيوش البرية التي تقل بها وسائل الملاحة أن تعبر نهر التاجه كما يصعبُ عليها عبور السلاسل الجبلية حيث أنها ستحتاجُ إلى زمنٍ طويلٍ بالإضافة إلى إنهاك الجيش حال وصوله، ولذلك تميزت مدينة طليطلة بمخروجها المستمر على الحكام والأمراء، وذلك بحكم موقعها وحصانتها الطبيعية أن تقاوم انتقام الأمراء، ولم تنس طليطلة تاريخها القديم كعاصمة للقوط الغربيين فهي من أكثر المدن تمرداً رغم المحاولات المستمرة لقمعها^(٤) لذلك لجأ أمراء وخلفاء البيت الأموي إلى اتخاذ العديد من الرهائن من مدينة طليطلة وذلك للأسباب سالفة الذكر والأدلة على ذلك عديدة.

فقد اتخذ الأمير عبد الرحمن الداخل^(٥) (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م) أفلح بن هشام بن عروة الفهري^(٦) رهينةً عندما ثار والده بطليطلة سنة (١٤٥هـ/٧٦٢م)^(٧)،

(١) حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٦م، ج ١، ص ١٣٣.

(٢) شكيب أرسلان: الحلال السندسية، المطبعة الرحمانية، القاهرة ١٩٣٦م، ج ١، ص ٤٢٤.

(٣) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩٩.

(٤) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ٨٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٥٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٣٧-٢٣٨؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ١.

(٥) عبد الرحمن بن معاوية: عبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية، كنيته أبو المطرف، ولد بموضع يعرف بدير حسينة من دمشق، سنة (١١٣هـ/٧٣١م)، ومات أبوه وتركه صغير السن، ودخل الأندلس وهو ابن خمس وعشرين سنة أو نحوها، ويوقع له بقرطبة يوم الأضحى من سنة (١٣٨هـ/٧٥٥م) وتوفي سنة (١٧٢هـ/٧٨٨م)، ودفن بقصر قرطبة، وقد بلغ تسع وخمسين سنة وقيل ستين سنة، فكانت مدة خلافته ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر ونصفاً. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٩٣؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٩، ١٠؛ ابن الأبار: الحلة السرياء، ج ١، ص ٣٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٧؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ٢، ص ٧؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٧٣.

(٦) هشام بن عذرة الفهري: من بني عم يوسف الفهري آخر ولاية الأندلس، وكان والده عذرة بن عبد الله الفهري قد تولي ولاية الأندلس سنة (١٠٧هـ/٧٢٥م) وكان هشام والياً على مدينة طليطلة التي كانت موطناً للفهريين. مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، تحقيق محمد زينه محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة ١٩٩٤م، ص ٩٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٨.

(٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٨؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٦١.

ولكن هشام بن عروة الفهري عاد للثورة مرة أخرى مستنداً لقوة مدينة طليطلة وحصانتها، ولكن ثورة الفهري فشلت لأن أهالي مدينة طليطلة قاموا بتسليم الثوار للأمير عبد الرحمن الداخل سنة (١٤٩هـ/٧٦٦م)^(١) ولولا تسليم أهالي مدينة طليطلة هشام بن عروة الفهري لعبد الرحمن الداخل لاستمرت الثورة إلى ما شاء الله و ذلك لحصانة المدينة .

وكذلك ثارت مدينة طليطلة ضد الأمير الحكم بن هشام^(٢) (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م) مستندة إلى حصانتها الطبيعية وقوة أسوارها، فحرم الأمير الحكم المدينة من زعمائها وقادتها، باتخاذهم رهائن عنده في مدينة قرطبة وذلك في سنة (١٩٩هـ/٨١٤م)^(٣)، ونجد كذلك الأمير عبد الرحمن الأوسط^(٤) (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م)، الذي استخدم الحصار الطويل والقسوة والعنف مع هذه المدينة الثائرة لكنه فشل فلم يجد الأمير عبد الرحمن الأوسط سبيلاً للقضاء على الثورات المتكررة في مدينة طليطلة سوى أن يحرمها من زعمائها الذين لديهم القدرة على قيادة الثورات فقام باحتجازهم رهائن في مدينة قرطبة^(٥).

ولم تنته ثورات مدينة طليطلة حيث استمرت كذلك في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م)^(٦) الذي اتبع نفس سياسة سلفه في

(١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٥-٩٦ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٤٠، ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٧.
(٢) الحكم الربضي: الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، ملك الأندلس، ولي الأمر بعد والده؛ كنيته أبو العاصي، أمه: زخرف؛ كان مولده: سنة (١٥٤هـ/٧٧٠م)، بويغ بعد موت أبيه بلبلة، سنة (١٨٠هـ/٧٩٦م)، وهو ابن ست وعشرين سنة؛ فكانت خلافته ستاً وعشرين سنة، وأحد عشر شهراً؛ ونقش خاتمه: (بإله يثق الحكم وبه يعتمس) وكان فارساً شجاعاً؛ فاتكاً جباراً ذا حزم ودهاء، وعاش خمسين سنة؛ هو الذي أوقع بأهل الرض الوقعة المشهورة وتوفي سنة (٢٠٦هـ/٨٢١م)؛ فكان عمره اثنتان وخمسون سنة. ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٦٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٤، ص ١٢٤.
(٣) ابن سعيد: المغرب، ج ١، ص ٤١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٣.
(٤) الأمير عبد الرحمن الأوسط: عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل، أمه: تسمى حلوة، كان مولده سنة (١٨٣هـ/٧٩٩م)، وهو الرابع من خلفاء بني أمية بالأندلس، بويغ له يوم وفاة أبيه الحكم سنة (٢٠٦هـ/٨٢١م)، كنيته: أبو المطرف ونقش خاتمه (عبد الرحمن بقضاء الله راض)، وكانت خلافته إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وستة أيام؛ ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ١١٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٠، ٨١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٥٤.
(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٩١، ٢٩٢؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٥٣-٥٨؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٤١، ٤٢.
(٦) الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط: كنيته: أبو عبد الله وكان مولده: في شهر ذي القعدة سنة (٢٠٧هـ/٨٢٢م) بويغ له سنة (٢٣٨هـ/٨٥٢م)، وهو ابن ثلاثين سنة وخمسة أشهر؛ وتوفي يوم الخميس ليلة سنة (٢٧٣هـ/٨٨٦م)، وكان عمره: خمس

التعامل مع مدينة طليطلة، حيث قام الأمير محمدُ بمحاصرتهم في سنة (٢٥٩هـ/٨٧٣م)، إلى أن طلب أهلها الأمان فأعطاهم الأمان وذلك على أن يأخذ منهم رهائنَ ويقبلوا العمال المقامين عليها وأن يدفعوا له العشور كل عام^(١).

فكانت سياسة الدولة إزاء هؤلاء الثوار محاربة الثائر إلى أن يقر بطاعتها، فتبقية حيث هو على أن تأخذ رهائنه، وقد يكونون بعض ولده، فضلا عن المال الذي يؤديه كل عام، وأحيانا كانت تستنزل الثائر من حصونه، فيأتي إلى قرطبة وتكرمه وقد يصير من جملة قادتها وكبار رجالها^(٢).

وقد أجبرت صعوبة مسالك بعض المدن وحصاتها الطبيعية حكومة قرطبة لاتخاذ رهائن من تلك المدن، فلقد أثر موقع مدينة سرقسطة سلباً عليها حيث تقع على الضفة اليمنى من وادي نهر الإبرو^(٣) (Ebro) على ارتفاع ١٨٤ متراً وكان موقعها الجغرافي سبباً في تسميتها بالثغر الأعلى في الأندلس^(٤)، فسطحها عبارة عن منخفضٍ تفصله عن سواحل البحر المتوسط

وستون سنة وأربعة أشهر؛ وكانت خلافته أربعاً وثلاثين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً. ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٢٣٧، ٢٣٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٤.
(١) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٦٣؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٢٤٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠١، النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٩٠؛ عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٩١، ٢٩٢؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٥٩.

(٢) حيث جعل الأمير الحكم بن هشام عبد الله بن انسوس مقيماً عنده في قرطبة بعد ثورته التي استمرت لسبع سنوات، ولجأ الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط إلى سياسة إصطناع الخارجين على الإمارة الأموية وجعلهم ضباط في جيشه، مثل ثوار مدينة ماردة وعلى رأسهم عبد الرحمن بن مروان الجليقي وابن مكحول وشاكر ورقط وعمر بن حفصون كبير الثوار بالأندلس، ولكنهم تعرضوا لسوء معاملة الأرسنقراطية العربية التي عملت على إزديانهم والتحقير من شأنهم، وهذا ما سوف يتم توضيحه لاحقاً؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ١٩٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٠-١٠٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢١٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٧١؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (د. ت.)، ج ١، ص ٢٤٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٠٠؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٣٣، ٣٤.

(٣) نهر الأبرو (Ebro) من أنهار إسبانيا الكبرى، ينبع من جبال كنتابريا (Centabria) المتفرعة من جبال البرنية) بشمال إسبانيا، ويصب في البحر المتوسط عند مدينة طرطوشة، ومملكة أراغون (Aragon) ونبرة (Navara) يرتويان من هذا النهر، ويمر نهر الإبرو بمدينة سرقسطة وتقع عليه بعض المدن مثل مدينة طرطوشة وشمثمة الشرق، ومدينة ناجرة وحصن برينشتر؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٠؛ محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج ١، ص ٦٧.

(٤) ابن شبيب: وصف الأندلس، مج ١٤، ص ١٢٢؛ المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ١٢٤؛ الحميري: الروض المطمار، ص ٣١٧؛ شكيب أرسلان: الحلال السندينية، ج ٢، ص ١١٦.

جبالِ قطلونية (Catalogne) وبين هذه التلالِ وساحلِ البحرِ المتوسطِ شريطُ ساحلي تقعُ عليه بعضُ المدنِ، ويفصلُ هذا المنخفضُ عنَ فرنساَ جبالُ البرتاب، ويفصله عن بقية أنحاء إسبانيا سلسلةً جبليةً قليلةً الارتفاع، أما من ناحية الغربِ فتمتدُ جبالُ قِشتالة^(١) والقلاعُ التي تتكوّن منها منابعُ نهرِ الإبرو، فقدَ كانَ بُعدُ سرقسطةَ عنَ مركزِ الحكومةِ الرئيسيةِ، وموقعُها الحصينُ على الصّفةِ اليسرى لنهرِ الإبرو ومناعة أسوارِها العاليةِ، وطبيعتها الجبلية سببا في ظهورِ حركاتِ التمردِ والعصيانِ^(٢)، وكان وقوعها بين الممالك النصرانية، برشلونة^(٣) من الشرق ومملكتي أراجون^(٤) ونافار (نبّرة)^(٥) من الشمالِ، ومملكةِ قِشتالةَ من الغربِ فرض عليها أن تكون قاعدةً للجهادِ^(٦).

(١) قِشْتَالَة: (Castlla) هي الهضبة التي تشكل المركز والقلب في شبه جزيرة إيبيريا، وكانت هذه المناطق تسمى (بردوليا) ثم سميت فيما بعد باسم قِشْتَالَة Castilla، لكثرة الحصون التي كانت تقوم بها، وقد أصبحت وتشمل ثلثي مساحتها وقد تكونت بعد سقوط طليطلة في يد إسبانيا النصرانية سنة (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)، وهي هضبة جافة تقع بين مدريد عاصمة إسبانيا ومدينة طليطلة؛ وقد أصبحت قِشْتَالَة في القرن التاسع للميلاد إمارة مسيحية، عاصمتها مدينة برغش (Burgos)، ثم انضمت إلى نافار (Navar) وضمت إليها ليون (Leon) وفي سنة (٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) تزوجت (إيزابلا) أميرة قِشْتَالَة بفرديناند الثاني ملك أراجون (Aragon)، فتحدت إمارات قِشْتَالَة وأراجون وليون في دولة واحدة، وتم هذا الاتحاد عام (٨٨٤هـ / ١٤٧٩م)؛ يا قوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٥٢؛ الحميري: الروض المعطار، ص٤٨٣؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص١٣٩؛ محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج١، ص٢١٠.

(٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٤، ص٨٧؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص١٢١.
(٣) برشلونة: (Barshaluna) مدينة أندلسية قديمة البناء، تقع على البحر المتوسط ولها ميناء تدخل إليه السفن وأكثر سكانها من اليهود، وهي عاصمة إقليم (قطلونيا catalonia) وتقع في الشمال الشرقي من إسبانيا فتحها موسى بن نصير سنة (٩٤هـ / ٧١٣م) سقطت بيد الفرنجة عام (١٨٥هـ / ٨٠١م)، ابن الأثير: الكامل، ج٥، = ص٣٠٩؛ الزهري: كتاب الجغرافية، ص٧٧؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١٥٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص٨٦ - ٨٧؛ المقرئ: نفح الطيب، ج١، ص٢٣٣.

(٤) مملكة أراجون: عندما سقطت برشلونة، أصبحت إمارة نصرانية صغيرة جداً في الشمال الشرقي، وعرفت في التاريخ باسم إمارة أراجون، وكانت متاخمة لحدود فرنسا، بجوار جبال البرينيه في الشمال الشرقي للبلاد، وقامت مملكة أراجون الكبرى باتحاد أراجون وقطلونية في سنة (٥٣٢ / ١١٣٧م)، على يد الكونت رامون برنجير الرابع أمير برشلونة؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٤، ص٦٠١.

(٥) نافار: نافار هي إقليم من أعمال ماردة، يسميها العرب أحياناً نيره، ويحيط الغموض بأصل هذه المملكة الصغيرة ونشأتها؛ وظهرت هذه المملكة في أوائل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وكانت في البداية إمارة ضعيفة الشأن صغيرة المساحة، وتقع غربي جبال البرنيه وإلى الشرق من جبال كنتبريه (Cantabria) على أبواب فرنسا وهي بذلك تفصل بين إمارة برشلونة ومملكة ليون، ويسكنها شعب شديد المراس، وأطلق عليهم المسلمين إسم البشكنس، ويزعمون أنهم أقدم شعب في أوربا؛ يا قوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٥٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص١١٣؛ شكيب أرسلان: الحلال السندسية، ج١، ص٢٢٣؛ عبادة كحيلة: تاريخ النصراني في الأندلس، دار الكتاب الحديث، القاهرة ١٩٩٣م، ص٥٧.

(٦) ابن الأبار: الحلة السيرة، ج١، ص١٣٥ - ١٣٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣١٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٤، ص٨٧؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص٦٢.

وكانت بداية التمرد في سرقسطة في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل حيث أعلن سليمان بن يقظان الكلبي المعروف بالأعرابي^(١) والي برشلونة وجيرونة^(٢) عصيانه على الأمير عبد الرحمن الداخل بمساعدة الحسين بن يحيى الأنصاري^(٣) وإلى سرقسطة، وتحالفا على قتال عبد الرحمن الداخل وخلعه، وذلك لتحقيق مآربهما، وأطماعهما في الحكم^(٤)، لذا طلبوا مساعدة شارلمان ملك فرنسا سنة (١٦١هـ/ ٧٧٨م) لغزو الأندلس ووعده بتسليم الولايات الشمالية ولاسيما سرقسطة، وسلّموا له الأسير ثعلبة بن عبيد لكي يكون رهينة عنده^(٥)، وذلك حتى يطمئن إليهم ويعبر هذه المنطقة الجغرافية الصعبة فلا يعرض جيشه للمخاطر، ويكون وافقاً من وقوف المسلمين بجواره .

ولكن مشاريع شارلمان في الأندلس باءت بالفشل، حيث تلقى أنباء بمجذوئ اضطرابات في بلاده، فاضطر إلى رفع الحصار عن سرقسطة التي فشل في الاستيلاء عليها طبيعتها الجغرافية وحصانتها، فرجع إلى بلاده بعد أن أخذ سليمان الأعرابي رهينة، وبينما

(١) سليمان بن يقظان الإعرابي: كان دائم الاتصال بملوك الفرنجة منذ سقوط أربونة في أيديهم سنة (١٤١هـ/ ٧٥٩م) وجعل نفسه من رعايا الملك المسيحي بنين وفي حمايته وذلك ردة فعل على تنكيل الأمير عبد الرحمن الداخل بالبيمانية التي ينتمي إليها ؛ لمزيد من التفاصيل ، انظر : شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٣٣، ص ١١٧؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٧٢٨ .

(٢) جيرونة أو جرندة: (Gerunde) إحدى مدن الشمال الأندلسي، وهي تقع في جنوب غرب فرنسا، شمالي برشلونة وهي من مقاطعات كتلونيه، ويقال لها جيرونة، وأسمها الروماني القديم جيرنده (Gerunda)، وكان إسبها هذا هو المستعمل يوم فتحها العرب ، سكنها العرب طويلا، ولم يسكنوا جيرونة التي عاصمتها يوردو ولا عرفوها إلا في الغزوات عابري سبيل، وخرجت جرندة من أيدي المسلمين نهائيا سنة (١٨٤هـ/ ٨٠٠م)؛ ابن خرداذبة: المسالك والممالك ، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩م، ص ٩٠؛ شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج٢، ص ٢٠٤ .

(٣) الحسين بن يحيى الأنصاري: الحسين بن يحيى الأنصاري بن سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري خزرجي من أهل قرطبة، والي سرقسطة وحليف سليمان في مشروعه لاستدعاء الفرنجة، وفي سنة (١٦٥هـ/ ٧٨٢م) غدر الحسين بن يحيى بسرقسطة ونكث فسير إليه الأمير عبد الرحمن غالب بن تمام في جند كثيف فاقتلوا، وسار عبد الرحمن في سنة (١٦٦هـ/ ٧٨٢م) إلى سرقسطة فحصرها وضايقها ونصب عليها ستة وثلاثين منجنيقا، فملكها غنوة وقتل الحسين أقبج قتلة ، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢١٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٥٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٢٠٤ .

(٤) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٢٥؛ المقرئ: نفع الطيب، ج٣، ص ٤٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٦٨؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٢٨ .

(٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٦٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٦٩- ١٧٤ .

كان شارلمان يعبر مع جنوده من ممر رنسفال أو باب شزروا، كما يسميه العرب، في جبال البرتات هاجمته قوة مؤلفة من البشكنس أو الباسك، وقضت على مؤخره جيشه^(١). وقد كان لوقوع مدينة سرقسطة في الشمال وبعدها عن مركز الخلافة ومجاورتها للنصارى دور في انطلاق حركات المعارضة حيث تحالفت أسرة بني تميم^(٢) سادة سرقسطة مع النصارى في الشمال ضد الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (٣٢٤هـ/٩٣٥م)^(٣) ولكنه استطاع كسر هذا التحالف ونجح في الاستيلاء على سرقسطة فأسر محمد بن هاشم لطلب الصلح فاشترط عليه عبد الرحمن الناصر تقديم الرهائن، وذلك في شهر المحرم سنة (٣٢٦هـ/٩٣٧م)، وأمر كذلك بهدم أسوار المدينة، حتى لا تشجع الخارجين على الثورة^(٤). كذلك كانت مدينة ماردة^(٥) التي تميزت بمرتفعاتها الجرداء، وأسوارها المنيعة، أصبحت مجالاً خصباً للثورات وحركات التمرد والمؤامرات، كما كانت وكراً مهيئاً للمتآمرين من أفراد البيت الأموي والخارجين على الحكم المركزي في قرطبة^(٦)، حيث واجهه الأمير

(١) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٣٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٩٦.
(٢) بنو تميم: بضم التاء وكسر الجيم وسكون الباء المثناة تحت ثم ياء موحدة، بطن من كندة وهم بنو أشرس بن شبيب بن السكون بن كندة، وتميم: مهمهم من أهل حضرموت؛ و بنو تميم هؤلاء من زعماء البيوتات العربية العريقة وأسكن الأمير عبد الرحمن الأوسط بني تميم مدينة قلعة أيوب وحصنها لهم، وفي عهد الأمير عبد الله بن محمد، استطاع بنو تميم أصحاب دروة وقلعة أيوب من أعمال الثغر الجنوبية، الاستيلاء على مدينة سرقسطة، وذلك على يد زعيمهم أبي يحيى محمد بن عبد الرحمن التجيبي المعروف بالأنقر؛ وأقره الأمير عبد الله على حكم سرقسطة وأعمالها اكتساباً لولائه، واستمر بنو تميم في سرقسطة، والمنزورون من زعماء المولدين في باقي قواعد الثغر مثل تطيلة وشقة، أحياناً على ولائهم لحكومة قرطبة، وأحياناً يخرجون على طاعتها، حتى استطاع الناصر أن يقضي على ثورتهم، وأن يرغمهم على الخضوع والطاعة. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٩؛ ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٢، ص ٢٤؛ القفصندي: نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، ص ١٨٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٣، ص ٢٦٥؛ خليل السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٤٣.
(٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق شالمة، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد ١٩٧٩م، ص ٤١٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٠٦.
(٤) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٤١٩؛ العزري: نصوص عن الأندلس، ص ٤٤ - ٤٦.
(٥) ماردة (Merida): مدينة بجوفي قرطبة منحرفة إلى المغرب قليلاً، وكانت مدينة ينزلها الملوك الأوائل، فكثرت بها آثارهم، وقصر ماردة بناء عبد الملك بن كليب بن ثعلبة، وقططرة ماردة طولها ميل، ومن ماردة إلى بطليوس عشرين ميلاً، وفتح موسى بن نصير المدينة صلحاً في سنة (٩٤هـ / ٧١٣م) بينها وبين قرطبة ستة أيام، وسقطت ماردة و بطليوس في يد النصارى سنة (٢٢٨هـ / ١٢٣٠م). ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٤، ١٥؛ الحميري: الروض المططر، ص ٥١٩؛ محمود شيت

خطاب: قادة الأندلس، ج ٢، ص ٢٠٤.
(٦) سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٢٤.

الحكم (١٨٠- ٢٠٦هـ/ ٧٩٦- ٨٢١م) ثورة أصبغ بن عبيد الله بن وانسوس^(١) في سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٥- ٨٠٦م) الذي ظل تمرده سبعة أعوام من سنة (١٩٠- ١٩٧هـ/ ٨٠٥ - ٨١٢م) مستغلاً العديد من العوامل منها حصانة المدينة وموقعها الجغرافي المتميز، فلجا الأمير الحكم بن هشام إلى الصلح، مشترطاً على أصبغ بن وانسوس أن يسكن قرطبة^(٢) واتخذ رهينة ليكون تحت عينيه في قرطبة .

وأصبحت مدينة ماردة مدينة الثورات في الغرب، فكانت ترحب دوماً بالخارجين عن الحكومة المركزية^(٣) وكانت المدينة بحكم موقعها على مقربة من مملكة أشتوريش المسيحية تتلقى تأييداً وتعضيداً من هذه المملكة الإسبانية للثورة ضد حكومة قرطبة، فقد كان الملك ألفونسو الثاني^(٤) يشجع سكان غرب الأندلس من المولدين والمستعربين والبربر على الثورة

(١) أصبغ بن عبيد الله بن وانسوس: وأصله من بربر مكناسة، وبني وانسوس هم موالى سليمان بن عبد الملك، وأصبغ كان قائداً للامير الحكم، وهو الذي نجح في أسر سليمان بن عبد الرحمن عم الأمير الحكم الذي أمر بقتله، وبرع العديد من أبنائه مثل: أبو الربيع سليمان بن محمد بن اصبغ بن وانسوس الذي ارتقى الذروة من خطة الوزارة للأمير عبد الله، وصارت له حظوة . ابن سعيد: المغرب، ج ١، ص ٣٦٢؛ القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، ج ٤، ص ٢٤٤، ٢٤٥ .

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣٤٦، ٣٤٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢١٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٦٢، ١٦٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٣٧؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٣٣، ٣٤ .

(٣) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٧٠، ١٧١؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٤٠ .

(٤) ألفونسو الثاني: يسميه العرب بأدفونس وهو بن فرويلة الأول ويعرف بالعفيف (Alfonso el cast)، وملك جليقية وأشتوريش (١٧٥- ٢٢٧هـ/ ٧٩١- ٨٤٢م) خلفاً لمورقاط بن أدفونس (موريجاتو بن ألفونسو الأول الملقب بالكاثوليكي (١٧٢- ١٧٥هـ/ ٧٨٩- ٧٩١م) وكان شديد التعصب لدينه ووطنه، وكانت حملاته المتوالية إلى أراضي المسلمين يطبعها لون ديني عميق، ويسجل حكمه الطويل خلال (٥١) سنة عاصر فيها كل من الأمير هشام الرضا والحكم الرضوي وعبد الرحمن الأوسط مرحلة اتسمت بالنشاط في الاسترداد الإسباني، ولقد تبادل مع أمراء بني أمية في الأندلس الغارات والغزوات كما تناوبا النصر والهزيمة، وإذا كانت قوات قرطبة نجحت في إقحام أسوار أفيدو (Oviedo) حاضرة ألفونسو الثاني في أشتوريش مرتين، فإن قوات ألفونسو نجحت بدورها في إحتلال لشبونة لفترة مؤقتة، وتحولت أشتوريش في عهده من مركز للمقاومة ضد المسلمين إلى مملكة سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، هامش ص ٢٣١؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٤٢ .

ضدَّ الأمير الأموي، ومن الثابت أن الملك الكارولنجي لويس التقي^(١) (١٩٨- ٢٢٥هـ/٨١٤- ٨٤٠م) قدَّم نفس التشجيع في رسائله^(٢) إلى مُستعربي ماردة^(٣). واستغلَّ العديدُ من الثوار، منهم عبدُ الرحمن بن مروان الجليقي^(٤) ظروفَ المدينةِ الثائرة لموقعها المتميز وحصانتها الطبيعية وقوة أسوارها ومساعدة القوي المسيحية للقيام بالثورات ضد الإمارة الأموية التي لجأت أمام هذه التحديات إلى سياسة اتخاذ الرهائن من هذه المدينة^(٥) والتي كان لظروف المدينة الجغرافية دورٌ فيها. أما طبيعة الشمال الأندلسي الوعرة القاسية فقد كانت السبب الرئيسي وراء امتناع جنود موسى بن نصير عن مواصلة الفتح، واقتحام مفاوز جليقية، طالين منه الرجوع بهم وعدم المغامرة في هذه الأرض الموحشة^(٦)، لذلك أخذ الفاتحين بلاي^(٧) وهو من أهل

(١) لويس الأول (التقي) (٨١٤ - ٨٤٠): أنجب الامبراطور الفرنسي شارلمان ثلاثة أولاد ذكور، هم: لويس الملقب بالتقي (Louis I le Pieux) وشارل (Charles) وببين (Pépin)، وقام شارلمان بتقسيم الإمبراطورية الإفرنجية بين أولاده الثلاثة، ثم مات شارل وببين في حياة والدهما، فتوج شارلمان ابنه لويس التقي إمبراطورا على الفرنجة سنة ٨١٣م من دون تدخل البابا وفي سنة ٨١٤م مات شارلمان، لكن لويس التقي لم يكن كإبيه، فقد أعيد تنويجه سنة ٨١٦م على يد البابا سستيفان (اسطيفان) الرابع (Stephen IV) ذلك أن لويس التقي لم يمتلك من قوة الشخصية ما يضمن له السيطرة على أمور الحكم وعلى الكنيسة لويس التقي الإمبراطورية الإفرنجية حتى وفاته سنة ٨٤٠م. ول ديورانت: قصة الحضارة، ج١٤، ص ٢٤٩- ٢٥١. مرسى الشيخ: دولة الفرنجة وعلاقتها بالدولة الأموية في الأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨١م، ص ٢٣٩. (٢) رسالة لويس التقي لأهل ماردة: انظر ملاحق الرسالة ص ٣١٦.

(٣) حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٣٥؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، هامش ص ٢٣١. (٤) عبد الرحمن بن مروان الجليقي: وأسر مروان الجليقي من أصل غير معروف و ترجع أوليتهم إلى مروان بن يونس الجليقي الذي تزعم الثورة في ماردة على عهد الحكم الأول (الريضي) سنة (٢٠١هـ/٨١٦-٨١٧م) وقد خلفه في التمرد والعصيان بمارده ابنه عبد الرحمن بن مروان الجليقي ويذكر ابن حبان: أنه كان ذا بأس شديد وكيد عظيم ودهاء ومكر لا يلحقه فيه أحد من نظرائه، واستأثرت هذه الأسرة بحكم بطليوس و ماردة في الفترة من قيام مؤسسها عبد الرحمن بن مروان بتأسيس بطليوس في غرب الأندلس والاستقلال بها على عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط حتى سنة (٣١٨ هـ / ٩٣٠م) عندما تمكن عبد الرحمن الناصر من استرجاع المدينة وإسقاط أسرة بني الجليقي. الحميدي: جذوة المقتبس، ج٢٧٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٧٠، ١٧١؛ كمال السيد: المولدون في منطقة الأندلس، ص ٧٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣٠٠. (٥) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ١٩٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٠؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٦٤؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٤٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣٠٠. (٦) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ١٠٣.

(٧) بلاي: (Playo) (ت ١٣٣هـ/ ٧٥٠م) اختلفت المصادر حول أصله، ولا يعرف على وجه التحديد إن كان قوطيا أو من سلالة الإيبيريين الرومان الذين حكمهم القوط حتى الفتح الإسلامي، وتندعي بعض الروايات أنه كان إينا لفافيلادوق كنتبريه، في حين ذهب فريق آخر إلى أن بلاي كان حاملا لسيف لذريق وأنه هرب إلى أشطوريش حينما غزا المسلمون البلاد وأقام نفسه أميرا عليها؛ المقرئ: نفخ الطيب، ج٤، ص ٣٥٠؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٦٧، ٣٦٨.

أشتوريش من جليقية رهينة كي يضمّنوا طاعة أهل بلده^(١)، وذلك لوعورة هذه المنطقة و ليفرضوا على تلك المناطق السيطرة، ولكنّ بلاي استطاع الهرب من قرطبة أيام الحرب عبد الرحمن الثقفي^(٢)، فاجتمعت معه شراذم القوط في قاصية جليقية، ولم يعنِ الولاة بتبّعهم والقضاء عليهم، إما احتقاراً لشأنهم أو لوعورة الجبال التي امتنعوا بها^(٣)، أو لاعتقادهم بأن ذلك سيؤدي إلى موتهم وهم يتعقبون ثلّة من الباسيين في الأودية الخطرة^(٤) ولو فعلوا ذلك لربما كانت إسبانيا دولة إسلامية حتى اليوم^(٥) إضافة إلى ذلك فإن العرب لم يكونوا معتادين على المناطق الجبلية القاسية، وأساليهم الحربية لم تتكيف مع تلك المناطق^(٦) ففي أثناء اضطراب الشئون وانشغال الولاة، كانت هذه الشراذم تنمو وتشتد داخل هضابها النائية، وكانت هي نواة هذه المملكة النصرانية القوية التي نشأت سرّاعاً واشتد ساعدها، حتى غدت في غضون قرن تنافس الإسلام وتنازع سيادة إسبانيا^(٧) فكانت وعورة الجبال، وضيق المسالك السبب وراء تكبد المسلمين لخسائر فادحة في كوفادونجا^(٨) (٩).

(١) المقرئ: نفع الطيب، ج٤، ص ٣٥٠.

(٢) الحر بن عبد الرحمن الثقفي: توالى إمارة الأندلس سنة ٩٧-١٠٠هـ/٧١٥-٧١٨م) وهو ابن أخت موسى بن نصير إجتمع أهل الأندلس عليه بعد مقتل عبد العزيز بن موسى سنة ٩٧هـ/٧١٥م)، قام بنقل مقر إمارة الأندلس من اشبيلية إلى قرطبة، وله غزوات في بلاد الفرنجة ونواحي أربونة، وأدى انشغاله بالغزو إلى انتعاش حركة المقاومة المسيحية في المنطقة الشمالية الغربية بزعامة بلاي، فعاد للقضاء على تلك المقاومة، وبينما هو مشغول بذلك عزله الخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ وعين مكانه السمح بن مالك الخولاني (١٠٠-١٠٢هـ/٧١٨-٧٢٠م) أميراً على الأندلس. ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ١٢٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٢٥؛ المقرئ: نفع الطيب، ج٤، ص ١٣؛ عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٧٣.

(٣) المقرئ: نفع الطيب، ج٤، ص ٣٥٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٨٣؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٦٤.

(٤) رينهارت دوزي: المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م، ج٢، ص ١٥؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٦٤.

(١) Crow, Spain the root and the flower, p 80.

(٢) Collins, Roger, Early medieval Spain p 184.

(٧) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٨٣.

(٨) كوفادونجا (Covadonga)، أو كهف سانتاماريا (Cueva Santa Maria) يصف رينهارت دوزي هذا الكهف بقوله: أنه يقوم على نجد شاهق، إذ يصعد إليه المرء تسعين خطوة وهو منحوت في صخرة هائلة ويطل على وادٍ سحيق ويشقه أخود تتجمع فيه السيول وتقوم على جانبيه سلسلتان من الصخور شدينتا الانحدار قلما يتمكن الفارس من المرور بينهما إلا بشق الأنفس؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، ج٢، ص ١٤.

(٩) دوزي: المسلمون في الأندلس، ج٢، ص ١٤؛ حسين مؤنس: بلاي وميلاد إشتوريش، ص ٦١.

وتنتشر المرتفعات الجبلية في الأندلس حيث لا تفصلُ جبالُ البرنيه فرنسا عن إسبانيا فقط، ولكنها تستمرُّ باتجاه الغربِ تحت اسمِ مرتفعات كانتبريه وأستريس على امتداد الساحل الشمالي لإسبانيا تاركةً مساحةً قليلةً من الأرض المنخفضة (السهول) على امتداد خليج بسكاي حتى تصلَ إلى المحيط الأطلسي^(١)، وينبع من هذه الجبال عدد من الأنهار لها فروع كثيرة، فهناك نهر ايره (Ebro) الذي ينبع من جبال البرنيه، ويصبُ في البحر المتوسط ، وهناك نهرُ المنية (المندجوا) (Mendgo) ودويره (Douro) اللذان يصبان في المحيط الأطلسي، وما بين المندجوا ودويره هضابٌ فقيرةٌ واسعةٌ أصبحت حاجزاً طبيعياً بين الشمال والجنوب^(٢).

وتشكل إسبانيا قلعةً عظيمةً، وهي محاطةٌ بشكلٍ كاملٍ بسلاسل جبليةٍ تطبقُ على مساحاتٍ واسعةٍ من أراضي قشتالة الشاسعة، وتغطي الثلوجُ بعضَ القممِ الجبليةِ المرتفعةِ على مدى أشهرٍ عديدةٍ في السنة، ولهذا أطلق عليها اسم سيرانيفادا (السلاسل المغطاة بالثلوج)، وتنقسم أراضي قشتالة إلى مناطق أصغرَ، بواسطة السلاسل الجبلية الداخلية^(٣).

وتمثل هضبة قشتالة المركزية حوالي ستين بالمائة (٦٠%) من مجمل أراضي إسبانيا، ويتراوح ارتفاعُ هذه الهضبة ما بين ألفين إلى ثلاثة آلاف قدم وهي تشكلُ ليس فقط قلب إسبانيا وإنما حصنها المنيعُ وهي تتشكلُ من الأراضي الجافة والجبال القاحلة والسهول الخالية من الحياة^(٤) وهذا الجزء من البلاد هو الذي أعطي إسبانيا شخصيتها القاسية، وعنفها البدائي وتَحَمَّلَهَا الآلام والمعاناة ، فقشتالة هي أرضُ الحصون والقلاع التي اكتسبت اسمها منه^(٥)،

(١) رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٩٢.

(٢) حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص ٢٢٦؛ رجب عبد الحليم: العلاقات، ص ٩٨-٩٩.

(8) Crow , Spain the root and the flower p1 .

(9) Crow , Spain the root and the flower p 4 .

(1) Crow , Spain the root and the flower p 4 .

فأصبحت العزلة في إسبانيا حالة عقلية وأسلوب حياة وليس مجرد جبال أو ارتفاعات، فالولاء الأول في نظر الإسباني هو لموطنه الصغير أو لمنطقته الوطنية، وإذا سألت إسبانيا من أين أنت؟ فإن جوابه سوف يكون أنا ابن ليون أو نبرة أو قشتالة، ثم بعد ذلك ربما يرغب أن يكون إسبانياً وهذا التطلع نحو الانفصال يتجلى بقوة في مناطق قطلونية والباسك^(١)، ولذلك فإن الصراع من أجل تعزيز الوحدة القومية استمر على مدى قرون بواسطة القشتاليين وقد وجد عوائق في كل خطوة بسبب الولاء الأساسي للوطن الأصلي، ثم بدأ الإحساس القومي الإسباني بالتبلور تدريجياً فيما بعد^(٢).

ولقد خفف من حدة التنوع الجغرافي تجانس السكان ووحدة الديانة فلم تحتوي إسبانيا النصرانية على عناصر غير متجانسة مثلها وجد في الأندلس الإسلامية كما لم يستعينوا بعناصر أجنبية ينقصها الإخلاص في جيوشهم^(٣).

ولقد انعكست الطبيعة الجغرافية على أخلاق ساكنها، فغلبت عليهم الخشونة والقسوة والتعصب حتى وُصفوا بأنهم قوم كالبهائم، وأنهم أهل غدر ودناءة أخلاق^(٤)، ولقد تركت جغرافية الأندلس أثرها الفاعل في السمات العامة للشخصية الأندلسية، فصارت هذه الشخصية عفيفة وعنيدة، وليس من شك في أن الطبيعة الجغرافية للأندلس لعبت دوراً أساسياً في أن تجعل الصراع سجالاتاً بين المسلمين والنصارى وكان يؤجج العنف والعناد معاً مجاورة الأندلس لممالك نصرانية، كان همها طرد المسلمين منذ البداية^(٥).

(١) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٢٨. Crow, Spain the root and the flower P 2 .
(3) Crow, Spain the root and the flower p 3 .

(٣) رجب عبد الحليم: العلاقات، ص ١٠١.
(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٤؛ الحميري: الروض المعطار، ص ١٠١.
(٥) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٥٦.

فقد كان فقر الطبيعة أحد أسباب فقر السكان، وغزو المسلمين في الجنوب حسن من أوضاعهم، فكانوا يغيرون على الأراضي الإسلامية ويخربونها ويقتلون أهلها فيضطر الحاكم لتجهيز جيش لإغاثة مواطنيه وثغوره، وعندما يصل الجيش إلى المكان المحدد يكون النصارى قد غادروا المنطقة إلى أخرى بعد أن امتلأت أيديهم بالغنائم والأسلاب، وساعدهم على ذلك بعد العاصمة قرطبة إلى الجنوب، وبالطبع حرب العصابات هذه شكلت هدراً لطاقات قرطبة البشرية والمادية^(١)، فوجد أن الحاجة أصبحت ملحة لاتخاذ الرهائن كنوع من أنواع الدبلوماسية السياسية التي لجأت إليها الأندلس الإسلامية مع جيرانها وذلك لأسباب عديدة أملت الظروف القائمة آنذاك.

واخترق الأمير عبد الرحمن الداخل سنة (١٦٤هـ/٧٨٠م) أراضي البشكنش (Bacos) (نافار) وخرب بنبلونة^(٢) (Pamplona) وقلهرة (Calaborra) واجتاح شرطانية^(٣) (Cerdana) التي أرغم أميرها على تقديم الطاعة وأداء الجزية وأخذ ابنه رهينة^(٤)، فكان غرض عبد الرحمن أن يفرض الطاعة والنفوذ على تلك المنطقة الجغرافية

(١) رجب عبد الحليم: العلاقات، ص ٩٨، ٩٩.

(٢) بنبلونة: Panplona تقع على نهر أرغة Arga عند الممرات الغربية لجبال البرتاب، وبينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرون ميلاً، وهي بين جبال شامخة، وشعاب غامضة وأكثرهم متكلمون بالبنشقية وغيلهم أصلب الدواب حافراً لخشونة بلادهم، ويسكنون على البحر المحيط وأصبحت بنبلونة عاصمة ولاية نافار أو نيرة أو بلاد البشكنش، وتبعد عن مدريد حوالي ثلاثمائة كيلو متر، الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ط٢، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الجبل، بيروت ١٩٨٨م، ص ٥٦، ٥٥، عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٨، ص ٣٠٧؛ شكيب أرسلان: الحل السندسية، ج٢، ص ١١٦؛ محمود شيت: قادة فتح الأندلس، ج١، ص ٥٩.

(٣) سرتانة أو شرطانية بالإفرنجية (Cerdagne) وبالإسبانية (Cerdana) وهي ولاية كبيرة في شمال شرق إسبانيا في المنطقة الواقعة جنوبي جبال البرتاب الشرقية متاخمة للحدود الفرنسية، وكان القائد البربري منوسة الذي رافق طارق بن زياد أصبح حاكماً على شرطانية ومسئولاً عن كل المنطقة التي تمتد من جبال ألبرت إلى المحيط الأطلسي ثم استطاع النصارى مد نفوذهم ليشمل هذه المنطقة. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٨٧؛ كمال السيد أبو مصطفى: المولدون في منطقة الثغر الأعلى الأندلسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٣، ص ٨٩؛ خليل السامرائي: تاريخ العرب، ص ٨٣.

(٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٥٨؛ خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة، ط٢، منشورات جامعة قاريونس، (د. ن.)، ١٩٨٠م، ص ٨٨.

الصعبة البعيدة عن العاصمة المركزية وحتى لا يعود إليها مرة أخرى ويهدر الطاقات البشرية والمادية في وهادٍ جغرافية صعبة فاتخذ ابن صاحبٍ شرطانية رهينةً عنده.

كما أن محمد بن عبد الملك الطويل^(١) زعيمُ أسرة بني الطويل هاجمَ منطقة بليارش^(٢) وأوقعَ بأهلها سنة (٢٩٦هـ / ٩٠٩م) فوفدَ عليه أهلُ حصنِ روطة^(٣)، يعرضونَ عليه الصلحَ ويعطونه الرهائنَ والجزيةَ، فلم يجهمُ إلى ذلك، فخرجوا هاربين من الحصنِ وأخلوه فهدمه^(٤)

وفي هذه الحالة يتبين رفض محمد الطويل للصلح واتخاذ الرهائن على النقيض من عبد الرحمن الداخل لأسبابٍ منها:-

أولاً: أنه من المنطقة الجغرافية ذاتها، فهي قريبةٌ منه، فهو على علمٍ ودرايةٍ بها.

ثانياً: محمد الطويل كان على درجة كبيرةٍ من القوة جعلته واثقاً في النصر.

ثالثاً: - أرادَ محمد الطويل أن يوسعَ منطقة سيطرته ونفوذه.

وفي أواخر عصر الإمارة الأموية جرى توسعٌ آخر لعبت فيه الجغرافيا دوراً رئيسياً ، حيثُ لم تكن هناك حدودٌ واضحةٌ للأندلس الإسلامية مع مملكةِ أستوريش - جليقية (ليون Leon فيما بعد) إنما وجدت مساحاتٌ واسعةٌ من الأراضي شبه الجرداء خاصةً فيما يُعرف

(١) محمد بن عبد الملك الطويل: وسمي بذلك طولوه الفائق، وينتمي محمد بن عبد الملك الطويل إلى بني شبريط، وهم يمثلون إحدى الأسر المولدية البارزة في الثغر الأعلى، وكان ظهوره لأول مرة على مسرح الأحداث حينما إستولى على الحكم في مدينة وشقة ونواحيها بعد أن إنتزى على حاكمها مسعود بن عمرو أحد أبناء عمومته من بني عمروس وقتله في سنة (٢٧٣هـ / ٨٨٦م)، وعمل على بذل الطاعة لحكومة قرطبة وأقره الأمير عبد الله بن محمد على عمله وسجل له المناطق التي تحت نفوذه / ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٠؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٦٥؛ عبد الله غنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٤٢

(٢) بليارش: (Pallars) تقع بين إقليم أرغون والثغر الأسباني أو إقليم قطلونيا، جنوب جبال البرتاب، وإلى الشرق من منطقة ألبه (Alava) في أقصى الشمال لإسبانيا؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٧؛ كمال السيد: المولدون في منطقة الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٨٦.

(٣) روطة: حصن من أعمال سرقيسة حصين جداً، وهو على شاطئ البحر وهو موضع رباطٍ ومقر للصالحين؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٩٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٤٣٠.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٤٥.

عند العرب باسم ألبَة (Alava) والقلاع^(١)، وعاشت في هذه المنطقة جماعات هامشية من المسلمين والنصارى، وكان هؤلاء مُوزَّعي الولاء، ودعيتهم المصادر المسيحية بـ Enaciados منهم بني قسي^(٢) أمراء الثغر وهم في الأصل نصارى إسبان أسلموا، ولكن ولأهم كان يتراوح بين الدولة الإسلامية تارة والدولة النصرانية تارة أخرى^(٣).

واستفاد نصارى الشمال من الحال التي كانت عليها نخومهم مع المسلمين، وشجعوا رعاياهم على الهجرة إليها، ثم امتد تشجيعهم إلى المستعربين Los Moza' rabes للاستقرار في هذه المناطق وكان ذلك الامتداد بحدود المملكة النصرانية الناشئة على حساب المسلمين، وصارت سياسة الاستيطان في النخوم سياسة عامة لدى الممالك النصرانية الأخرى فيما بعد^(٤).

وقد كان لطبيعة الأندلس الجغرافية دور واضح ومؤثر في خلخلة الكيان الاجتماعي للأندلس، فكثرت الخروج على الدولة، فقد كانت الأندلس تنقسم إلى عدد من الأقاليم الطبيعية

(١) ألبَة والقلاع: وهي الأراضي الواقعة بين بلاد الباسك وجبال كانتبرية على ضفاف نهر الإبرة شرقي مملكة جليقية؛ وسكان هذه المناطق من البشكنس وأهل ألبَة يحكمون من قبل أمراء تابعين لمملكة ليون، لكنهم كانوا يتمتعون بشيء من الاستقلال الذاتي ليتحكموا من محاربة المسلمين؛ أما عاصمة المنطقة فكانت يومئذ في مدينة بُزْغُس Burgos؛ وقد حاول هؤلاء الأمراء المحليون جدهم للمحافظة على هذا الاستقلال الذاتي، بل التحرر من سلطة مملكة ليون؛ ابن الأبار: الحلة السبراء، ج ١، هامش ص ١٣٥، ١٣٦؛ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٣٩-١٤١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢١٦.

(٢) بني قسي: جدهم الأعلى، الكونت قسي (Kasi) من أشرف القوط، وكان وقت الفتح "قومس" (Comes) (الثر الأعلى، فلما غزا المسلمون أراضيه سار إلى الشام، واعتنق الإسلام على يدي الخليفة الوليد بن عبد الملك، وذلك لكي يحتفظ في ظل الغزاة الجدد، بأملكه وسلطانه الإقطاعي، واعتبر بإسلامه على يدي الخليفة من مواليه، وانحاز بطريق هذا الولاء إلى جانب المضربة؛ ويبدأ ظهور بني قسي على مسرح الأحداث السياسية في الأندلس منذ عهد عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٨م) وأصبح أولاده وأحفاده من بعده زعماء المولدين في الثغر الأعلى وكانوا يمتازون بالجرأة والإقدام والشجاعة، ويعتزون دائماً بأصلهم القوطي النصراني وكانت لهم دائماً علائق مصاهرة مع الأمراء النصارى البشكنس وغيرهم، وكان إسلامهم في الواقع سطحياً لا اعتناهم السلطان والنفوذ، وكانوا لا يشعرون بالولاء نحو حكومة قرطبة يصانعونها متى وجبت المصانعة احتفاظاً بمركزهم وسلطانهم في الثغر، ولكنهم لا يحجمون عن انتهاز أية فرصة للتورط عليها ومخالفة أعدائها من النصارى، ولعبت هذه الأسيرة دور خطير في ثورة المولدين الكبرى على قرطبة. ابن حبان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٣٥، ٢٣٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص ٢٦٠؛ كمال السيد: المولدون في الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٤٧.

(٣) ابن حبان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٣٥-٢٣٦؛ عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٣٩.

(٤) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٣٨، ٣٩.

التي تتباين فيما بينها^(١)، ففي معركة الخندق^(٢) Alhandega (٣٢٧هـ / ٩٣٩م) هُزم جيش الناصر، ونجا هو بأعجوبة في نفر يسير، وفي كتابه بعد هزيمته أشار إلى "خنادق وعرة ومهاو تتقاذف وأجراف منقطعة قد عرفها المشركون وقدّموا إليها"^(٣) ومن الممكن أن يُقال الشيء نفسه عن معارك أخرى كبيرة كمعركة الزلاقة^(٤) Sagrajas، والأراك^(٥) Alarcos^(٦).

ولقد فرضت جغرافية الأندلس على زعمائها سياسة اتخاذ الرهائن من الخارجين عن سلطانهم، وفي سبيل أن يسيطر كذلك خلفاء الأندلس على المغرب اتخذوا الرهائن من زعمائهم، ويروي ابن عذاري، أن عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر^(٧) (٣٩٢-

(١) محمد عبد الحميد عيسى: الفتح الإسلامي للأندلس، مكتبة سعيد رافت، القاهرة ١٩٨٥م، ص ٧٣.
(٢) معركة الخندق (٣٢٧هـ/ ٩٣٩م): تعتبر من أشهر المعارك بين المسلمين والنصارى في الأندلس، وكان الخليفة الناصر قد أستعد استعدادا كبيرا لقتال راميرو الثاني ملك ليون و النقي الناصر بجيوش ليون ونبرة عند أسوار بلدة شنت مانتش (Simancas)، وجعل عبد الرحمن الناصر القيادة العليا للجيش لقائد من مواليه الصقالبة = يسمي نجدة بن حسين، مستمرا في سياسته التي تعتمد على الصقالبة في جيشه، مما أدى إلى تغير نفوس العرب لتقديم الصقالبة عليهم، فأجتبعوا على خلافته، فتركوا الصقالبة وحدهم عند بدء المعركة، مما أدى إلى الهزيمة، وترجع المسلمون فتساقط الكثير منهم في خندق كان النصارى قد حفروه ولذلك تسمى هذه المعركة بمعركة الخندق، فأمر الناصر أن تقام المصالب على ضفة نهر قرطبة، و قبض على نحو ثلاثمائة من الفرسان، فصلبهم ". ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٣٦، ٣٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤١٩-٤٢١؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٦٥؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٣٩٤.
(٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق شالميتا، ص ٤٤٢؛ عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٥٢.
(٤) الزلاقة: الزلاقة سهل بالأندلس يقع شمالي بطليوس جرت فيه الوقعة الشهيرة بين المعتمد بن عباد يعاونه البربر بقيادة يوسف بن تاشفين ومن انضم إليه من ملوك الأندلس وبين الفونسو السادس (الأدفش) ملك قشتالة (castilla) وقعت معركة الزلاقة في يوم الجمعة سنة (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م)، وأنهزم فيها النصارى، وطعن الفونسو السادس ملك قشتالة وهرب مع بعض جنوده صوب مدينة طليطلة. ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٤٤٥-٤٤٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٢، ص ٢٩، ٣٠؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ٨٣-٩٤.
(٥) الأراك: حصن الأراك على بعد عشرين كيلومترا إلى الشمال الغربي من قلعة رباح، على أحد فروع نهر وأدى أنه، وهي نقطة الحدود بين قشتالة والأندلس، حيث تجهز الفونسو الثامن ملك قشتالة للقاء المسلمين عندما سمع بعبور الموحدين بقيادة أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن وطلب العون من ملكي ليون وونبارة وملوك إسبانيا المسيحية واستصرخ البابا في روما وقدمت جيوش من فرنسا والمانيا وهولندا وغيرها من الديار الأوروبية، وكانت معركة الأراك في (٩ شعبان ٥٩١هـ/ ٨ يولية ١١٩٥م) وانتهت بهزيمة النصارى على نحو مروخ. ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٢٣٦-٢٣٨؛ السلاوي: الاستقصا، ج ٢، ص ١٩١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام ٢١٠، ٢١١.

(٦) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٥٦.
(٧) عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر: مولده بقرطبة سنة (٣٦٤هـ/ ٩٧٤م) تولى السلطة الفعلية بعد وفاة أبيه أبيه، يوم الإثنين (٢٧ رمضان ٣٩٢هـ/ ١١ أغسطس ١٠٠٢م) وكان في الثامنة والعشرين من عمره وأصدر الخليفة هشام المؤيد بالله مرسوما بتقليده الحجابة وتبدير شئون الدولة، وأسقط عبد الملك عن البلاد سدس الجباية، وإزدادت محبة العامة له، وتلقب بسيف الدولة " الملك المظفر بالله؛ وكان قليل بضاعة العلم، فلم يكن للأدب في أيامه ما كان له في أيام أبيه، وكان منهمكا في الفروسية والأتها إلا أنه تمسك بمن كان يلقاهم أبوه " من خطيب وشاعر ونديم " وكما يقول ابن بسام، وقررهم على مراتبهم، ولم ينقصهم سوي الاختلاط به وحضور مجالس أنسه، في جملة خاصته؛ وكان مجبا لإظهار أبية الملك، غزا الإفرنج سبع غزوات، ومات في

٣٩٩هـ/١٠٠٢ - ١٠٠٨م) الملقب بـ المظفر، حين تولى الحجابة لـ "هشام بن الحكم" (١) بعد وفاة أبيه، عقد للمعز بن زيري بن عطية (٢) على فاس (٣) سنة (٣٩٧هـ/١٠٠٧م)، وقبض على ابنه المسمى "معنصر" رهينة (٤).

ولقد فرضت جغرافية الأندلس على ساكنيها أن يكونوا في حالة حرب شبه دائمة مع جيرانهم، لذلك عُدَّت الأندلس في نظر المسلمين نفراً للدولة الإسلامية، وأرضاً للجهاد والمرابطة، ولقد فرض هذا الوضع عليها أن تستقبل المتطوعين والمجاهدين من القبائل العربية والبربرية التي تمدد الدولة بالجوش اللازمة للجهاد (٥)، ولحماية البر الأندلسي من الأخطار الخارجية أنشأ الأندلسيون العديد من الرباطات في المدن المهمة، التي كانت بمثابة قواعد

السابعة منها بقربية من أرملاط (Guadimellato) بعلّة الذبحة، وقيل مسموما، وذلك يوم الجمعة (١٦ من صفر سنة ٣٩٩هـ/ ٢١ من أكتوبر سنة ١٠٠٨م). ابن بسام: الذخيرة، ق٤، ص ١، ص ٧٨؛ ابن الكريديوس: الإكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٦٥، ٦٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ٣، ٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢٧، ص ٢٩٢؛ ابن الخطيب: أعمال لأعلام، ج ٢، ص ٨٣، ٨٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٦٢٣.

(١) هشام بن الحكم: كنيته: أبو الوليد، لقبه: المؤيد بالله، أمه: صبيح البشكنشية، أم ولد، بويع له يوم الاثنين لأربع خلون من صفر سنة (٣٦٦هـ/ ٤٠٨م) بعهد من أبيه، وهو ابن إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر، وخلع يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة، سنة (٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م) فكانت خلافته الأولى إلى أن قامت الفتنة ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام، وكانت خلافته الثانية في سنة (٤٠٠-٤٠٣هـ/ ١٠١٠-١٠١٢م) فكانت سنتين وعشرة أشهر، الجميع الذي كمل له في المنتين سنة وثلاثون سنة وشهران وعشرة أيام، صفته: أبيض، أشهل، أعين، خفيف العارضين، لحيته إلي الحمرة، حسن الجسم، قصير الساقين، مائل إلي العبادة، مقبل على =

= تلاوة القرآن ودرس العلوم، كثير الصدقات على الضعفاء والمساكين، نقش خاتمه (هشام بن الحكم، بالله يعتصم). الحميدي: جذوة المقتبس، ص ١٧٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٥٣؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٤٣؛ المقرئ: فنج الطيب، ج ١، ص ٣٩٦.

(٢) المعز بن زيري: المعز بن زيري بن عطية بن عبد الله الزناتي المغراوي، من ملوك فاس في أواخر عهد بني أمية بالأندلس، أقامه بنو عمه أميرا عليهم بعد وفاة أبيه سنة (٣٩١هـ/ ١٠٠٠م) وجاءه تقليد المظفر بن أبي عامر بولايته على المغرب كله، ما عدا سجلماسة، فأقام تابعاً لقرطبة إلى أن انقرضت الدولة الأموية بعد انقراض الدولة العامرية، فاستقل بالأمر، واستمر إلى أن توفي بفاس (٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م). المقرئ: فنج الطيب، ج ١، ص ٤٢٣؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٣٧٣-٣٧٤؛ الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٢٧٠.

(٣) فاس: مدينة من أهم مدن المغرب الأقصى، بناها إدريس بن عبدالله بن الحسن المثنى سنة (١٧٢هـ/ ٧٨٨م) أول ملوك الأدارسة وأتم بناءها ابنه إدريس الثاني سنة (١٩٣هـ/ ٨٠٨م) كانت في القديم بلدين، لكل منهما سور يحيط به وأبواب تخصص به، والنهر فاصل بينهما، وكانت كل بلدة تقوم على عدوة (مرتفع)، فكانت إحدى العدوتين تسمى عدوة القرويين لنزول العرب الوافدين من القيروان إليها، وسميت الأخرى عدوة الأندلسيين لنزول العرب الوافدين من الأندلس فيها. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٠٣-٢٠٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٢٥٣؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٣٠، ٢٣١؛ الحميري: الروض المعطر، ص ٤٣٤، ٤٣٥.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٢٥٣؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٧٣.

(٥) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٣٩٢.

عسكرية مثلَ الرباطاتِ في مدينةِ سرقسطة و طليطلة ومدينة سالم^(١) ومدينة لاردة^(٢) وطرطوشة^(٣) وغيرها من المدن ، وإلى جانبِ الرباطاتِ البرية كانتَ هناكَ رباطاتٌ على السواحلِ، وأنشئتْ دورٌ لصناعةِ السفن ونهضتِ البحريةُ الأندلسية نهضةً سريعةً^(٤) وانتشرتْ الرباطاتُ عندَ السواحلِ، وأشهرُها رباط المرية^(٥) الواقع على الساحلِ الشرقي للأندلس الذي أضفى فيما بعد القاعدة الرئيسية للأسطول الإسلامي بالأندلس^(٦)، ويذكرُ البكري^(٧) أن

(١) مدينة سالم: (medinaceli) تقع شمال مدريد بنحو ١٥٣ كيلو متر في الطريق الذي بين مدريد وسرقسطة وهي الآن من أعمال مقاطعة سوريبة (Soria) ومدينة سالم قديمة البنيان ، وقد عرفت في العصر الروماني بإسم (Qcilis) وعندما فتح المسلمون إسبانيا يقال إن طارقا عثر فيها على مائدة سليمان وعمر هذه المدينة زعيم مغربي مصمودي إسمه سالم بن ور عمال المصمودي الذي يحتمل أن يكون من قادة الرعل الأول الذي قام بفتح إسبانيا ، ومن ذلك الوقت عرفت هذه المدينة بإسم هذا القائد سالم ثم إعادة بناء مدينة سالم على يد الخليفة عبدالرحمن الناصر واتخذها ثغرا ضد (قِشَنَ قَالَة) . ابن الكردبوس: الإكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٦٠.

(٢) لاردة (Lerida) : تقع شرقي قرطبة بنيت مدينة لاردة على وأدى نهر شقَر (Segre)، وتقع في منطقة إلبا الشرق من سرقسطة، في منتصف الطريق بينها وبين برشلونة، وكانت القاعدة الثانية بعد سرقسطة في منطقة التفرع الأعلى وتقع شمال شرق قرطبة ويحدها من الجنوب الغربي إشبيلية، ومن الجنوب الشرقي غرناطة، وهي مدينة خصبة وبها بساتين وفواكه كثيرة، ويجود في أرضها الكتان الذي تصدره إلى جميع نواحي الثغور، و سقطت مدينة لاردة نهائيا سنة (٥٤٤هـ / ١١٤٨م) على يد رامون برنجر الرابع قومن برشلونة . ياقوت ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٧ ؛ الحميري: الروض المعطار ، ص ٥٠٧ ؛ حاملة: موسوعة الديار الأندلسية، ج ٢، ص ٩٢٨ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام ، ج ٤، ص ٥٠٨ .

(٣) طرطوشة (Tortosa) : تقع في شمال شرق إسبانيا بالقرب من ساحل البحر المتوسط عند مصب نهر الإبرو ، جنوبي مدينة طركونة (Tarragona) واشتهرت بدار صناعة السفن التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر لتوافر خشب الصنوبر بجبالها، هي آخر ثغور الأندلس في الشرق، وقصبة طرطوشة على صخرة عظيمة سهلة، وينسب إلى هذه المدينة الإمام أبو بكر محمد أبو الوليد الطرطوشي المتوفي بالإسكندرية سنة (٥٢٠هـ / ١١٢٦م) . ابن الكردبوس: الإكتفاء هامش ص ١٠٠ ؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤ ، ص ٣٠ ؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠، ص ٢٢٣ ؛ الحميري: الروض المعطار ، ص ٣٩١ .

(٤) حسين مؤنس: تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ، ص ٩٥ .
(٥) المرية (Almaria) : تقع على الساحل الشرقي للأندلس أمر ببنائها الأمير عبد الرحمن بن محمد عام (٣٤٤هـ / ٩٥٥م) وهي تقع في الجنوب الشرقي للأندلس ، وتقع بين مدينتي مالقة ومرسية على ساحل البحر ، وأنصفت بالحصانة وبتشاطها التجاري ، وفيها يقول الشاعر :

قالوا المرية صفها ... فقلت مظ وشيح فقيل فيها معاش ... فقلت إن هب ربح

إتخذها العرب مرباطاً وابنتت بها محارس، وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها، وعليها سور حصين منيع بناه أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد، وكانت المرية تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام، والمدينة بها جبلان بينهما خندق معمور، وعلى الجبل الواحد قصبتها وفي الجبل الثاني ربيضا، والسور يحيط بالمدينة والريض، ولها أبواب عدة ، إستولى عليها النصارى نهائيا في سنة (٨٩٥هـ / ٤٨٩م) . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٥ ؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٨٠ ؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٤م، ص ١٣، ١٤ ؛ محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٦م، ص ٣١ ، ٣٢ .

(٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام ، ج ٢، ص ٦٨٨ .

(٧) البكري: هو العلامة أبو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري نزيل قرطبة؛ حدث عن: أبي مروان بن حبان، وأبي بكر المصحفي، وأجاز له أبو عمر بن عبد البر، وكان رأسا في اللغة وأيام الناس؛ والأماكن وكان من أوعية الفضائل، صنف في اعلام النبوة، وعمل شرحا لامالي القالي وفصل الخطاب له الكتب الجغرافية مثل المسالك والممالك ومعجم ما استعجم ، وكتاب " اشتقاق

الساحل الشرقي للأندلس ثغوره عامرة بالنشاط حيث احتشدت فيه جماعات من المرابطين^(١)، وما يقال عن المرية يقال عن المدن الأخرى في شرق الأندلس مثل مرسية^(٢) و دانية^(٣) ومالقة^(٤) وبلنسية^(٥) وشاطبة^(٦) حيث أصبحت هذه المدن رباطاً للمجاهدين

الاسماء، وتوفي سنة (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م). الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٥؛ ابن بسام: الخيرة، ق ٢، مج ١، ص ٢٣٢.

(١) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ٩٦.

(٢) مرسية: هي قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، واتخذت داراً للعمال وقراراً للقواد، وكان الذي تولي بنيانها جابر بن مالك بن لبيد، وذلك في يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأول سنة (٢١٦ هـ / ٨٣١ م)، وتقع مرسية على نهر كبير يسقي جميعها كنيل مصر، ولها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة، وهي رخيصة الفواكه كثيرة الشجر والأعشاب وأصناف الثمر، وبها معادن فضة غزيرة، وكانت تصنع بها البسط الرفيعة، وسقطت مدينة مرسية على يد الملك خايمي الأرجوني وذلك في في شهر فبراير سنة (٦٦٤ هـ / ١٢٦٦ م). العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٦٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٥٣٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٦، ص ٤٦٣.

(٣) دانية (denia): تقع شرق الأندلس من أعمال بلنسية، إستقل بها مجاهد العامري في عصر ملوك الطوائف وأستولى عليها المرابطون عام (٤٨٤ هـ / ١٠٩٢ م) وينسب إليها كثير من العلماء والقراء منهم شيخ القراء أبو عمر عثمان بن سعيد الداني المعروف بابن الصيرفي، وكذلك ينسب إليها أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي المعروف بابن اللبانة الأدب الشاعر صاحب كتاب (نظم السلوك في وعظ الملوك) المتوفى سنة (٥٠٧ هـ / ١١١٣ م)، وسقطت مدينة دانية في يد النصارى في شهر ذي الحجة سنة ٦٤١ هـ / مايو ١٢٤٤ م). ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٤؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٢٣٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٦، ص ٤٥٩؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٩٠.

(٤) مالقة (Malaga): مدينة على شاطئ البحر المتوسط، تقع جنوبي شرق إسبانيا أسسها الفينيقيون وأعطوها اسم مالكو (Malako) ومعناه الملح نسبة إلى مستودعات الأسماك التي كانت تجفف وتحفظ بها عليها سور صخر، والبحر في قبليها، يكثر فيها شجر التنين، وهو يحمل إلى مصر والشام والعراق وربما وصل إلى الهند، ولها رياضان كبيران، وشرب أهلها من الآبار، ولها واد يجري في زمان الشتاء وليس بدائم الجري، بدأت حروب الاستيلاء على منطقة مالقة من قبل القشتاليين في سنة (٨٨٧ هـ / ٤٨٢ م)؛ فقد حاصر الملك فرناندو الكاثوليكي المدينة، وكانت مقاومة أهلها شديدة إلى درجة أنها أصبحت أكثر الوقعات دموية في تاريخ سقوط مملكة غرناطة؛ وتم استسلام =

= المدينة غير المشروط في (٨٩٣ هـ / ١٨ أغسطس ١٤٨٧ م). ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٣، ص ٤٤؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٥١٧، ص ٥١٨؛ محمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية، هامش ص ٥٤.

(٥) بلنسية (valencia) من مدن شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجاعة ستة عشر يوما وهي مدينة سهلية كثيرة الحصون والقلاع تعرف بمدينة التراب، وأهلها يسمون عرب الأندلس، يدهدا من الشمال طرطوشة، ومن الجنوب دانية ومرسية، ومن الغرب طليطلة، وتطل بوجهها الشرقي على البحر المتوسط، وكان الروم تغلبوا على بلنسية قديماً ثم أحرقوها عند خروجهم منها سنة (٩٥٥ هـ / ١١٠١ م) قال أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة: عانت بساحتك العدا يا دار... ومحا محاسنك الليلى والنار

فلذا تردد في جنابك ناظر ... طال اعتبار فيك واستعبار

أرض تقاذفت النوى بقطينها... وتمحضت بخربائها الأقدار

ثم في سنة (٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م) ملك الروم بلنسية صلحاً واستولى عليها ملك أرغون جاقه، وأكثر أدبواها بكاءها والتأسف عليها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٩٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٩٧-٩٩؛ كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية، مركز القاهرة للكتاب، الإسكندرية (د. ت)، ص ٤٧، ص ٤٨.

(٦) شاطبة: تقع شاطبة على سفح جبل فيرنيسا Vernissa، واعتبرت بعد سقوطها في يد النصارى من أمنع قلاع مملكة أرغون؛ دخلها الأرجونيون بقيادة ملكهم خايمي الأول صلحاً في آخر صفر سنة ٦٤٤ هـ / يولييه ١٢٤٦ م) ففقدوا الهندة مع المسلمين وأرغموه على الجلاء في رمضان سنة (٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م). العذري: نصوص عن الأندلس، ص ١٧؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٣٣٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٦، ص ٤٥٩.

وثيراً من ثغور شرق الأندلس وقاعدةً ينطلقون منها للجهاد ، أما ساحل الأندلس الغربي المطل على المحيط الأطلسي فقد وُجدت فيه عدة رباطاتٍ مثل رباط شلب^(١) وبطليوس^(٢).

أثر تنوع عناصر المجتمع الأندلسي في سياسة إتخاذ الرهائن .

كان المجتمع الأندلسي يتكون من عناصرٍ شتى، تنوعت أصولها البشرية وعقائدها وثقافتها، ولعبت هذه العناصر دوراً هاماً في تطور الأحوال السياسية في الأندلس وفي توجيه الصراع بين أجناسه المختلفة^(٣) فكانت البيئة الاجتماعية في الأندلس غير منسجمة، لأنها تتألف من شعوبٍ وأجناسٍ مختلفة تتنافر مصالحها مع بعضها البعض، ولا يجمعها سوى قوة السلطة المركزية في قرطبة وذلك في أوقات القوة^(٤).

فعندما دخل المسلمون الأندلس، أخذوا يسعون لنشر الإسلام وتأسيس مبادئه في نفوس المسلمين الجدد، ولم تمض مدةٌ وجيزةٌ إلا وقد انصهر معظم سكان الأندلس في بوتقة الإسلام على مختلف طبقاتهم وفتاتهم^(٥)، ولكن عندما ظهر التنافس على الملك والبدء عن

(١) شلب (silves): تقع غرب الأندلس وهي إحدى القواعد العسكرية، وسكنها عرب اليمانية، ومعظم سكانها فصحاء يقولون الشعر ويمتازون بالكرم، استولى سانشو الثاني عليها سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م). الحميري: الروض المعطار، ص ٣٤٢؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ١٥٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٦، ص ٦١١.

(٢) بطليوس (Badajoz): تقع غربي مدينة قرطبة على الضفة اليمنى لنهر وأدى بانه قبل أن يصب في المحيط الأطلسي بنحو ستين كيلومتراً وهي من أعمال مدينة ماردة ، بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي بإذن الأمير عبد الله، وسقطت بطليوس على يد الليونيين (البرتغاليين) سنة (٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م). ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٤٧؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٩٣؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص ٢١؛ سحر السيد عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ١٣٧.

(٣) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٦٧.

(٤) خليل السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٢٥.

(٥) عبد الرحمن على الحجي: التاريخ الأندلسي، ص ١٣١.

تعاليم الإسلام ظهرَ التشاحنُ والتصادمُ بين عناصر المجتمع الأندلسي^(١)، فأصبحَ هذا المجتمعُ يَحْيِشُ بِمُخْتَلَفِ الأهواءِ، ومزقتهُ فوارقُ الجنس والعصبيةِ فكثرةُ الثورات^(٢)، ويذكرُ ابنُ الخطيبِ، الأسبابَ التي أدتْ إلى كثرةِ الثوار في الأندلس، إلى ثلاثة أسباب، الأول: هو منعةُ البلادِ وحصانةُ المعاقِلِ وبأسُ أهلها بسببِ تجاورهم معَ النصارى في الشمالِ، والثاني: هو علُوُّ الهممِ وشموخُ الأنوفِ وقلةُ الاحتمالِ للطاعةِ، لأنَّ مَنْ دخلَ الأندلسَ من العربِ والبربرِ كانوا أشرفاً يَأْنَفُ بعضهم من الإذعانِ لبعضٍ، والثالث: هو الاستنادُ عند الضيقِ والاضطرارِ إلى ملوكِ النصارى الذين كانوا يحرصونَ على ضربِ المسلمينَ بعضهم ببعض^(٣).

فقدَ كانَ في الأندلسِ أهلُ البلادِ الأصليين، وفيهم الوافدونَ مِنْ عربٍ وبربرٍ وموالي، وفيهم الممالكِ المجلوبونَ من بلدانٍ عديدةٍ أما أهلُ البلادِ فهم الذين أُطْلِقَ عليهم (عجمُ الأندلسِ) وكانوا في أكثرِهم من الإشبانيةِ الذين دخلوا في الإسلامِ فَسُمُوا بالمُسْلِمَةِ، ومن الذين بَقُوا على ديانتهم من الإشبانيةِ والرومانِ والقوطِ، واليهودِ وغيرهم أصبحوا أهلَ ذمة^(٤)، وكان دخولُ موجاتٍ متلاحقةٍ مِنْ أنماطٍ مختلفةٍ مِنَ السكانِ إلى الأندلسِ قد أدى إلى الاحتكاكِ وفي بعضِ الأحيانِ إلى صراعٍ عنيفٍ^(٥)، وَلَعِبَتْ هذهِ الأجناسُ والأعراقُ السكانيةُ دوراً هاماً في صنعِ تاريخِ الأندلسِ، والمشاركةِ بقوةٍ في صياغةِ أحداثه، ونتيجةً للاختلافِ والتناحرِ بينَ هذهِ العناصرِ أصبحَ كلُّ عنصرٍ لا يأمنُ الآخرَ، فكثُرَ الخروجُ على السلطةِ المركزيةِ وظَهَرَ الطامعونُ في الحكمِ والولايةِ، وهناك قولُ لابنِ خلدونَ ينطبقُ على الوضعِ

(١) عن المجتمع الأندلسي وعناصره العرقية والدينية راجع: ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٢٠؛ حسين يوسف دويدار: المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م) مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة ١٩٩٤م، الصفحات، ٨-٦٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٦٧-٧١.
(٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٦٧.
(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٣٦.
(٤) حسين يوسف دويدار: المجتمع الأندلسي، ص ٨.

(1) Hole, Edwyn: Andalus: Spain under the Muslims, p 47.

الإجتماعي في الأندلس، حيث يقول: " في أن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قلَّ أن تُستحكم فيها دولة والسبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء، وأن وراء كل رأي منها هوى وعصبية تمنع دونها، فيكثر الانتقاض والخروج على الدولة في كل وقت، وإن كانت ذات عصبية، لأنَّ كلَّ عصبية ممن تحت يدها تظنُّ في نفسها منعة وقوة" ^(١)، فليجأت السلطة الحاكمة في الأندلس إلى اتخاذ رهائن من العناصر المناوئة لها، حتى تضمن استقامتها وعدم خروجها وحدت ذلك بين العرب أنفسهم

(القيسية واليمنية) ^(٢)، وكذلك بين أمراء بني أمية في الأندلس والبربر والمولدين . وأمام الأخطار المتنافرة من السكان في الأندلس من عرب و بربر، وصقالبة، ومولدين وبعضهم مُستعربون أو يهود لجأت السلطة الحاكمة في الأندلس إلى سياسة اتخاذ الرهائن كوسيلة لازمة للوحدة السياسية، وذلك لأنَّ القوة وحدها لا تكفل للأمير الحاكم السيطرة على سائر البلاد، وحتى لا تستعين العناصر الخارجة عن السلطة المركزية بأمراء وملوك الممالك الإسبانية الشمالية مقابل التنازل عن بعض الحصون والمدن الحدودية المهمة .

فبدراسة عناصر سكان الأندلس يتضح الدور الذي لعبه التنوع الجنسي لهؤلاء السكان في سياسة اتخاذ الرهائن كحلٍ لجأ إليه أصحاب السلطة في الأندلس لبسط السيطرة والنفوذ أو لتهديم الأوضاع أو للحصول على بعض المكاسب ، وهذا ما سوف توضحه الدراسة .

(١) ابن خلدون: تاريخه، ج ١، ص ٢٠٦ .

(٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٢ .

أولاً: العرب:

يذكر المقرئ: "أنه لما استقر قدم أهل الإسلام بالأندلس وتم فتحها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب همهم إلى الحلول بها ، فنزل بها عامة العرب وسادتهم جماعة أورثوها أعقابهم" (١) ، فكانت طالعة موسى بن نصير (٩٣هـ/٧١١م) أول طالعة دخلت الأندلس وكان عددها نحو ثمانية عشر ألفاً من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر (٢) ثم دخلت طالعة أخرى تعدداً أربع مائة رجل من إفريقية الأندلس مع الوالي الحر بن عبد الرحمن الثقفي سنة (٩٧هـ/٧١٥م) (٣) وكان عرب هاتين الطالعتين من اليمنية فسموا بالبلديين، أو من أهل البلد، لأنهم استقروا في بلاد الأندلس واعتبروا أنفسهم أهلها وأصحابها (٤) بعد هاتين الطالعتين جاءت طالعة بلج بن بشر القشيري (٥) في سنة (١٢٤هـ/٧٤١م) وبلغت عشرة آلاف رجل، ألفان من الموالي وثمانية آلاف عربي (٦) وقد عرفوا باسم الشاميين، ودخلوا في نزاع، لأنهم أرادوا الاستقرار في الأندلس، وتحول هذا النزاع فيما بعد إلى نزاع بين اليمنية والقيسية (٧) .

(١) المقرئ: نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٩٠ .
 (٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢٠٧؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٥ ؛ المقرئ: نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٣٣ ، ٢٦٩ .
 (٣) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمون وأثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢م، ص ١٢٠ .
 (٤) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ط ٢ ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٣م، ج ١ ، ص ١٠٢ .
 (٥) بلج بن بشر بن عياض القشيري: كان البأ على طنجة وما والاها، فتكاثرت عليه عساكر خوارج البربر هناك، فولي منهزماً إلى الأندلس في جماعة من أصحابه، فلما وصل إليها ادعى ولايتها، وشهد له بعض المنهزمين معه، وكان الأمير حينئذ بالأندلس عبد الملك بن قطن، فوقع من ذلك اختلاف وفتنة إلى أن ظفر بلج بعبد الملك فسجنه، ثم قتله، ومات بعده بشهر أو نحوه، في سنة خمس وعشرين ومائة . الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٥ .
 (٦) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤٠ .
 (٧) ابن القوطية: افتتاح الأندلس ، ص ٤١؛ ابن عذاري، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٢١-٢٣؛ ابن الخطيب: الإحاطة ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

وجاءت إلى الأندلس طالعةٌ عربيةٌ أخرى من العربِ الشاميّين كانوا قرابة ثلاثين رجلاً بصحبة الوالي أبو الخطّار الحسام بن ضرار الكلبي^(١) ولقد انقسم العربُ إلى قيسيةٍ ويمينيةٍ^(٢) وكانت القبائلُ اليمنيةُ تفوقُ القبائلَ القيسيةَ^(٣)، وعاش العربُ في إقطاعاتٍ واسعةٍ تركوا أمرَ زراعتها للفلاحين الصغارِ أو الأسبانِ والمولدين، وكان العربُ في الأندلسِ أشبهُ بالملوك^(٤) ولعبتِ الجماعاتُ العربيةُ دوراً سياسياً هاماً وخطيراً في الأندلسِ، وشهد الوجودُ العربي في الأندلسِ صراعاً قوياً بين العربِ أنفسهم (القيسية واليمينية) وما يدلُّ على ذلك موقفُ عبد الملك ابنِ قطن^(٥) عندما سمح لبلج بن بشر وجيشه من الشاميين بالعبورِ إلى الأندلسِ لمساعدته ضد ثورات البربر، فالتخّذ من بلج عشرة رهائن من الشاميين^(٦) أنزلهم بجزيرة أم حكيم وذلك حتى يضمنَ عدم بقائهم في الأندلسِ أكثرَ من عام^(٧).

وكذلك صراعُ عبد الرحمن الداخل مع يوسف الفهري على الحكمَ وهم من قبيلةٍ واحدةٍ (قبيلة قريش)، هذا الصراعُ أفرزَ سياسةَ اتخاذِ الرهائن، فبعد أن حقّق الأميرُ عبدُ

(١) أبو الخطار حسام بن ضرار بن سلامان الكلبي: تولى ولاية الأندلس في سنة (١٢٥هـ / ٧٤٣ م) من قبل حنظلة بن صفوان الكلبي والي أفرقيّة لهشام بن عبد الملك، وهو أول من قسم الأندلس إلى أجناد، وزرع عليها العرب. ابن الأبار: الخلّة السيرة، ج ١، ص ٦٤ - ٦٦؛ الحميدي، جنة المقربين، ص ٥؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٥٧.

(٢) ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص ٤١.

(٣) المقرئ: فتح الطيب، ج ١، ص ٢٩٣.

(٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٣٩.

(٥) عبد الملك بن قطن: تولى بعد مقتل عبد الله الغافقي ببلاط الشهداء، وكان ظلوما جائرا في حكمته وغزا أرض البشكنس فأوقع بهم وغنم ثم عزل وولي عقبه بن الحجاج السلولي من قبل عبيد الله بن الحجاب فأقام خمس سنين، ثم وثب عليه عبد الملك بن قطن الفهري سنة إحدى وعشرين ومائة وولي مكانه إلي أن دخل بلج بن بشر بأهل الشام سنة أربع وعشرين فغلب عليه وولي الأندلس، المقرئ: فتح الطيب، ج ١، ص ١٣٦.

(٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٢، ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٤٥٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٣٠؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٤١٨؛ المقرئ: فتح الطيب، ج ٣، ص ٢١.

(٧) جزيرة أم حكيم: هي الجزيرة الخضراء ويقال لها جزيرة أم حكيم، نسبة لجارية طارق بن زياد مولي موسى بن نصير كان حملها معه فخلفها هذه الجزيرة فنسبت إليها، وهي على ريوّة مشرفة على البحر وسورها متصل به، وقصبة المدينة منيعة حصينة سورها حجارة وهي في شرقي المدينة ومتصلة بها؛ وبها مسجد يعرف بمسجد الرايات، ركزت فيه المجوس راياتها، فنسب إليها وبها دار صناعة بناها عبد الرحمن بن محمد للأساطيل، ومرسى الجزيرة أيسر المراسي للجواز، وهي أول مدينة افتتحت من الأندلس سنة (٩٠هـ / ٧٠٨م) على يد طارق بن زياد، وقد استمرت الجزيرة الخضراء في يد المسلمين إلى أن استولى عليها ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر بعد انتصاره في موقعة طريف سنة (٧٤١هـ / ١٣٤٠م) على أن ملك غرناطة الغني بالله استطاع في سنة (٧٧١هـ / ١٣٦٩م) أن يستردها من أيدي الأسبان إلا أنه أثر تدميرها خوفا من أي خطر يأتيها منها سواء من المسيحيين في قشتالة وأراجون أو من جانب بني مرين في المغرب. ابن الكردوس: الإكتفاء في أخبار الخلفاء، هامش، ص ٩٠-٩١؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٦؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٢٣، ٢٢٤.

الرحمن الداخلي النصر على يوسف الفهري اشترط عليه أن يأخذ أبناءه رهائن في قصر الإمارة بقرطبة وأن يكون كذلك العفو عنه مرهوناً ببقائه في قرطبة و على أن يراه كل يوم^(١) فكان غرض الأمير عبد الرحمن من اتخاذ يوسف الفهري وأبنائه رهائن عنده هو أن يحرمهم من أنصارهم في مدينة طليطلة التي تتميز بالحصانة والقوة .

وكانت سياسة الأمير عبد الرحمن الداخلي (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٧م) تهدف إلى السيطرة على البلاد، والحد من نفوذ رجال قبائل العرب، ولهذا حاول التقليل من الاعتماد عليهم وخلق قوة جديدة في شبه الجزيرة تعتمد على الممالك والبربر القادمين من شمال أفريقيا. وعندما أدرك رجال القبائل اليمينيون وحلفاؤهم من البربر ما يرمي إليه عبد الرحمن الداخل ازدادت مخاوفهم من النظام الجديد، خصوصاً أن مجيء الأمير عبد الرحمن إلى الحكم لم يحقق لهم ما كانوا يصبون إليه من السلطان والامتيازات^(٢)، فكثر الثورات ضد الأمير عبد الرحمن الداخل خلال فترة حكمه التي امتدت أربعة وثلاثين عاماً متصلة، من سنة (١٣٨هـ/٧٥٥م) وحتى سنة (١٧٢هـ/٧٨٨م) فقد قامت ضده أكثر من خمس وعشرين ثورة^(٣) ومع كثرة الخروج والثورات ضده لجأ في بعض الأحيان لسياسة اتخاذ الرهائن من العناصر المناوئة له .

(١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٨؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١٥٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥٨.

(٢) خليل السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١١٤.

(٣) تعرضت الدولة الأموية في الأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل لعدد كبير من الثورات، تزيد على خمس وعشرين ثورة وتغلب عليها جميعاً، ومن هذه الثورات ثورة على يد إثنين من أقطاب بني أمية الذين وفدوا على الأندلس حين تلقى طالع عبد الرحمن، هما عبد السلام بن يزيد بن هشام المعروف باليزيدي وهو ابن عم عبد الرحمن، وعبيد الله بن أبيان بن معاوية وهو ابن أخيه، وذلك بمعاونة أبي عثمان كبير الدولة، فأنكشف أمرهما وضربت أعناقهما سنة (١٦٣هـ/٧٧٩م) وعفا عن أبي عثمان لمكانته وسابق صنيعه، وديرت مؤامرة خطيرة لسحق عبد الرحمن الداخل، بزعامة ابن أخيه، المغيرة بن الوليد بن معاوية الذي سعى في طلب الأمر لنفسه فقتله عبد الرحمن سنة (١٦٧هـ/٧٨٣م) ونفى أخاه الوليد بن معاوية والد المغيرة المذكور إلى العدو، وكذلك ثورة العلاء بن مغيث الحيصي سنة (١٤٦هـ/٧٦٣م) ثورة سعيد الحيصي اليماني سنة (١٤٩هـ/٧٦٦م)، وثورة أبي الصباح بن يحيى الحيصي سنة (١٤٩هـ/٧٦٦م)، وثورة البربر في الأندلس بزعامة شقيا بن عبد الواحد المكناسي سنة (١٥١هـ/٧٦٨م)، وثورة اليمانية في إشبيلية بزعامة عبد الغافر الحيصي وحيوة بن ملامس الحضرمي سنة (١٥٦هـ/٧٧٣م)، وثورة سليمان بن يقطان في برشلونة سنة (١٥٧هـ/٧٧٣م) وثورة عبد الرحمن بن حبيب الفهري سنة (١٦١هـ/٧٧٧م) ثورة

ولم ينتهِ الصراعُ في الأندلس بين اليمينية والقيسية في عهدِ الأمير عبد الرحمن الداخل بل استمرَّ كذلك في عهد خلفائه، حيثُ يسوقُ لنا ابن عذاري أسبابَ الصراع بين اليمينية والقيسية في مدينة تدمير بقوله "إن سببَ انبعاثِ هذه الفتنة بين المُضَرَّة اليمينية كانت على ورقِ دالية أخذها مضري من جنانِ يمانِي، فقتله اليماني، فكانَ ذلك سببَ الحروب التي دارت بين الفريقين واتصلت أعواماً؛ وكانت الدوائر تدور أكثرها على اليمانية والقتل منهم، ودامت الفتنة سبع سنين" فلجأ الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٢-٨٥٢م) إلى سياسةِ اتخاذِ الرهائن حتى يسكنَ النزاعُ بينَ الفريقين^(١).

وفي عهدِ الخليفةِ عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠ / ٩١٢-٩٦١م)، لم يكنْ بنو هاشم التجييون سادةً سرقسطة، على وفاقٍ معَ حكومة قرطبة، وكانت تحدهم أطماعٌ كثيرةٌ، فحاصرَ الخليفةُ عبد الرحمن الناصرَ مدينةَ سرقسطة، فاضطرَّ محمد بنُ هاشم أن يبعثَ رسله في طلبِ الأمانِ والصلح، فاستجابَ الناصرُ إلى طلبه، واشترطَ عليه أن يقدمَ رهائنَ من ولده وإخوته وصحبه وكاتبه وذلك في شهر المحرم سنة (٣٢٦هـ/ ٩٣٧م)^(٢)، ولقد عفا الخليفةُ عبدُ الرحمن الناصر عن محمد بنِ هاشم، ومنحه الأمانض بالرغم من فداحة جرمه، فيرجعُ ذلك إلى ما كان لبني هاشم في الشمالِ من مركزٍ قوي، ولما كانَ لهم من العصبيةِ والأنصارِ^(٣)، ومعَ مرورِ الوقتِ تحللت الروابطُ القبليةُ بينَ العربِ في المدنِ وضعُفت في البوادي، وفَسَدَت

الحسين بن يحيى الأنصاري سنة (١٦٦هـ/ ٧٨٢م) ثورة محمد بن يوسف الفهري سنة (١٦٨هـ/ ٧٨٤م) وثورة بربر نفزة سنة (١٧٠هـ/ ٧٨٦م). لمزيد من التفاصيل عن هذه الثورات أنظر: مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٤ - ١٠٨؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٩، ٥٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٥٧، ٥٨؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٢٠ - ٢٢٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٥ - ١٥٨؛ المقرئ: نفع الطبيب، ج ١، ص ٢٣٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥٢ - ١٦٧؛ السامرائي: تاريخ العرب، ص ٩٣ - ١١٥؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ١٠ - ٣٠؛ حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي لمدينة إشبيلية، ص ٣١ - ٤٥.

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٨١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٢١.

(٢) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٤٤ - ٤٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٠٩.

(٣) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤١٢.

عصبيةُ العربِ واستولى ملوكُ الطوائفِ على أمرها واقتسموا حَظَّهَا وتنافسوا بينهم، وتلقبوا بالألقاب (١) .

وقال ابنُ خلدونَ في مقدمته "إن الأندلسَ ليستَ بدارِ عصائبَ ولا قبائلَ" (٢) وآلُ حالُ العربِ للوصفِ الذي ذكرهُ ابنُ عبادٍ في رسالتهِ إلى يوسف بن تاشفين قائلًا: "فإننا نحنُ العرب في هذهِ الأندلسِ قد تَلَفَتْ قبائلُنا وتَفَرَّقَ جمعُنا، وتَغَيَّرَتْ أنسابُنا ، فصرنا فيها شعوباً لا قبائلَ و أشتاتاً لا قرابةَ ولا عشائرَ" (٣) .

(١) ودلل على ذلك قول ابن رشيقي في وصف حال الأندلس قائلًا:

مما يزهدني في أرض أندلس * أسماء معتصم فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها * كالهر يحكي انتفاخا صورة الأسد . المقرئ: نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢١٤ ، عبد الله عنان: دولة الإسلام ، ج ٣ ، ص ١٥ .

(٢) ابن خلدون: تاريخه، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٣) الصلابي: فقه التمكنين عند دولة المرابطين، ص ٨٧ .

ثانياً: البربر:-

قام البربر بدور هام في فتح الأندلس ، وكان معظم عناصر الجيش الذي دخل به طارق بن زياد للأندلس من البربر^(١) حيث غزا طارق الأندلس في اثني عشر ألفاً من البربر وخلق يسير من العرب^(٢) ومع وصول أنباء الانتصارات إلى أهل إفريقية ، سارع عدد من البربر بالدخول إلى الأندلس ، ولقد ذكر المقرئ في كتابه نفح الطيب "عندما تسامع الناس من أهل بر العدو بالفتح على طارق بالأندلس، وسعة الغنائم فيها ، فأقبلوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على ما قدروا عليه من مركب وقشر، فلقحوا بطارق"^(٣) وذلك إما للغنائم أو سعيًا للحصول على الراحة والاستقرار، وقد كان البربر الداخلون إلى الأندلس ينتسبون إلى قبائلهم المختلفة مثل مكاسة وهوارة وغيرها وتميزوا بالشجاعة المفرطة والإقدام^(٤) واختلط البربر بالعرب البلديين، وأصبحوا يشكلون معهم حزباً واحداً، وكان الكثير من البربر حلفاء للقبائل العربية وتربطهم مصالح مشتركة، وكان لانتشار البربر في نواحي الأندلس أثر كبير في انتشار الإسلام في سائر أرجائها، كما أن بعض مواطنهم تكاد تكون مستقلة منزلة عن مساكن القبائل العربية^(٥)، واستقر البربر منذ دخولهم الأندلس في نواحيها

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ١٩٩٤م، ج ٥، ص ٣٢٠ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ج ٢، ص ٦؛ ستانلي بول: العرب في إسبانيا ، ترجمة على الجارم ، دار المعارف، ط ٩، القاهرة ١٩٦٠م، ص ٤٤.

(٢) السلاوي: الاستقصا، ج ١ ص ١٥٣.

(٣) المقرئ: نفح الطيب ، ج ١، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٤) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٦٥؛ الذهبي: أعلام النبلاء، ص ٤٥٦؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٢٥٩.

(٥) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩؛ السامرائي: تاريخ العرب، ص ١١٦.

المختلفة ، وخصوصاً الأطراف الوعرة النائية^(١) والتي ألقوا مثلها في وطنهم ببلاد المغرب والتي شجعتهم على تحدي السلطة المركزية، ورفع لواء الثورة من آن لآخر^(٢)، حيث كانت هناك العديد من الثورات^(٣) التي حمل لواءها البربر ضد الحكم العربي ، حيث أساء العرب معاملتهم، وسوء المعاملة لم يقتصر على العوام منهم بل طال كبراء البربر ورؤساءهم وتعرض الوزير سليمان بن أنسوس^(٤) لهجاء وسوء معاملة الأمير عبد الله بن محمد^(٥) وذلك رغم أمانة الوزير سليمان بن أنسوس ونصيحته^(٦) .

(١) يرجح الباحث أنه من أحد أسباب إستقرار البربر في هذه الأماكن يرجع رغبته المصادقة في الجهاد في سبيل الله وخصوصاً أنهم تشربوا مبادئ هذا الدين على يد بعض الصحابة والتابعين الذين إستقروا في بلاد المغرب ، فكانت هذه المناطق النائية التي إستقر البربر بها قريبة جداً من ديار أهل الكفر، ولا نبالغ إذا قلنا أن جانباً عظيماً من الفضل في إسلام أهل الأندلس يرجع إلي هؤلاء البربر . حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٤٣٣ .

(٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام ، ج ١، ص ٧١؛ عبادة كحيل: الخصوصية الأندلسية، ص ٣٦ ، ٣٧ .
(٣) لمزيد من التفاصيل عن ثورات البربر وأسبابها أنظر: حسين مؤنس: فجر الأندلس ، ص ٢٠٣ - ٢٦٤. حمدي عبد المنعم: ثورات البربر في الأندلس ؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١١٦ .

(٤) سليمان بن أنسوس: أبو أيوب سليمان بن محمد بن أصبغ بن عبد الله وأنسوس المكناسي مولي سليمان بن عبد الملك، أصله من البرابر، وله فيهم بيت شرف بالأندلس؛ وكان جده أصبغ رئيساً بماردة مطاعاً، ثار فيها على الأمير الحكم بن هشام، وتمهد ابنه هذا مهاد الطاعة من بعد نزوات سلفه، وعلق حبال الخدمة، فتصرف للسلطان في أعمال كثيرة، إلى أن ارتقي الذروة من خطة الوزارة للأمير عبد الله، وصارت له حظوة؛ وكان أدبياً مفتناً، وشاعراً مطبوعاً، حسن البيان، بليغاً، حصيفاً، وذكر بالعلم والعقل وعزة النفس، وأصبح أثيراً لدى الأمير عبد الله بن محمد . ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩؛ ابن الأبار: الحلة السرياء، ج ١، ص ١٦٠، ١٦١ .

(٥) الأمير عبد الله بن محمد: كنيته: أبو محمد؛ مولده: في النصف من ربيع الآخر سنة ٢٢٩هـ؛ أمه: تسمي بهار وقيل: عشار؛ حجابها: اثنان: عبد الرحمن بن شهيد وابن السليم؛ وزراؤه: ستة وعشرون؛ كتابه: ثلاثة: عبد الله بن محمد الزجالي، وعبد الله بن محمد بن أبي عبدة، موسى بن زياد؛ صفته: أبيض مشرب بحمرة، أصهب أقي الأنف، ربعة، يخضب بالسواد، بنوه: أحد عشر، أحدهم محمد المقتول، والد عبد الرحمن الناصر؛ بناته: ثلاث عشرة؛ بويغ في اليوم الذي مات فيه أخوه المنذر في المحلة على بربرش، وذلك يوم السبت في النصف من شهر صفر سنة (٢٧٥هـ / ٨٨٨م)؛ ثم قفل إلي قرطبة بأخيه المنذر ميتاً؛ فاستمرت البيعة بقرطبة، ودفن أخاه بعدها، وتوفي عبد الله سنة (٣٠٠هـ / ٩١٢م)، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، فكانت خلافته خمسا وعشرين سنة، وخمسة عشر يوما . ابن الأبار: الحلة السرياء، ج ١، ص ١٢٠ ، ١٢١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١١٣ ، ١١٤؛ التويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٣١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٢٢ .

(٦) كان الوزير سليمان بن أنسوس عظيم الحية وعندما دخل على الأمير عبد الله بن محمد - جعل الأمير عبد الله ينشد قائلاً: هلوفة كأنها جوالق نكرأ لا يارك فيها الخالق

للمل في حافاته نفاق فيها لباعي المتكأ مرافق
وفي احتدام الصيف ظل رائق إن الذي يحملها لمامق

ثم قال له: اجلس يا بربري! فجلس وقد غضب فقال: أيها الأمير، إنما كان الناس يرغبون في هذه المنزلة ليدفعوا عن أنفسهم الضميم، وأما إذ صارت جالبة للذل فغنيانا عنكم، فإن حلت بيننا وبينها فلنا دور تسعنا، لا تقدر على أن تحولوا بيننا وبينها ثم وضع يديه في الأرض وقام من غير أن يسلم، ونهض إلي منزله، فغضب الأمير وأمر بعزله ورفع دسسته الذي كان يجلس عليه . الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٢٢٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢٢، ص ١٨٥ .

واتخذت ثورات البربر في الأندلس شكل الصراعات المستمرة، هذه الصراعات أفرزت سياسة اتخاذ الرهائن لبسط السيطرة والنفوذ، والأمثلة على ذلك عديدة:
فقد كانت مدينة ماردة في غرب إسبانيا من أكثر المناطق ازدحاماً بالسكان من البربر^(١) وكانت مركزاً لثوراتهم، فقامت فيها ثورة أصبغ بن عبد الله بن وانوس ضد الأمير الحكم بن هشام، حيث إنه أراد التمتع بمزيد من الاستقلال في إدارة المدينة، ودامت ثورته نحو سبع سنوات، والتف حوله مواطنوه البربر ولكن أصبغ طلب الأمان بعد سبع سنوات، فأمنه الحكم ودعاه للإقامة في قرطبة^(٢) متخذة رهينة لكي يبعده عن أنصاره من البربر في مدينة ماردة وذلك بتحديد إقامته في مدينة قرطبة.

ولم يكف البربر في مدينة ماردة عن الخروج والثورة ضد الحكومة المركزية في قرطبة وفي سنة (٢١٣هـ/٨٢٨م) ثار أهل ماردة، بقيادة رجل بربري اسمه محمود بن عبد الجبار بن راحلة، وهو من بني طريف من قبيلة مصمودة وانضم إليه أحد المؤلدين ويدعى سليمان بن مرتين وانضم إليهم النصاري المعاهدون^(٣) وسير إليهم الأمير عبد الرحمن جيشاً من قرطبة حاصر مدينة ماردة سنة (٢١٤هـ/٨٢٩م) وتوالى الحملات العسكرية الأموية على ماردة حتى تمكنت من إخماد ثورتها، وحتى يضمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم طاعتها أمر جنده بتخريب سور المدينة وأخذت رهائنهم^(٤).

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٤٦٤؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٨١.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣٤٥، ٣٤٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢١٥.

(٣) حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٣٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٩٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢١٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٦٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٥٧؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٣٥ - ٣٨.

واستقرت جماعات كبيرة من البربر في كورة شنتبرية^(١)، ويُعد بنو ذي النون^(٢) من أشهر هؤلاء السكان البربر وظهر منهم على مسرح الأحداث ذو النون بن سليمان في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) حيث كان زعيماً لشنتبرية، وأمره الأمير محمد على ناحيته وقدمه على قومه وارتهن منه بعض أولاده^(٣).

وأعلن سكان تاركنا البربر الخلف على السلطة في مرات عديدة^(٤)، لذلك لجأ الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط إلى اتخاذ رهائن من أهلها وذلك في سنة (٢٦٧هـ/٨٨٠م)^(٥)، وكان البربر ناقلين على الحكم العربي في الأندلس للعديد من الأسباب، فكثرت ثوراتهم، وتحالفوا مع العناصر الناقية الأخرى، فلبأت السلطة آنذاك إلى قمع هذه الحركات أحياناً بالقوة وأحياناً أخرى بسياسة اتخاذ الرهائن التي كانت تؤدي أكلها في بعض الأحيان.

(١) شنتبرية: Santaver شنت بفتح أوله وسكون ثانيه فأصلها لفظة يعني بها البلدة أو الناحية لأنها تضاف إلى عدة أسماء؛ وبرية باء موحدة مفتوحة وراء مكسورة بعدها ياء مثناة من تحت مشددة مدينة متصلة بحوز مدينة سالم بالأندلس وهي شرقي قرطبة وهي مدينة كبيرة كثيرة الخيرات لها حصون كثيرة نذكر منها ما بلغنا في مواضعها وفيها شجر الجوز والبنقد وهي الآن بيد الأفرنج بينها وبين قرطبة ثمانون فرسخاً (والفرسخ يساوي ثلاثة أميال أي أنه يساوي ٥,٥٤٥ كيلو متر) وأهم حصونها قلعة أقليش. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٦٦. الحميري: الروض المعطار، ص ٥١؛ محمد صبحي: الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكييل، ص ٦٤.

(٢) بنو ذي النون: ينسب بنو ذي النون إلي ذي النون بن سليمان بن طوريل، وهم من قبيلة هواره البربرية وكان أول من دخل الأندلس منهم إسماعيل بن السمح بصحبة طارق بن زياد ونزل بكورة شنتبرية، ولم يخص بنوه وذرائه بأي نشاط سياسي إلي أن ظهر منهم على مسرح الأحداث ذو النون بن سليمان في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٣، ص٩٥؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٥٥.

(٣) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٣، ص٩٥.

(٤) كانت مدينة تاركنا من أهم مراكز الثورة البربرية في الأندلس، ففي سنة (١٧٨هـ/٧٩٤م) ثارت القبائل البربرية وخلعوا الطاعة، فسير إليهم الأمير هشام جيشاً بقيادة عبد القادر بن أبيان بن عبد الله، فقتل رؤسائهم وخرب بلادهم، فظلت منطقة تاركنا خالية من السكان لمدة سبع سنوات، وفي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، ثار بربر تاركنا سنة (٢١١هـ/٨٢٦م) بقيادة طوريل البربري، وتكررت ثروتهم أيضاً في سنة (٢٣٥هـ/٨٤٩م) وثاروا كذلك في سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م) في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، وتزعهم رجل منهم يدعي أسد بن الحارث؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ١٠٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٦٨؛ ابن عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٢٧؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١١٧.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٣، ص ٩٥.

واشتهرت في الأندلس بعض البيوت البربرية التي لعبت دوراً هاماً في التاريخ الأندلسي، واستطاع بعضها تأسيس أسر حاكمة في الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية مثل، بنو رزين^(١) وبنو ذي النون، وبنو برزال^(٢).

(١) بنو رزين: ينسبون إلى قبيلة هواره البربرية وهي إحدى بطون البرانس، وأن بني رزين دخلوا في ولاء قبيلة ثقيف العربية، وسمي بنو رزين باسم جدهم الأعلى رزين البرنسي وهو أحد قادة البربر الذين دخلوا الأندلس في جيش طارق بن زياد وقد استوطن رزين البرنسي مدينة قرطبة عقب الفتح الإسلامي وقام باختطاط مدينة الرصافة، وبني مسجد عرف باسمه (مسجد رزين) بالبرض الغربي كما تنسب له الجنان المجاورة لعين قيش بالبرض الغربي، ثم نزح بنو رزين إلى الثغر ونزلوا بأراضي السهلة، وهي التي تتوسطها شنتمرية، واستقروا هنالك وأصبحوا من أعظم ملوك الطوائف. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٢٤؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٤٤٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٣، ص ٢٥٣.

(٢) بنو برزال: ينسبون إلى قبيلة زناتة البربرية وكانوا مستقرين بالمغرب في منطقة الزاب الأسفل حول مدينة المسيلة (مدينة بالجزائر من أعمال قسنطينة) ولما استطالت صنهاجة على المغرب الأوسط، شعر بنو برزال باشتداد وطأتها، فكتبوا إلى جعفر بن علي الأندلسي أن يسعي في جوازهم إلى الأندلس لدى الخليفة الحكم، فعلم جعفر على تحقيق رغبتهم ووصفهم لدي الحكم بالشجاعة والإنقياد إلى الطاعة، فأنزلهم بالجواز وانتظموا في خدمة الجيش، وأصبح كبيرهم الحاجب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن برزال حاكماً لمدينة قرمونة في أواخر الدولة العامرية، واستقر أهله وصحبه هنالك إلى أن وقعت الفتنة، فخاض بنو برزال غمارها إلى جانب البطون البربرية احتفظ كل رئيس بمدينته، دعا أبو عبد الله لنفسه في قرمونة، وذلك في سنة (٤٠٤ هـ/ ١٠١٣ م)، واستبد بحكمها، إلى أن سيطر بنو عباد على أملاكه سنة (٤٥٩ هـ/ ١٠٦٦ م). حمدي عبد المنعم: دولة بني برزال في قرمونة، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية (د. ت)، ص ٣-٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٣، ص ١٤٨، ١٤٩.

ثالثاً الموالي :-

دخلَ عددٌ كبيرٌ منَ الموالي في طالعةٍ بليج بنِ بشرِ القشيري ،الذي تألفَ جيشَهُ من ألفينِ منَ الموالي وثمانية آلافٍ منَ العرب^(١) أما باقي الموالي فكانوا ينتمونَ إما إلى أصولٍ بيزنطيةٍ أو بربريةٍ ومن شمال إفريقيا، وقد أصبحَ الموالي الذين دخلوا معَ الشاميين يُسمَّونَ بالموالي الشاميين، بينما أُطلقَ على الآخرين اسمَ الموالي البلديين، وكانَ أغلبُ الموالي منَ أهلِ المغربِ الذين دخلوا في ولاءِ بن أميةَ وزادَ عددهم بعدَ سقوطِ دولةِ بني أميةَ بالمشرقِ، وهربَ عددٌ كبيرٌ منهم إلى أفريقيا والأندلسِ، وصاروا معَ دخولِ عبدِ الرحمنِ الداخلِ للأندلسِ ومحالفتهِ اليمينيةِ، قوى كبرى غلبتَ أهلَ الشامِ والمضريةَ كُلَّها ونجحوا في تأسيسِ دولةِ بني أميةَ في الأندلسِ بسببِ التفاهمِ حولَ الأميرِ عبدِ الرحمنِ الداخلِ^(٢) وكانوا على اتصالٍ وثيقٍ بالأسرةِ الأمويةِ الحاكمةِ، وعُرفوا أيضاً باسمِ موالي بني أميةَ، وتركوا في كورتي البيرة^(٣) .

وجيان^(٤)، ومما يدلُّ على كثرةِ عددهم في كورةِ البيرةِ إطلاقُ اسمهمُ على أحدِ وديانها الذي كان يُعرفُ باسمِ وأدى بني أمية^(٥)، وأمتلك الموالي ثروةً كبيرةً ونفوذاً وهيبةً قويةً بينَ بقيةِ المستقرين في الأندلسِ^(٦)، وقد أخلصتْ بعضُ بيوتِ الموالي للبيتِ الأموي

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤١ .

(٢) ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص ٤٦ ، المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٢٨ .

(٣) البيرة: من كور الأندلس نزلها جند دمشق من العرب وكثير من موالى الإمام عبد الرحمن بن معاوية، وكانت حاضرة البيرة من قواعد الأندلس الجبلية فخرت في الفتنة وانفصل أهلها إلى مدينة غرناطة فهي قاعدة كورها، وبين البيرة وغرناطة ستة أميال، ومدينة البيرة بين القبلة والشرق من قرطبة قريبة من ساحل البحر بالأندلس ولها مرسى ترسي فيه السفن ما بين مرسية والمرية .

ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج ١ ، ٥٢٦ .

(٤) جيان: بينها وبين بياضة عشرون ميلاً وجيان في سفح جبل عال جداً وقصبتها من القصاب الموصوفة بالحصانة وفي داخلها عيون وينابيع مطردة، وجامع جيان مشرف يصعد إليه على درج من جميع نواحيه، وهو من خمس بلاطات، على أعمدة رخام وله صحن كبير حوله سقائف، وهو من بناء الإمام عبد الرحمن بن الحكم ؛ الحميري: الروض المعطار، ص ١٨٣ .

(٥) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ العرب ، ص ٧٧ .

(٦) خليل السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ٩٠ .

إخلاصاً عميقاً ومنْ أكبرها بنو أبي عبدة^(١) وبنو حدير^(٢) وبنو بسيل^(٣) وبنو شهيد^(٤) وبنو فطيس^(٥) وبنو مغيث^(٦) وبنو غميس^(٧) وقد دخلَ عددٌ من الإِسبانيّين في ولاءِ بني أميةَ بعدَ الفتح الإسلامي، أمثال بنو قسي، وبنو بارون، بنو غومس، وبنو غرسية، وبنو مارتين، وغيرهم، ودخلَ آباءُ هذه البيوتِ أولَ الأمرِ في ولاءِ بني أميةَ في المشرقِ ثم انتقلَ ولأوهم إلى بني أمية الأندلسيين وظلَّ بعضهم محتفظاً بهذا الولاءِ، فأصبحوا موالي اصطناع، طلباً للحماية الأموية

(١) بنو أبي عبدة: هم ينتسبون إلى أبي عبدة حسان بن مالك، مولي مروان بن الحكم، وقد دخل حسان بن مالك الأندلس سنة (١١٣هـ/ ٧٣١م) وولد لحسان أولاداً بالمشرق قتلوا، فيما عدا عبد الغافر الذي نشأ مع عبد الرحمن بن معاوية، فلما أقام عبد الرحمن الداخل دولته في الأندلس استوزر أبا عبدة وأستقوده ثم إستعمله على إشبيلية وظل بها إلى أن توفي، إستقرت هذه الأسرة بإشبيلية، وكان زعيمهم يومئذ أمية بن عبد الغافر بن أبي عبدة؛ حمدي عبد المنعم: تاريخ إشبيلية منذ نشأتها حتى قيام دولة بني حجاج، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٧، ص ٦٣.

(٢) بنو حدير: ينسب بنو حدير إلى جدهم الأكبر حدير الذي كان يوابا على باب السدة بقصر الإمارة في قرطبة أيام الأمير الحكم بن هشام، وتوارث أبناؤه المناصب الكبرى، وأشهر أفراد هذه الأسرة: أبو الأصغ موسى بن محمد الذي ولاه الأمير محمد على المدينة سنة (٢٩٣هـ/ ٩٠٥-٩٠٦م) وأستوزره الخليفة عبد الرحمن الناصر، فأبقاه عليها ثم، في سنة (٣٠٢هـ/ ٩١٤م)، وولاه منصب الحجابة وظل يشغله حتى وفاته سنة (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٣٠٦، ٣٠٥. حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، هامش ص ٥١.

(٣) بنو بسيل: من أكبر بيوتات الموالي الأمويين من أهل الشام، وكان أول من دخل الأندلس منهم عبد السلام ابن بسيل الرومي المعروف بالشيخ، وكان بسيل أبوه مولي هشام بن عبد الملك على ما يذكر ابن الأبار أو لعبد الله بن معاوية على ما يذكر المقرئ وأنه كان من أصل بيزنطي نصراني وكان دخول عبد السلام بن بسيل إلى الأندلس في أيام عبد الرحمن بن معاوية مع ابنه عبد الواحد ويحيى، فأستعمله عبد الرحمن على إشبيلية ومورور والجزيرة الخضراء وماردة وغيرها وولاه الوزارة وولي ابنه يحيى على حيان في أيام عبد الرحمن بن عبد السلام، أما محمد بن عبد السلام ولي الوزارة والمدينة والكتابة والخيل. ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(٤) بني شهيد: أسرة بني شهيد من أكبر الأسر الأندلسية وأثراها وأشهرها في عصر الإمارة والخلافة وقد تصرف أفرادها خلفاء بني أمية في الخطط الكبرى من القيادة والكتابة والوزارة والحجابة إلى انقراض الدولة المروانية، وتنتهي هذه الأسرة إلى شهيد بن عيسى بن شهيد بن وضاح ونسبهم ابن الأبار في "الحلة" إلى قبيلة أشجع بن ريث بن غطفان أي أنه جعل لهم نسباً عربياً خالصاً، ولكن غيره من المؤرخين مثل الرازي وابن حيان يذكرون أن جدهم كان مولي لمعاوية بن مروان بن الحكم وإن شهيد بن عيسى دخل الأندلس في أيام عبد الرحمن الداخل وكان وثيق الصلة به إلى حد جعل الأمير عبد الرحمن يستخلفه على قصره لإخماد ثورة عبد الغفار اليحصبي في سنة (١٥٤هـ/ ٧٧١م) ثم أسند إليه بعض المهام العسكرية. ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٦٥، ٢٦٦.

(٥) بنو فطيس: كان لهذا البيت مكانة وشهرة وإشغال بخدمة أمراء بني أمية، ومؤسس الأسرة فطيس بن سليمان المتوفي في أواخر القرن الثاني الهجري أو أوائل القرن الثالث وممن برزوا من هذه الأسرة حمدون بن فطيس، وفطيس بن أصغبر وأنه تولى خطة البازارة في سنة (٣٠٠هـ/ ٩١٢م) ثم عمل في إشبيلية في السنة التالية، وفي سنة (٣٠٤هـ/ ٩١٦-٩١٧م) والي الخزانة وفي سنة (٣١٥هـ/ ٩٢٧م) والي الوزارة ثم عزل عنها في السنة التالية، وفي سنة (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) ولي على المدينة وأشهر ممن عرف من هذا البيت في أواخر الدولة الأموية قاضي الجماعة عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس. ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٣١٨، ٣١٩.

(٦) بنو مغيث: ينسب بنو مغيث إلى مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني ولم يذكر له مولدا ولا وفا، سبى من الروم بالمشرق وهو صغير فأدبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد ونشأ مغيث بدمشق ودخل الأندلس مع طارق فاتحها وجاز على ما في طريقها من البلاد إلى الشام وقدمه طارق لفتح قرطبة ففتحها في شوال سنة (٩٢هـ/ ٧١١م) ورحل مع موسى بن نصير، وطارق بن زياد إلى دمشق ثم عاد إلى الأندلس وصار منه بنو مغيث الذين لجبوا في قرطبة وسادوا وعظم بيتهم، وكان منهم عبد الرحمن بن مغيث حاجب عبد الرحمن بن معاوية، ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٦٣؛ المقرئ: نفع الطبيب، ج ٣، ص ١٢.

(٧) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٤٤٥.

لهم، وقد أعتمد بنو أمية عليهم، وقلدوهم مناصب في دولتهم، وأندرج بعضهم الآخر في عداد المولدين^(١) مثل أسرة بني قسي التي تولت الدفاع عن منطقة الثغر الأعلى وحمايتها من غارات النصارى والفريجة^(٢) والتي أعلنت الخروج عن السلطة الحاكمة ودخلت في صراع معها لجأت معه حكومة قرطبة لسياسة إتخاذ الرهائن^(٣) وذلك لما تتمتع به هذه الأسرة من قوة ونفوذ في هذه المنطقة .

وهناك الموالي أصحاب الأصول البربرية مثل بيت الزجالي^(٤)، وإذا كان وضع البيوت ذات الأصول الإسبانية، يختلف عن وضع الموالي المشاركة والمغاربة من حيث الوظائف، فقد قصرها أمراء بني أمية على الموالي البلديين والشاميين، ولكن مركز الموالي الإسبان الاجتماعي كان عظيماً فقد كانوا سادة في نواحيهم^(٥) .

وقد كان عدد الموالي جميعاً قليلاً بالنسبة لعدد السكان ولكن عددهم كان متناسباً بالنسبة لعدد العرب، ونجد أن الظروف المضطربة التي أحاطت بالعرب خلال فترة الولاة وانصرافهم إلى التحارب فيما بينهم، أعطت هؤلاء الموالي مركزاً ممتازاً، إذ ظلوا كلمة واحدة يسعى اليمنيون والشاميون إلى كسب تأييدها، وعندما دخل عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس وضعوا أنفسهم تحت تصرفه، ومنذ ذلك الحين أصبحوا أصحاب اليد العليا، فأصبح الولاء في

(١) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص ١٢٧-١٢٨ ؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٤٤١، ٤٤٢؛ ستانلي لين بول: العرب، ص ٤٠-٤١ .

(٢) كمال السيد: المولدون في منطقة الثغر الأعلى الأندلس، ص ٥٢ .

(٣) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠٦؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ١٤٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص ٢٦٥ .

(٤) بنو الزجالي: هم من بني يطف من قبائل نفزة البربرية، اشتهر منهم محمد بن سعيد بن أبي سليمان ولقب بالأصمعي وذلك لذكائه وقوة حفظه، ولم يكن لهؤلاء الزجاليين المقحومين في بيوت الشرف في قرطبة قبل جدهم محمد هذا قدم رياسة ولا سالف صاحبة للسلطان فهو أول من نجم فيهم تولي العديد من أفراد هذه الأسرة مهنة الكتابة لأمراء البيت الأموي المقتبس: تحقيق محمود مكي، ص ١٧١، ١٧٢ .

(٥) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٤٤٩ .

الأندلس من أسباب علو المنزلة وعلو المرتبة في الإدارة، وحرص كل خلفاء البيت الأموي وخلفائهم على اصطناع الموالي (١).

فكان من الطبيعي ألا تشهد الأندلس حركات تمرد للموالي في الفترة السابقة على عهد الأمير عبد الله، ولكن لما انتشرت الفتنة في أرجاء الأندلس في أوائل عهده وكثر المتمردون وأفتقد الأمن، كان بعض الموالي من ضمن هؤلاء الخارجين على الإمارة الأموية، مثل حركة ابن السليم (٢) الذي كانت أسرته من الموالي العرب، وقام ابن السليم بحركته في كورة شذونة ثم خضع للإمارة الأموية عندما أرسلت له حملة بقيادة للأمير المطرف بن الأمير وقدم رهائنه له سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م) (٣)، وكذلك حركة طالب بن مولود الذي يلحق بطائفة موالي الأندلس (٤) الذي أعلن تمرده في حصن أقوط (٥) بكورة شذونة (٦)، فأرسل إليه الأمير عبد الله حملة عسكرية بقيادة ابنه المطرف سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م)، خلت به الهزيمة ولما رأى أنه لا طاقة له في الحرب أذعن للطاعة وتوثق منه وأخذت رهينته وأشهد على أمانته (٧).

(١) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٤٩٩.

(٢) هو منذر بن إبراهيم بن محمد بن السليم بن أبي عكرمة جعفر بن يزيد بن عبد الله، إذ أن جداهم الأعلى عبد الله كان من موالي الخليفة سليمان بن عبد الملك، فدخل حفيده أبو عكرمة إلى الأندلس واستقر بها، وجاهد ابن السليم مختلف في أصله ما بين أنه رومي أو عربي من قبيلة لخم اليمنية، وإلى بني السليم تنسب المدينة المعروفة ببني السليم من كورة شذونة نزلوها عند فتحهم الأندلس. القاضي: التكملة لكتاب الصلة، ج ١، ص ١٦٠، ١٦١، ابن حيان: المقتبس في تاريخ الأندلس (عهد الأمير عبد الله بن محمد)، تحقيق إسماعيل العزب، دار الأفاق الجديدة، المغرب ١٩٩٠، ص ٤٣.

(٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٤) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.

(٥) حصن أقوط: من أعمال كورة شذونة. ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٣٤؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.

(٦) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٣؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.

(٧) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٣٤.

رابعاً: المسألة:-

بعدَ الفتح الإسلامي للأندلس أسلمَ العديدُ منَ الإسبان عُرْفُوا بِاسْمِ المسألة، وأُطلقَ على أولادهم لقب المُولَدَيْن (١) وكانوا من قبل إسلامهم من طبقاتٍ شتى، فمنهم العبيدُ والزُّراع، ورقيقُ الأرض وغيرهم (٢) وكانَ لسياسة العدلِ التي سار عليها العربُ في حُكمهم للأندلس قد دفعت هؤلاء الإسبان إلى اعتناقِ الإسلام إما جبراً وراء مصالح شخصية أو إيماناً صادقاً منهم بتعاليم الدين الإسلامي، علماً بأنَّ العربَ لم يُجبروهم على الدخولِ في الدين الإسلامي بل تركوا لهم حرية الاختيارِ دونَ إكراهٍ أو إجبارٍ (٣). قال تعالى "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَنَنْكَرُ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (٤).

(١) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٢١.

(٢) عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي، ص ١٦٣؛ عبد البديع لطفي: الإسلام في إسبانيا، ط ٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٩م، ص ٢٢.

(٣) فلهاوزن يوليوس: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة ١٩٥٨م، ص ٤٧٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

خامساً: المولّدون:-

ظهر المولّدون نتيجةً لزواج العرب والبربر من الإسبانيات فانتشر الإسلام في الأندلس^(١) فامتزجت دماء الفاتحين العرب والبربر بدماء أهل البلاد فنشأ عن ذلك جيلٌ جديدٌ من أباءٍ عربٍ وبربرٍ مسلمين وأمّهات إسبانيات وسمّي هؤلاء باسم المولّدين^(٢)، وقد كان عبد العزيز بن موسى بن نصير أول من تزوج من إسبانية، إذ تزوج من أرملة لذريق، وسار على طريقته عددٌ من رجالات العرب أمثال زيد بن النابغة التيمي^(٣) وعيسى بن مزاحم^(٤) الذي تزوج من سارة القوطية ابنة المند بن غيطشة^(٥).

وقد كان ينظر إلى هؤلاء المولّدين غالباً بأنهم أقل رتبةً من الفاتحين^(٦)، وفي أواخر عصر الولاة بالأندلس نرى العرب، وبالأخص المتعصبين منهم ينظرون إلى هؤلاء المولّدين نظرةً لا تخلو من الازدراء والاحتقار ولقد ظهرت هذه النظرة بجملاء عند الصميل بن حاتم^(٧) وزير يوسف الفهري^(٨) آخر ولاة الأندلس، وذلك بعد أن سمع قول الله تعالى: "وَتِلْكَ الْأَيَّامُ

(١) عبد البديع لطفي: الإسلام في إسبانيا، ص ٢٤.

(٢) عبد الله غنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٠٦؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٢١.

(٣) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص ٢٠.

(٤) عيسى بن مزاحم بن إبراهيم: تزوج من سارة القوطية ابنة المند بن غيطشة فأنجب منه ولدان، وتوفي سنة (١٣٨هـ/ ٧٥٥م)؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٠؛ المقرئ: نفع الطبيب، ج ١، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٥) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٠-٣٢.

(٦) خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس، ص ٨٩.

(٧) الصميل بن حاتم: الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الضبابي، وهو من أشرف عرب الكوفة، قدم الأندلس في أمداد الشام في طاعة بلج بن بشر؛ أيام بني أمية فاصبح شيخ المضربة في الأندلس، وهو أحد الأمراء الدهاة الشجعان الأجواد، إلا أنه كان رجلاً أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان له في قلب الدول، وتدبير الحروب، وأخبار مشهورة، وأساء إليه أبو الخطار، فثار أصحاب الصميل وقيضوا على أبي الخطار، ولوا ثوابه، وكان مع يوسف بن عبد الرحمن الفهري في حربه ضد عبد الرحمن بن معاوية، وتوفي الصميل في سجن عبد الرحمن بن معاوية سنة (١٤٢هـ/ ٧٥٩م). ابن الأبار: الحلة السبراء، ج ١، ص ٦٧ - ٧٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٢١؛ المقرئ: نفع الطبيب، ج ١، ص ٢٣٧؛ الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٢٠٩.

(٨) يوسف بن عبد الرحمن الفهري: حفيد عقبة بن نافع الفهري القرشي، صاحب الفتوحات العظيمة وباني مدينة القيروان التي ولد بها يوسف الفهري (٧٢هـ/ ٦٩١م) وهو من قبائل فهر بن مالك بن كنانة بن النضر وبنو فهر بطن من كنانة، وكان يوسف

نُدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ" (١) قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي أَرَى هَذَا الْأَمْرَ سَيُشْرِكُنَا فِيهِ الْعَبِيدُ وَالسَّفَلَةُ. وَهُوَ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى غَيْرِ الْعَرَبِ (٢)، وَنَلَاخُظُ الْمَعَامِلَةَ السَّيِّئَةَ لِلْمَوْلَدِينَ فِي مَوْقِفٍ آخَرَ، وَذَلِكَ أَنَّ كَاتِبَ يَوْسُفَ الْفَهْرِيِّ وَهُوَ مِنْ أَصْلٍ إِسْبَانِي تَبَاهِيَا أَمَامَ أَحَدِ أَتْبَاعِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ بِأَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَى دَرَجَتِهِ فِي تَحْبِيرِ الرِّسَالِ، فَمَا كَانَ مِنْ حَاشِيَةِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ إِلَّا أَنْ احْتَجَزَوْهُ لِأَنَّهُ "بَدَأَ بِالشَّيْئَةِ وَالِاتِّقَاصِ، وَهُوَ كَمَا يَقُولُونَ "ابْنُ الْخَلَيْئَةِ الْعَلِجُ" (٣) (٤)

وَيُظْهِرُ أَنَّ هَذِهِ النُّظْرَةَ قَدْ اسْتَمَرَّتْ فِي عَصْرِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ، فَهَنَّاكَ مِنَ الشُّوَاهِدِ الَّتِي تُؤَيِّدُ تِلْكَ النُّظْرَةَ، فَهَذَا عَبَّاسُ بْنُ فَرْنَاسٍ يَصِفُ مَنْ اشْتَرَكَ فِي مَوْقِعَةٍ وَأَدَّى سَلِيْطَ سَنَةِ (٢٤٠هـ/٨٥٤م) بِالْعُبْدَانِ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:

بَكَى جَبَلًا وَأَدَّى سَلِيْطًا فَأَعْوَلَا ... عَلَى النَّفْرِ الْعُبْدَانِ وَالْغَضْبَةَ الْعُلْفَ

دَعَاهُمْ صَرِيْخَ الْحَيْنِ فَاجْتَمَعُوا لَهُ ... كَمَا اجْتَمَعَ الْجُعْلَانُ لِلْبَعْرِ فِي قُفٍّ (٥)

وَمِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ جَهْرَةً مِنْ أَهْلِ طَلِيبَةَ الْمَوْلَدِينَ قَدْ شَارَكُوا فِي هَذِهِ الْمَوْقِعَةِ (٦).

الفهري شريفا جليلا حازما عقلا، وكان كارها للفتنة والبعضاء والشحناء، ولما تقاف الأمر وكثر الاختلاف بين أهل الأندلس، تراضوا واتفقوا على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري، في سنة (١٢٩هـ / ٧٤٦م)، وقيل أن ولاية يوسف كانت في صفر من هذه السنة، وإنهم كتبوا لعبد الرحمن بن حبيب عامل القيروان؛ فأفغذ إليه عهد بولاية الأندلس، فكانت ولايته عشر سنين، فما من سنة من هذه السنين إلا ويمكن أن يكون له فيها غزو، وأنه وأصل الجهاد، وأهتم يوسف الفهري بإصلاح الأحوال والشئون الداخلية والجيش، وقتل يوسف الفهري في عام (١٤٢هـ / ٧٥٩م) بناحية طليطلة. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٤؛ ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٢، ص ١٨٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٦؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، مج ٤، ص ٣٦؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٢٩٤؛ أبو مصعب الزبيدي: نسب قريش، تعليق: لبني برفقشال، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٣م، ص ٤٤٤؛ الزركلي: الأعلام، ج ٨، ص ٢٣٦.

(١) سورة آل عمران: آية ١٤٠.

(٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٦٠؛ ابن الأبار: الحلة السرياء، ج ١، ص ٦٨.

(٣) علاج مفرد وجمعها علوج، و العلاج صفة للرجل الضخم الشديد الغليظ وقيل هو كل ذي لُخْبَةٍ والجمع أغلاج وغلُوج ويقال للرجل القوي الضخم من الكفار علُج وهو الأبله الذي لم يمارس أسباب الحضارة، وكان العرب يطلقونه على الأعاجم لا سيما الذين لا يعترفون بسلطان أو بسلطة؛ ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، ص ٢٢٦.

(٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٦.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٨٣م، ج ٥، ص ٢٣٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١١٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٩٣.

(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ٢٣٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٩٣.

وقد شارك هؤلاء المولدين في الحياة السياسية في الأندلس، فكان منهم ولاية الثغر الأعلى^(١) "كيني قسي" الذين كانوا مواليين للأمويين وكانوا يقفون إلى جانب المضربة في صراعها مع البينية .

وألّف المولدين على عهد أمراء بني أمية وخلفائهم الكثرة الغالبة من السكان، وقد استطاع هؤلاء المولدين أن يشغلوا مناصب كبرى كانت وفقاً على الأرستقراطية العربية، مما خلّق صراعاً داخلياً مبرراً عبر عنه ابنُ الفرضي^(٢) في حديثه عن عبد الله بن الحسن المعروف بابنِ السندي^(٣) الذي عينه الخليفة عبد الرحمن الناصر قاضياً على وشقة^(٤) وما والاها، قال ابنُ الفرضي: "إنه كان منسوباً إلى الكبر مزهواً شديداً العصبية المولدين منتقداً للعرب حافظاً للمثالب"^(٥).

وقد استقر معظم المولدين في المدن الكبرى مثل طليطلة وبعض مدنِ الثغر الأعلى، وقد احتفظ الكثير منهم بأسمائهم، مثل بنو أنجلين Angelion وبنو شبرقة abarica وبنو

(١) الثغر الأعلى: هو المنطقة الشمالية للأندلس حتى جبال البرنيه وكانت سرقسطة عاصمة هذا الثغر الذي يضم لاردة و تطلية وشقة وطرسونة وطركونة وطرطوشة، فهو يمثل ولاية الحدود الشمالية والخط الدفاعي المتقدم في مواجهة إسبانيا النصرانية خاصة مملكة نبرة، وأصبح يمثل أرغون بعد سقوط سرقسطة في أيدي النصارى عام (٥١٢ هـ/ ١١١٨ م) العنزي: نصوص عن الأندلس، ص ٦٣؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ١٧١؛ المقرئ: نفخ الطيب، ج ١، ص ١٦٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٢١.

(٢) ابن الفرضي: (٣٥١ - ٤٠٣ هـ/ ٩٦٢ - ١٠١٣ م) عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي: مؤرخ حافظ أديب؛ ولد بقرطبة، وتولى قضاء بلنسية في دولة محمد المهدي المرواني؛ ورحل إلى المشرق سنة (٣٨٢ هـ/ ٩٩٢ م)، فحج وعاد، فاستقر بقرطبة إلى أن قتله البربر فيمن قتلوا وبقي ملقى في داره ثلاثة أيام؛ من مصنفاته " تاريخ علماء الأندلس - المؤلف والمختلف في الحديث، و" المتشابه " في أسماء رواة الحديث وكناهم، و" أخبار شعراء الأندلس "؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٩٨ م، ج ٣، ص ١٨٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٠٥.

(٣) ابن السندي: هو عبد الله بن الحسن المعروف بابن السندي، من أهل وشقة ويكنى أبا محمد رحل إلى إفريقية توفي في أول يوم من ذي الحجة سنة (٣٣٥ هـ/ ٩٤٦ م). ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روجية عبد الرحمن السويقي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ١٩٩٧ م، ص ١٨٨.

(٤) وشقة: مدينة بالأندلس لها سوران من حجر، بينها وبين سرقسطة خمسون ميلاً، وشقة مدينة حسنة، وشقة بشرقي مدينة تطيلة وهي مدينة كبيرة أولية قديمة، وسقطت مدينة وشقة في يد نصارى أرجون سنة (٤٨٩ هـ/ ١٠٩٦ م) بعد حصار دام ثلاثين شهراً. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٧٧؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٦١٢؛ المقرئ: نفخ الطيب، ج ١، ص ٤٤١؛ خليل السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٤٥.

(٥) ابن الفرضي: علماء الأندلس، ص ١٨٨.

القبطونة Kabturna، وبنو الجرج وبنو لتق وبنو غرسيه وغيرهم^(١)، ثم تحوّل موقفهم بالتدرّج إلى التمرد ومحاولة الاستقلال عن سلطان بني أمية في قرطبة. ومما شجّع المولدين على السير بهذا الاتجاه، تركّز مجموعات كبيرة منهم في مناطق جغرافية تساعد على الانفصال والتمرد، وبشكل خاص في مناطق الثغور، أي: المدن القريبة من خط الحدود مع الدول المسيحية في الشمال، مثل سرقسطة في الشمال الشرقي وطليطلة في الوسط، وماردة في الغرب، وقد دعمت قرطبة بعض القبائل العربية في المناطق التي كثرت فيها حركات المولدين، مثال ذلك أسرة بني تميم العربية التي سكنت في منطقة الثغر الأعلى^(٢).

وظهرت حركات التمرد من قبل المولدين واضحة وقوية خلال النصف الثاني من عصر الإمارة، ووُصِفَت حركات التمرد بالشعبية، فقد قام المولّدون يؤازرهم النصاري، والمستعربين ويدعمهم نصاري الشمال الإسباني والفرنجية بالثورة ضد العرب وتمثّل هذا في ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقي في ماردة وبطليوس^(٣)، وثورة عمر بن حفصون^(٤)،

(١) سامية مصطفى مسعد: التكوين العنصري للشعب الأندلسي، دار عين للدراسات التاريخية، القاهرة ٢٠٠٧م، هامش ص ١١.

(٢) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٢١.

(٣) ابن الفرضي: علماء الأندلس، ص ١٨٨.

(٤) عمر بن حفصون: أصله من رندة. وبعد عمر بن حفصون من أشهر الثوار الخارجين على السلطة الأموية في قرطبة وكان من أسرة اعتنقت الإسلام منذ عهد الأمير الحكم بن هشام، وكان ابتداء أمره في سنة (٢٦٥هـ / ٨٧٨م) وعاش في بداية حياته في إقليم رندة، ثم فر إلى المغرب بعد ارتكابه لجريمة قتل، لكنه عاد إلى الأندلس واستولى على حصن روماني منيع اسمه ببشتر (Bobastro) في المناطق الجبلية الجنوبية في إقليم رية؛ وقد التفت حوله جماعة من المولدين وذلك في سنة (٢٦٧هـ / ٨٨٠م)، حيث أخذ بمهاجمة الجهات المجاورة لمنطقته والتوسع في الإغارة حتى وصل إلى المناطق القريبة من قرطبة ذاتها؛ وقد عاصرت حركة هذا المتمرّد الأمراء الثلاثة الذين حكموا في هذه الحقبة؛ ولم يستطع أي منهم القضاء على حركته؛ وفي أواخر أيامه تحول إلى المسيحية، فلما منه أن هذا الإجراء سيكتب النجاح لتمرده؛ ولكن بواعث هذا التحول تبدو سياسية أكثر منها عقائدية، قصد منها تلقي الدعم من المستعربين، ومن ملوك الدويلات النصرانية الإسبانية لإسقاط دولة العرب في الأندلس؛ ولم تنته حركته إلا في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر. ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٣٠٧؛ ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج ١، ص ٥٣؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ١، ص ١٨؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٤، ص ٣٨، ٣٩؛ العير: ابن خلدون، ج ٤، ص ١٧٢، ١٧٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٠٧، ٣٠٨.

في كورة ريه^(١) في الجنوب، وبنو قسي في الثغر الأعلى^(٢) وحتى تستطيع السلطة الحاكمة في الأندلس التخلص من ثورات المولدين كانت تلجأ لاتخاذ الرهائن من زعمائهم، فضلاً عن المال الذي يؤدونه كل عام، وأحياناً كانت تستنزل الثائر من حصونه، فيأتي إلى قرطبة وتكرمه وقد يصير من جملة قوادها وكبار رجالها، ولكنهم تعرضوا لسوء معاملة القيادات العربية التي تميزت بالترجسية الطاغية، حيث تعرض عمر بن حفصون من سوء معاملة صاحب المدينة محمد بن الوليد بن غانم^(٣)^(٤)، وكذلك تعرض عبد الرحمن بن مروان الجليقي الرهينة في قرطبة والذي استخدمه الأمير محمد في جيشه لمدة سبع سنوات، تعرض لسوء معاملة الوزير هاشم بن عبد العزيز الذي أمر بصفع قفاه واستدله بأن قال له: الكلب خير منك، فجعله يجعل بالفرار إلى الغرب وفي نيته المعصية وخلع الطاعة^(٥).

ومن هنا شارك المولدون العناصر الأخرى في إنهاء الحكم الإسلامي في الأندلس في وقت مبكر ولم يرتضوا رغم إسلامهم موادعة الدولة الحاكمة، ربما لأنهم لم يلاقوا نفس الامتيازات التي كان يلقاها العرب والبربر، وترتب على ذلك أنهم كانوا يجنحون دائماً إلى الثورة، ولا سيما في عهد الضعف وخاصة في أواخر عهد الإمارة مستعنيين في ثوراتهم بنصارى الشمال^(٦) الأمر الذي دفع الإمارة الأموية للدخول في صراع مباشر مع المولدين الأمر الذي لجأت معه الإمارة الأموية لاتخاذ رهائن من زعمائهم.

(١) كورة ريه: هي المنطقة التي أصبحت مدينة مالقة (Malaga) عاصمتها في جنوب شرق شبه الجزيرة، وهي كلمة مأخوذة من اللاتينية، والأصل في ضبطها تشديد الياء وضمها، إذ هي تقابل كلمة (Regio) ومعناها " الملكية" وقد نزل هذه الكورة جند الأردن بعد الفتح العربي. ابن حبان: المغتصب، تحقيق محمود مكي، ص ٢٥٠.

(٢) ابن الفرضي: علماء الأندلس، ص ١٨٨.

(٣) محمد بن الوليد بن غانم: ينسب بنو غانم إلى عبد الحميد بن غانم، وكان موالى لعبد الرحمن بن معاوية ومن كبار رجال دولته، ومحمد بن الوليد برع في الأدب والكتابة، ولي للأمير محمد بن عبد الرحمن خطة المدينة. مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠١؛ ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ١٦٢.

(٤) رينهارت دوزي: المسلمون في الأندلس، ج ١، ص ١٤٥.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٠٤؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٤٥؛ عبد الفتاح عوض: فصول في تاريخ الأندلس، ص ١٤.

(٦) سامية مصطفى: التكوين العنصري للشعب الأندلسي، هامش ص ١١.

وأحياناً كانت تدخل بعض أسر المولدين في صراع مرير مع بعضها البعض مثلما حدث مع محمد بن عبد الملك المعروف بالطويل المنتمي إلى بني شبريط^(١) الذين يمثلون إحدى الأسر المولدية البارزة في الثغر الأعلى^(٢) مع محمد بن لب القسوي^(٣) الذي نجح في أسر محمد الطويل إذ لم يطلقه محمد بن لب إلا بعد أن تنازل له عن بعض المدن، عن مبلغ ضخم من المال دفع نصفه وقدم ابنه وابنته رهائن حتى يتم تسديد باقي المبلغ^(٤).

(١) بني شبريط: (أو بنو الطويل) من أكبر أسر المولدين لمنطقة الثغر الأعلى، وكانت منازلهم بوشقة وبريشتر برز منهم محمد بن عبد الملك المعروف بالطويل، وكان حفيداً لشبريط، ابن عم عمرو بن يوسف، واشتهر إسم شبريط في عهد الأمير الحكم الأول حيث أظهر الولاء والإخلاص للأمويين وتولي حكم وشقة وكان عوناً لابن عمه عمرو في منطقة الثغر الأعلى ولكن بني قسي غلبوا على تلك الأنحاء دهرًا، وحجّبوا بني شبريط وغيرهم من المولدين عن الظهور فلما اضمحل شأن بني قسي، عاد بنو شبريط إلى الظهور، واستطاع الطويل أن يستقر =

= في وشقة وذلك منذ بداية عهد الأمير عبد الله، ثم حاول أن يتوسع بالإغارة على بعض أملاك جيرانه بني قسي. العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٦٥؛ ابن سعيد المغرب، ج ١، ص ٤٢؛ عبد الله عنان، ج ١، ص ٣٤٢، ٣٤٣.

(٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٠؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٦٥.

(٣) محمد بن لب القسوي: محمد بن لب بن موسى بن فرتون بن قسي يعتبر أبرز زعماء بني قسي بالثغر الأعلى منذ أواخر عهد الأمير محمد و خرج على الأمير عبد الله بن محمد في أول ولايته (سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) قال عنه ابن حيان: محمد بن لب كان مع ثورته على السلطان، ونكوبه عن الجماعة، حامياً للثغر، جاهدًا في قتال الفرنج بجيش لهم ويستنفر لغزوهم، فتجمل آثاره في جهاد الطاغية، ولا يأتي مع ذلك في أذى من حوله من بلاد المسلمين وانتهى به الأمر إلى أن حاصر سرقسطة، فقتل وهو محاصر لها، وحمل رأسه إلى الأمير عبد الله (بقرطبة) فأمر برفعه على باب قصر الخلافة ثمانية أيام، ودفن بعدها؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٣٥؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٣٦.

(٤) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٦٥.

سادساً: العجم أو المستعربون:-

وهم النصارى الإِسبان الذين كانوا يتعايشون مع المسلمين ويتكلمون اللغة العربية، وظلوا متمسكين بدينهم، وُسِّموا باسم المستعربين أو عجم أهل الذمة، وكانوا يُكوّنون مجموعات كبيرة في قواعد الأندلس الرئيسية مثل قرطبة وإشبيلية^(١) وطليطلة^(٢) وقد تحدّثوا بلغة خاصة أطلق عليها اسم "عجمية أهل الأندلس" وهي خليط من الأيبيرية القديمة واللاتينية والعربية^(٣)

ولقد شكّل المستعربون غالبية السكان في السنوات الأولى للفتح ثم أصبحوا أقلية إذا ما قورنوا بالمسلمة أو المؤلّدين، وكان هؤلاء النصارى أو الأعاجم يُكوّنون طبقتين داخل المجتمع الأندلسي، طبقةً عليا وهي من كبار النصارى ووجوههم، وطبقةً من العامة وقد غيّر الفاتحون من وضعهم الاجتماعي ومكنّوهم من خدمة الأرض مقابل جزء يسير من إنتاجها يؤدونه للدولة، ويحتفظون هم بأغلبه وكانوا قبل ذلك أقناناً لملوكين^(٤) وعوملوا معاملةً طيبةً وحصلوا على حرية دينية لم يتمتعوا بها من قبل، فأبقاهم موسى بن نصير على أموالهم وضياعهم، مقابل دفع الجزية، وكان لهم رئيس يُعرف باسم قومس^(٥) أهل الذمة يعينه الحاكم الأموي^(٦)

(١) إشبيلية: مدينة بالأندلس تمتاز بطيب هوائها وعذوبة مائها وخصوبة تربتها وكثرة ثمارها، وصيد البر والبحر، فتحت على يد موسى بن نصير. الحميري: الروض المعطار، ص ٥٨، ٥٩؛ المراكشي: المعجب، ص ٨؛ ابن الشباط: وصف الأندلس، ص ١١٠، ١١١.

(٢) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٠٦، ١٠٧.

(٣) عبد البديع لطفي: الإسلام في إسبانيا، ص ٢٢-٢٧.

(٤) Lévi-provençal, L'Espagne musulmane au Xè siècle, Paris, 1953, P160.

(٥) القومس: مشتقة من الكلمة القوطية comes، وتعني رئيس النصارى في النواحي التي فتحها المسلمون أو صالحوها عليها؛ (ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ١٣٠، حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٤٥٩ - ٤٦١.

(٦) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٨؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ١٠٣.

ولهم قاضٍ خاصٌ يَفْصِلُ بينهم في الخصوماتِ ويُسمي بقاضي العجم وإذا اختصم ذمي مع مسلمٍ فكان الاحتكامُ إلى قاضي الجند المسلم، وهو الذي عُرِفَ بعد ذلك بقاضي الجماعة^(١) ولهم طقوسٌ خاصةٌ تُسمى بطقوسِ المُستعربين^(٢) وسمح لهم المسلمون بممارسة شعائهم وطقوسهم الدينية بكل حرية وسمح لهم بقرع النواقيس للصلاة، وقد ذكر ابن حزم قول الوزير أبي عامر أحمد بن عبد الملك^(٣) هذه العادة بقوله:

أَتَيْتَنِي وَهَلَالُ الْجَوْ مَطْلَعُ قُبَيْلَ قَرَعِ النَّصَارَى لِلنَّوَاقِيسِ^(٤)

احتل المعاهدة النصارى مناصبٌ كبيرةً في الدولة والجيش^(٥) مثل عمر بن قومن (Comes) الذي كان كاتباً للأمير عبد الله^(٦)، واسترشد أصحاب الحل والعقد في الأندلس بكبار النصارى في كثير من الأحيان، فقد أشار أرتطباس، الذي عينه العرب بعد الفتح حاكماً على طليطلة ورئيساً للنصارى وزعيماً لعجم الذمة على أبي الخطار بتفريق قبائل الشاميين في الكور تخفيفاً عن قرطبة^(٧) ولعب هؤلاء المعاهدة دوراً كبيراً في ثورة ابن حفصون حيث حاولوا التدخل بالصلح^(٨).

ورغم ما تمتع به هؤلاء النصارى من حسن المعاملة إلا أن رجال الدين النصارى المتعصبين تبَنَوْا حركة الاستشهاد وذلك عندما شعروا أن النصارى سيذوبون في الثقافة العربية

(١) الوثنشرشي: المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣م، ج ١٠، ص ٥٦.

(٢) حسين مؤنس: فجر الأندلس، دار العصر الحديث، دار المناهل، بيروت - لبنان ٢٠٠٢م، ص ٤٦٢.

(٣) الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك: أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن شهيد الملقب بذي الوزارتين، كان وزيراً في زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر، الفتح بن خاقان: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ط، تحقيق محمد علي الشوايكة، دار الرسالة، بيروت ١٩٨٣، ص ١٨٩ - ٢٠٢؛ ابن بسام: النخيرة، ق ١، مج ١، ص ١٩١، ١٩٢.

(٤) ابن حزم: طوق الحمامة، تحقيق الطاهر أحمد مكي، دار الهلال، الرياض ١٩٩٤م، ص ١٣٣.

(٥) Lévi- Provençal 1, P11 et Lévi- Provençal 2, T.1 P.232-234.

(٦) Lévi- Provençal 2, P11.

(٧) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ١٠٣، ١٠٤.

(٨) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٣٨٠.

الإسلامية وذلك في النصف الأول من القرن الثالث الهجري^(١)، وقد حاولت الدولة الأموية إنهاء هذه الحركة بالحسنى إلا أنها لم توفق كثيراً، فحينئذ لجأت إلى الشدة فتمكنت من إخمادها، ولكنها لم تستطع أن تحو ما خلفته هذه الحركة من فجوة بين المسلمين والنصارى، والتي أدت بالنصارى إلى الميل الصريح في جانب أولئك الذين يعملون لهدم الدولة الأموية^(٢) حيث اشتركوا في الثورات ضد الحكومة المركزية، حيث انضموا إلى بربر مدينة ماردة في ثورتهم ضد الأمير عبد الرحمن الأوسط^(٣)، وكذلك شكل المستعربين النصارى كتلة واحدة ضد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) واتجهوا بعواطفهم نحو عمر بن حفصون وبدأ زعيمهم شربند بن حجاج^(٤) يدبر لحركة عصيان، ولكن خبرها تسرب للأمير عبد الله قبل استحكامها، فعالجها بحزم^(٥)، وقبض على من تورط فيها، ولكن زعيمهم شربند بن حجاج تمكن من الفرار والاحتماء بعمر بن حفصون بحصن بلاي^(٦) وكان هؤلاء النصارى المعاهدون يقدمون كل العون للمولدين في ثوراتهم ضد السلطة الحاكمة في الأندلس^(٧) وكان المستعربون النصارى في المدن البعيدة في كثير من الأحيان يحالفون الثوار من المسلمين والبربر والمولدين ويمالئونهم ويعملون على عقد الصلات بينهم وبين الملوك النصارى سعيًا إلى مناوئة

(١) أحمد بدر: دراسات في تاريخ الأندلس، ط٢، دار أطلس، سوريا ١٩٧٢، ص ٢٠٠.

(٢) أحمد بدر: دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(٣) حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٣٦.

(٤) شربند بن حجاج: شربند بن حجاج أو حسان القومس أحد رجال الدين الذين كانوا يتملقون الإمارة الأموية حينما كانت في مركز قوة، حيث حاول أن يكسب ثقة الأمراء الأمويين بطرق مختلفة، وعندما أصبح الأمير عبد الله في موقف ضعيف إنقلب عليه، وخرج هارباً من قرطبة لخوفه من حادث أحدثه فيها، فتقبله عمر بن حفصون وجعله رأساً على رأس كنيسته، فكان يسري بخيل عمر بن حفصون لبلال فيصبح بأحواز قرطبة فتقع الصيحة حوالي قرطبة كل وقت، فأخرج الأمير عبد الله خيلاً أوقعت به فقتلته سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م). ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١١٥، ١١٤؛ أحمد بدر: دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٥٢.

(٥) أحمد بدر: دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٥٣.

(٦) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١١٤، ١١٥.

(٧) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٣٨٢؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٢٧.

حكومة قرطبة وخلق الصعاب في وجهها وعملوا على إثارة الفتن والاضطراب في المملكة الإسلامية^(١).

امتد تشجيع نصارى الشمال إلى المستعربين Los Moza' rabes للاستقرار في مناطق التخوم، ومنحوهم امتيازات، صدرت بشأنها براءات استقرار Cartae Populationis، تملك هؤلاء بموجبها أراضيهم، وشرعوا ينشئون عدداً من القلاع والأدرة^(٢)، إلا أن القومية النصرانية المستعربة ضعفت وتلاشت في أيام المنصور بن أبي عامر وذلك لما أغدقه من عطف ورعاية عليا لكثير من النصاري والمستعربين^(٣).

(١) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٣٨٢؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٢٧.

(٢) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٣٨، ٣٩.

(٣) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٣٨.

سابعاً:- إلى هود :-

تمتع اليهود في ظل الحكم الإسلامي بتسامح كبير وذلك لمؤازرتهم للعرب الفاتحين أثناء عمليات الفتح الإسلامي^(١) حيث دلوا المسلمين على عورات البلاد^(٢) وأشتغل إلى هود كأدلاء لهم وحراس على القلاع والمدن التي يفتحها المسلمين^(٣) وخصوصاً أن التضيق الشديد الذي لاقاه إلى هود على يد ملوك القوط الغربيين جعلهم يميلون إلى المسلمين الذين وثقوا بهم، وعاملوهم معاملة طيبة جداً^(٤) وكان اليهود يؤثرون المقام في أحياء خاصة^(٥)

انتشرت الجماعات اليهودية في معظم المدن الأندلسية كغرناطة^(٦) التي كانت تشمل على أكبر جالية يهودية حتى سُميت بغرناطة اليهود ، حيث اشتهر اليهود فيها بالعلوم والترجمة والطب، وترجموا كتب العرب إلى العبرية واللاتينية^(٧) ، وظهر منهم الطبيب اليهودي حسداي بن شبرت^(٨) وفي قرطبة وجد الحي اليهودي في المدينة بجوار القصر الحاكم والمسجد

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور: المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٢م ، ص ٢٨ .

(٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، ج١، ص ٢٦٨ .

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج ١، ص ١٠٠، ١٠١؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ١٤٣ .

(٤) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب ، ص ٣٦ .

(٥) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٥٤٥ .

(٦) غرناطة: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون وبعد الألف طاء مهملة ومعنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس سمي البلد لحسنه وهي أقدم مدن كورة البيرة وأعظمها وأحصنها يشقها النهر المعروف بنهر قلزم في القديم ويعرف الآن بنهر حذاره يلقط منه سحابة الذهب الخالص وعليه أرحاء كثيرة في داخل المدينة وقد اقتطع منه ساقية كبيرة تخترق نصف المدينة فتعم حماماتها وسقياتها وكثيراً من دور الكبراء وله نهر آخر يقال له سنجل واقتطع لها منه ساقية أخرى تخترق النصف الآخر فتعمه مع كثير من الأرياض وبينها وبين البيرة أربعة فراسخ وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخاً . ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٩٤، ابن سعيد: المغرب ، ج ١، ص ١٠٥ .

(٧) ابن الخطيب: الإحاطة ج١، ص ١٠٢ .

(٨) حسداي بن شبرت: معتن بصناعة الطب، كان مترجماً للناصر ومديراً لإدارته العامة و كان يذهب في سفارات عديدة ويستقبل السفراء القادمين على قرطبة؛ توالي الإشراف على الخزانة العامة و حظي برعاية الناصر وقام بالخدمات الدبلوماسية

الجامع، وأُطلقَ على البابِ الشمالي اسم باب اليهود، وبجوارِ هذا الباب يوجدُ طريقٌ يتجهُ ناحية الشمال الشرقي نحو مقبرةٍ خاصةٍ لليهود وكان في مدينة إشبيلية أعدادٌ منهم، ولم يصدر العرب بحقهم أية تشريعاتٍ خاصةٍ، بل تركوا لهم الحرية في التصرف^(١).

وقد اهتم اليهودُ بأنسابهم وتفاخروا بها وكان بعضهم يتنسبُ نفسه إلى سيدنا موسى وداود عليهم السلام، ويعودُ اهتمامهم بالأنسابِ إلى تأثرهم بالعرب الذين يهتمون به أكثر من غيرهم، كما تكلموا وكتبوا باللغة العربية واستخدموا العجمية في أحيانٍ أخرى، واعتادوا أن يتخذوا اسمين أحدهما عبري والآخر عربي^(٢)، وفي كل مدينةٍ بها طائفةٌ يهوديةٌ كان يوجدُ بها مجلسٌ يسمى بمجلس الشيوخ، كانت مهمته الإشرافُ على تنظيم الحياة اليهودية في مختلف النواحي^(٣) وأشتهر اليهودُ بتجارة الرقيق وخاصةً الصقالبة^(٤)، واشتركوا بصورةٍ فعالةٍ في الحياة الثقافية، وأغلبُ تراثِ الأندلسِ جرى نقله إلى اللغة اللاتينية على أيدي مترجمين يهود^(٥)، وكان لليهود دور بارز في الحياة السياسية حيث عمل ابن شاليب اليهودي، وزيراً عند ألفونسو السادس الذي أرسله بسفارةٍ ومعه خمسمائة فارس إلى المعتمد بن عباد لطلب الجزية سنة

وترجم كتاب ديسغوريس عن الأعشاب الطبية، من اليونانية إلى العربية، وخدم الحكم بن عبد الرحمن الناصر (٣٥٠هـ / ٩٦١م) وكان من أحبار اليهود متقدماً في علم شريعتهم وهو أول من فتح لأهل الأندلس منهم باب علمهم من الفقه والتاريخ، وكانوا قبل يضطرون في فقه دينهم وسنن تاريخهم ومواقيت أعيادهم إلى يهود بغداد، فلما اتصل حسداي بالحكم ونال عنده نهاية الحظوة توصل به إلى استعجاب ما شاء من تأليف اليهود بالمشرق، فعلم حينئذ يهود الأندلس ما كانوا قبل يجهلونه. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء تحقيق نزار رضا، دار الحياة، بيروت (د. ت)، ص ٤٩٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٢٢.

(١) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٥٤٥، ٥٤٦.

(٢) خالد يونس الخالدي: اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس (٩٢هـ / ٨٩٧م) (د. ت) ص ٢١٠.

(٣) فجر الأندلس: حسين مؤنس، ص ٥٤٥.

(٤) الصقالبة: أجناس متعددة من الروس والبلغار والصرب والسلاف من أصول أسيوية تسكن القوقاز حول البحر الأسود، وهم الخدم المستجلبون من الشمال، وأصلهم أساري أسرتهم الجيوش الجرمانية في حروبها مع السلافيين، ثم حملوا إلى الأندلس وبيعوا بها؛ والبعض منهم كان من أسري القراصنة الذين كانوا يطوفون في مياه الألبين المتوسط؛ واستجلب اليهود، من كان منهم خاصاً بخدمة الحريم، من فرنسا، خصوصاً المسعودي: مروج الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط ٥، بيروت ١٩٧٣، ج ٢، ص ٣٣.

(٥) عباد كيجيلة: تاريخ النصارى، ص ١٨٤.

(٤٧٥هـ/١٠٨٢م) وتسبب تشدد ابن شاليب في طلباته من المعتمد بن عباد في قتله واتخاذ فرسان ألفونسو السادس رهائن عنده، وعندما علم ألفونسو السادس بما حصل لوزيره وفرسانه القشتاليين، أرسل إلى المعتمد يطلب منه إطلاقهم ، فاشتراط المعتمد لذلك تخلي ألفونسو السادس عن حصن المدور^(١) . فوافق ألفونسو، ولكنه تواعد بالرد^(٢) فكان قيام المعتمد بن عباد باحتجاز جنود ألفونسو السادس رهائن عنده سبباً مباشراً لقيام ألفونسو السادس بغزوه.

ثامنا: العبيد الصقالبة:-

حوى المجتمع الأندلسي العبيد و الصقالبة وهم الذين جُلبوا من بعض مناطق أوروبا من سواحل البحر الأسود ومن إيطاليا إلى الأندلس، وعملوا حراساً وخداماً في المنازل مع بعض نساء العبيد^(٣)، وكلمة صقلي اشتقت في الأصل من كلمة (Esclave) ومعناها العبد أو الرقيق أو الأسير، وكان هؤلاء الصقالبة من الرقيق والخصيان الذين يُؤتى بهم بالأخص من بلاد الفرنج^(٤) وحوض الدانوب وبلاد الومبارد ومختلف نُغور البحر المتوسط، وكان يُؤتى بهم أطفالاً من الجنسيتين ويُرَبَّون تربية إسلامية ثم يُدربون على أعمال البطانة وشئون القصر،

(١) عبد الله بلقين: التبيان، ص ١٠١، ١٠٢؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٤٤، ٢٤٥؛ المراكشي: الحلال الموشية، ص ٤٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٣، ص ٧٣.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص ٢٨٨؛ المقري: نفح الطيب، ج ٤، ص ٣٥٨ .

(٣) عباد كحيلة تاريخ إسبانيا، ص ٣٥ - ٣٩ .

(٤) دولة الفرنجة: هي بلاد الغال أو غاليس أو غالة وتقع خلف جبال البرتاب التي تفصل الأندلس عن أوروبا وكانت تطلق على القسم الجنوبي من فرنسا الحالية وقد استعملت هذه التسمية لتدل في بعض الأحيان على الإمبراطورية الرومانية أيام شارلمان؛ تأسست على يد كلوفس زعيم الأسرة الميروفنجية في أواخر القرن الخامس الميلادي، وتوسعت في بداية النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، آل الحكم فيها إلى الأسرة الكارولنجية على يد بين القصير بن شارل مارتل، وبعد وفاته سنة (١٥١هـ/ ٧٦٨ م) قسمت الدولة بين ابنه كارلومان وشارلمان، الذي نجح في الإنفراد بالحكم عام (١٥٥هـ/ ٧٧١ م) بعد وفاة أخيه؛ لمزيد من التفصيل ينظر: البكري: جغرافية الأندلس، ص ١٤٣-١٤٥؛ القزويني: أثار البلاد، ص ٩٨؛ فشر: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة - السيد الباز العريني، دار المعارف، القاهرة، (د. ت)، ج ١، ص ٢٤، ٧٦، ٨٣، ٨٧؛ مرسي النسيخ: دولة الفرنجة، ص ١٣ - ٢٠ .

ويعلمونهم اللغة العربية وفنون الفروسية وآداب المجتمع الأندلسي وقد سما شأنهم فيما بعد وتولوا مناصب الرياسة والقيادة^(١) وكان الأمير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م) أول من استكثر منهم وأخذ منهم حرساً خاصاً له ، لجلب منهم خمسة آلاف وأطلق عليهم اسم الخُرس^(٢) .

وكثر عدد الصقالبة الموالي أيام الخلافة، وصار لهم ذكر وصيت. يقول ابن عذاري المراكشي: "...وكانوا أبهى حلل المملكة وأخص عددها، عني الخلفاء يجمعهم والاستكثار منهم". وبلغوا حظوةً عند الحكم ما بعدها حظوة، فعلي الرغم مما ظهر منهم من أمورٍ قبيحة فإنه كان يقول: "هم أمانة وثقاتنا على الحریم، فينبغي للرعية أن تلين لهم وترفق في معاملتهم فتسلم من معرفتهم، إذ ليس يمكننا في كل وقت الإنكار عليهم" وازدادت سطوة الصقالبة بعد موت الحكم حتى ظنوا أن "لا غالب لهم وأن الملك بأيديهم"^(٣) .

وبلغ عدد الفتيان الصقالبة بمدينة الزهراء^(٤) (١٣,٧٥٠) فت وعدد النساء الصغار والكبار وخدم الخدمة (٦٣١٤) امرأة في عهد خليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)^(٥) .

(١) ابن سعيد: المغرب، ج١، ص١٣، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٠٩؛ رينهارت دوزي: تاريخ مسلمي إسبانيا، ج١، ص ٢٣٥؛ عبد البديع لطفی: الإسلام في إسبانيا، مكتبة النهضة العربية ١٩٥٨، ص ٢٦ .

(٢) ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٦٣ .
(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٢٥٩ .

(٤) مدينة الزهراء: ما زالت بقايا هذه المدينة قائمة على بعد ثمانية كيلو مترات شمال غرب قرطبة على سفح جبل العروس، وواضح أن الدافع لإدخالها هو رغبة الخليفة عبد الرحمن الناصر في إقامة مدينة ملكية خاصة أو دار للخلافة السنوية الجديدة التي أقامها في الأندلس، وإن كانت المصادر الأندلسية تشير إلى أنه بناها تكريماً لذكرى جارية له اسمها الزهراء، وتشير المصادر إلى المهندس العربي الذي أشرف على هذا البناء، وهو سلمة بن عبد الله، وكان البدء في بنائها في فاتحة المحرم سنة (٣٢٥هـ/نوفمبر ٩٣٦م) واستمر العمل في منشآت الزهراء طوال عهد الناصر حتى وفاته في سنة (٣٥٠هـ/٩١١م)، واستمر العمل معظم عهد ابنه الحكم المستنصر، واستغرق بذلك من عهد الخلفيتين زهاء أربعين سنة . ابن الكردبوس: الإكتفاء في أخبار الخلفاء، هامش ص ٥٨ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٢٣١- ٢٣٣؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٤، ص ٤٦-٤٧؛ الحميري: الروض المعطار ، ص ٢٨٣-٢٨٤؛ المقرئ: نفع الطيب، ج١، ص ٥٦٥ ، ٥٦٦ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، الصفحت، ٤٣٧- ٤٤٠؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب ، ص ١٨٢، ١٨٣ .

(٥) ابن عذاري: البيان ، ج٢، ص ٢٢٣؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلم ، ص ٤٠ ، ٤١؛ المقرئ: نفع الطيب، ج١، ص ٥٦٧ .

وكان للصقلية تأثير كبير خصوصاً وأنهم كانوا في خدمة أصحاب القرار، وقيادة الجيش، وكان لهم قول مسموع في نساء القصر ولدى أهل السلطة فجمعوا الأموال وملكوا الأراضي والعبيد، وتقلدوا وظائف سامية في الدولة والجيش أيام الناصر^(١). وأصبحوا إحدى القوى الرئيسية التي لعبت دوراً هاماً في التاريخ الأندلسي، فقد حازوا ثقة الخلفاء وتقلدوا المناصب الرفيعة في الدولة، كصاحب البرد، وصاحب السكة، وصاحب الطراز، وتولى بعضهم مناصب القيادة العسكرية، وأصبحوا يتحكمون في مداخل القصر ومخارجه في عصر الخليفة المستنصر، ولما توزعت الطوائف فيما بينها ببلاد الأندلس استأثرت طائفة الصقلية بشرق الأندلس وكونوا الممالك، فكانت بلنسية من نصيب مبارك والمظفر الصقليين وآلت طرطوشة إلى لبيب الصقلي، وسيطر على المريه خيران العامري ثم زهير^(٢). وسيطر أبو الجيش مجاهد العامري^(٣) على مدينة دانية، واستطاع الاستيلاء على جزيرة سردانية سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م)، فاجتمعت القوى النصرانية عليه وقامت بطرده من الجزيرة واتخذوا بنه رهينة لمدة عشر سنوات كاملة وذلك لمنع مجاهد من القيام بأية مغامرة أخرى ولم يرتضوا إطلاق سراحه إلا بعد أن دفع لهم مجاهد فدية هائلة وقطع على نفسه أوثق العهود بأن يتركهم في سلام وألا يعود إلى إزعاجهم وذلك في سنة (٤١٧هـ/١٠٢٦م)^(٤)

(١) المقرئ: نفع الطيب، ج٢، ص ٢٣٢.

(٢) محمد أبو الفضل: مدينة المرية، ص ٧٩، ٨٠.

(٣) مجاهد العامري: هو أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامري الملقب بالموفق بالله صاحب دانية والجزائر الشرقية، كان مملوكاً للمنصور بن أبي عامر فنسب إليه، وتعلم مع بنيه الأدب والرمية وركوب الخيل، ولما كانت فتنة " البربر " خرج مجاهد من قرطبة، وتبعه جمع من موالى ابن أبي عامر، وبعض جيش الأندلس، فدخل بهم طرطوشة، وانتقل إلى دانية فاستقل بها سنة (٤١٢هـ/١٠٢١م) واستولى على الجزائر القريبة منها، وغزا جزيرة سردانية، وكان حازماً يقظاً شجاعاً، عارفاً بالأدب وعلوم القرآن، نعته بعض مؤرخيه بأنه قتي أمراء دهره وأدب ملوك عصره، وتوفي سنة (٤٣٦هـ/١٠٤٤م). ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٣، ص ٢٤-٢٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص ١٥٥، ١٥٦؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢١٨، ٢١٩.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٢٧٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص ١٥٥؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢١٩. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٣، ص ١٩٥.

هذا وبعدُ دراسةِ عناصرِ السكانِ يتضح أن الخلط السكاني المتعدد الأجناس لعب دوراً هاماً في صنع تاريخ الأندلس وفي توجيه الصراع بين مكوناته العصبية، وقد ظهر ذلك جلياً فيما نشب من صراع بين العرب والبربر من جهة وبين العرب أنفسهم من جهةٍ أخرى^(١) ، وكذلك موقف المولدين في الأندلس من الحكم الأموي وعلاقتهم مع نصارى الشمال وما يقومون به من ثورات مستمرة^(٢) .

والحكم في الأندلس، منذ بداية الأمويين وحتى الأفول، ظل متأثراً بما كان لهذه العناصر من قوة قد تزداد وقد تضعف تبعاً للغلبة أو الانحدار اللذين كانا من ثمرات الانقسامات داخل سلطة العائلة الواحدة، أو الصراع الذي كان يحدث بين الدويلات أو التهديدات التي كانت ترد من قوةٍ خارجيةٍ شمالاً وجنوباً، زيادةً على ما كانت تحدته العناصر غير العربية من فتنٍ أو ثوراتٍ أو تطلعاتٍ تريدُ بها علو كرسی السلطة.

وهكذا يتبين أن المجتمع الأندلسي حوى تناقضات عنصرية وقومية، هددت وحدته الداخلية، فأصبحت صورة الحكم في الأندلس رهينة النزاعات الداخلية والمناوشات الخارجية والصراعات السياسية التي أفرزت الحاجة الملحة لاتخاذ رهائن بين الفئات المتصارعة ضماناً لعدم الخروج أو بسط السيطرة أو الهيمنة الروحية أو كدليل على الوفاء بالالتزامات.

(١) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٦٩ .

(٢) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٢١، ١٢٢ .

الفصلُ الثاني

رهائنُ الصراعاتِ الداخليةِ والخارجيةِ في الأندلسِ منذُ الفتحِ الإسلامي حتى نهايةِ

عصرِ الولاةِ (٩٥ - ١٣٨ هـ / ٧١٤ - ٧٥٦ م).

أولاً: رهائنُ الصراعاتِ الداخليةِ

١ - الرهائنُ في جيشِ فتحِ الأندلسِ.

٢ - رهائنُ الصراعاتِ الداخليةِ خلالِ عصرِ الولاةِ (٩٥ - ١٣٨ هـ / ٧١٤ -

٧٥٦ م).

ثانياً: - رهائنُ الصراعاتِ الخارجيةِ.

١ - رهائنُ لفتحِ الأندلسِ.

٢ - رهائنُ الصراعاتِ الخارجيةِ خلالِ عصرِ الولاةِ.

الرهائنُ في جيشِ فتحِ الأندلس:

يذكر ابنُ عذاري (ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م) صراحةً: " أن طارق بن زياد جازاً إلى الأندلس برهائن البربر سنة (٩٢هـ / ٧١٠م) " ^(١)، ويذكر في موضع آخر أن موسى بن نصير ترك عند طارق بن زياد رهائن برابرة المغرب في سنة (٨٦هـ / ٧٠٥م) وأن طارق جاز بهم إلى الأندلس ^(٢)، ويؤيده فيما ذهب إليه عبيد الله بن صالح ^(٣) الذي يقدم معلومة أكثر تفصيلاً حيث يذكر قائلاً: " وبرهائن الصامدة جاز طارق بن زياد إلى جزيرة الأندلس " ^(٤).

فما سيرة هؤلاء الرهائن؟ هل كانوا رهائن حروب ومعاهدات أخذوا كراهية أم رهائن طوعيين؟ هل كانوا من أبناء رؤساء قبائل البربر أم من العوام؟ ولماذا أشركهم المسلمون في فتح الأندلس؟ ألم يخش المسلمون خيانتهم! أم أراد المسلمون جعلهم دروعاً بشرية للجيش الفاتح؟ أم أنهم أسلموا وحسن إسلامهم عندما ظلمت راية الإسلام ربوع المغرب واستقر

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٤٣، ج ٢، ص ٥؛ عبيد الله بن صالح: فتح العرب للمغرب، مج ٢، ص ٢٢٤.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٥.
(٣) عبيد الله بن صالح: عبيد الله بن صالح بن عبد الحليم، وهو ابن أبي علي صالح الذي اعتمد عليه ابن عذاري، ومن الممكن أن يكون عبيد هذا قد قام بتسجيل المعلومات التي سمعها من أبيه، وعلى أية حال فإن عبيد الله بن صالح قد كان معاصراً لابن عذاري الذي توفي حوالي (٦٩٥هـ / ١٢٩٥م)، وتتناول رواية عبيد الله عن فتح إفريقية الفترة بين سنتي (٢٧-٩٢هـ / ٦٤٧-٧١١م). عبيد الله بن صالح: فتح العرب للمغرب، مج ٢، ص ٢٠٢؛ أعلام الأعلام: الزركلي، ج ٧، ص ٩٥.

(٤) عبيد الله بن صالح: فتح العرب للمغرب، مج ٢، ص ٢٢٤.

الإسلامُ في قلوبهم؟ أسئلةٌ عديدةٌ وكثيرةٌ تُطلُّ برأسها لمورد هذا الخبر، وذلك من مدي صحة هذا الخبر ودقته ومقصده، وما التفسيرُ الصحيحُ لوجود هؤلاء الرهائن في جيش الفتح؟ ويؤكدُ على ذلك قولُ الرقيقِ القيرواني (٤٢٥هـ/١٠٣٤م) ^(٥) "أن موسى بن نصير استعمل على طنجة طارق بن زياد مولاه، وتركه في سبعةٍ وعشرين رجلاً من العرب، واثنى عشر ألف فارساً وكانوا قد دخلوا الإسلامَ وحسنُ إسلامهم، وأمر موسى بن نصير العرب السبعة والعشرين الذين تركهم عند طارق بن زياد أن يعلموا البربر القرآن وأن يفقهوهم في الدين" ^(٦).

كما يذكرُ ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) أنَّ موسى بن نصير أخذ رهائن المصامدة وأنزلهم بطنجة وذلك سنة (٨٨هـ/٧٠٦م) وولى عليها طارق بن زياد اللبثي ثم أجاز طارق إلى الأندلس ^(٧) وورد الخبر كذلك في كتاب الإستقصا: "غزا موسى بن نصير طنجة وافتتح درعه وصحراء تافيلالت وأرسل ابنه إلى السوس فأذعن البربر لسلطانه وأخذ رهائن من المصامدة فأنزلهم بطنجة وذلك سنة (٨٨هـ/٧٠٦م) وولى عليها طارق بن زياد اللبثي وأنزل معه سبعةً وعشرين ألفاً من العرب واثنى عشر ألفاً من البربر وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه قال ثم أسلم بقية البربر على يد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر سنة

(٥) الرقيق القيرواني: هو إبراهيم بن القاسم، أبو إسحاق، المعروف بالرقيق أو ابن الرقيق، مؤرخ أديب من أهل القيروان، كان يلي كتابة الحضرة في الدولة الصنهاجية، واستمر فيها زهاء نصف قرن، ورحل إلى مصر سنة (٣٨٨هـ / ٩٩٨م) يحمل هدية من باديس ابن زيري إلى الحاكم، وعاد إلى وطنه فتوفي فيه على الأرجح، وصفه ابن رشيق (صاحب العدة) بأنه: شاعر سهل الكلام محكمه، لطيف الطبع، غلب عليه اسم الكتابة وعلم التاريخ وتآليف الأخبار وهو بذلك أحكم الناس، وقال ابن خلدون (في المقدمة): ابن الرقيق، مؤرخ إفريقية والنول التي كانت بالقيروان ولم يأت من بعده إلا مقلد، ونعته ياقوت (في معجم الأدباء) بالكاظم وأورد أسماء كتبه منها: (تاريخ إفريقية والمغرب) عدة مجلدات، و(كتاب النساء) و(نظم السلوك في مسامرة الملوك)، وله (قطب السورور في وصف الأنثى والخمر)، توفي نحو (٤٢٥هـ / ١٠٣٤م). الأعلام: الزركلي، ج ١، ص ٥٧.

(٦) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم، دار الفرجاني، القاهرة ١٩٩٤، ص ٥٢.

(٧) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٨٨.

(١٠١هـ/٧١٩م) خلال عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م)^(٨).

ويسوق لنا ابنُ عذاري خبرَ هؤلاء الرهائن قائلاً: "إن موسى بن نصير (٧٨-٩٥هـ/٦٩٧-٧١٥م) في أثناء سيره لفتح بلاد المغرب نجد أنه أغارَ على قبائل هوارة وزناته وكامة وقتلهم وسباهم، فقدمت قبيلة كامة على موسى بن نصير فولى عليهم رجلاً منهم، وأخذ منهم رهائن من خيارهم"^(٩)، وذكر ابنُ عذاري كذلك: "أن موسى بن نصير بعث إثر بيعته للوليد، في هذه السنة المؤرخة، زرعة بن أبي مدرك"^(١٠) إلى قبائل البربر، فلم يلقَ حرباً منهم، فرغبوا في الصلح منه، فوجه رؤساءهم إلى موسى بن نصير، فقبض رهونهم، فأخذ رهائن من كامة وزناته وهوارة، وحمل إليهم أبو مدرك زرعة بن أبي مدرك رهائن المصامدة لجمعهم موسى مع رهائن البربر الذين أخذهم من إفريقية والمغرب، وجمعهم مع رهائن حسان في طنجة، وجعل عليهم مولاة طارقاً، ودخل بهم الأندلس، وتركض موسى بن نصير سبعة عشرة رجلاً من العرب يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام"^(١١) وفي رواية الرقيق القيرواني أنه ترك عليهم سبعة وعشرين رجلاً من العرب ليعلموهم أمور الدين"^(١٢).

وفي سنة (٩٢هـ/٧١١م) جازَ طارقُ إلى الأندلس وأفتتحها بمن كان معه من العرب والبربر ورهائهم الذين تركهم موسى عنده والذين أخذهم حسان من المغرب الأوسط

(٨) السلاوي: الإستقصا، ج١، ص ١٥٢.

(٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٤١.

(١٠) زرعة بن أبي مدرك: ولاء موسى بن نصير على قبيلة مصمودة عندما عقد الصلح مع موسى وحمل له رهائن المصامدة واشترك مدرك في فتح الأندلس، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٤٢.

(١١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٤٢؛ عبيد الله بن صالح: فتح العرب للمغرب، مج٢، ص ٢٢٤.

(١٢) الرقيق: تاريخ إفريقية والمغرب، ص ٥١.

قبله^(١٣) ونستدلُّ من النصوص السابقة أن هؤلاء الرهائن كانوا من قبائل البربر من المغرب وخاصةً من قبائل كُتامة وقبائل المصامدة، وأنَّ هؤلاء الرهائن كانوا من خيار هذه القبائل، فالرهائن قد أخذوا ضماناً لاحترام العهد والمواثيق^(١٤) وأن سياسة (حسان بن النعمان وموسي بن نصير) في أخذ الرهائن من هذه القبائل مشروطةٌ على أن يكونوا من خيارهم وذلك لتعليمهم الإسلام وحتى يتمكن الإسلام من قلوبهم بتلقيه من التابعين الذين اشتركوا في فتح الأندلس^(١٥)، ويؤكد ذلك النصوص السابقة أن عدد الرهائن الذين جاز بهم طارق بن زياد للأندلس كان عددهم كبيراً بدليل أن موسى بن نصير جعل سبعة عشرة رجلاً من العرب يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام^(١٦).

الدليل الثاني: أن موسى بن نصير ترك عند طارق بن زياد في طنجة رهائن البربر الذين أخذهم من القبائل ومعهم الرهائن الذين أخذهم حسان بن النعمان قبله (٨٣هـ/٧٠٢م) ولكننا سرعان ما نجد أنفسنا أمام سؤالٍ يطرح نفسه وهو كم عدد الرهائن الذين أخذهم حسان بن النعمان من برايرة المغرب؟ يذكر ذلك ابن عذاري: أن حسان بن النعمان بعد انتصاره على الكاهنة (٨٣هـ/٧٠٢م) في معركة بئر الكاهنة "جاءه جماعة من البربر استأمنوا إليه، فلم يقبل أمانهم إلا أن يعطوه إثني عشر ألفاً يجاهدون مع العرب، فأجابوه وأسلموا على يديه، فعقد لولدي الكاهنة، لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس، وأخرجهم مع العرب يحولون في المغرب يقاتلون الروم ومن كفر من البربر، وأنصرف حسان إلى مدينة

(١٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٤٢.

(١٤) الحريري: الدولة الرستمية، ص ٤١.

(١٥) لقد إشتملت القوة الأولى التي فتحت الأندلس على مجموعة من التابعين وصل عددهم إلى ثمانية وعشرين رجلاً لمزيد من التفاصيل أنظر: الحميدى: جذوة المقتبس، ص ٦؛ الضبي: بغية الملتبس، ج ١، ص ٣٠، ٣١؛ ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلوة، ج ١، ص ٢٨٣؛ المراكشي: المعجب، ج ١، ص ١٤؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٩٧؛ المقرئ: فنج الطيب، ج ١، ص ٢٨٨.

(١٦) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٠١، ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٤٢.

القيروان بعد أن حَسُنُ إسلامُ البربر، وذلك في شهر رمضان سنة (٨٢هـ/٧٠١م) حيثُ استقامتُ بلادُ إفريقية لحسان، فدَوَّنَ الدواوينَ، وصالحَ على الخراج (١٧).
يتضحُ أن حسانَ بن النعمان أخذ اثنتي عشرة ألفاً رهينةً لينشر في صفوفهم الدينَ الإسلامي ويدعم بهم الجيشَ لتحقيقِ الانتصارات كما ساهم هؤلاءُ الرهائنُ في نشرِ الإسلامِ بين ذويهم فيما بعد، وشاركوا في الفتوحاتِ ونالوا نصيبهم من الغنائم ومن الأراضي وارتقي العديدُ منهم في الرتبِ العسكرية، وهذا دليلٌ على تعاملِ القادة مع السكان الأصليين حيثُ أن المسلمين أرادوا نشرَ كلمة التوحيد ورفعَ رايةَ الإسلامِ إلى أبعدِ ما تسمحُ به الظروفُ والإمكاناتُ المتاحة.

تولي طارقُ بنُ زياد على طنجة سنة (٨٥هـ/٧٠٤م) وكانت بداية فتح الأندلس (١٨) في (الخامس من رجب سنة ٩٢هـ/٢٧ أبريل سنة ٧١١م) فنستدلُّ من ذلك أن الإسلامَ قد استقرَّ في قلوبِ البربرِ بسببِ سياسةِ حسان بن النعمان القائمة على دمجِ البربرِ مع المسلمين بأخذه للرهائن، وسياسة موسى بن نصير القائمة على تمزيقِ أي ثورةٍ يقومُ بها البربر بيدٍ من حديدٍ والإعلاء من شأنِ قادتهم وتوليّتهم المناصب والقيادة (١٩).
كانتُ رهائنُ حسان بن النعمان قد مرَّ على أخذهم عشر سنواتٍ وهم في معاركٍ حربيٍّ مستمرةٍ في المغربِ ضدَّ الروم ومن كفرَ من البربر، وهم بذلك طيلة العشرِ سنواتِ

(١٧) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص ٤٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٣٨؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ١٥٠.

(١٨) خريطة فتح الأندلس، انظر ملاحق الرسالة، ص ٣٣٢.

(١٩) نجد أن موسى بن نصير أسند العديد من الأمور الكبيرة لقادة من البربر وذلك لثقته الزائدة في تمكن الإسلام من قلوبهم وثقتهم في مواهبهم، حيث أنه جعل طريف بن مالك على رأس الجيش الذي قام باستكشاف الأندلس وجعل طارق بن زياد حاكماً على مدينة طنجة وما يليها وهي يومئذٍ أخطر بقاع المغرب الأقصى وأشدّها اضطراباً وجعله كذلك على رأس جيش الفتح وهم من البربر. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٤٠، ٤١؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ٢٣.

قد تشربوا تعاليم الدين الإسلامي، واكتسبوا العديد من المهارات التي تؤهلهم لأن يكونوا قادة فتح الأندلس فيما بعد.

حرصُ حسانُ بنُ النعمان وموسى بنُ نصير على تعليم هؤلاء الرهائن أمرَ الدين الإسلامي، والدليل على ذلك هو أنَّ حسان بن النعمان خصَّص ثلاثة عشر فقيهاً من التابعين لتعليم البربر اللغة العربية والفقه ومبادئ الإسلام^(٢٠)، وكذلك موسى بن نصير الذي جعل على رهائن البربر في مدينة طنجة سبعة عشر فقيهاً من التابعين لتعليمهم القرآن وشرائع الإسلام^(٢١)، وبذلك يضمّنوا إسلام هذه القبائل البربرية الكبيرة واستقرار الإسلام في قلوبهم بإسلام رؤسائهم، فتلقي الرهائن البربر من المسلمين معاملةً حسنةً بدليل أنهم أسلموا وحسن إسلامهم واشتركوا في جيش فتح الأندلس.

وقد أشرك العرب رهائن البربر في جيش الفتح لثقتهم الكاملة في إسلامهم وتمكن الدين من قلوبهم، ولم يكن غرض المسلمين أن يجعلوا رهائن البربر دروعاً بشريةً لفتح الأندلس أو يستعينوا بهم في القتال والأدلة على ذلك كثيرةٌ أولاً أن المسلمين لا يستعينون بالمشرّكين في الجهاد في سبيل الله إلا في ظروفٍ ضيقة^(٢٢).

ثانياً: يكفي الحماس الشديد للجيش الفاتح للأندلس، وما حققه من نتائج تعكس حسن معاملة المسلمين لهم وتوضّح جلياً مدى النجاح الذي وصل إليه علماء المسلمين في شحن معنويات البربر (الرهائن والجنود) الذين أسلموا فأصبحوا حاملين لواء الإسلام في ميادين

(٢٠) الصلابي: الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداخيات الإنهيار، ج ٢، ص ١٨.
(٢١) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص ٤٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٤٢؛ السلاوي: الاستقصا، ج ١، ص ١٥٠.

(٢٢) أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، ط ٢، تحقيق محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان ١٩٨٨م، ج ١٧، ص ٢٥٩.

الجهاد في إسبانيا وفرنسا، والشواهد على ذلك كثيرة منها: اشتراكُ زرعة بن أبي مدرك الذي ولاه موسى بن نصير على قبيلة مصمودة البربرية في فتح الأندلس (٢٣) ثالثاً: أنَّ البربر الذين اشتركوا في فتح الأندلس حصلوا على نصيبهم من غنائم الفتح مثلهم مثل العرب تماماً.

وكذلك أنَّ هؤلاء الرهائن كان لهم على تواجد واضح على المستوي العسكري والاجتماعي والسياسي، فالعسكري جوازهم مع طارق بن زياد لفتح الأندلس سنة (٩٢هـ/٧١٠م) (٢٤) وعلى المستوي الاجتماعي نجد أنَّ هؤلاء الرهائن عملوا على نشر الدين الإسلامي بالأندلس (٢٥) لأنهم احتكوا بالعرب احتكاً مباشراً وتلقوا تعاليم الدين الإسلامي من التابعين، والسياسي: ظهورهم على ساحة الأحداث السياسية في الأندلس.

ونلاحظ أنَّ الغرض من أخذ رهائن البربر اختلف من قائدٍ لآخر في فتح بلاد المغرب، وذلك بعد الغرض الأساسي وهو نشر الإسلام، فكان مقصدُ حسان بن النعمان هو نشر الإسلام بين خيار وقادة البربر ومن ثم تتبعهم قبائلهم، وكان غرضُ موسى بن نصير هو ضمان الولاة وإحكام السيطرة العسكرية، وضمان عدم حدوث تحالفات بين رؤساء قبائل البربر والبيزنطيين.

(٢٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ١، ص ٤٢؛ الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتدايعات الانهيار، ج ١، ص ٣٧٨.

(٢٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ١، ص ٤٣، ج ٢، ص ٥.

(٢٥) لقد نزل البربر في مناطق متفرقة من الأندلس، أو في بعض الهضاب حسيماً راق لهم ذلك، واستطاع كل من العرب والبربر الامتزاج بأهالي البلاد الأصليين وارتبطوا معهم برباط الزواج، وكان للبربر خاصة أثر عظيم في انتشار الإسلام في الأندلس بسبب قرب مزاجهم وطباعهم من أولئك السكان، هذا إلى أن البربر بسبب حداثة عهدهم بالإسلام كانوا شديدي الحماسة للدين الجديد لأنه صار رمز سيادتهم وعزهم، وحرص موسى بن نصير على ترك حاميات من جيشه في المدن التي فتحها، وهذا هو الأمر الذي جعل معظم أرجاء أسبانيا تعمر بالفاتحين الجند وتمهد أسبانيا في سرعة ويسر لاعتماد الدين الإسلامي الحنيف. حسين مؤنس: فتح الأندلس، ص ٤٣٢، ٤٣٣؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص ٢٣؛ محمود خطاب: قادة فتح الأندلس، ج ١، ص ٢٦٣.

وعندما أدرك البربرُ جوهرَ الرسالةِ الساميةِ التي يحملها العرب، وأنهم لم يأتوا من أجل مغنمٍ أو كسبٍ مادي، تعاونوا معهم وامتزجوا بهم، ووحدَ الإسلامُ بينهم، فأصبحوا قوةً كبيرةً في المنطقة، واعتمدَ العربُ على البربرِ اعتماداً كبيراً، لا سيما في عهد موسى بن نصير حيثُ عهد إلى زعماء من البربر بقيادة الجيوش الإسلامية التي استمرت تؤدي رسالتها في استكمال تحرير شمال أفريقيا، وبفضل هذا التعاون الفعال استطاع العربُ والبربر أن يحققوا فتحَ إسبانيا (٢٦).

وهذا يوضحُ أن أخذَ الرهائن كان خطوةً في غايةِ الذكاء من المسلمين، حيثُ أنهم أخذوا خيارَ القبائلِ رهائن ليس بغرضِ الاحتجازِ ولكن لغرضِ سامٍ ونبيلٍ للغاية وهو تعليمهم الدينَ الإسلامي وجعلهم جنوداً لرفعِ رايةِ الإسلام، فباتخاذهم رهائن ضمن المسلمون ولاء القبائل البربرية ودخول أهلها الإسلام أسوةً بقادتهم من ناحيةٍ ومن ناحيةٍ أخرى ضمنوا الإسلام الصحيح لقادتهم الذين اشتركوا في الفتوحات الإسلامية عن حبٍ وحماسٍ شديدٍ للدين الإسلامي، وكان لهم نصيبٌ من الغنائم (٢٧).

وسياسةُ أخذِ الرهائن التي ابتدعها حسان بن النعمان وتوسّع فيها موسى بن نصير قد أدت إلى نمو حركةِ التعريبِ وانتشارِ الإسلام وأقرت الأوضاعَ نهائياً لصالح المسلمين في بلاد المغرب (٢٨)، وتتفق الرواياتُ على أن الجنودَ الذين جازَ بهم طارق بن زياد للأندلس هم رهائنُ البربرِ.

(٢٦) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص ٢٣؛ محمود خطاب: قادة فتح الأندلس، ج ١، ص ٦٩.

(٢٧) ابن الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٠١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٢.

(٢٨) الحريري: الدولة الرسمية، ص ٤٦.

وقبلَ الإقدام على فتح الأندلسِ طلبَ الوليدُ بنُ عبد الملك من عامله موسى بن نصير أن يَختبرها

بالسرايا (٢٩)، فأرسل موسى بن نصير أحد مواليه ويدعي طريف بن مالك المعافري (٣٠)، وهو من البربر في سريةٍ صغيرةٍ مؤلفةٍ من أربعمئة راجل ومائة فارس وذلك في (رمضان سنة ٩١هـ/ يولييه سنة ٧١٠ م) (٣١) وعادت سريةُ طريف محملةً بالغنائم مما شجع الناس على دخولِ إسبانيا (٣٢)، وأخبر يليان موسى بن نصير بما كان منه ومن طريف وما نالوه من أهلها وباشروه من طيها فحمد الله على ذلك، واستجد عازماً في إحقام المسلمين فيها فدعا مولي له يسمى طارق بن زياد بن عبد الله فعقد له موسى وبعثه في جيش من إثني عشر ألف مقاتل: عشرة آلاف من البربرِ وألفين من العربِ وسبعمئة من السودان (٣٣) وأرسل معه يوليان وأتباعه ليدله على عوراتِ البلاد (٣٤)، ونزل طارق على البقعة الصخرية المقلبة التي مازالت تحمل اسمه إلى اليوم وذلك يومُ (الاثنين الخامس من رجب سنة ٩٢هـ/ ٢٧ من أبريل سنة ٧١١ م) (٣٥) واستولى على الجزيرة الخضراء وهي أول مدينةٍ

(٢٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٦، ٥؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٤٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٥.
(٣٠) طريف بن مالك المعافري: يكتي أبو زرعة، وهو مسلم من البربر وهو مولي موسى بن نصير بعثه طارق بن زياد على رأس سرية صغيرة فأغار بها على جزيرة صغيرة قرب جبل طارق تسمى جزيرة لاس بالوماس بإسمه فيما بعد. مجهول: أخبار مجموعة، ص ٦؛ ابن عذاري: البيان، ج ٢، ص ٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٠.
(٣١) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ٢٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٤٠.
(٣٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٥٦١؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ٢٤؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٣٥.
(٣٣) مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق مولينا، طبعة مدريد ١٩٨٣م، ص ٩٨، ج ٦؛ ابن الجوزي: المنتظم، دار صادر- بيروت ١٩٢٩، ج ١، ص ٣٥٣؛ المقرئ: نفع الطيب، ج ١، ص ٢٥٤؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، هامش ص ٣.
(٣٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٢٠٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٦٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٤١.
(٣٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٥٦١، ٥٦٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ٤٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٢٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٤١.

يُعم افتتاحها^(٣٦) وأنتصر طارق بن زياد على جيش القوط^(٣٧) في معركة وادي لكة قرب بلدة شريش^(٣٨) سنة (٩٢هـ/٧١٢م)، وأن المعركة تشعبت في عدة مناطق من كورة شذونة^(٣٩)، ودامت المعركة ثمانية أيام وأنتصر المسلمون في نهايتها حتى قيل أن لذريق مات غريقاً أو قيل إنه اختفي ولم يُعثَر له على أثر^(٤٠).

استمر طارق بن زياد في فتح الأندلس، حتى أتاها كتاب موسى بن نصير يطلب منه أن يتوقف عن الفتح وينظره في المكان الذي يصله فيه هذا الكتاب، وكان ذلك في سنة (٩٣هـ/٧١١م)^(٤١) وعبر موسى بن نصير البحر إلى إسبانيا في عشرة آلاف من العرب وثمانية آلاف من البربر، ونزل بولاية الجزيرة وذلك في (رمضان سنة ٩٣هـ/ يونيو ٧١٢م)^(٤٢)، وسلك طريقاً غير الذي سلكه طارق بن زياد^(٤٣) وتابع فتوحاته والتقى بطارق في مدينة طليطلة وتابعها الفتوحات إلى أن وصل أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦ هـ / ٧٠٥-٧١٤م) بالعودة إلى دمشق^(٤٤)، فتمهل موسى في العودة حتى يتم

(٣٦) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢٠٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٤١.
(٣٧) القوط: إحدى الجماعات الجرمانية وأكثرهم عدداً، جاءوا من إسكنديناوة، وذلك في القرن الرابع قبل الميلاد، انقسموا إلى قسمين، القوط الشرقيين واستقروا في سهول رومانيا والغربيين استقروا في أقاليم الدول الرومانية والبلقان؛ إبراهيم على طرخان: دولة القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٨، ص ٣٢.

(٣٨) شريش: من كورة شذونة بالأندلس، بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلاً، وهي تقع عند مصب نهر الوادي الكبير في البحر المتوسط، وشريش متوسطة حصينة حسنة الجهات. الحميري: الروض المعطار، ص ٣٤٠.

(٣٩) شذونة: هي كورة متصلة بكورة مورور، تقع في أقصى الجنوب الأسباني بين جبل طارق ومدينة قادس؛ وعندها وقعت الواقعة الحاسمة التي انتصر فيها طارق بن زياد على (لذريق) ملك القوط سنة (٩٢هـ/٧١١م)، وهي من الكور المجندة، نزلها جند فلسطين من العرب، وقد لجأ إليها عامة أهل الأندلس سنة (١٣٦هـ/٧٥٣م)؛ وكانت الأندلس قد قحطت ستة أعوام، ومن كورة شذونة شريش وغيرها. الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ٣٢٩؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٣٣٩؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٣.

(٤٠) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٧، ٨؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٢٥٩.

(٤١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٣٢.

(٤٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٥٢.

(٤٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣.

(٤٤) المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٢٧٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٥٤.

إخضاع معاقل جليقية التي اعتصمت بها فلول القوط فأخترق جليقية واستولى على معظم معاقلها، ولم يبقَ للنصارى سوى شراذم يسيرة اجتمعت حول زعيمٍ يدعي بلاجيس أو بلايو، ولجأت إلى قاصية جليقية وبينما كان موسى يتأهبُ لسحقها وصله كتابٌ آخر من دمشق يستدعيه ويأمرهما بتعجيل العودة^(٤٥) فأتجه موسى وطارق بن زياد صوب العاصمة الأموية دمشق وكان موسى قد ولى ابنه عبد العزيز على الأندلس قبل عودته منها^(٤٦)، وتعتبر ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير بداية عصر الولاة (٩٥-٩٧هـ/٧١٣-٧١٥م)^(٤٧)، وبذلك نجح المسلمون في نقل مجال الصراع من داخل بلاد المغرب إلى الخارج وأصبح كل من العرب والبربر في خط واحد لمواجهة القوط الغربيين ولنشر الإسلام في الأندلس، ويتضح من الأحداث السابقة أن الجيش الذي فتح الأندلس كان جُله من الرهائن.

ب - رهائن الصراعات الداخلية خلال

عصر الولاة (٩٥-٩٧هـ/٧١٣-٧١٥م)

كان المجتمع الجديد الذي جمع الإسلام شمله ومزج بين عناصره في الأندلس، قد ظهرت فيه الأهواء والتزاعات وسرعان ما مزقته فوارق الجنس والعصبية وظهرت المنافسات

(٤٥) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٧٠؛ المقرئ: نفح الطيب، ج١، ص ٢٧٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٥٢؛ عبد الرحمن على الحجي: التاريخ الأندلسي، ص ١١٦.

(٤٦) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٢١٠، ٢١١؛ الحميدى: جنوة المقتبس، ص ٤٤؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٥٠؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١١٨.

(٤٧) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٥٢؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٣٨٨.

القديمةُ بين القبائل العربية، وظهرَ بغضُ البربرِ الذين يتألفُ منهم معظم الجيشِ لقادتهم ورؤسائهم العرب، ونقموا عليهم استئثارهم بالسلطةِ والمغانم الكبيرة، واحتلالهم لمعظم القواعد والوديان الخصبية، وكثيرا ما رفعوا لواء العصيان والثورة^(٤٨)، ويذكرُ أحدُ المؤرخين أن المناطق التي استقرُّ بها البربر تكادُ تتساوي مع ما أخذه العرب^(٤٩)، وأفرض سوء الأوضاع السياسية والاجتماعية في بلادِ الأندلسِ في عصر الولاة الحاجة لاتخاذ رهائن، فكان لهؤلاء الرهائن تأثيرٌ كبيرٌ على مجريات الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية في بلادِ الأندلس في عصر الولاة، وقبلَ المضي في الحديث عن الرهائن يجبُ علينا أن نوضحَ الأحداث السياسية التي أدت إلى اتخاذ الرهائن في الأندلسِ في عصر الولاة.

تجمعُ المصادرُ التاريخيةُ على أن عصر الولاة^(٥٠) في الأندلس بدأ سنة (٩٥هـ/ ٧١٣م) منذُ ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير على الأندلس^(٥١)، وهي الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م) لموسى بن نصير^(٥٢) من بلادِ المغربِ والأندلسِ، وبدلَ مصطلحَ عصرِ الولاة على وضع سياسي شهدته البلادُ الإسلاميةُ في الجناح الغربي منذُ أن تم للمسلمين فتحها في نهاية القرنِ الأولِ الهجري

(٤٨) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٦٧.

(٤٩) لمزيد من التفاصيل أنظر: حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٤٢٨، ٤٢٩.

(٥٠) قائمة بأسماء ولاة الأندلس أنظر ملاحق الرسالة، ص ٣٢٥.

(٥١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٩؛ ابن القرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج ١، ص ٤٦٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٢٢؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٢٧٦.

(٥٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٢١٠، ٢١١؛ الحميدى: جذوة المقتبس، ص ٤؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٥٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٧٠؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٢٧٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١١٨.

السابع الميلادي، فأصبح حاكمُ البلادِ أميراً يقيم بالقبيرون وكانتِ الأندلسُ ولايةً تابعةً لإفريقية^(٥٣).

فوالي إفريقية يولي على الأندلس من أحب^(٥٤) وذلك مثل الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي الذي تولى سنة (١٠٣هـ/٧٢١م)^(٥٥)، ويحيى بن سلمة الكلبي سنة (١٠٧هـ/٧٢٥م)^(٥٦) وفي أحيانٍ أخرى تدخلتِ الخلافةُ الأموية في تعيين هؤلاء الولاة^(٥٧) حيثُ ولى الخليفة عمر بن عبد العزيز السمع بن مالك الخولاني سنة (١٠٠هـ/٧١٨م)^(٥٨) علي الأندلس، ولقد عيّن أهالي الأندلس بأنفسهم من يلي أمرهم، مثل ثعلبة بن سلامة العاملي سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م)^(٥٩)، وقد اختير من قبل الشاميين بالأندلس، وهناك مجموعة اختيرت

(٥٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٢٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٨٢؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٣٧٣.

(٥٤) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٢١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٨٢.
(٥٥) عنبسة بن سحيم الكلبي: تولى أمر الأندلس بعد مقتل واليها السمع بن مالك الخولاني، وقد جاء إلى الأندلس سنة (١٠٣هـ/٧٢١م) وقد ولاه أمر الأندلس بشر بن صفوان، خلال عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، كانت فتوحات عنبسة تنسم بالمهارة أكثر منها فتوحات بطش وقوة، لذلك تضاعف في أيامه خراج بلاد الغال، وافتتح قرقشونة (Garcassonne) صلحا بعد أن حاصرها مدة، وتوغل في بلاد فرنسا فعبر نهر "الرون" إلى الشرق، وأستشهد غازيا سنة (١٠٧هـ/٧٢٥م). ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص ٥٧٧؛ الحميدى: جذوة المقتبس، ص ٣٠١؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٣٧٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٨٢.

(٥٦) يحيى بن سلمة الكلبي: أنفذه حنظلة ابن صفوان الكلبي والي إفريقية عندما استدعي منه أهل الأندلس واليا بعد مقتل عنبسة فقدمها آخر سنة (١٠٧هـ/٧٢٥م) وأقام في ولايتها سنتين ونصفا ولم يغز. ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٣٧٧؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٥٢؛ المقرئ: نفع الطيب، ج١، ص ٢٣٥.

(٥٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٢٦.
(٥٨) السمع بن مالك الخولاني: أمير من بني خولان من قضاة، استعمله عمر بن عبد العزيز ﷺ على الأندلس، وأمره أن يميز أرضها، ويخرج منها ما كان فتحه عنوة فيأخذ منه الخمس، وأن يكتب إليه بصفة الأندلس، فقدمها سنة (١٠٠هـ/٧١٨م)، وفعل ما أمره به عمر، وفي عهده نشطت حركة الفتح عبر جبال البرتاب نشاطاً عظيماً، فتوغل في جنوبي فرنسة وفتح مدينة أربونة سنة (١٠٠هـ/٧١٩م) وكان فتحها عنوة، واستكمل فتح ولاية سبتمانيا واستشهد غازيا بأرض الفرنجة، في الواقعة المشهورة بوقعة تولوشة واستشهد يوم عزفة من سنة (١٠٢هـ/٧٢١م)، وهو الذي بني قلعة قرطبة؛ ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج١، ص ٤٠٤؛ السمعاني: الأنساب، ج٢، ص ٢٩٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٨١.

(٥٩) ثعلبة بن سلامة: كان من أمراء العساكر التي لقيت خوارج البربر بنواحي طنجة، فانهزم إلى الأندلس مع بلج بن بشر وجماعة من أهل الشام، وأثاروا الفتن فيها حتى قتل عبد الملك بن قطن الأمير بالأندلس وولى ثعلبة الأندلس في شوال سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م) بتأييد أهل الشام؛ وثار عليه من بقي من البربر بماردة في أيامه فغزاهم وقتل منهم خلقا كثيرا وأسر منهم نحو الألف وانصرف إلى قرطبة، وكانت ولايته عشرة أشهر. الحميدى: جذوة المقتبس، ص ١٨٥، ١٨٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٤٦٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٢٢، ٣٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٢٢.

تبعاً لرغبة الأغلبية (الجماعة) من المسلمين في الأندلس، مثل أيوب بن حبيب اللخمي (٩٨هـ/٧١٦م)^(٦٠)، وعبد الرحمن الغافقي^(٦١) في ولايته الأولى سنة (١٠٢هـ/٧٢٠م) ويوسف الفهري الذي تولى سنة (١٢٩هـ/٧٤٦م)^(٦٢)، وانتظروا الموافقة على هذا الإجراء إما من حكومة أفريقية أو من دمشق مقر الخلافة الأموية.

ولقد بلغ عدد ولاءِ الأندلس في هذه الفترة بعد عودة موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق نحو عشرين والياً، تولوا الحكم لفترة بلغت اثنين وأربعين عاماً تقريباً^(٦٣).

وتميّز عصرُ الولاة بالعديد من السمات التي سوف يتوقف عليها مستقبل دولة الإسلام بالأندلس وأهمها:

الصراع بين العرب والبربر:

(٦٠) أيوب بن حبيب اللخمي: بعد مقتل عبد العزيز بن نصير عمت الفوضى البلاد ولمنعها إتفق أهل الأندلس على إختيار أيوب بن حبيب اللخمي ليلي أمرهم وهو ابن أخت موسى بن نصير وتحول إلى قرطبة وجعلها دار إمارة في سنة (٩٨هـ/٧١٦م)، حاول أيوب بن حبيب اللخمي، أن يثبت السلطة العربية ويظهر المنطقة الشمالية من مقاومة القوط، فقام بإنشاء قلعة أيوب Calatayud، تقع إلى الشمال الشرقي من طليطلة. ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١١٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١١٨؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٢٣٤؛ السلواي: الاستقصا، ج ١، ص ١٥٦؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٤٧.

(٦١) عبد الرحمن الغافقي: عبد الرحمن بن عبد الله بن بشر بن الصارم الغافقي، أبو سعيد: أمير الأندلس، من كبار القادة الغزاة الشجعان، أصله من غافق من قبيلة عك، في اليمن، وهو من العرب البلديين، أي الذين دخلوا الأندلس مع حملتي طارق وموسى واستقروا فيها وساهم في حملات الفتح في جنوب فرنسا وقاد المسلمين بسلام إلى الأندلس بعد استنشاء السمع بن مالك في معركة طولوشة؛ وكان عبد الرحمن يعد من التابعين، ومن رواة الحديث النبوي الشريف، ولاء هشام بن عبد الملك إمارة الأندلس سنة (١١٢هـ/٧٣٠م) ففضي على الاضطرابات الداخلية، ونهياً لمجابهة تحدي الفرنجة في غالة القوطية، وعمل على تأسيس وتثبيت موطن قدم للمسلمين عبر جبال ألبرت، وتقوية قاعدة أربونة الإسلامية؛ فزار أقاليمها وتاهب لفتح بلاد الغال، واستولى على مدينة بورديو، وجر جيش شارل مارتل، ولكنه استشهد في معركة بلاط الشهداء (بواتيه) بقرب نهر اللوار. ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٤٠٣، ٤٠٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٩٧.

(٦٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٦؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، مج ٤، ص ٣٦؛ الزركلي: الأعلام، ج ٨، ص ٢٣٦.

(٦٣) المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٢٤٩.

تحمّل البربرُ معظم عبء فتح الأندلس وأسهموا بنصيبٍ وافرٍ في تدعيم الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية ولم ينظرُ عرب الأندلس إلى بربرها نظرة الند للند فقد استبدّ العربُ دونهم بخيرات الأندلس واستبدوا بأمر الحكم وإدارة البلاد (٦٤) واتسم الصراعُ بطابعٍ سياسيٍ عنصريٍ وذلك نتيجةً لسياسة الدولة الأموية التي تقوم على مبدأ سيادة الجنس العربي وتفضيله على مَنْ سواه من الأجناس الأخرى (٦٥).

ويرجع السببُ في كثرة الثورات في الأندلس لمنعة البلاد وحصانة المعاقلي، وبأس أهلها بمقاربتهم عدو الدين، والثاني علو الهمم، وشموخ الأنوف، وقلةُ الاحتمالِ لثقلِ الطاعة، والثالثُ الاستنادُ عند الضيقة والاضطرار إلى الجبلِ الأشم والمعقلِ الأعظم من ملك النصراني الحريص على ضرب المسلمين بعضهم ببعض (٦٦).

ولكي نتبع الصراعَ بين العربِ والبربرِ في الأندلس يجب علينا أن نعود لأحداثِ الفتنة بين العربِ والبربرِ في المغرب، وأحدثُ هذه الفتنة كان لها صداها في الأندلس، وكانت الأندلسُ تتبعُ إفريقية من الناحية الإدارية، وكان لاضطرابِ الحكم في إفريقية أثره على اضطرابِ الحكم في الأندلس (٦٧)، حيثُ بدأ النزاعُ بين العربِ والبربرِ في ولاية يزيد بن أبي مسلم (٦٨) على إفريقية سنة (١٠١هـ/ ٧٢٠م) في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠١٠هـ).

(٦٤) حمدي عبد المنعم: ثورات البربر في الأندلس، ص ٣.

(٦٥) أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية (د. ت)، ص ٩٠.

(٦٦) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٣٦.

(٦٧) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٢؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٣٧٣.

(٦٨) يزيد بن أبي مسلم: استعمله الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان على إفريقية سنة (١٠١هـ / ٧٢٠م)، فلما ولي يزيد على إفريقية عزم أن يسير فيهم بسيارة الحجاج، فوضع الجزية على رقاب سواد إفريقية، فقتله أهلها؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٣٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٣٥؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٠٤.

١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م^(٦٩) وكان متعصباً للعرب مستبدّاً بالبربر واستخدم الشدة معهم وصادر أموالهم وسي نساءهم البربريات^(٧٠) وبسبب سياسته قتله البربر وهو خارج من بيته إلى المسجد سنة (١٠٢هـ/٧٢٠م)^(٧١) خلفه على ولاية إفريقية بشر بن صفوان الكلبي^(٧٢) (١٠٢هـ/٧٢٠م) وبقي والياً على إفريقية حتى وفاته سنة (١٠٩هـ/٧٢٧-٧٢٨م) وقد سار على نهج يزيد بن أبي مسلم في اضطهاد البربر واستبداده بهم، وأسرف في استعمال القسوة البالغة ضدهم^(٧٣).

وتولى أمر إفريقية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي^(٧٤) سنة (١١٠هـ/٧٢٩م) فوليا قليلاً إلا أنه سأل الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) أن يعفيه من هذا المنصب ويسنده لشخصٍ آخر فعزله وولى مكانه عبيد الله بن الحجاب^(٧٥) سنة

(٦٩) يزيد بن عبد الملك: ولد سنة (٧١هـ/٦٩٠)، استخلف في سنة (١٠١-١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م) بعد وفاة عمر بن عبد العزيز رحمه الله من أخيه سليمان؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢١٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٧، ص ٧؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٢م، ص ٢١٧.

(٧٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٣١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ١، ص ٤٩؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٠٦.

(٧١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢٤؛ الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٢٧٦.

(٧٢) بشر بن صفوان الكلبي: بشر بن صفوان بن تويل بفتح التاء المثناة بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شرحبيل بن عرين بن أبي جابر بن زهير الكلبي أمير المغرب، وأحد الشجعان ذوي الرأي والحزم؛ ولي مصر أولاً سنة (١٠١هـ/٧١٩م)، من قبل يزيد بن عبد الملك، ثم جاءه كتاب يزيد بتأثيره على إفريقية سنة (١٠٣هـ/٧٢١م)، فخرج إليها وأقام في القيروان، فأستصفي بقايا آل موسى بن نصير وغزا صقلية ومات بالقيروان سنة (١٠٩هـ/٧٢٧م)؛ ابن الحكم: فتوح مصر، ص ٢١٥، ٢١٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٣٨٣؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ١، ص ٤٩؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٣١٢؛ السلاوي: الاستقصا، ج ١، ص ١٦٠.

(٧٣) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٣١٢؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ١، ص ٤٩.

(٧٤) عبيدة بن عبد الرحمن السلمي: ولاة الخليفة هشام بن عبد الملك على المغرب بعد وفاة بشر بن صفوان، فقدم القيروان سنة (١١٠هـ/٧٢٨م)، ونظر في أمر المغرب والأندلس معاً، وكان عبيدة بن عبد الرحمن قد أخذ عمال بشر بن صفوان قبله وعذبهم فكتب بعضهم بذلك إلى الخليفة هشام فعزله لأربع سنين وستة أشهر من ولايته؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٤٠٤، ٤٠٦؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ١، ص ٥٠؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٢؛ السلاوي: الاستقصا، ج ١، ص ١٦٠.

(٧٥) عبيد الله بن الحجاب: هو مولي بني سلول وكان رئيساً نبيلاً وأميراً جليلاً وخطيباً مفوهاً، وكان أول الأمر كاتباً، وأسندت إليه ولاية مصر وإفريقية والأندلس، ولاة هشام بن عبد الملك على المغرب بعد عزل عبيدة بن عبد الرحمن عنه وأمره أن يمضي إليه من مصر فاستخلف عبيد الله على مصر ابنه أبا القاسم وسار إلى المغرب فقدم القيروان في ربيع الآخر سنة (١١٦هـ/٧٣٤م) وهو الذي بني المسجد الجامع ودار الصناعة بتونس، واستعمل عمر بن عبيد الله المرادي على طنجة والمغرب الأقصى واستعمل ابنه إسماعيل بن عبيد الله معه على السوس وما وراءه واستعمل على الأندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ١، ص ٥٢؛ السلاوي: الاستقصا، ج ١، ص ١٦١.

(١١٦هـ/٧٤٣م) الذي فرض الجزية عليهم ولم يقف الأمرُ عند ذلك بل تعداه إلى سوءِ المعاملةِ والإهانةِ وأساء السيرة وتعدى على الصدقات والعشر، وأراد تخييس مسلمي البربر وزعم أن البربر فيء للمسلمين فكانت أفعاله سبباً لا تنفاس البربر الذين أعلنوا الثورة في المغرب الأقصى سنة (١٢٢هـ/٧٣٩م) فكانت أول ثورة بإفريقية في الإسلام^(٧٦).

وفي هذه الأثناء أشدت اضطهاد بني أمية للعلويين والخوارج الصفرية^(٧٧) فهرب هؤلاء من الشام والعراق إلى المغرب، فوجدوا أهلهم حاقدين على سياسة عمال بني أمية وولاتهم، مما سهل على هؤلاء الخوارج نشر أفكارهم ومبادئهم فعملوا على كسب أهل المغرب إلى جانبهم^(٧٨) فأقبل البربر على اعتناق مبادئهم لما تضمنته من مبادئ الحرية والديمقراطية والحث على مقاتلة الغاصبين للحكم، فأصبحت القبائل البربرية القاصية تضطرم بزعات الخروج والثورة فكانت هذه العواصف تحفز البربر في إسبانيا^(٧٩).

وفي ظل هذه الأحداث برز زعيمٌ بربري يدعي ميسرة المدغري أو المطغري^(٨٠) من قبيلة مدغرة البربرية وأصبح قائداً على البربر وثار على العرب ونجح في هزيمتهم واستفحل شأنه، وذاعت دعوة الخوارج في المغرب ذيوماً كبيراً واستطاع ميسرة أن ييسط نفوذه على

(٧٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٤٠٤ - ٤١٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٥٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ٣١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٢٤١؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٢١٧ - ٢٢٢.

(٧٧) الخوارج الصفرية: هم أحد فرق الخوارج الرئيسية وفي تعيين نسبتهم أقوالاً عدة، فقيل إنهم أتباع زياد بن الأصفر، وقيل: ابن عبد الله بن صفار وقيل: عبد الله بن قبيصة وأطلق عليهم ذلك اللقب لأن العبادة أنهكتهم فاصفرت وجوههم فنسبوا إلى تلك الصفرة، وكانت خوارج المغرب إباضية وصفرية فلما كانت ولاية عبيد الله بن الحبحاب ونال عماله من البربر ما نالوا من الجور والعسف انتفضوا عليه وثار ميسرة المضغري المعروف بالخفير بأحواز طنجة، وكانوا على رأي الصفرية وكان شيخهم ميسرة المضغري مقدماً في ذلك المذهب. لمزيد من التفاصيل ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق أبو محمد محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية، القاهرة (د.ت)، ج ١، ص ١٤٧، ١٤٨؛ السلاوي: الاستقصا، ج ١، ص ١٦٤.

(٧٨) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٢٠٩.

(٧٩) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١١٧.

(٨٠) ميسرة المدغري: من قبيلة مدغرة البربرية، عرف بالحقير بائع الماء، لأنه كان يبيع الماء في مساجد وأسواق القيروان، وعرف عنه الطمع وحب المغامرة؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص ٦٨؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٠؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٢٤١.

المغرب الأقصى إلا أنه أساء السيرة في جماعته فقتلوه وولوا مكانه خالد بن حميد الزناتي^(٨١) وهو من بطون زناته ونجح في هزيمة العرب في وادي شلف^(٨٢)، وقتل خالد جماعة كبيرة من زعماء وأشراف العرب لذلك سميت المعركة بغزوة الأشراف وكان ذلك في أوائل سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م)^(٨٣)، وبلغ أهل الأندلس نبأ ثورة البربر في طنجة، فانتفضت البلاد وعمت أرجاءها الفوضى ودبّ الذعر في نفوس العرب، وثار بربر الأندلس على واليهم عقبة بن الحجاج السلوي فاضطر الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) إلى إرسال جيش ضخم من عرب الشام جعل على قيادته كلثوم بن عياض القشيري^(٨٤) في جمادي الآخرة سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م)^(٨٥)، ولكن هذا الجيش لم يتمكن من الصمود ومني بهزيمة نكراء عند وادي سبو^(٨٦) في ذي الحجة سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م)^(٨٧) في معركة قتل فيها كلثوم بن عياض وقائده حبيب بن أبي عبده، ولم ينج من كبار قواد المسلمين سوى بلج بن بشر القشيري وعشرة آلاف من الشاميين فروا إلى مدينة سبتة، وحينها أخذ البربر بمحاصرة

(٨١) خالد بن حميد الزناتي: و من هتورة إحدى بطون زناته فقام بأمرهم واجتمع إليه البربر فزحف إلى العرب وسرح إليه ابن الحبحاب عساكر الخليفة هشام بن عبد الملك وعلي مقدمتها خالد بن حبيب الفهري فكان اللقاء على وادي شلف فانهزم المسلمون وقتل خالد بن حبيب ووجه من معه من العرب فسميت الواقعة وقعة الأشراف، وانتفض المغرب على ابن الحبحاب من سائر جهاته. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢٩٣؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ١٦٥.

(٨٢) وادي شلف: نهر بقرق مليانة ويوجد في شمال غرب الجزائر وهو أطول واد في البلاد. الحميري: الروض المعطار، ص ٣٤٣.

(٨٣) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٢٤٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٣٠؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ١٦٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١١٩.

(٨٤) كلثوم بن عياض القشيري: ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٢٤٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١١٩.

(٨٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ٢١٨؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٢٤٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١١٩.

(٨٦) وادي سبو (sebou): على نحو ثلاثة أيام من فاس، وفيه يصب وادي فاس وهو من أعظم أنهار بلاد المغرب، ووادي سبو من أعمال مدينة طنجة؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٦٠٦؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ١٦٦.

(٨٧) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٢٠؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص ٦٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٤٠٣-٤١٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٥٥؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص ٣٢-٣٤.

المدينة وأخذوا يهاجمونها المرة تلو الأخرى إلا أنهم لم يتمكنوا من دخولها لحصاتها^(٨٨)، وعمل البربرُ على نفس مزارعها وتخريب أراضيها لإخضاع العرب المحاصرين فيها، وخربوا أرضها مسيرة يومين كاملين، مما أدى إلى انقطاع خطوط الإمدادات بين بلج وأصحابه، فجاعوا فأكلوا لحوم دوابهم وجلودها اليابسة وأشرفوا على الهلاك^(٨٩).

فاضطر بلج بن بشر إلى الاستنجاد بعبد الملك بن قطن الفهري (ت ١٢٤هـ / ٧٤١م) فشاور حاشيته فنصحوه بعدم السماح لبلج وأتباعه بدخول الأندلس وحذروه على سلطانه^(٩٠)، فتناقل عنهم عبد الملك بن قطن لخوفه على سلطانه منهم^(٩١)، فلما شاع خبر ضررهم عند رجال العرب في الأندلس اشفقوا عليهم فأغاثهم زياد بن عمرو الخمي بمركبين مشحونين ميرة أمسكت من أرماقهم، فلما بلغ ذلك عبد الملك بن قطن ضرب زياد بن عمرو سبعمائة سوط ثم اتهمه بعد ذلك بتأليب الجند عليه فسمّل عينيه ثم ضرب عنقه وصلب عن يساره كلباً، واتفق في هذا الوقت أن برايرة الأندلس لما بلغهم ما كان من ظهور برايرة العدو على العرب انقضوا على عرب الأندلس^(٩٢)، فلم تكن أنباء ثورات البربر في إفريقيا تصل إلى إخوانهم بربر الأندلس حتى هب هؤلاء في وجه العرب ثائرين^(٩٣)، وبدأت الثورة البربرية في الأندلس ضدّ العرب " فأخرجوا عرب جليقية وقتلوهم وأخرجوا عرب

(٨٨) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٥٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٣.

(٨٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٠، ٧١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٣؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٣٧٣.

(٩٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧١؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤١؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٤٥٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٣٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٣.

(٩١) أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٩٢؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٥.

(٩٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧١؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ١٦٧؛ المقرئ: فح الطيب، ج ٣، ص ٢٠.

(٩٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٣٠؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧١.

استرقة^(٩٤)، والمدائن التي خلفَ الدروب، فلم يزع ابن فطن إلا وهم قد هجموا عليه، وانضم عربُ الأطراف كلها إلى وسطِ الأندلس^(٩٥)

وهجمَ البربرُ على العربِ في الأطرافِ البعيدةِ في مناطقِ غربِ الأندلسِ وهي مناطقُ أهلةً بالسكانِ البربرِ بينما العربُ قلّةٌ فيها^(٩٦)، ولم يهاجمِ البربرُ عربَ سرقسطة لكثرتهم فيها وقلة البربر هناك^(٩٧)، وما زاد من خطورة الشقاق انتشارُ البربر في مناطق إستراتيجية في شبه الجزيرة، وهي المنطقة التي تمكن المسلمون من الدفاع عنها، فكانت منازل البربر تمتد من جبال البرانس إلى المحيط وهي المنطقة التي سماها المسلمون باسم الثغر، وهي تكون خطأً واحداً يبدأ من نواحي جبال البرت عند لاردة ووشقة ثم تتحدّر إلى مدينة سالم^(٩٨).

وثارَ البربرُ بالأندلسِ مقلدين في ذلك إخوانهم البربر في إفريقية^(٩٩)، وحينما اشتدت ثورة البربر وتعاظمت انتصاراتهم تخرجَ موقفُ عبد الملك بن قطن كثيراً، فأرسل لقمع هذه الثورة عدة جيوش هزمت جميعاً^(١٠٠)، فرأى أنه لا بد من الاستعانة بالشاميين ولو لفترة مؤقتة لحين القضاء على الخطر البربري الداهم على الأندلس وخصوصاً عندما بلغه عزم بربر المغرب على قصده، فلم يرَ أجدي له من الاستعانة بعرب الشام أصحاب بلج بسبته، فكتبَ إلى بلج وقد مات عمه كلثوم فأسرعوا إلى إجابته وكانت تلك أمنيتهم فأحسن إليهم

(٩٤) مدينة استرقة: من مدن جليقية قرب ساحل المحيط قرب وقرب مدينة ليون، وهي التي يسميها ياقوت: أمستوريس (Asturies)، ويذكر أنها حصن من أعمال وادي الحجرة، أحدثه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي، ولا تزال أسوار استرقة ماثلة؛ محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج ١، ص ٦٤.

(٩٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧١.

(٩٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٣.

(٩٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧١.

(٩٨) إبراهيم العدوي: المسلمون والجرمان، دار رياض الصالحين للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٤، ص ١٦٢.

(٩٩) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ١٩٩؛ عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص ١٥٨.

(١٠٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٣٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٥١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٣٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٣.

وأُسبِغَ النعمة عليهم^(١٠١)، واشترط عليهم ألا يطول مقامهم في الأندلس سوى عامٍ واحدٍ وأخذَ منهم ابن فطن عدداً من الرهائن لتنفيذ شروطه^(١٠٢)، واشترط بلج على عبد الملك أن يتم نقل العرب الشاميين على مراكب أهل الأندلس دفعةً واحدةً إلى شمال إفريقيا حتى لا يفرقهم ولا يعترضهم البربر وذلك بعد الانتهاء من هذه المهمة، ودخلوا الأندلس سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م) وكانوا نحو عشرة آلاف من عرب الشام^(١٠٣).

وقدم عليهم ابنه قطنا وأميه، والبربر في جموع لا يحصيها غير رازقها فاقتلوا قتالاً صعباً فيه المقام إلى أن كانت الديرة على البربر فقتلهم العرب بأقطار الأندلس^(١٠٤) وغنموا متاعهم ودوابهم، وكان لذلك الأثر الأكبر في تحسن أحوال بلج وجماعته بسبب الغنائم التي كسبوها من البربر، وساروا مع عبد الملك بن فطن إلى مدينة قرطبة^(١٠٥)، وتابعوا المسير شمالاً والتقي البربر مع القوات الشامية في طليطلة عند وادي سليط^(١٠٦) واستطاع الشاميين القضاء على هذه الجموع، وبذلك سحقت الثورة ومزق البربر ولم ينبج منهم إلا الشريد^(١٠٧) وانتعش بلج وأصحابه وقويت نفوسهم واشتدت شوكتهم^(١٠٨).

(١٠١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٢٢٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٤٥٨، ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٢٤٢؛ المقرئ: نفع الطبيب، ج ٣، ص ٢٠، السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ١٦٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٣.
(١٠٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٤٥٩، ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٢٤٢؛ المقرئ: نفع الطبيب، ج ٣، ص ٢١.
(١٠٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٥٨، ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٢٤٢؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ١٦٨.
(١٠٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٥٩؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٧٥.
(١٠٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٥١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣١.
(١٠٦) وادي سليط: نهر صغير متفرع من نهر وادي تاجة وهو يخترق سهلاً في الجنوب الغربي لمدينة طليطلة، حمدي عبد المنعم: ثورات البربر في الأندلس، ص ٧ هامش ٢.
(١٠٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٢-٧٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣١.
(١٠٨) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٤.

الرهائنُ الشاميون:

يتضحُ من العرض السابق للأحوال السياسية ظروف أخذ الرهائن الشاميين الذين أخذهم عبد الملك بن قطن في سنة (١٢٣هـ / ٧٤٠م)، حيث أنه اشترط على الشاميين "أن يعطوه من كل جند من قوادهم عشرة رهن يضعهم في جزيرة أم حكيم في البحر" (١٠٩)، فنستدل من الرواية السابقة أن عددَ رهائن الشاميين الذين أخذهم عبد الملك بن قطن كان كبيراً حيث أنه أخذ عشرة رهن من كل جند من قوادهم وجعلهم تحت سيطرة والي الجزيرة (١١٠)، ولم تقدم لنا المصادر الإسلامية العددَ الصحيحَ لهؤلاء الرهائن ولا أسماءهم، ولكن هؤلاء الرهائن كانوا من أشرف أهل الشام (١١١).

بعد قضاء الشاميين على ثورة البربر دخلت الأندلس مرحلة النزاع بين العرب البلديين وهم المستقرون في الأندلس منذ زمن الفتح، والقادمين الجدد وهم الشاميون القادمون إلى الأندلس بقيادة بلج بن بشر القشيري سنة (١٢٣هـ / ٧٤٠م) (١١٢)، وتحول جند الشام إلى مستعمرين ورفضوا الخروج من الأندلس والعودة لبلاد المغرب (١١٣)، وذلك بعد أن امتلأت أيديهم من الغنائم واشتدت شوكتهم وثابت همتهم وبطروا ونسوا العهود، وطالبهم ابن قطن بالخروج عن الأندلس فتعللوا عليه قائلين أحملنا إلى ساحل البيرة أو ساحل تدمير، فقال لهم

(١٠٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٢٤٢.

(١١٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٤٥٩؛ المقرئ، نفع الطيب، ج ٣، ص ٢١.

(١١١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣١.

(١١٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٤.

(١١٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٣، ٧٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٢٤٢.

عبد الملك: ليست لنا مراكب إلا بالجزيرة فقالوا له: إنما تريد أن تردنا إلى البربر ليقتلونا في بلادهم^(١١٤) وذكروا صنيعه بهم أيام انحصارهم بسبته وقتله زياد بن عمرو الذي أغاثهم بالميرة نخلوه وقدموا على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر^(١١٥)، ودخل بلج القصر عشية يوم الأربعاء في ذي القعدة سنة (١٢٤هـ / ٧٤٢م)^(١١٦).

مقتلُ الرهائن في جزيرة أم حكيم واضطرابُ الأحوال السياسية:

ونتيجةً لهذه الأحداث قام حاكمُ الجزيرة المعين من قبل عبد الملك بن فطن، بقطع الطعام والشراب عن الرهائن الذين أخذهم عبد الملك بن فطن من بلج بن بشر، وذلك حتى يضمن خروجه من الأندلس^(١١٧) ونتيجة لقطع الطعام والماء عن هؤلاء الرهائن مات أحدهم وهو رجلٌ من غسان^(١١٨) من أشراف دمشق^(١١٩).

فلما بعث بلج في إخراجهم أقبلوا إليه وشكوا ما ركبهم به ابن فطن وقتله صاحبهم بالعطش، فقالوا أنصفنا منه فقال لهم بلج: ويحكم لا تفعلوا فإنه رجل من قرش، وكان موت صاحبكم على سبيل الخطأ، وحاول بلج أن يمنع أتباعه من تلك الفعلة إلا أنه فشل في ذلك

(١١٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٣١.

(١١٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص٧٣؛ المقرئ: نفح الطيب، ج٣، ص١٩.

(١١٦) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٤٥٩؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص١٦٨.

(١١٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص٧٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٣١.

(١١٨) غسان: ماء بسد مارب، كان شرباً لولد مازن بن الأزد فسموا به، ويقال: هو ماء بالمثل قريب من الجحفة والذين شربوا منه فسموا به قبائل من ولد مازن بن الأزد بن القوث وقال حمّان: إما سألت فلاناً معشر نجب؛ الأزد نسبنا والماء غسانُ الحميري: الروض المعطار، ص٤٣٠.

(١١٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص٧٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٣١.

واتهمه أصحابه بالوقوف بجانب ابن فطن، وخاف بلج بن بشر فسادهم وتفرق كلمتهم وتهديدهم له بعدم طاعته (١٢٠).

فأمر بابن فطن فأخرج إليهم وهو شيخٌ كبيرٌ كفرخ نعامه قد شهد وقعة الحرة بالمدينة ففعلوا يسبونه ويقولون له: أقلت من سيوفنا يوم الحرة وعرضتنا لأكل الكلاب والجلود وحبستنا بسببته محبس الضنك حتى أمتنا جوعاً فقتلوه وصلبوه في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة، وصلبوا عن يمينه خنزيراً وعن يساره كلباً مبالغة في تحقيره، واستولى بلج على الأندلس (١٢١) فأدي هذا إلى نشوب صراع عنيف بين عرب الأندلس وجند الشام (١٢٢).

ترتبت على مقتل أحد الرهائنِ بِجزيرة أم حكيم نتائجٌ خطيرةٌ كانت وبالأعلى الأندلس حيث نجد أن النزاع في الأندلس تحول من النزاع بين العرب والبربر إلى نزاع بين العرب أنفسهم (البلديين، والشاميين) (١٢٣)، وعمت الفوضى جميع أنحاء الأندلس بعد مقتل عبد الملك بن قطن، فقد كان له ولدان هما قطن وأمّية وعز عليهما ما فعله بلج بوالدهما فبدءا بعدان العدة للانتقام من بلج وأتباعه (١٢٤)، وكان قطن وأمّية قد هربا بعد مقتل والدهما (١٢٥) فذهب أحدهما إلى ماردة وذهب الآخر إلى مدينة سرقسطة (١٢٦) وأعدا العدة للانتقام فتحالفت العرب البلديون بقيادة قطن وأمّية مع البربر الذين كانوا يتلهفون للانتقام من العرب

(١٢٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٣.
(١٢١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٢٠، ٢٢١؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٣؛ ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص ٤٢؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ١٦٧.
(١٢٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٣، ٧٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣١.
(١٢٣) ابن الأبار: الحلة السراء، ص ٦١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٤.
(١٢٤) الضبي: بغية الملتبس، ص ١٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٢.
(١٢٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٥٩؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٢٣٦.
(١٢٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٤.

الشاميين، وانضم إليهم والي عبد الرحمن بن علقمة اللخمي^(١٢٧) عامل عبد الملك بن قطن في أربونة^(١٢٨) وانضم إليهم فرقة من أتباع بلج بن بشر الساخطين عليه لفتكه بعبد الملك بن قطن بقيادة عبد الرحمن بن حبيب كبير الجند^(١٢٩)، فانقسمت الأندلس إلى معسكرين كبيرين: معسكر الشاميين المتغلبين على الحكم، ومعسكر العرب والبربر المحليين الذين اعتبروا الشاميين دخلاء غاصبين^(١٣٠)

وجمع ابنا عبد الملك بن قطن جيشاً عظيماً بلغ تعداداه مائة ألف مقاتل^(١٣١)، وقيل بلغ تعداد جيشهم أربعين ألفاً، وخرج إليهم بلج في جيش بلغ تعداداه عشرة آلاف رجل من الأمويين والشاميين^(١٣٢)، وألتقي الجيشان في موضع يقال له " أفوة برطورة^(١٣٣) في منطقة تبعد قليلاً عن قرطبة، ونشب القتال بينهما في شوال سنة (١٢٤هـ/ أغسطس ٧٤٢م) واستبسل الشاميون في صد جميع هجمات المتحالفين^(١٣٤) ولما شاهد عبد الرحمن بن علقمة

(١٢٧) عبد الرحمن بن علقمة اللخمي: عبد الرحمن بن علقمة اللخمي فارس الأندلس والي ثغر أربونة وكان ذا بأس شديد ووجاهة عظيمة، ثار على يوسف الفهري فبينما هو في تدبير غزوه اغتاله أصحابه وأقبلوا برأسه يوسف الفهري؛ المقرئ: فنج الطبيب، ج ٣، ص ٢٦.

(١٢٨) أربونة: تقع في طرف الثغر من أرض الأندلس، كانت عاصمة لإقليم في جنوب غاليا عرف باسم سبتمانيا يقع في أقصى الشمال الشرقي لإسبانيا، ومدينة أربونة تقع في شمال شرقي قرقشونة، على الساحل الفرنسي الجنوبي، وقد خرجت عن أيدي المسلمين سنة (١٢٣هـ/ ٧٥٠م) مع غيرها مما كان في أيديهم من المدن والحصون؛ الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٤٠؛ مني حسن أحمد: قاعدة نربونة ودورها في الجهاد ضد الفرنجة، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٧.

(١٢٩) عبد الرحمن بن حبيب: عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، كان مع أبيه حبيب في العساکر القاصدة لقتال خوارج البربر بنواحي طنجة، وهرب في جملة المنهزمين، ودخل الأندلس من مجاز الخضراء، قبيل دخول بلج بن بشر، وتعلية بن سلامة، فأثار الفتن قبل قتل عبد الملك بن قطن أميرها، وكانت له في الحروب بها أخبار إلى أن وصل حسام بن ضرار الكلبي أبو الخطار أميراً عليها، ففرق جموع الفتن، ورد الأمور إلى الاستقامة، وأخرج عبد الرحمن بن حبيب من الأندلس إلى إفريقية بعد سنة خمس وعشرين ومائة؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٢٧١، ٢٧٢.

(١٣٠) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٤.

(١٣١) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٥٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٢؛ المقرئ: فنج الطبيب، ج ٣، ص ٢١.

(١٣٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٤؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٢.

(١٣٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٣؛ دوزي: تاريخ مسلمي إسبانيا، ج ١، ص ١٦٢؛

(١٣٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٣؛ دوزي: تاريخ مسلمي إسبانيا، ج ١، ص ١٦٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٥.

الخنمي حاكم أربونة بلج بن بشر والراية في يديه ضربه بالسيف ولم يلبث عبد الرحمن بن علقمة الخنمي أن قتل هو الآخر، وارتد حزب العرب البلديين بعد الهزيمة التي لحقت بهم^(١٣٥). وأما الشاميون الذين لم يقتل منهم غير عدد يسير فعادوا إلى قرطبة منتصرين، ونادي الشاميين بعد وفاة بلج بتولية ثعلبة بن سلامة العاملي النيني في شوال سنة (١٢٤هـ/٧٤٢م) وأحبه جنده حباً جماً لعزمه على مناهضة العرب المحليين، وأساء السيرة في العرب والبربر فعندما تمكن من إخماد القبائل الثائرة ضده قام بسبيهم في قرطبة وبلغ به الأمر أنه كان يبيع شيوخ العرب البلديين وأشرف القبائل لمن ينقص في الثمن، لا لمن يزيد حتى أنه باع أحدهم بكلب^(١٣٦) وهذا قلة الإهانة لهم.

هذا ولم ينته الصراع بين الشاميين الأمويين والبلديين والبربر إلا بعد أن أرسل الخليفة هشام بن عبد الملك "أبو الخطار حسام الكلبي أميراً على الأندلس^(١٣٧) (١٢٥-١٢٨ هـ/ ٧٤٣-٧٤٦ م) فقام بتوزيع المتنازعين على مدنٍ تبعد عن الأخرى^(١٣٨)، وذلك بعد أن استشار إرطباس قومس أهل الذمة، الذي اقترح عليه أن يقوم بتوزيع الشاميين على جميع نواحي الأندلس، على أن تجي كل قبيلة غلة الناحية التي نزلت فيها وتأخذ عطاءها والزيادة لبيت المال^(١٣٩).

ونلاحظ كذلك أن العرب تمزقت وحدثهم وتفرقت كلمتهم وذلك نتيجة لمقتل أحد الرهائن الشاميين، الذي كان مقتله بمثابة الشرارة للحرب الأهلية، وكان مقتله بالنسبة للشاميين

(١٣٥) المقرئ: نفخ الطيب، ج٣، ص ٢٢.
(١٣٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٣٤.
(١٣٧) الحميدى: جذوة المقتبس، ص ٢٠٠، ٢٠١؛ ابن الأبار: الحلة السراء، ص ٦١.
(١٣٨) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٤؛ ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص ٤٢، ٤٣؛ ابن الأبار: الحلة السراء، ص ٦١، ٦٢.
(١٣٩) ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص ١٠٢، ١٠٣.

بمثابة القشة التي قسمت ظهرَ البعير، أو القطرة التي أفاضت الإناء، واتخذوا من مقتله زريعة للانتقام من عبد الملك بن قطن، وكان خوف بلج من عدم طاعة أصحابه له هو ما أدي إلى تطور النزاع الذي أخذ شكل العصبية القبلية بين القيسية واليمينية.

كل هذه الأحداث أدت إلى اجتماع الكلمة على تأييد أبي الخطار بن ضرار الكلبي وطاعته، وسكنت الفتنة واستقر النظام، ولكنه مال إلى قومه من اليمانية، وبدأ في التحامل والاضطهاد للمضرية، وبهذه السياسة أخط القبائل القيسية وأغضبها، والسبب الذي دفعه للتخلي عن سياسته في الأندلس كان بسيطاً، إذ حدث خلافٌ بين رجلين أحدهما من قبيلة كنانة من الشاميين، مع رجلٍ آخر من قبيلة كلب اليمينية فشكا الكلبي خصمه المضري إلى أبي الخطار، فالتحقز في حكمه فذهب المضري إلى زعيم المضرية الصميل بن حاتم بن شمر الكلابي وشكا له ما لحق به عند أبي الخطار، فذهب إليه ليكله في شأن هذه القضية ولكن أبو الخطار انتهز الفرصة وعمل على إهانة الصميل، وبالغ في شتمه وطلب من حراسه وجنوده أن يضربوه ففعلوا حتى مالت عمامته على كتفيه، وخرج الصميل من مجلس أبي الخطار غاضباً وعلي باب القصر رآه أحد الحراس وقد مالت عمامته فقال له " أقم عمامتك يا أبا الجوشن، فقال: "إن كان لي قوم فسيقيمونها"(١٤٠).

بعث الصميل بن حاتم إلى قومه في مختلف الأنحاء وأيدته المضرية وحلفاؤهم في الخروج وتفاهم مع باقي الزعماء الناقين على أبي الخطار، ومنهم ثوبة بن سلامة الجذامي زعيم جذام، وكان يمينياً وكان يحقد على أبي الخطار لأنه عزله عن ولاية أشبيلية، ونشبت بين

(١٤٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٥٦؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٦٤؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٢٢٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٧.

الفريقين معارك شديدة في شدونة على ضفاف وادي لكه في رجب سنة (١٢٧هـ/٧٤٤م) وانتهت بهزيمة أبي الخطار وأسرهِ (١٤١).

وتولى ثوابة الجذامي أمر ولاية الأندلس سنة (١٢٨هـ/٧٢٦م) واستمرت ولايته سنة واحدة، وفي أثناء حكمه لم تقع أعمال حربية ذات قيمة سوى محاولة الحسام بن ضرار الكلبي من أجل العودة للحكم ولكنها باءت بالفشل، وبعد هذه الأحداث لم تدم ولاية ثوابة كثيراً فقد مات بعد عام واحد (١٢٩هـ/٧٤٦م)، وبعد ذلك عمت الفوضى بلاد الأندلس بسبب النزاع على الولاية، وأصبحت بلاد الأندلس بلا والٍ لمدة أربعة أشهر فاتفقت الجماعة في الأندلس على تعيين عبد الرحمن بن كثير الخمي (١٢٩هـ/٧٤٦م) ليدبر الأمور في الأندلس بصورة مؤقتة إلى أن يتم الاتفاق على تعيين والٍ يدير أحوالها، ولما اشتدت الأمور اتفق الطرفان أن يكون أمر الأندلس مداولة بين اليمنية والقيسية، بحيث تكون الولاية سنة لكل منهما واتفقوا على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري القيسي (١٢٩-١٣٨هـ/٧٤٦-٧٥٥م) (١٤٢).

ولقد أثرت هذه المعركة في تاريخ البلاد الاجتماعي، حيث أخرجت هذه المعركة اليمنيين والبلديين من ميدان السياسة ومن القيادة، ومن ذلك الحين أخذ معظمهم يتفرقون في نواحي البلاد، ويشغلون بالزراعة والتجارة وغيرها من أمور المعاش وشئون النشاط السلمي،

(١٤١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٥٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣٣٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢٠.

(١٤٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٥٦؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٦٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣٣٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٧.

ومن هنا تظهر أهمية هذه الواقعة في تاريخ البلاد الاجتماعي، ولم يستطع من بقي منهم في الميدان النهوض من جديدٍ إلا حينما أقبل عبد الرحمن الداخل (١٤٣).

يوسفُ الفهري آخرُ ولاةِ
الأندلسِ (١٢٩-١٣٨ هـ/٧٤٦-
٧٥٥ م)

بعد اتفاق اليمنية والقيسية على تولية يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري، استقرت الأمور في الأندلس وسكنت البلادُ واتفقت عليه القلوب (١٤٤)، وبهذا تخلصت الأندلس من الفراغ السياسي الذي عانت منه، وانقضى العام الأول الذي تولي فيه يوسف الفهري الولاية، وجاء اليمنيون لموعدهم حسب الاتفاق المبرم بينهم والذي يقضي بتولية يوسف الفهري الأمر سنة ثم يرد الأمر إلى اليمنية فيولون من أحبوا من قومهم، فلما انقضت السنة أقبل أهل اليمن بأسرهم يريدون أن يولوا رجلا منهم (١٤٥)، ولكن المضربة

(١٤٣) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٢٨٤.

(١٤٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨١، الحميدى: جذوة المقتبس، ص ٣٧.

(١٤٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢٠؛ نفح الطيب: ج ١، ص ٢٣٨.

وعلي رأسهم الصميل بن حاتم مرجع الزعامة والأمر يومئذٍ رفض تمكين اليمنية من الرئاسة بأي صورة من الصور، وكذلك يوسف الفهري لم يفكر بعد أن ظفر بالولاية أن يتنازل عنها طائعا مختاراً، بل بادر منذ البداية إلى استخلاص جميع السلطات لنفسه (١٤٦).

ولهذا ازدادت أعداد الحاقدين والكارهين ليوسف الفهري وصاحبه الصميل بن حاتم (١٤٧) مما أدى إلى الاستعداد للقتال (١٤٨)، والتقي الطرفان القيسية واليمنية بالقرب من مدينة شقندة (١٤٩) بجوار الوادي الكبير سنة (١٣٠ هـ / ٧٤٧م) استعان فيها الصميل بن حاتم بأهالي السوق بقرطبة، وبعد مشاركة هذا الجيش في المعركة حسمت لصالح الصميل ويوسف الفهري، ووقع أبو الخطار أسيراً في أيديهما ودلّ على محرضه يحيى بن حريث (١٥٠)، وقتلا جميعاً وكانت أعداد القتلى من اليمنية كبيرة، وقد أسر منهم خلق كثير، لذلك سميت هذه المعركة بقاطعة الأرحام (١٥١).

(١٤٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٣١.

(١٤٧) عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط ٢، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٥٩.

(١٤٨) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٤، المقرئ: نفع الطيب، ج ١، ص ٢٣٨.

(١٤٩) مدينة شقندة: شقندة بضم الشين والقاف وسكون النون وبالذال المهمله، وتضبط بفتح الشين، و شقندة وتقع على الضفة اليسرى لنهر الوادي الكبير أي بالريش الجنوبي لمدينة قرطبة. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٤؛ بن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن على الحجي، دار الثقافة، د. ت، بيروت ١٩٨٣م، ص ٢٠٩؛ الحميري، الروض المطعار، ص ٣٤٩.

(١٥٠) يحيى بن حريث: أحد الزعماء اليمنية، وكان ينافس ويعارض إمارة يوسف الفهري، فاقطعه يوسف الفهري ربه ثمناً لموافقه؛ فلما نزع منه ربه ثار قومه من اليمنية والتفوا حوله؛ وخروج ابن حريث، تحرك للعمل مع أبو الخطار، وفاوضه ابن حريث لكنهما لم يتفقا، إذ أصر كل منهما على ترشيح نفسه للإمارة، واجتمعا على قتال يوسف، وحشد كل منهما جموعه من الفريق الذي يؤازره، وزحفا على قرطبة، وحشد يوسف والسميل جموع المضربة، والتقيا أخيراً في شقندة بالقرب من قرطبة سنة (١٣٠ هـ / ٧٤٧م) ونشبت بينهما موقعة هائلة تبالغ في روعتها الرواية الأندلسية، إذ تقول: "إنه لم يكن بالمشرق ولا بالمغرب، حرب أصدق منها جالداً ولا أصبر رجالاً؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٣١.

(١٥١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٦، ٣٧.

وبذلك أصبحت الأندلس تحت سيطرة ونفوذ يوسف الفهري والصميل بن حاتم الذي قتل قرابة السبعين أسير من اليمنيين على باب جامع قرطبة (١٥٢)، وتروي بعض الروايات أن يوسف الفهري أصبح قلقاً لوصاية الصميل عليه، ولهذا رأي أن يبعده عنه ويؤليه على سرقسطة سنة (١٣٢ هـ / ٧٤٩ م) التي تعتبر معقلاً لليمنية (١٥٣)، فتوقع يوسف الفهري أن يشتبك الصميل مع اليمنية فيكون بذلك تخلص من تدخلاته (١٥٤).

وقامت ضد يوسف الفهري ثورات عديدة، كان أغلبها ثورات يمنية ومن أبرزها التي قام بها عبد الرحمن بن علقمة اللخمي في أربونة وحاربه يوسف الفهري وانتصر عليه (١٥٥) وثار عليه ثائر آخر في مدينة باجة (١٥٦) التي نزلها جند مصر، وقد تزعم هذه الثورة شخص يدعي عروة بن الوليد (١٥٧) عرف بالذمي لأنه استعان بأهل الذمة ضده، استطاع يوسف الفهري قتله في النهاية (١٥٨).

الثورة في سرقسطة ورهائن قریش:

- (١٥٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٧.
 (١٥٣) أخبار مجموعة: ص ٨٣ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٧.
 (١٥٤) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٢.
 (١٥٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣٧٦ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٨.
 (١٥٦) مدينة باجة: هي من أقدم مدائن الأندلس بنيت في أيام الأفاصرة، وبينها وبين قرطبة مائة فرسخ، وهي من الكور المجندة نزلها جند مصر، وتفسير باجة في كلام العجم: الصلح. الحميري: الروض المعطار، ص ٧٥.
 (١٥٧) لمزيد من التفاصيل عن هذه الثورة أنظر: ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣٧٦ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٨ المقري: نفح الطيب، ج ٣، ص ٢٦ ؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٥١٧ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٣٥.
 (١٥٨) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٨.

أتت المعارضة ليوسف الفهري من قبل زعماء قریش الذين تحركوا مستغلين ابتعاد الصميل عن قرطبة، وكان على رأسهم فتى من عبد الدار يقال له عامر بن أبي عدي العبدري، وعامر هذا أحد رجالات قریش بالأندلس، وكان ذا شرفٍ ونجدةٍ، وكان أيضاً سخيّاً لبيباً عاقلاً أديباً حذراً، واشتهر بقيادته للعديد من الصوائف ضد نصارى الشمال قبل ولاية يوسف الفهري، وعندما اعتلى يوسف الفهري ولاية الأندلس قام بعزله وذلك حسداً لمكائته، ثم أخذ يكيد له خوفاً منه، وعندما أحس عامر بما يديره له يوسف أرسل إلى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يسأله أن يوليهِ الأندلس ويرسل له عهداً بذلك (١٥٩)، وساء ما صنع يوسف باليمنيين وما سفك من الدماء، وبدأ عامر يستعد لمواجهة يوسف الفهري وابتني حصناً في منية له كان يقال لها قناة عامر بغربي قرطبة وهم أن يجعلها مدينة، وأراد أن يبني بنياناً يضم إليه حتى يأتيه إمداد اليمنية (١٦٠).

ونلاحظ بذلك أن عامر كان صاحب مخطط دقيق وله أهداف واضحة وشجعتة العديد من العوامل على الثورة ومنها ضعف سلطان يوسف الفهري الذي حاول القبض على عامر فوجده حذراً قد أعلم بما يراد به، ويذكر صاحب الأخبار المجموعة أن عامر كان لا يخفي عليه شيء من سير يوسف، وذلك لأن عامر القائد العسكري كان يدس الجواسيس على يوسف الفهري، ولم يشأ يوسف أن يقبض على عامر حتى يحضره الصميل، فكتب إلى

(١٥٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٤؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٨؛ ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ٢، ص ٣٥٤ - ٣٥٤.

(١٦٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٤؛ ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ٢، ص ٣٥٤.

الصميل يعلمه من أمر عامر فأجابه يشجعه على قتله، فعلم عامر بأمر الرسالة نفرج هارباً من قرطبة إلى سرقسطة حيث الصميل (١٦١).

اختار عامرُ مدينة سرقسطة بالخصوص لكثرةِ البنية فيها، وكان عامر يريد المساعدة من اليمنيين المعارضين ليوسف والصميل، وخصوصاً وأن أهل الكور الأجناد أصابهم الضعف من بعد وقعة شقندة (١٦٢)، وكتب عامر إلى زعيم من زعماء البنية بسرقسطة يسمى "الحباب بن رواحة الزهري" وذلك في رواية ابن خلدون والمقري وابن الآبار (١٦٣)، أما ابن عذاري وابن كثير فيسمونه تميم بن معبد (١٦٤)، أما المؤلف المجهول فينسبه إلى بني زهرة قائلاً "وكان بسرقسطة رجل من بني زهرة من كلاب قد شرف فكتب إليه عامر فأجابه فسار عامر وابنه وهب حتى وردا بعض نواحي سرقسطة فاجتمع هو والزهري، فدعوا الناس إلى سجل أبي جعفر المنصور (١٦٥)، ولتقف قليلاً عند هذا الحدث:

تتفق المصادر التاريخية أن عامر بن أبي عدي أرسل إلى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، يسأله أن يوليه الأندلس ويرسل له عهداً بذلك (١٦٦)، وتقف المصادر عند ذلك ولم تذكر تفاصيل أخرى ولم تذكر إرسال أبو جعفر المنصور بسجل لعامر بن عدي بولاية الأندلس من عدمه.

(١٦١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٢.

(١٦٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٤.

(١٦٣) ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ٢، ص ٣٥٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٤؛ المقري: نفح الطيب، ج ٣، ص ٢٦.

(١٦٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٢؛ ابن كثير: البداية النهاية، ج ٥، ص ١٢٢.

(١٦٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٤.

(١٦٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٤؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤؛ ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ٢، ص ٣٤٤ - ٣٥٤.

ونجد في رواية المؤلف المجهول أن عامر والزهري دعوا الناس إلى سبيل المنصور (١٦٧) فمن المرجح أنهم أوهما الناس بوصول سبيل أبو جعفر المنصور وذلك لكي يكسبا الشرعية ويؤيدهم أهل سرقسطة ومن ثم أهل الأندلس في مواجهة يوسف الفهري الذي وصل لولاية الأندلس سنة (١٢٩ هـ / ٧٤٧ م)، دون موافقة، أو مصادقة من قبل الخليفة الأموي، مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢ هـ / ٧٤٥-٧٥٠ م) وذلك بسبب انشغاله بمجابهة العباسيين طوال سنوات حكمه (١٦٨)، وكذلك بعد الأندلس عن مركز الخلافة الأموية في دمشق، وعامر بذلك قد أوهم الناس ولم يئل سبجلاً بولاية الأندلس لبعض الأسباب وهي:

- أن عامر بن أبي عدي لو نال سبجلاً بولاية الأندلس لذكر ذلك في المصادر التاريخية.
- انشغالُ الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بتثبيت أركان الدولة وقتله أبو مسلم الخرساني (١٦٩) سنة (١٣٧ هـ / ٧٦٣ م) وقضاؤه على المعارضين للدولة العباسية، ومن ذلك لم يكن للعباسيين القدرة على متابعة الحكم في الأندلس لرغبتهم في تثبيت سلطانهم في بغداد (١٧٠).

وعلي أية حال نجد أن كذبة عامر قد انبرت على اليمنيين وبعض من البربر وغيرهم " ليس لأنه يستند إلى الشرعية ولكن لعنائهم مع يوسف الفهري والصميل بن حاتم والقيسية عموماً، فبلغ الصميل شأنهم فبعث إليهم خيلاً ورجالاً من أهل الطاعة فهزموهم، واجتمع

(١٦٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٤.
 (١٦٨) لمزيد من التفاصيل أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٤٠٢؛ الطبري: تاريخ الأمم، ج ٤، ص ٣٤٨-٣٥٥؛ ابن خلدون، تاريخه، ج ٤، ص ١٥٤؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ج ١، ص ٣٧؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٧.
 (١٦٩) أبو مسلم الخرساني: هو عبد الرحمن بن مسلم، صاحب دعوة بني العباس، وكان صاحب رأي وتدبير وحزم، قتله أبو جعفر المنصور بعد إسماعله له وغدر به. لمزيد من التفاصيل أنظر: ابن كثير، ج ١٠، ص ٤٧٤؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦ م، ج ١، ص ١٧٩-١٩٩.
 (١٧٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤.

لهم حشدٌ من الناس فحاصروا الصميل حصاراً شديداً في مدينة سرقسطة لمدة سبعة أشهر، حتى يؤس من الحياة وهم بإلقاء ما بيده^(١٧١)، وخلال هذه الفترة طلب الصميل المساعدة من يوسف الفهري في قرطبة فكتب إلى يوسف يسأله إمداده فلم يجد في الناس مناهضا، وذلك في سنة (١٣٣هـ/٧٥٠م)، وذلك بسبب الظروف القاسية التي خلفتها المجاعة جعلت من الصعب على يوسف تجميع أية قوي بشرية وإرسالها إلى سرقسطة أو الرغبة في القضاء على الصميل والتخلص منه^(١٧٢).

ولكن استجاب له قومه في مدينتي البيرة وجيان وساروا على نصرته وتفريج كربته وبلغ عدد فرسان القبائل القيسية المتوجهة لسرقسطة أربعمئة فارس منهم ثلاثون فارساً من موالي بني أمية وذلك في عام (١٣٧هـ/٧٥٤م)، وكان هدف موالي بني أمية من مساعدة الصميل ضمان وقوفه إلى جانبهم مع عبد الرحمن بن معاوية، ولما أشرفت الحملة على مدينة طليطلة، كانت اليمنية قد تمكنت من تشديد الحصار على الصميل بن حاتم ومن معه، فساءت أحوال المحاصرين^(١٧٣)، وأقبلت رسلهم إلى طليطلة تستحث القيسيين ومن معهم على سرعة السير، فعملوا بإرسال فارس منهم برسالة إلى الصميل تؤكد له إسراعهم إليه بالعون وقالوا له: ادخل في جملة المحاربين للسور فإذا قربت منه، ارم بهذه الحجارة وفيها بيتان من الشعر وهما

تبشّر بالسلامة يا جدار أذاك الغوثُ وأنقطع الحصارُ

(١٧١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٢، ٤٣.

(١٧٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٣٧؛ ابن خلدون، تاريخه، ج ٤، ص ١٥٤.

(١٧٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٢، ٤٣.

أُتِمَّتْ بنات أعوج ملجعات عليها الأكرمون وهم نزارُ (١٧٤)

وعندما سقطت هذه الحجارة، قرئت عليه لأنه أُمِّي، فلما سمع ما فيها قال "ابشروا يا قوم فقد جاءكم الغوث ورب الكعبة" وتسامع اليمنيون المحاصرون للصميل نخافوا الهزيمة، فتفرقوا، وبالتالي تمكن الصميل من الانتصار على هؤلاء المحاصرين المتمردين دون قتال (١٧٥).

وكان يوسف الفهري مهتماً بالقضاء على التمرد المستمر في سرقسطة ولهذا فما أن رجع الصميل إلى قرطبة، حتى استعد يوسف لإرسال حملة على المتمردين، ففي سنة (٣٧هـ/٧٥٤م) سار يوسف بنفسه إلى سرقسطة، وكان المتمرّدون قد وافقوا على تسليم زعمائهم وهم: عامر العبدري وابنه وهب والزهرى (١٧٦)، فأمر يوسف بتقييدهم وكان يعترّم قتلهم، لولا معارضة القيسيين وكان أشدهم قولاً في ذلك سليمان بن شهاب، والحصين بن الدجن (١٧٧) وهما من أهل قرطش ومن كانوا أكثر المتشددين في معارضة قتل الزعماء القرشيين الثلاثة، فنتيجة لمعارضة هؤلاء الزعماء احتجز يوسف الفهري الثوار الثلاثة رهائن عند الصميل (١٧٨) حتى يتم له التخلص من هؤلاء المعارضين.

(١٧٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٦، ٨٧؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٣.

(١٧٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٣.

(١٧٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٠؛ ابن الأبار، الحلة السرياء، ج ٢، ص ٣٥٤، ٣٥٥.

(١٧٧) الحصين بن الدجن: الحصين بن الدجن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن يحيى بن عامر، كان ممن استجاب لداعية عبد الرحمن بن معاوية الداخل إلى الأندلس، وهو ممن أشار على يوسف بن عبد الرحمن الفهري باستيقاظ = عامر العبدري وابنه وهب والحياب الزهرى بعد قبضه عليهم، فكف عن قتلهم حينئذ وشد أصفادهم؛ وأغزى طائفة من عسكره إلى البشكنس في ضعف وقلة، وبعث على خيلهم الحصين هذا، فهزمهم الروم وقتلوا أميرهم سليمان ابن شهاب، ونجا الحصين؛ وحضر يوم المصاراة مع عبد الرحمن، فلما استوثق الأمر لعبد الرحمن بن معاوية، عرف له صالحيه، فاختصه وولاه الشرطة. ابن الأبار: الحلة السرياء، ج ٢، ص ٣٥٤، ٣٥٥.

(١٧٨) ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص ٥١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣.

وكان مقتل الرهائن القرشيين مرهون بمقتل زعماء قریش، وأصبح يوسف والصميل منتظرين الفرصة المواتية، وهؤلاء الرهائن المحتجزون عند الصميل كانوا يتلقون معاملة طيبة وذلك لخوف يوسف الفهري والصميل من سطوة وقوة القرشيين مناصريهم، وأتمته الفرصة عندما نشبت ثورة في منطقة جليقية في شمال الأندلس فقام بإرسال سليمان بن شهاب والحسين بن الدجن وغيرهما من الزعماء القرشيين على رأس الحملة (١٧٩)، وأراد يوسف والصميل العودة إلى مدينة قرطبة، فجاها الخبر بمقتل أكثرية الجيش الذي توجه لجليقية، وقتل معظم قادته من القرشيين (١٨٠)، وهنا أمر يوسف الفهري بعد إلحاح الصميل بضرب أعناق الرهائن سنة (١٣٨هـ/٧٥٥م)، وذلك بعد مقتل زعماء قریش الذين كانوا يوفرون لهؤلاء الرهائن الحماية في الحملة التي توجهت لمدينة جليقية (١٨١)، وبذلك تخلص يوسف الفهري من زعماء قریش والرهائن المحتجزين بحسن تدبير الصميل بن حاتم، وقضي الصميل ويوسف على تمرد سرقسطة وتخلصا من بعض الزعماء المنافسين لهم.

ولقد ترتبت على مقتل هؤلاء الرهائن نتائج خطيرة على جميع المستويات، حيث أصبح الناس كارهين ليوسف الفهري والصميل ويظهر ذلك جلياً من قولهم "قد قتلت ابن شهاب، وقتلت عامراً والزهري، هي والله لك ولولدك" (١٨٢)، ونقم الناس عليهما ولم يبق معه سوى القليل من القيسية والفهرية (١٨٣)، وفي تلك الأثناء وصلت ليوسف أنباء نزول عبد

(١٧٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٠؛ ابن القطوبة: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص ٥١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢١؛ المقرئ: فتح الطيب، ج ١، ص ٣٢٨.
(١٨٠) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٤.
(١٨١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٠.
(١٨٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٠.
(١٨٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢١؛ المقرئ: ج ١، ص ٣٢٨.

الرحمن بساحل البيرة عند أبي عثمان^(١٨٤) وكبار موالي بني أمية^(١٨٥)، معلما إياه بالتفاف عددٍ كبيرٍ من موالي بني أمية وأتباعهم حول هذا الأمير الداخل^(١٨٦)، وانتهى عصر الولاة على يد الأمير عبد الرحمن بن معاوية، بإقامته الدولة الأموية في الأندلس وذلك بعد أن هزم يوسف الفهري (ت ١٤٢هـ / ٧٥٩م) والصميل بن حاتم (ت ١٤٢هـ / ٧٥٩م)^(١٨٧) وأتباعهم في موقعة

المسارة^(١٨٨) في ظاهر قرطبة من الغرب، على ضفة نهر الوادي الكبير (في العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٨هـ / الثالث عشر من مايو سنة ٧٥٦م)^(١٨٩).

(١٨٤) أبو عثمان عبيد بن عثمان: هو أول من تولي منصب الوزارة للأمير عبد الرحمن الداخل ثم جمع له منصبي الوزارة والكتابة لمكانته ونصرته ونجده، فهو أحد زعماء الموالي الأموية الذين ناصرُوا عبد الرحمن الداخل وهبوا له سلطانه في الأندلس قبل وبعد عبوره إليها. التويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٥٢؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ٣، ص ٤٤، ٤٥؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٦٦٦.

(١٨٥) المقرئ: نفح الطيب، ج ٣، ص ٣٢.

(١٨٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٠؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٤.

(١٨٧) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢١.

(١٨٨) عرفت هذه الموقعة الحاسمة باسم المصارة (بالصاد أو السين) كما عرفت كذلك في المراجع الإسبانية باسم الأميدا (Alameda) ذلك في سنة (١٣٨ هـ / ٧٥٦م) وتمتد مصارة قرطبة التي حدثت عندها الواقعة في جنوب غرب المدينة على الضفة اليمنى من نهر الوادي الكبير وكلمة المصارة لا يعرف معناها أو أصلها وقد أطلقت على عدة أماكن في المغرب والأندلس ولا سيما في الفضاء الفسيح المجاور للمدن مثل قرطبة وغرناطة وفاس وعادة ما كانت تقام في هذه الأماكن ألعاب الفروسية وعرض الجيوش، كما تقام فيها أيضا الصلوات العامة كصلاة العيدين أو صلاة الإستسقاء ولهذا إختلط الأمر بين المصارة والمصلي وخصوصا وأنهما في مكان واحد ومن الطريف أن هذا اللفظ انتقل إلى اللغة الإسبانية بهذا الاسم (Almuzana) المثارة ولا زالت إلى اليوم عدة أماكن في شمال إسبانيا بهذا الاسم وأغلبها أراض زراعية فسيحة، وهذا ما دعا بعض المستشرقين إلى إعتبار كلمة المزارع والزراعة أصلا لكلمة المصارة أما التسمية الثانية لهذه الموقعة هي الأميدا (Alameda) فقد وردت في الكتب الإسبانية فقط ويبدو أن وجود ال في هذه الكلمة جعل بعض الكتاب يظن أن أصلها عربي، ومما لا شك فيه أن أصلها لاتيني (Alame) أي شجر الصفصاف أو الحور وهو شجر طويل عريض الأوراق والمكان الذي يكثر فيه هذا الشجر يسمى الأميدا (Alameda)، وهذا الاسم منتشر في إسبانيا وخاصة بنواحي ليون وسرقسطة وبرفش وأسترفقة. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، هامش ص ٥٦- ٥٧؛ ليوپولدو توريس بالباس: المدن الإسبانية الإسلامية، ترجمة البودورو دي لابنيا، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ٢٠٠٣، ص ١٩١.

(١٨٩) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥٤.

ثانياً: - رهائنُ الصراعاتِ الخارجيةِ منذُ الفتحِ الإسلامي حتى نهايةِ عصرِ

الولاة:

رهائنُ لفتحِ الأندلسِ

كَانَ مِنَ الْمُؤَكَّدِ لِلجِيوشِ الإسلاميَّةِ أَنْ تَتَقَدَّمَ لفتحِ الأندلسِ وذلكَ لأنَّ غرضها الأساسيَّ الجهاد (١٩٠) في سبيلِ الله، وذلكَ لضرورةِ إبلاغِ دعوةِ الإسلامِ إلى الناسِ كافَّةٍ لأنها دعوةٌ عالميةٌ ورسالةٌ خاتمةٌ فقال تعالى "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا" (١٩١)، وليسَ للرسولِ خيارٌ في إبلاغِ رسالةِ الله، فقال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ" (١٩٢).

وأمامَ هذهِ التكاليفِ بإبلاغِ رسالةِ الله لا بدَ للدعوةِ من خصومٍ يقفون في طريقها ويمنعون وصولها إلى الناسِ عندئذٍ لا بدَ من تحطيمِ مراكزِ القوي التي تصد عن سبيلِ الله: "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنْتَهُمْ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ" (١٩٣).

(١٩٠) الجهاد: الجهاد لغة: بذلُ الجهدِ وإستقراغُ الوسع، والجهاد اصطلاحاً هو: المبالغة في إتعايب النفس في ذاتِ الله وإعلاء كلمته التي جعلها الله طريقاً إلى الجنة وسبيلاً إليها ؛ ابن منظور: لسان العرب (مادة جهد)، ج ٣، ص ١٣٣.

(١٩١) سورة سبأ: الآية ٢٨.

(١٩٢) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(١٩٣) سورة البقرة: الآية ١٩٣.

وقال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِي جِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً**
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ^[١٩٤] فهذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً بأول
 الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام^(١٩٥) وبذلك لم يكن أمام المسلمين سوى الأندلس.
 وإن الهدف الأسمى من الجهاد الذي يقره الإسلام هو أن تكون كلمة الله هي العليا؛
 لأن تحقيق هذا الهدف يحقق للناس سلمهم الحقيقي ويضمن لهم سلامة أنفسهم وصيانة
 أعراضهم وحفظ أموالهم، ولذلك فإن هذه هي الغاية من الجهاد في سبيل الله، فعن أبي
 موسى [ؓ] قال: جاء رجل إلى النبي ^ﷺ فقال: الرجلُ يقاتل للمغنم، والرجلُ يقاتل للذكر، والرجل
 يقاتل ليري مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله العليا، فهو في سبيل
 الله)^(١٩٦).

لذلك كان من الطبيعي أن تستمر موجة الفتح الإسلامي، حيث بسط العربُ سلطانهم
 على شمالي إفريقيا كله في البر والبحر، ولم يبق من ثغوره بيد النصارى بعد افتتاح طنجة سوى
 ثغر سبتة^(١٩٧)، الواقع في نهاية البحر الأبيض المتوسط شرقي طنجة، وكانت يومئذ من أملاك

(١٩٤) سورة التوبة: الآية ٢٢٣.

(١٩٥) لمزيد من التفاصيل أنظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، القاهرة ٢٠٠٠م، ج ١٤، ص ٥٧٤؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ط ٢، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طبية للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٩م، ج ٤، ص ٢٣٧.

(١٩٦) ابن حزم: الأحكام في أصول الأحكام، دار الحديث، القاهرة ١٩٨٣، ج ٥، ص ١٤٥؛ أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال القرطبي: شرح صحيح البخاري، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الطبعة: الثانية - السعودية - الرياض ٢٠٠٣م، ج ٥، ص ٢٥، ٢٦.

(١٩٧) حاول المسلمون الاستيلاء على حصن سبنه مرتين: في المرة الأولى كان يقودهم عقبة بن نافع، فخرج إليه يليان يهدايا وتحف وأستلطفه وكان ذا عقل وتجربة فأمنه عقبة وأقره على موضعه وفي المرة الثانية موسى بن نصير فقاتله موسى، فألفاه في نجدة وقوة وعدة، فلم يُطْفَئْ، فرجع إلى مدينة طنجة وأقام هناك بمن معه؛ وأخذ في الغارات على من حولهم والتضييق عليهم، والسفن تختلف إليهم بالميرة والإمداد من الأندلس من قبل ملكها غُيْطُشَة، فهم يذتبون عن سبتة ذنباً شديداً، ويحمون بلادهم حماية تامة، وكانت سبتة مدينة حصينة قريبة من الأندلس مما ساعد على ثباتها بوجه المسلمين الفاتحين فتم عقد الصلح بين الطرفين؛ وبموجب هذا الصلح ظل جوليان حاكماً على سبتة مقابل اعترافه بالسيادة العربية، ورجع موسى إلى القيروان. مجهول: أخبار مجموعة، ص ٥١، ٥٢؛ البلازري: فتوح البلدان، ص ٢٣٢؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٤٢؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ١، ص ٢٦.

إسبانيا، ويحكمها زعيم من القوط أو الفرنج يدعي الكونت يوليان، وكانت سبته قد استطاعت لمنعتها الطبيعية ويقظة حاكمها أن ترد هجمات العرب رغم مجاورتهم لها من الجنوب والغرب، وكان موسى يشناق إلى فتح هذا المعقل الحصين على أن مشاريعه في الفتح لم تكن تقف عند سبته بل كانت تجاوزها إلى ما وراء ذلك البحر الشاسع^(١٩٨).

وكان طارق بن زياد قد عسكر هو ومن معه من جند العرب على الساحل المغربي عند طنجة^(١٩٩)، وقد ترك موسى مع طارق تسعة عشر ألفاً من البربر بالأسلحة والعدة الكاملة وكانوا قد أسلموا وحسن إسلامهم^(٢٠٠)، وأخذت أعدادهم تتزايد مع الزمن وخاصةً بعد انتشار الإسلام في المغرب بصورة جعلت أهالي تلك البلاد يتمسكون لحمل لواء الدين الجديد فكان توجههم ناحية إسبانيا، لذا اتجهت أنظار طارق إليها^(٢٠١).

ولذلك لم يقدم العرب على فتح إسبانيا بتخريض من صاحب سبته أو أبناء الملك غيطشه، بل كانت عندهم رغبة صادقة في الجهاد واستكمال الفتوحات الإسلامية^(٢٠٢)، ودليل ذلك قول طارق بن زياد عندما أوغل في بلاد الروم ومل الناس وتعبت أبدانهم من طول المشي المستمر، فقالوا له ألم تقنع بما فتح الله عليك؟ فضحك وقال: تالله لو ساعدتموني

(١٩٨) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٦.

(١٩٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٥١.

(٢٠٠) ابن الكردبوس، الإكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٤٦؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ١١١.

(٢٠١) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٥٢؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٣.

(٢٠٢) يمكن القول أن فكرة فتح الجزيرة الأيبيرية هي فكرة إسلامية تماماً، بل يروي أنها فكرة قديمة تمتد إلى أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد كان القائد عقبة بن نافع يفكر في اجتياز المضيق إلى إسبانيا، وسبق للمسلمين نشاط على شواطئ إسبانيا الشرقية وبعض جزر (الجزائر الشرقية) وهي ميورقة (Mallorca)، ومنورقة (Menorca)، واليابسة (Ibeza)، حيث يذكر الذهبي: أنه في سنة (٨٩هـ/٧٠٧م) جهز موسى بن نصير ولده عبد الله فافتتح جزيرتي ميورقة ومنورقة. عبد الرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسي، ص ٤٤، ٤٥.

لسرت بكم حتى أقف على باب روما وقسطنطينية العظمي وأفتحها بإذن الله، فإذا ملتم وسمتم فارجعوا (٢٠٣).

وفي بداية العقد الأخير من القرن الأول الهجري في حدود سنة (٩٠هـ / ٧٠٨م) عهد القائد العربي موسى بن نصير إلى طارق بن زياد بتولي قيادة البربر المسلمين الذين انتظموا في صفوف الجند العربي في منطقة المغرب الأقصى فاتخذ مدينة طنجة مقراً له، ولقد كان حماس هؤلاء البربر إلى الجهاد ونشر مبادئ الإسلام التي جاء بها العرب كبيراً، ونظراً لطبيعة المنطقة الجغرافية لم يكن أمام طارق وجنده سوى التوجه بأنظارهم إلى شبه الجزيرة الأيبيرية (٢٠٤)، ولا سيما أن مناطق الجنوب كانت صحراوية لا تشجع على التجارة إليها أو التوغل فيها، يضاف إلى ذلك أن البربر كانوا على اتصال دائم مع السواحل الإسبانية لقربها، وكانوا أيضاً على علم تام ومعرفة أكيدة بمدي خصب شبه الجزيرة وغناها، وعن خطورة مشاكلها الاجتماعية والسياسية، وضعف دولة القوط الغربيين بصورة عامة، وما تعانيه من الخلافات والشقاق. ولقد شجعت هذه العوامل العرب والمسلمين على التفكير بفتح إسبانيا وضربها إلى حظيرة المناطق التي تم تحريرها في المشرق العربي وشمال أفريقيا (٢٠٥).

ولم يكن هدف العرب الكسب المادي، بل كانت لهم غاية نبيلة أهم من ذلك بكثير، وأبعد تأثيراً، ألا وهي نقل مبادئ وقيم الإسلام السمحة إلى البلاد المفتوحة، والجهاد في سبيل الله من أجل تحريرها، أما الغنائم والمكاسب فهي تحصيل حاصل ونتيجة طبيعية من

(٢٠٣) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٤٩.

(٢٠٤) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٣.

(٢٠٥) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٩؛ شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص ٢٩؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٤.

نتائج الحروب التي كانت وما تزال تقوم بين الأمم، فالغالب لا بد أن يستولي على مخلفات المغلوب ولو أن موقف العرب من هذا أفضل بكثير من مواقف غيرهم من الشعوب نتيجة لنظرتهم الإنسانية السامية (٢٠٦).

وقد تطرقت المصادر التاريخية العربية إلى الأسباب التي أدت إلى الفتح العربي الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية ولكنها ترجع السبب الرئيس إلى وازع الانتقام الشخصي، ويسوقون على ذلك قصة ملخصها أن الكونت جوليان Julian حاكم مدينة سبتة قد شجع العرب على الفتح انتقاماً لنفسه من لذريق ملك إسبانيا الذي اعتدي على شرف ابنته (٢٠٧). ولا نستبعد اتصال العرب بصاحب سبتة أو أبناء الملك غيطشه فالعرب خلصوا من فتح المغرب الأقصى وأرادوا أن يستفيدوا من الطاقات البشرية الكبرى التي توفرت لهم بعد هذا الفتح، وأن هذا التفكير لم يكن بتجريض من هؤلاء أو هؤلاء، لأن العرب لم يكونوا بحاجة إلى أن يحرضهم أحد على الجهاد، إنما الذي حدث في فتح الأندلس حدث مثله في بلاد الشام والعراق ومصر من قبل، وهو محاولة العرب الاستفادة من الانقسامات الداخلية في البلاد ليضمّنوا النصر لأنفسهم (٢٠٨)، وخصوصاً أن فتح المسلمين للمدن والبلاد يتميز بالحذر والحرص الشديد على أرواح المسلمين.

(٢٠٦) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٤.
(٢٠٧) ابن الكردبوس: الإكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٤٣، ٤٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٦٧؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٢٥١، ٢٥٢؛ السلاوي: الاستقصا، ج ٢، ص ١٥٣.
(٢٠٨) حسن أحمد محمود: تاريخ المغرب والأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٣٠.

وبينما كان موسى يرقب الفرصة لتحقيق هذه الأمنية^(٢٠٩) جاءته رسالة من الكونت يوليان نفسه يعرض فيها تسليم معقله^(٢١٠) ويدعو لفتح إسبانيا^(٢١١)، وطارق يومئذ بتلمسين وموسي بن نصير بالقيروان، فقال طارق "لا أطمئن إليك حتى تبعث إلى برهينة" فبعث إليه بابنتيه ولم يكن له ولد غيرهما فأقرهما طارق بتلمسين واستوثق منهما^(٢١٢)، وقد عرض يوليان تسليم سبته وباقي معاقله وتقديم سفنه لنقل المسلمين في البحر ومعونته بجنده وإرشاده^(٢١٣)، ولذلك لم يكن أمام جوليان إلا الرضوخ للعرب والتعاون معهم، وخصوصاً أنه رأي أن الأمور تسير لصالح العرب والمستقبل يبشر بتفوقهم على القوي الأخرى^(٢١٤).

والضرورة العسكرية هي التي دفعت بطارق بن زياد أن يأخذ رهائن من يوليان وذلك حتى يوفر له الأمداء في بلاد يجهل طارق بن زياد مسالكها ووسائلها الدفاعية ومناطق الضعف والقوة فيها لذا أخذ الرهائن من جوليان حتى يجبره على مساعدته في مشروع فتح الأندلس، ويستوثق من عدم خيائته.

ولكننا في هذه الحالة نجد أنفسنا أمام أسئلة عديدة تفرض علينا، وخصوصاً أن الرهائن في هذه الحالة هم بنات يوليان، ألم يخش الاعتداء عليهن مثلما حدث من ابنته من لذريق؟ ولماذا كان جوليان حريصاً على الاستجابة لتلبية مطالب المسلمين؟ وما المكاسب التي سوف يجنيها يوليان من مساعدته للمسلمين في فتح الأندلس؟

(٢٠٩) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٥٢.

(٢١٠) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٩.

(٢١١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٥١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤.

(٢١٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٠٥.

(٢١٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٤.

(٢١٤) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٥؛ عبد الله عنان دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٥.

أسئلة عديدة اختلف العديد من المؤرخين في وضع إجابات دقيقة ومحددة لها، ويتضح أن حاكم مدينة سبته قدم الرهائن عن طيب خاطر وبسرعة رغم كون الرهائن في هذه الحالة (إناث) وذلك لأنه على ثقة كبيرة بأخلاق المسلمين وأنهم لا ينقضون العهد فلم يخشي على بنتيه، وخصوصاً أن يوليان قدم ابنه (٢١٥) وأبناء قومه رهائن قبل ذلك لموسي بن نصير، وذلك حتى يضمن موسى بن نصير صدق طاعته (٢١٦)، ولقد حرص يوليان على الوقوف بجانب المسلمين وهذا ما أكدته المصادر التاريخية وذلك ليس بسبب الخوف على بناته، اللتين قد هما رهائن ولكن حتى يؤكد يقينا على صدق مسعاه، ولكن ما هو تفسير حرص يوليان الشديد على مساعدة المسلمين؟ هل خوفه على ملكه؟ أم عنده رغبة للانتقام من لذريق؟ أليس كافياً أن يقدم يوليان الجزية للمسلمين ولا يكلف نفسه أعباء مساعدة المسلمين لفتح الأندلس!

كل هذه الأمور توضح الآتي:

- أن يوليان وغيره من النصارى عموماً على يقين بأن المد الإسلامي لن يتوقف عند مرحلة واحدة، لذلك لم يطلب يوليان من المسلمين مساعدة أبناء غيطشه في استعادة ملكهم بل طلب منه غزو الأندلس وهذا ما تؤكد الروايات التاريخية (٢١٧).

(٢١٥) لم تقدم المصادر التاريخية معلومات وافية عن ابن يوليان، ويذكر ابن الحكم أقدم الرواة أنه لم يكن له ولد، وذلك عكس روايات (القلقشندي وابن خلدون والسلوى) الذين يذكرون أن يوليان قدم ابنه رهينة لموسي بن نصير عندما أراد فتح مدينة سبته، ويرى الباحث أن ما ذكره ابن خلدون والقلقشندي والسلوى قد يكون صحيحاً، وأن ابن الحكم قد يكون محقاً إذ لم يكن لجوليان ولد في الظرف الذي قدم فيه ابنتيه رهائن لطارق بن زياد لأنه من الممكن أن يكون يوليان قد فقد ابنه في هذه الفترة. (٢١٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٥٣؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٦، ص ٢٨٢؛ السلوى: الاستقصاء، ج ١، ص ١٥٢. (٢١٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٥٢؛ ابن الكردبوس: الإكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٤٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٦٧؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٥؛ عبد الله عتات دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٩.

- ولو أن يوليان طلب منهم استعادة الملك لأبناء غيطشة لتوقفت الجيوش الإسلامية بعد الانتصار في معركة وادي لكّة، وسلمت الملك لأبناء غيطشة ثم ارتدوا إلى المغرب، ولكن حدث عكس ذلك، حيث تقدمت الجيوش الإسلامية وفتحت أغلب الأندلس، وانتشرت في مسالكها بإرشاد يوليان وأتباعه وتقدمت ناحية فرنسا واخترقت جبال البرتاب (٢١٨).

- لو أن يوليان كان يرغب حقاً في استرجاع العرش المغتصب من لذريق لكتب عهداً مع المسلمين، ولتم تبادل الرهائن بين الطرفين، حتى يتأكد المسلمون من صدق يوليان وعدم خيائته، وحتى يتأكد يوليان وأبناء غيطشة من عدم بقاء المسلمين في الأندلس، وما يؤكد ذلك أن المسلمين قاموا بفتح أغلب الأندلس وتقدمت الجيوش الإسلامية لجميع مسالكها بإرشاد يوليان أن ما حدث بعد الفتح الإسلامي للأندلس أن أبناء غيطشة تقدموا إلى المسلمين بعد انتصارهم يطالبون بشيء من ضياع أبيهم، فأعطاهم المسلمون جزءاً كبيراً منها كسبا لودهم، وقد أحسن المسلمون بذلك إحساناً عظيماً، لأن أبناء غيطشة أصبحوا من أخلص الأنصار لهم، وأسلم بعضهم وحسن إسلامه (٢١٩).

- أن جوليان عنده رغبة جامحة في الانتقام الشخصي من لذريق الذي اغتصب العرش من أبناء الملك غيطشة حليفه.

(٢١٨) بعض المؤرخين، يذكرون أن موسى بن نصير، بعد أن افتتح سرقسطة، بعث سراياه إلى قطلونة، ففتحت برشلونة ومن هناك اخترقت جبال البرتات (البرانس) وتوغلت في بلاد غالة، فاستولت على أرلونة (Narbonne) وصخرة إينيون (Avignon) وحصن لودون على وادي رونة، وهو وادي نهر الرّون ولا نستبعد أن تكون بعض قوات موسى قد افتتحت برشلونة ولاردة وجزء من إقليم قطلونية، وأنها قد وصلت إلى جبال البرتات واجتازتها إلى قرّشونة، فهو نفس الطريق الذي اتبعه السّمج بن مالك بعد ذلك بسنوات، ولكن فتح موسى هذا لم يكن فتحاً مُستداماً، إتما كان فتحاً وقتياً بقوات استطلاعية خفيفة. استطاعت جميع الممعلوميات عن تلك فتح الطيب، ج ١، ص ٢٥٦.

(٢١٩) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ١١٩.

- رغبة يولييان في المحافظة على ملكه بما يقدمه للعرب من مساعدات (٢٢٠)، وأن يحتفظ بملك مدينة سبتة في ظل حلفاء يحترمون العهود والمواثيق، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يتخلص من لذريق عدوه، ويكون قد قدم المساعدة لأبناء غيطشة.

بلاي رهينةً في يد المسلمين: -

كان فتح المسلمين لشبه الجزيرة سنة (٩٢ هـ / ٧١٠ م) قد أتاحَ لهم السيطرة التدريجية على سائر أنحائها باستثناء بعض الأشرطة الضيقة في أقصى الشمال الغربي في المنطقة المسماة جليقية (Galicia)، والتي تسميها المصادر العربية باسم الصخرة (٢٢١)، والتي تتميز بوعورتها وصعوبة الدخول إليها (٢٢٢)، وتمتاز بمراكزها الدفاعية الكثيرة التي تصلح للمعارك الحربية (٢٢٣)، وظلت المناطق الشمالية الغربية العقبة الأساسية في سبيل استكمال فتح شبه الجزيرة بكاملها، وتعد هذه الأجزاء من المناطق الوعرة جداً لأنها تضم هضاب اشتوريش Asturias القاحلة (٢٢٤)، ويعتقد بعض المؤرخين القدامى والمحدثين أن قادة جيش فتح

(٢٢٠) لمزيد من التفاصيل عن يولييان أنظر: حسين مؤنس: فجر الأندلس الصفحات ١١٥ - ١٢٨.
(٢٢١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٦٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٩؛ عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٠٧؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٣٢.
(٢٢٢) الحجى: التاريخ الأندلسي، ص ٢٦٨.
(٢٢٣) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢١٠.
(٢٢٤) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٨٣؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٤٧.

الأندلس قد اعتقدوا أن هذه المنطقة ليست ذات أهمية بالنسبة إليهم فأغفلوها^(٢٢٥)، ويعتبر أحدهم عدم فتح تلك المنطقة من أكبر أخطاء الفاتحين^(٢٢٦).

الحقيقة التاريخية مفادها غير ذلك، حيث أن هذه المنطقة كانت على أيام موسى هضبة قاحلة لا أهمية لها من أية وجهة حربية أو عمرانية، تحيط بها غابات كثيفة^(٢٢٧)، ورغم ذلك لم يغفل المسلمون هذه المنطقة، بل تصالح المسلمون مع أهل هذه المنطقة بناءً على طلبهم^(٢٢٨)، وأخذوا منهم بلاي رهينة والذي استطاع الهرب بعد ست سنوات، فاستطاع فيما بعد أن يجمع الشراذم المنهزمة من جيش القوط الغربيين المتحصنة وراء الجبال^(٢٢٩)، وعمل على إعادة ترتيب صفوفهم، وقامت ثورتهم في عهد عنبسة بن سحيم الكلبي (١٠٣-١٠٧هـ/ ٧٢٦-٧٢١) (٢٣٠).

(٢٢٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٦٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٩؛ المقرئ: نفع الطبيب، ج ٢، ص ١٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص ٢١٠؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٦٠؛ رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأشبانيا النصرانية، ص ٢٧.

(٢٢٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص ٢١٠.

(٢٢٧) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٦٠.

(٢٢٨) ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٢٤١.

(٢٢٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٦٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٧٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٠٧؛ السامرائي وأخرون: تاريخ العرب، ص ١٣٥.

(٢٣٠) المقرئ: نفع الطبيب، ج ٤، ص ٣٥٠، ٣٥١؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٢١٦؛ السامرائي وأخرون: تاريخ العرب، ص ٤٨.

فالذي حدث أن العرب لم يغفلوا أمر هذه المنطقة، ولكن الخلافة الأموية في دمشق سارعت إلى استدعاء موسى بن نصير سنة (٩٥هـ/٧١٤م) ^(٢٣١) رافضة إِماله بعض الوقت لاستكمال تطهير الشمال الإسباني من الشراذم ^(٢٣٢).

ثم شهدت الفترة التالية في الأندلس اضطراباً إدارياً كبيراً بسبب كثرة عدد الولاة وسرعة تغيرهم ^(٢٣٣)، مما هيا الفرصة لنصارى الشمال لإعادة ترتيب صفوفهم ^(٢٣٤)، والذي زاد من الأمر سوءاً هو انقسام العرب على أنفسهم وانصرافهم إلى منازعات الجيش والعصبية، فقد قضت هذه المنازعات على أعداد كبيرة منهم وصرفت جهودهم عن مراقبة الجزيرة والاستمرار في اليقظة على سلامة دولتهم فيها، بل أدت حروب العرب والبربر إلى مبارحة معظم البربر للنواحي التي كانوا قد استقروا فيها في الشمال الغربي الأقصى وانحدرهم إلى الجنوب، بل إلى عودة أعداد عظيمة منهم إلى إفريقية، فتخلفت وراءهم مساحاتٌ فسيحةٌ من الأرض كان من الطبيعي أن يتقدم القوط والأيبيريون الرومان للسكني فيها دون خوف، فاستعادوا بهذا الشكل نحو خمس شبه الجزيرة، وقد كثرت أعدادهم وتنسموا شيئاً من الرخاء أعانهم على الثبات للمسلمين وعلي ردهم عن بلادهم أولاً، ثم شجعهم على التقدم نحوهم

(٢٣١) كان سبب استدعاء القائد موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق ما نمي إلى الخليفة الوليد من خلاف موسى وطارق في الأندلس وخوفه من أن ينتهي هذا الخلاف بتفريق كلمة المسلمين في تلك البلاد النائية فضلاً من تخوفه من مشروع موسى بن نصير الذي يرمي إلى إختراق أوروبا بجيشه القوي وأن يصل إلى الشام عن طريق القسطنطينية وهذا المشروع سوف يعرض المسلمين إلى خطر كبير في تلك البلاد البعيدة جداً عن مركز الخلافة الأموية في دمشق؛ النوبري: نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ٢٧؛ المقرئ: فتح الطيب، ج ١ ص ٢٧٦؛ خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس، دار النجار للطباعة، بيروت، ١٩٧١، ص ١٤٤، ١٤٥.

(٢٣٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٥٤؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٤٥؛ الحجى: التاريخ الأندلسي، ص ٢٧٠.

(٢٣٣) الحجى: التاريخ الأندلسي، ص ٢٦٨.

(٢٣٤) مجهول: الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٩٥-٩٦، عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢١١.

والاستيلاء على الأراضي والبلاد من أيديهم فيما بعد^(٢٣٥)، واشغال المسلمين عن إحكام قبضتهم على الأندلس كاملة من أهم العوامل التي أدت إلى فشل المسلمين في مجال علاقتهم مع نصارى الشمال.

ولقد تركزت فلول القوط بعد هزيمتهم ومقتل ملكهم لذريق في واقعة وادي البرباط سنة (٩٢هـ / ٧١١م) في مكانين رئيسيين: الأول في هضاب كانتيريا في الشرق، والثاني في هضاب أستوريش في الغرب، وقد تزعم الجماعة الأولى الدوق بطرة أو بتروس (Pedro) الذي ينتمي إلى أحد الأصول القوطية النبيلة، فقد كان أحد قادة الجيش القوطي في عهد الملك القوطي ويتيزا (غيطشة) (٧٠١-٧١٠م) وعهد خلفه الملك ردرىك (لذريق) (٧١٠ - ٧١١م) إلا أن هذه الإمارة كانت هدفا سهلاً للقوات الإسلامية الذاهبة إلى بلاد الإفرنج (٢٣٦).

أما المجموعة الثانية فالتفت حول بلايو أو بلاجيوس وهو الذي يعنينا في موضوع الدراسة، وتعرفه المصادر العربية باسم بلاي (٢٣٧) أو بتسميته (أحد علوج النصارى) ويكتنف أصل هذه الشخصية الغموض، ولكنه على الأرجح ينتمي إلى أصل قوطي نبيل، وتقول إحدى الروايات أنه ابن الدوق فافىلا دوق كنتبريه (٢٣٨) وهو الذي قتل الملك ويتيزا (غيطشة) لذا كان مقرباً من الملك لذريق (٢٣٩).

(٢٣٥) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٦٠.

(٢٣٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٠٧؛ الحجى: التاريخ الأندلسى، ص ٢٦٩.

(٢٣٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٣٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٧٩؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ٣، ص ١٧.

(٢٣٨) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٦٨.

T.B.Trend, the civilization of Spain, (London - 1967), p31.

(٢٣٩) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٠٨.

ويذكر المقرئ أن بلاي هو أول من جمع فلول النصارى بالأندلس بعد غلبة العرب لهم، وأنه من أهل أستوريش من جليقية وكان رهينةً عن طاعة أهل بلده فهرب من قرطبة أيام الحربين عبدالرحمن الثقفي الثاني من أمراء العرب بالأندلس، وذلك في السنة السادسة من افتتاحها وهي سنة (٩٨هـ/٧١٦م)، وثار النصارى معه على نائب الحربين عبد الرحمن فطردوه وملكوا البلاد وبقي الملك فيهم، وكان عدة من ملك منهم إلى آخر أيام الناصر لدين الله اثنان وعشرون ملكاً^(٢٤٠)، ونجد ابن عذاري في بداية كلامه عن بلاي يذكر أن معلوماته أكدها أكثر من واحد من المؤرخين^(٢٤١).

فمن المحتمل أن الخلافة الأموية في دمشق عندما سارعت إلى استدعاء موسى بن نصير سنة (٩٥ هـ / ٧١٤م) لم يجد أمامه الوقت لاستكمال فتح الشمال الإسباني^(٢٤٢) فاضطر إلى عقد الصلح مع أهالي جليقية، وأن يأخذ بلاي رهينة.

والدليل على ذلك هو تتبع أحداث الفتح الإسلامي للأندلس، فبينما موسى بن نصير وطارق بن زياد يعدان العدة لفتح جليقية إذ أتاه مغيث الرومي رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان، يأمره بالخروج من الأندلس، والكف عن التوسع في البلاد، وأن يشخص إلى دمشق، فساءه ذلك، إذ لم يكن في الأندلس بلد لم يدخله المسلمون غير جليقية، فكان

(٢٤٠) المقرئ: نفخ الطيب، ج٤، ص ٣٥٠.

(٢٤١) المقرئ: نفخ الطيب، ج٤، ص ٣٥٠.

(٢٤٢) النويري: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٢٧؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١١٧؛ المقرئ: نفخ الطيب، ج ١، ص ٢٧٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٥٤؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٢١٦؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٤٥؛ الحججي: التاريخ الأندلسي، ص ٢٧٠.

شديد الحرص على اقتحامها (٢٤٣)، وكان موسى قد أوفد على بن رباح (٢٤٤)، مع مغيث الرّومي مولي الوليد بن عبد الملك، رسولين إلى الخليفة ينيان إليه أخبار الفتوح، يوم كان موسى في طليطلة بعد أن استعاد فتحها من جديد، وذلك سنة (٩٤ هـ / ٧١٢م)، فعاد مغيث إلى موسى بما أمره به الوليد، ولكن قدوم مغيث، لم يصرف موسى عن المضي في إتمام هذه الفتوح، فبذل جهده للبقاء في الأندلس بعض الوقت ريثما يتم فتح جليقية، ولاطف مغيثاً من أجل ذلك وسأله إمهاله إلى أن ينقذ عزمه في فتح جليقية، والمسير معه أياماً، ويكون شريكه في الأجر والغنيمة، نظير إمهاله بعض الوقت ومصاحبته في غزوة جليقية، وقبل مغيث هذه الشروط، فلما اطمأن موسى إلى ذلك بادر بالسير شمالاً لفتح قشتالة القديمة (Old Castile) تأميناً للحدود الشمالية لإقليم طليطلة (٢٤٥).

وسار موسى بقواته حتى بلغت فتوحاته منطقة خيخون (Gijon) وأقر بها حامية، وجعلها حصناً لما فتحه من البلاد في هذه النواحي البعيدة، ثم بعث سرية من فرسانه أدركت البحر عند صخرة بلاي (Peka de Pelayo)، وهكذا وصلت جيوش موسى حتى البحر

(٢٤٣) المقرئ: نفخ الطيب، ج٣، ص٩.
(٢٤٤) على بن رباح: هو أبو عبد الله على بن رباح بن نصير اللّخمي، كان فاضلاً جليلاً من جملة التابعين، وكان في نحو الثمانين من عمره، وهو يروي عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم، منهم عمرو بن العاص وولده عبد الله، وغلبة بن عامر وأبو هريرة وعائشة أم المؤمنين زوج النبي ﷺ، وروي عنه جماعة يكثر تعدادهم، ولد سنة (١٥٠ هـ / ٦٢٦م)، وكان أعور، ذهبت عينه يوم الصواري في البحر مع عبد الله بن سعد سنة (٣٤ هـ / ٦٥٤م)؛ وكانت له مع عبد العزيز بن مروان منزلة، وهو الذي زفّت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان إلى الوليد بن عبد الملك، ثم عتب عليه عبد العزيز، فأغراه إفریقیة، إلى أن توفي بها سنة (١١٤ هـ / ٧٣٢م)، وقيل توفي سنة (١١٧ هـ / ٧٣٥م)، ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، ج٢، ص٢٣٩؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص٢٤٨-٢٤٩؛ المقرئ: نفخ الطيب، ج٣، ص٩.

(٢٤٥) شيث خطاب: قادة فتح الأندلس، ج١، ص٣٣٨، ٣٣٩.

المحيط، فاطمأن إلى أنه فتح شبه الجزيرة، وهو يعلم أن أعداداً كبيرةً من القوط قد تراجعوا أمامه، واجتمعوا في نواحي أشتوريش وجليقية^(٢٤٦).

وبينما موسى كذلك كان الخليفة يريد عودته إلى دمشق فأرسل إلى موسى رسولاً آخر يكنى: أبا نصر عندما استبطأه في القفول، فأثاه وهو في مدينة لك بناحية جليقية، ومن الواضح جداً أن موسى ترك جبهة القتال مكراً لا بحض إرادته^(٢٤٧)، فلم يكن أمام موسى سوى الدخول في الصلح مع أهالي جليقية وأن يأخذ بلادي رهينة ضماناً لحسن طاعتهم دفعه إلى ذلك رغبة الخلافة في استرجاعه بالإضافة إلى انعدام الأهمية الحربية والعمرانية، وأنها محاطة بغابات كثيفة^(٢٤٨)، فأخذ موسى في طريق العودة أواخر سنة (٩٥هـ/ منتصف صيف ٧١٤م) (٢٤٩).

ولم تقدم المصادر الإسلامية أي معلومات عن مكان احتجاز بلادي في مدينة قرطبة، ولا أي معلومات عن طبيعة المعاملة التي تلاقها من قبل المسلمين، وأن بلادي لم يحتك بالمسلمين احتكاكاً مباشراً في مكان رهنه، ولم يعرض عليه الإسلام من قبل المسلمين الذين كان لديهم حرص شديد أن يدخل القادة ورؤساء القبائل والرهائن الذين يتم اتخاذهم للدين الإسلامي، وذلك لأن بدخولهم الإسلام يتبعهم أهل المنطقة التي ينتمون إليها وفي حوادث فتح إفريقية الأدلة الكافية، وأن المسلمين استهانوا بمنطقة جليقية وظنوا أنها ليست ذات أهمية بجوار البلاد الأخرى مثل فرنسا وإيطاليا وسويسرا التي اتجهت لها الفتوحات الإسلامية بقوة،

(٢٤٦) محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج ١، ص ٣٤٢.

(٢٤٧) ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٧٠؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٢٧٩؛ عبد الرحمن على الحجى، التاريخ الأندلسي، ١١٦.

(٢٤٨) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٦٠.

(٢٤٩) ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٧٠؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٢٧٩؛ محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج ١، ص ٣٤٢-٣٤٣.

لذلك لم يهتموا ببلاي المرتين عن أهل جليقية، ولو أن هذه المنطقة تمثل أهمية لحرص المسلمين أن يكون بلاي من المسلمين المجاهدين في سبيل الله، أو تشديد الحراسة عليه لكي لا يستطيع الهرب.

ولقد تمكن بلاي من الفرار في زمن والي الأندلس الحربن عبد الرحمن الثقفي سنة (٩٨ هـ / ٧١٨م) واتجه إلى منطقة أستوريش وأخذ يتنقل في هذه المنطقة واستقر في مدينة كانجاس إحدى مدن جليقية حيث التف حوله نفر من القوط الهاربين من المسلمين وكذلك الأيبيريين والرومان المقيمين في هذه المنطقة والذين لم يجدوا أفضل من أستوريش (Asturias) المحصنة بشكل طبيعي من الاحتماء بها (٢٥٠)، فأخذ يحرضهم على الوثوب على المسلمين ويعيب عليهم التراجع والاستسلام (٢٥١).

وقامت هذه المجموعة بإعادة تأسيس نفسها وإعداد العدة للوقوف ضد المسلمين من جديد، فاجتمع بعض النبلاء ورجال الدين ومن تبقى من جنود لذريق يساندتهم السكان المحليون فاختاروا بلاي ((Playa زعيما لهم الذي اتخذ من قرية كانجاس دي أونيس (Canges de Onis) عاصمة لهم (٢٥٢)، وبدأ بلاي مع أتباعه مقاومة المسلمين سنة (٩٨هـ/ ٧١٨م) ويعتقد أنه أقام علاقات سلمية مع المسلمين لفترة وربما دفع لهم الجزية (٢٥٣).

(٢٥٠) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٠٨.

Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 217

(٢٥١) المقرئ، نفح الطيب، ج ٤، ص ٣٥٠؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٣٤.

(٢٥٢) مونتنغري وات في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص ١٦٤.

Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 217.

(6) Chapman, Ahistory of Spain,P53.

وقد حاولَ بعضُ ولاة المسلمين في الأندلس التصدي لهذه التجمعات الإسبانية، وذلك بعد أن ثمت وازداد خطرها وبدأت تعتدي على المسلمين المجاورين لأماكن تجمعها مستغلةً انشغال المسلمين بنزعاتهم الداخلية، وأدى انشغال الوالي الحر بن عبد الرحمن الثقفي (٩٨- ١٠٠هـ/ ٧١٨- ٧٢٠م) بالغزو إلى بلاد الفرنجة ونواحي أربونة، في الشمال الشرقي إلى انتعاش حركة المقاومة المسيحية في المنطقة الشمالية الغربية بزعامة بلاي (٢٥٤).

وتزامن عهد بلاي مع فترة من النشاط العسكري المكثف من جانب الحكام المسلمين على الممتلكات الإفريقية الذين كانوا يشنون هجمات متتالية على تلك المناطق بحثاً عن الانتصارات العظيمة، لكنهم تعرضوا هناك للهزيمة، مما عرض السيطرة الإسلامية في المناطق الشمالية الشرقية لشبه الجزيرة للاهتزاز، كما خلقوا لأنفسهم عدواً جديداً بفتحهم لهذه الجهة الأمر الذي رفع الروح المعنوية للنصارى في الشمال الإسباني (٢٥٥)، فانطلقت حملة إلى الشمال لإخضاع هذه الشراذم في عهد الوالي عنبة بن سحيم الكلبي (١٠٣- ١٠٧هـ/ ٧٢١- ٧٢٥م) واجتاحت بلاد البشكنس (٢٥٦)، وهضاب أستوريش، واصطحبت هذه الحملة الكونت أوباس (٢٥٧).

(٢٥٤) مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٤٠، ٤١.
(٢٥٥) ابن الفرصى: تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٥٦؛ شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص ١٥؛ عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، ص ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤

ودخل المسلمون إلى أشتوريش بجيش قوامه (١٨,٧٠٠) جندي وكان بلاي في هذا الوقت مع جنوده في الجبال، وأقرب علقمه قائد المسلمين بجيشه منه ونصب خياماً لا تحصى مقابل كهف كوفادونجا (Covadonga) الذي التجأ إليه أهل إشتوريس، فأرسل المسلمون المطران أوباس (Oppas) ليقنع بلاي بالاستسلام^(٢٥٨) للجيش الذي استطاع الانتصار على حكومة القوط وجيشها الضخم قائلاً: هل تطمع بأن تدافع عن نفسك في هذا الكهف؟ استمع إلى وتقدم للاستسلام مقابل العديد من المزايا وصداقة المسلمين. رد بلاي على المطران صارخاً: "المسيح هو أملنا، من هذا الجبل سوف نثار لهزيمة القوط إنني واثق من تحقق وعد الرب (٢٥٩)٠"

أدرك المسلمون عدم قدرتهم على تحقيق نصر سهل فهاجموا بكل قوتهم، وتزعمُ الرواية النصرانية أن (١٢٥,٠٠٠) من المسلمين قد ذبحوا في هذه المعركة وهي أعداد مبالغ فيها، كما وقع المطران أوباس في أيدي مواطنيه وعاقبوه على خيائته بالموت، لكن الحقيقة المؤكدة أن هذا الانتصار الذي تزعم الرواية النصرانية أنه حدث عام (١٠٠ هـ / ٧١٨ م) أدى إلى إنهاء الحكم الإسلامي على هذه المنطقة وضمن الاستقلال المستقبلي لأشتوريس^(٢٦٠)، اعتبرت هذه المعركة البداية الحقيقية لميلاد حركة المقاومة النصرانية في شبه الجزيرة وأطلق عليها اسم حركة الاسترداد (La Reconquista) واستمرت مدة ثمانية قرون وتحديداً إلى عام (٨٩٨ هـ /

(٢٥٨) عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢١١.

(2) Crow , Spain the root and the flower, p49.

(3) Chapman, Ahistory of Spain, p54. imammuddin, Apolitical History of Spain, p 217.Collins, Roger, Early medieval Spain p 184.

١٤٩٢م) وهو تاريخ سقوط غرناطة (Granada) آخر المعازل الإسلامية بيد الأاسبان (٢٦١).

ونجد أن الروايات الإسلامية قللت كثيراً من أهمية هذه المعركة، ولم تخرجها عن كونها تمرداً في جليقية، حيث بدأ النصارى في المناطق غير المفتوحة بالدفاع عن أنفسهم، وطرّدوا من الجبال وأخيراً فإن كل ما بقي لديهم هو الكهف الصخري الذي يعرف لدي المؤرخين باسم صخرة بلاي (Penade Playo) (٢٦٢).

وبعض الروايات النصرانية تشير إلى أن بلاي وجماعته قد حققوا نصراً كبيراً على المسلمين سنة (١٠٤هـ / ٧٢٢م) حينما أرسل الوالي عنبسة بن سيم الكلي (١٠٣- ١٠٧هـ / ٧٢١-٧٢٥م) حملة لسحق العصاة النصارى في الشمال بقيادة علقمة اللخمي، وقد بالغت هذه الروايات في تصوير هذه الحادثة فجعلتها أشبه بالفتح الذي تم بإرادة القوي الإلهية (٢٦٣)، وقد عرفت هذه المعركة عندهم باسم كوفاً دونجاً الشهيرة وعدوها تاريخاً حاسماً أثارت حماسة النصارى لمواصلة الكفاح ضد العرب والمسلمين وبداية الحركة المسماة بحركة الاسترداد أما المصادر الإسلامية فقد أشارت إلى بلاي هذا ومقاومته للمسلمين ولكن إشارتها كانت موجزة، فابن حيان يذكر أن بداية نشأة الممالك النصرانية في أيام الوالي عنبسة بن سيم الكلي حيث يذكر " أنه في أيامه قام بجليقية عالج خبيث يدعي بلاي فعاب على العلوج طول الفرار وأذكي قرائهم حتى سما بهم إلى طلب الثأر ودافع عن أرضه، ومن وقته أخذ نصارى

(4) Crow , Spain the root and the flower , , p78.

(٢٦٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٣٤؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ٤، ص ٣٥٠؛ الحجى: التاريخ الأندلسي، ص ٢٦٩.
(٢٦٣) دورثي لورد: إسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة طارق فوده، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٥٩؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضاراتهم، ص ١٣٦.

الأندلس في مدافعة المسلمين عما بقي بأيديهم من أرضهم والحماية عن حريمهم وقد كانوا لا يطمعون في ذلك" (٢٦٤).

اعتبر البعض أن إطلاق تسمية (La Reconquista) على حركة المقاومة النصرانية منذ ميلادها في أوائل القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي وربطها بحركة الاسترداد الحقيقي التي بدأت بصورةٍ جديةٍ محسوسةٍ بعد زوال خلافة قرطبة في أوائل المائة الخامسة بعد الهجرة لا يخلو من الخطأ، لأن إشتوريس ولدت في ناحية لم يفتحها المسلمون قط فيلادها لا يعد بدءاً لحركة الاسترداد، وإنما يعد ميلاداً لحركة المقاومة للسيادة الإسلامية (٢٦٥).

ولم تتوقف الحملات الإسلامية عند هذا الحد حيث خرجت حملة أخرى بقيادة الوالي عقبة بن الحجاج السلولي (١١٦-١٢٣هـ/ ٧٣٤-٧٤١م) إلى جليقية (٢٦٦) معقل الفلول الإسبانية، فاقتحم عقبة بجيشه هذه المناطق سنة (١١٨هـ/ ٧٣٦م)، واسترد منهم بعض المناطق التي سبق أن استولوا عليها من قبل مستغلين سوء أوضاع المسلمين لاسيما بعد خسارتهم المفجعة في بلاط الشهداء واستشهاد الوالي عبد الرحمن الغافقي سنة (١١٤هـ/ ٧٣٢م) (٢٦٧).

ففتح عقبة السلولي جليقية وألبة ونبلونة ولم يتبق بجليقية قرية لم تفتح غير الصخرة فإنه لاذ بها بلاي فدخلها في ثلاثمائة راجل فلم يزالوا يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعاً وترامت

(٢٦٤) المقرئ: نفخ الطيب، ج٣، ص١٧.

(٢٦٥) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣١٠؛ محمود مكي: تاريخ الأندلس السياسي، ج١، ص ٦٨.

(٢٦٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٦٦؛ عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، ص ١٣٤.

Crow , Spain the root and the flower , p80.

(٢٦٧) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٧٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١١٩؛ وهناك بعض المصادر التي تذكر تاريخ وفاته سنة (١١٥هـ / ٧٣٣م) ابن عبد الحكم: فتوح صر، ص ٣١٧؛ الحميدى: جذوة المقتبس، ص ٢٥٦؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٧.

Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 218.

طائفةٌ منهم إلى الطاعة، فلم يزالوا ينقصون حتى بقي في ثلاثين رجلاً ومعهم عشرة نسوة، وكان عيشهم بالعدل ولاذوا بالصخرة فلم يزالوا يتقوتون بالعدل في خروق الصخرة وما زالوا ممتنعين بوعورتها إلى أن أعيأ المسلمين أمرهم واحتقروهم وقالوا ثلاثون علجاً ما عسى أن يجيء منهم فتركوهم احتقاراً لشأنهم (٢٦٨)

لم يوجه القادة المسلمين الاهتمام للقضاء على بلاي لاعتقادهم بأن ذلك سيؤدي إلى أن يموتوا وهم يتعقبوا ثلة من البأسين في الأودية الخطرة (٢٦٩)، ولو فعلوا ذلك لربما كانت إسبانيا دولة إسلامية حتى اليوم (٢٧٠)، إضافة إلى ذلك أن العرب لم يكونوا معتادين على المناطق الجبلية القاسية، وأن أساليبهم الحربية لم تتكيف مع تلك المناطق (٢٧١).

والذي زاد الأمر سوءاً حالة الانقسام التي أصابت المسلمين ودخولهم في مرحلة الحرب الأهلية التي شغلت المسلمين عن متابعة نصارى الشمال وتوسع ممتلكاتهم، حيث حدثت الفتنة بين العرب والبربر في عهد الوالي عبد الملك بن قطن الفهري سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م) وتم إخمادها عندما استعان عبد الملك بن فطن بالقوة الشامية المحاصرة في سبته بقيادة بلج بن بشر القشيري وذلك في سنة (١٢٣هـ/٧٤١م).

وبعد إخماد هذا التمرد في معركة وادي سليط تعقب العرب البربر في نواحي الجزيرة واشتدوا في ذلك شدة بالغة، وتبع هذه الفتنة الصراع بين القبائل اليمنية والقيسية، واشتعلت الحرب بينهما واستمرت هذه الفتنة حتى دخول عبد الرحمن الداخل للأندلس سنة (١٣٨هـ/

(٢٦٨) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٦٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٢٩؛ المقرئ: نفح الطيب، ج٤، ص ٣٥٠؛ حسين مؤنس: بلاي وميلاد إشبيري، ص ٦٨.
(٢٦٩) دوزي: المسلمون في الأندلس، ج٢، ص ١٥.

(3) Crow, Spain the root and the flower, p 80.

(4) Collins, Roger, Early medieval Spain p 184.

٧٥٦م) وَخُتِمَتْ هذه الفترة بالصراع بين يوسف الفهري من جهة والصميل بن حاتم من جهة أخرى وانتهت بمعركة المسارة سنة (١٣٨هـ/٧٥٦م) (٢٧٢).

وساءت أحوال الأندلس بالمجاعة التي حدثت في البلاد وبسببها حدث القحط، و يتحدث عنها صاحب الأخبار المجموعة بقوله " حتى كانت فتنة أبي الخطار وثوابة، فلما كانت سنة (١٣٣هـ/٧٥٠م) هزمهم بلاي وأخرج العرب عن جليقية كلها وتنصر كل مذبذب في دينه وضعف عن الخراج وقُتل من قتل وصار فلهم إلى خلف الجبل إلى إستورقة حتى استحكم الجوع فأخرجوا أيضا المسلمين عن إستورقة وغيرها، وانضم الناس إلى ما وراء الدرب الآخر وإلى قورية وماردة وفي سنة (١٣٦هـ/٧٥٣م) اشتد الجوع ففرج أهل الأندلس إلى طنجة وأصيلا وريف البربر مرتحلين وكانت إجازتهم من وادي بكورة شذونة ويقال لها وادي برباط فتلك السنون تُسمى سني برباط نخف سكان الأندلس، وكاد أن يغلب عليهم العدو إلا أن الجوع شملهم" (٢٧٣).

ولا نزاع في أن عدد من هاجر من البربر كان عظيماً جداً لأن المؤرخين يحدوثونا أن نواحي شمال الأندلس وغربه كادت تخلو من أهلها المسلمين، فإذا أضفنا إلى ذلك أعداد من هلك من السكان عرباً وبربراً بسبب المجاعة، ومن هاجر منهم إلى الجنوب وإلى الغرب وإلى إقليم سرقسطة استطعنا أن نعرف السبب فيما حدث من اتساع دولة النصارى الأسبان في جليقية وأشترش اتساعاً مفاجئاً حيث بلغت به ضعف حجمها الأول بين سنتي (١٣٤- ١٣٦هـ/٧٥١-٥٥٣م) ذلك أن الإقليم الواسع بين نهري المنه والديورو خلا من سكانه

(٢٧٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٢٠-٢٢١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٠، ٣١؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٢٥٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٢-١٢٦.
(٢٧٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٣.

المسلمين في ذلك الحين، فأستطاع النصارى أن يتقدموا ويحتلوا ما استطاعوا من هذه المساحة من غير جهد، وكان يقودهم ملكهم ألفونسو الأول فاسترجع النصارى أفرغة وأبورتو وفزيو وبذلك سيطروا على شمال الأندلس حتى الدويره، ثم تقدموا بعد ذلك في حذر فاستولوا على إسترقة وليون وسعمورة ولدسما وشلمنقة وقورية، بل تذهب المراجع النصرانية إلى إنهم استرجعوا ماردة نفسها، وبهذا خسر المسلمون ربع ما فتحوه من الأندلس بسبب هذه الخسومات القبلية وبسبب المنازعات بين العرب والبربر، وكان لها أسوأ الأثر على مستقبل الإسلام في الأندلس (٢٧٤).

استطاعت المملكة الإستورية (٢٧٥) الصغيرة التي كانت تحتجى وراء الجبال أن تتوسع بواسطة اختلاط العائلة المالكة (٢٧٦) مع العائلات المالكة من دوقيات كنتبرية في الشرق (٢٧٧)، حدث ذلك بعد وفاة بلاي (١٣٣هـ/٧٥٠م) خلفه ابنه فافيل (Fafila) (١٣٣-١٣٥هـ/٧٥٠-٧٥٢م) الذي لم يطل حكمه أكثر من عامين بسبب وفاته على يد دب تعرض له أثناء خروجه للصيد (٢٧٨)، ولم يترك فافيل بصماته في التاريخ الإسباني كما لم يترك عقبا، وتوافق ذلك مع وفاة بطره (Pedro) أمير كنتبرية خلفا ابنه الفونسو (Alfonso)

(٢٧٤) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٢٦١- ٢٦٢.

(٢٧٥) ملوك مملكة اشثوريش النصرانية: إنظر ملاحق الرسالة، ص ٣٢٨.

Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 218.

(4) Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 218

.Collins, Roger, Early medieval Spain p 185

(٢٧٧) كان هناك تجمع مسيحي في هضباب كانتابرية (Contabria) (نافار وبسكونية) تحت حكم زعيم يدعي الدوق بتروس بن بطره كونت إمارة صغيرة في الشمال الشرقي في نافار (Navarra) أو بلاد البشكنس (Basques) ولكن هذه الإمارة كانت قليلة الخطر على المسلمين لوقوعها في الطرف الغربي من جبال البرنيه (Byrnees) فكانت عرضة لإقتحام الجيوش الإسلامية عند مسيرهم إلى بلاد الفرنجة وعند عودتهم منها؛ لمزيد من التفاصيل أنظر: عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٠٧؛ الحجى: التاريخ الأندلسي، ص ٢٦٩.

(٢٧٨) الفلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٦٤؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ٤، ص ٣٥١.

الذي كان متزوجاً من أرمسندا (Ermesinda) ابنة بلاي فأصبح الوريث الشرعي للعرش، فاختاره النصارى ملكاً عليهم، وبذلك تم توحيد الإمارتين الصغيرتين تحت سلالة أسرة أستورية واحدة (٢٧٩).

ويعتبر ألفونسو المؤسس الحقيقي لمملكة أشتوريس حيث استطاع توحيد النصارى والحفاظ على ما بأيديهم من هجمات المسلمين المتتالية، وفي حملاته ضد الأراضي الإسلامية قام باستدعاء آلاف النصارى (المستعربين) مما جعل الشمال النصراني مأهولاً بالسكان (٢٨٠)، وفي عهد ألفونسو توسعت المناطق المسيحية على حساب الممتلكات الإسلامية، ولم يحاول العرب الحفاظ على خطوط الاتصال والاستيطان في المناطق الوعرة غير المرغوب فيها (٢٨١) إضافة إلى عدم وجود أعدادٍ كافيةٍ من الأفراد للانتشار في تلك المناطق (٢٨٢)، وحالما أتيح المجال أمام البربر الذين زرعوا في جليقية عادوا إلى الشمال الإفريقي أثر اندلاع الحروب الأهلية (٢٨٣).

ضعفت قبضة العرب في وادي دويرة منذ سنة (١٣١-١٣٦هـ/٧٤٨-٧٥٣م) تعاونت الحربُ الأهليةُ مع المجاعة التي أصابت شبه الجزيرة لمدة خمس سنواتٍ متتالية على تحرير جزءٍ كبيرٍ من إسبانيا من الحكم الإسلامي، وأحكم النصارى السيف في رقابٍ من وجدوه منهم في البقاع التي غادرها المسلمون، غير أن أمل ألفونسو في امتلاك هذه الأراضي

(٢٧٩) الحجى: التاريخ الأندلسي، ص ٢٧٠، ٢٧١.

Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 218.

(2) Chapman, Ahisory of Spain,P54. Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 218.

(٢٨١) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٤٤.

Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 217.

(٢٨٢) رينهارت دوزى: المسلمون في الأندلس، ج ٢، ص ١٥.

(٢٨٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٤٣-٤٤؛ رينهارت دوزى: المسلمون في الأندلس، ج ٢، ص ١٥.

Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 218.

تبدد هباءً لقلّة ما لديه من العبيدِ لفلاحةِ الأرضِ في إقليمٍ فسيحٍ كهذا، ولقلّةِ توفرِ المال الذي يلزمه لترميم تلك القلاع والحصون التي عمد المسلمون إلى هدمها أو تخريبها قبل رحيلهم (٢٨٤)، مما أدي إلى تشكيل الحدود في المناطق غير المسكونة (٢٨٥)، والتي كانت تشكل مناطق وقائية خلفها ملوك إشتوريس بوعي لكي يحجوا أراضيهم ضد أي هجوم مفاجئ من قبل القوات الإسلامية (٢٨٦).

ولم تشكل المناطق الحدودية خطأً ثابتاً ولم تتجه إلى الجنوب بشكلٍ مباشر، بل كانت تتقدم عندما يحقق النصارى أي نصرٍ أو يسيطروا على مدينةٍ تسيطرُ على مدخلٍ أو تسيطرُ على سهلٍ، وعندما يكون هناك أية أزمة أو حرب أهلية بين المسلمين كانت الحركة نحو الجنوب تتقدم وتراجع ولكن يزخم أكبر من الشمال (٢٨٧).

كل ذلك يوحي بأن المسلمين أرادوا التخلي عن هذه المناطق الشمالية لإنشاء سلسلة حدودية إلى الجنوب، لأن مشاكلهم كانت أكبر في الجنوب، كما أن وجودهم في أقصى العالم الإسلامي جعل إفريقية ومنطقة شرق البحر الأبيض المتوسط تشكل المنطقة الطبيعية لاهتمامهم (٢٨٨).

(٢٨٤) رينهارت دوزي: المسلمون في الأندلس، ج ٢، ص ١٦.

(٢٨٥) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٤٤؛ عادل سعيد: الأمة الأندلسية الشبيدة، ص ٥٢.

Imemuddin, Apolitical History of Muslim Spain, p 219.

(٢٨٦) أجيبوس، ديونيسيوس وريتشارد هيتشكوك: التأثير العربي في أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم، عين للدراسات، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٦٠.

(٢٨٧) محمد نايف: مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ٥٦.

(8) Collins, Roger, Early medieval Spain p 184.

الرهائنُ السياسيون مع الإفرنج

بدأ تطلع الولاة العرب في إسبانيا إلى بلاد ما وراء البرانس وجعلوا الجهاد لنشر الإسلام في العالم هدفاً وقاعدةً لتحركهم العسكري وتوسعهم في أوروبا وخاصةً وراء البرتاب، وذلك عقب الجهود التي بذلها موسى بن نصير في تتبع بقايا القوط الذين تقهقروا صوب الشمال واعتصموا بما بقي لهم من أرض في المناطق الواقعة جنوب جبال البرانس، وكان موسى يود أن يطوق جذور المقاومة النصرانية^(٢٨٩) التي تتدفق من جنوب فرنسا إليهم، لكنه لم يستطع تحقيق غايته بسبب استدعائه إلى بلاد الشام^(٢٩٠)، وكان هدف موسى بن نصير الوصول بالفتوحات الإسلامية إلى دمشق عاصمة الخلافة عن طريق ألمانيا مارا بالقسطنطينية وبأسيا الصغرى، بحيث يصبح البحر المتوسط كله عبارة عن بحر متوسط للمملكة الإسلامية^(٢٩١) وقد كان أشد ما بُهتَ به المسيحيون وقتئذ أنهم كانوا يرون أعداءهم هؤلاء في كل مكان وفي وقت واحد، وكانت طريقتهم في الفتح أنه إذا خضع لهم بلد بدون قتال لم يعتدوا على سكانه في ما لهم ولا في دينهم، وإنما كانوا يحولون جانباً من الكنائس إلى جوامع ويغنمون ما فيه من النفائس، ويضعون أيديهم على الأراضي التي تزرع عنها أهلها وعلي الخيل والعتاد التي كانت ضرورية لهم في تلك الغزوات المتواصلة، وكانت الجزية التي يفرضونها على الأهالي متفاوتة بحسب الأحوال، ولربما أخذوا من الأهالي رهائن ليستوثقوا منهم، فأما البلاد التي لم

(٢٨٩) شكيب أرسلان: غزوات العرب، ص ٣٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٥٤.

(٢٩٠) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٤٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٨.

(٢٩١) شكيب أرسلان: غزوات العرب، ص ٣٧.

تخضع لهم إلا بالسيف فقد كانت عرضةً للمظالم التي تصحب الفتوحات، وكان يفرضُ عليها ضعف جزية البلاد الخاضعة بلا قتال، وكانوا يتركون فيها حاميةً لحفظها وربما جعلوا في هذه الحامية بعض اليهود الذين كانت عداوتهم للمسيحيين أضمن سبب للثقة بهم^(٢٩٢).

وقد باشر المسلمون توسعهم في غالة قبل نهاية القرن الأول للهجرة في ولاية الحربن عبد الرحمن الثقفي (٩٧-٩٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م)، ومن بعده السمح بن مالك الخولاني (١٠٠-١٠٢هـ/٧١٩-٧٢١م) الذي قام بمحملة العسكرية التي استهدفت بلاد غالة وجرت بينه وبين الفرنجة معركة طولوشة، والتي كان من قتلها السمح بن مالك نفسه^(٢٩٣) وقام أمير القيروان يزيد بن أبي مسلم بتولية عنبسة بن سحيم الكلبي واليا على الأندلس فوصل عنبسة إلى الأندلس في (١٠٣هـ/٧٢١م)^(٢٩٤)، وكانت الأندلس تعاني من الاضطراب بسبب الهزيمة التي أصابت المسلمين في جنوب فرنسا، وبسبب النزاع المستمر بين القبائل العربية، لذلك قضى عنبسة فترة السنوات الأولى من ولايته في تنظيم وتهدة البلاد^(٢٩٥)، ويضاف إلى ذلك أنه وجه جهوده للقضاء على التمرد في جليقية وكان عنبسة ذا حماسٍ للفتوح، وللسير في الطريق التي سلكها السمح من قبله، وكان يرمي إلى الحفاظ على منطقة غالة القوطية، وحماية خطوط مواصلات العرب مع أربونة، ولهذا فلم تكد الأمور تستقر له حتى سار بجيشٍ عظيم نحو بلاد غالة أو جنوب فرنسا، وحاول تدعيم خط الدفاع أمام أربونة، فحاصر مدينة قرقشونة وافتتحها بعد فترة وجيزة، وذلك بعد أن نزل المدافعون عن البلد على شروطه، فعقد معهم معاهدة

(٢٩٢) شكيب أرسلان: غزوات العرب، ص ٣٧، ٣٨.
(٢٩٣) ناصر محمد بسبوني: السياسة الخارجية للدولة الأموية بالأندلس في عهد الإمارة؛ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٩٩، ص ٤٠.
(٢٩٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٢٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٧؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١١٨؛ المقرئ: فح الطيب، ج ١، ص ٢٣٥.
(٢٩٥) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٨٢؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص ٥٣.

صلح وافقوا بموجبها على منح نصف المدينة وما حولها للمسلمين، وأن يدفعوا الجزية ويطلقوا سراح جميع الأسري المسلمين الموجودين في المدينة وأن يلتزموا بروح هذه المعاهدة وذلك بمقاتلة أعداء المسلمين ومحالفة أصدقائهم^(٢٩٦).

واستولى غنبة بعد هذا على جميع غالة القوطية، ووصل إلى نيمس^(٢٩٧)، وأخذ رهائن من أهلها وأرسلهم إلى برشلونة^(٢٩٨)، القاعدة الإسلامية في شمال شرق الأندلس، ويفهم من ذلك أن برشلونة كانت في يد المسلمين واتخذوها حصناً ومركزاً يصدرون منه للغزو فيما وراء البرتاب^(٢٩٩)، ومن هذا المكان سار المسلمون حتى أدركوا نهر رودنة، وصعدوا مع النهر إلى نهر الساؤون، ومن ثم توغلو في إقليم برغندي وفتحوا مدينة أوتون Autun في سنة (١٠٧هـ/ ٧٢٥ م)، ويذكر بعض المؤرخين أن حملة غنبة استمرت في سيرها حتى وصلت إلى مدينة أوزة Uzès، وفيه Viviers وفالانس Valence، ولى ون، وماسون Macon، وشالون Chalon. ومن هناك تفرعت إلى فرعين، سار الأول نحو ديجون Dijon، وبيز Beze، ولانجر Langres، واتجه الثاني إلى أوتون مرة أخرى، ولم يقف تيار هذه الحملة إلا قرب بلدة سانس Sens، على بعد ثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب من باريس، وذلك بسبب تصدي أسقف سانس للمسلمين ووقفه لتقدمهم^(٣٠٠).

(٢٩٦) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٣٧٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢٧؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١٥١؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص٥٢.
(٢٩٧) مدينة نيمس (Nîmes): مدينة مشهورة في جنوب فرنسا ذات آثار رومانية عظيمة؛ أرسلان: تاريخ غزوات العرب، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٢٣، ص١٠٧. ليوبولد تورسن بالباس: المدن الأسبانية الإسلامية، ص٣٧.
(٢٩٨) شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص٧٣؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص٥٣.
(٢٩٩) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص٥٣؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص٣٠٧.
(٣٠٠) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص٥٣.

ونجد أن عنبسة قامَ بفتح العديد من المدن ولم تذكر المصادرُ التاريخيةُ أسماء المدن التي أخذ منها القائد عنبسة رهائن سوى مدينة (نيمس Nimes) تحديداً ولم تقدم لنا الأسباب، أو أي معلومات عن هؤلاء الرهائن!

يذكر بعض المؤرخين: أن حملة عنبسة لم تكن في الحقيقة سوى غارة بعيدة المدى، ولو كان له نية للفتح الثابت لأتم الاستيلاء على ما غلب عليه من المدائن، وربما كانت نيته من أول الأمر أن يقوم بحملة تشبه حملة عقبة الكبرى، وأن حملته الرائعة تلك لم تكن أكثر من غارة سريعة طويلة أتت بمغانم وفيرة ونشرت في نواحي غالة رعباً شاملاً (٣٠١)، ولكن لماذا اتخذ عنبسة الرهائن من أهل هذه المدينة إذا لم يكن غرضه البقاء ونشر الإسلام!!!

وقد عاد عنبسة ومن معه من الجند، وذلك بعد أن وصلته أنباء بحادث بعض القلاقل في البلاد، ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى الأندلس، فقد هاجمته في طريق العودة جموع كبيرة من الفرنج، فاستشهد نتيجة للمعركة التي حدثت بين الطرفين في (شعبان ١٠٧ هـ/ ديسمبر ٧٢٥م) (٣٠٢). فقام القائد عذرة بن عبد الله الفهري -وتسميه المصادر المسيحية Hodera أو Hodeyra بقيادة الجيش والعودة به إلى قواعده (٣٠٣).

وعمل شارل مارتل على مهاجمة المواقع الإسلامية بمساعدة أخيه شيلد براند الذي أتى بجيش كبير من البرابرة من الأقاليم الشرقية للإمبراطورية الإفرنجية، وبمساعدة ليتوبراند Luit prand ملك اللومباردين، وعمل على إثارة الباسك ليغلقوا ممرات جبال البرانس، وقام شارل مارتل بمهاجمة مدينة أفينيون التي استسلمت بعد حصارٍ طويلٍ وقتل من بها من

(٣٠١) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٠٧.

(٣٠٢) ابن الغرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٧٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٧، ص ٢٠٩.

(٣٠٣) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص ٥٣؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٣٠٧.

المسلمين وضرب الحصار حول مدينة أربونة، فأرسل عقبة بن الحجاج السلولي جيشاً لإنقاذها عن طريق البحر، ووصلت الإمدادات الإسلامية للمدينة عن طريق البحر، لكن شارل مارتل فاجأها قبل أن تتأهب للقتال، وهزمت القوات الإسلامية التي أرسلت لنجدها، ورغم ذلك لم يستطع شارل مارتل الاستيلاء عليها لأن المسلمين أحسنوا الدفاع عنها، فأضطر شارل لرفع الحصار عن المدينة، وقبل رحيله عنها قام بتخريب المناطق الواقعة بجوار اللوار ليقوم حاجزاً بينه وبين المسلمين يتعذر عليهم عبوره فخرّب العديد من المدن الهامة مثل مدينة بيزيه وآجد وماجلون وغيرها، وأحرق مدينة في وهدم قسماً من الملهي الروماني خوفاً من أن يتحصن به العرب، وخرّب مدينة ما جلون التي شهدت في عهد المسلمين ما لم تشهده في ظل القوط أو الفرنجة، بالإضافة إلى ذلك نجد شارل مارتل قد اتخذ المسلمين الذين كانوا يقيمون في هذه البلاد رهائن (٣٠٤).

وذلك حتى يتم المساومة عليهم إذا رجع المسلمين، ولكن لم يرجع المسلمين لهذه المناطق مرة أخرى، ولم تذكر المصادر التاريخية أية معلومات على ما آل إليه حال هؤلاء الرهائن.

(٣٠٤) مني حسن محمود: المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٦، ص ١٦٩.

الفصل الثالث

الرهائن السياسيون في الأندلس منذ عهد عبد الرحمن الداخل إلى نهاية عهد عبد الرحمن

الأوسط (١٣٨ - ٢٣٨ هـ / ٧١٤ - ٨٥٢ م).

أولاً: رهائن الصراعات الداخلية في الأندلس.

١ - عهد عبد الرحمن الداخل (١٣٨ - ١٧٢ هـ / ٧٥٥ - ٧٨٧ م).

٢ - عهد الأمير هشام الرضا (١٧٢ - ١٨٠ هـ / ٧٩٦ - ٨٠٠ م).

٣ - عهد الأمير الحكم (١٨٠ - ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ - ٨٢٢ م).

٤ - عهد عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ - ٨٥٢ م).

ثانياً: رهائن الصراعات الخارجية في الأندلس.

١ - عهد عبد الرحمن الداخل (١٣٨ - ١٧٢ هـ / ٧٥٥ - ٧٨٧ م).

٢ - عهد خلفاء الأمير عبد الرحمن الداخل حتى نهاية عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (١٧٢ -

٢٣٨ هـ / ٨٥٢ - ٨٨٨ م).

رهائن الصراعات الداخلية في الأندلس منذ عهد عبد الرحمن الداخل إلى نهاية عهد
عبد الرحمن الأوسط (١٣٨ - ٢٣٨ هـ / ٧١٤ - ٨٥٢ م)

عبد الرحمن الداخل رهينة بيد البربر:

استمرت الدولة الأموية قائمة في المشرق العربي حتى سنة (١٣٢ هـ/٧٤٩ م) إذ حلت محلها الدولة العباسية^(١) التي تتبعت فلول الأمويين الهاربين من الزحف العباسي بالقتل والسبي حتى أوقعوا بهم هزيمة نكراء على نهر الزاب^(٢) سنة (١٣٢ هـ/٧٥٠ م)، وتبع العباسيون مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢/٧٤٤-٧٤٩ م) حتى ظفر به صالح بن علي في مصر في قرية أبو صير إحدى قرى بني سويف، وقضت على البقية الباقية من أنصار بني أمية، وتم قتل آخر خلفاء بني أمية، وتم إرسال رأسه إلى الخليفة أبو عبد الله السفاح وذلك في (١٣٦ هـ/٧٥٣ م)^(٣)، ولم ينبج من المذابح العباسية سوى قلة من أفراد البيت الأموي كان من بينهم عبد الرحمن بن معاوية^(٤)، الذي نحن بصدد الحديث عنه، والذي هرب من مذابح العباسيين طريداً من قرية لأخرى ومعه خادمه بدر^(٥) خرج مستتراً حتى وصل إلى مصر

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٠؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٣٧.

(٢) نهر الزاب: وهو فرع من دجلة يتصل به في الضفة الشرقية جنوب شرقي الموصل يبتدئ من أنريجان ويصب في دجلة؛ وذلك عند مدينة الحديثة وهي كورة من كور الموصل الحميري: الروض المعطار، ص ٢٣٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٤٥.

(٣) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٩٩؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٣٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٤٦.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن هروب عبد الرحمن الداخل من أيدي العباسيين، أنظر: مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٧-٩١؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ٣، ص ٢٧-٣١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٤٩-١٥٣.

(٥) بدر: رومي الأصل، ويكنى أبا نصر، وهو مولى لعبد الرحمن بن معاوية الداخل، كان شجاعاً، حازماً فاضلاً، تقياً، علماً من أعلام الوفاء، صاحب مولاة إلى المغرب الأقصى، يرجع إليه الفضل الأكبر في قيام الدولة الأموية في الأندلس، إذ رافق عبد

فاشدد الطلبُ على مثله فاحتالَ حتى وصل برقة^(٦)، وكانت أمور إفريقية قد آلت إلى عبد الرحمن بن حبيب الفهري^(٧) الذي خاف على سلطانه من توافد الناجين من البيت الأموي إلى المغرب ونزوحهم إلى بلده فشرع في مطاردتهم، ولما شعر بمقدم عبد الرحمن بن معاوية حاول القبض عليه إلا أنه تمكن من الفرار وبدأ ينتقل من قبيلة لأخرى، ومن بلدٍ لآخر حتى نزل بقبيلة نفزة^(٨) وأقام فيهم زمناً، وهم أخواله وهم من يرايرة طرابلس، وكانت أمه من سبيهم^(٩) وكتب إلى مواليه كتاباً يشكو فيه ما ابتلوا به، ويعظم عليهم حقه ونزوعه إليهم، وما صنع به ابن حبيب ويقومه بإفريقية ويعلمهم أنه، إن دخل إلى يوسف (١٢٩-١٣٨هـ/٧٤٦-٧٥٥م) لم يؤمنه ويعرض أنه إنما يريد الاعتزاز بهم، وأن يمنعه وإن تبيأ لهم ما فيه طلب سلطان الأندلس أن يعلموه وبعث بدر مولاة بكتابه^(١٠)، ثم ارتحل عبد الرحمن

الرحمن بن معاوية في رحلة هروبه من الشام إلى المغرب، وبعد أن أخفقت آماله في المغرب بعث مولاة بدرًا إلى الأندلس في أواخر سنة (١٣٦هـ/٧٥٣م) كي يمهّد له أمرها ويهيئ له أنصاره وأنجز مهمته بنجاح، فأخذه العجب بنفسه وظن أنه حر التصرف في أمور الدولة، فغضب عليه الأمير ونفاه إلى الثغر؛ لمزيد من التفاصيل أنظر: ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٤-٤٧؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص ٦٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٣٥، ٢٣٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م ٤، ص ٤٤٤.

(٦) برقة: مدينة كبيرة قديمة بيننا وبين البحر ستة أميال، افتتحها عمرو بن العاصي ﷺ سنة (٢١هـ/٦٤١م)، فصالح أهلها على الجزية وهي ثلاثة عشر ألف دينار؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٩١.
(٧) عبد الرحمن بن حبيب الفهري: من نسل عقبة بن نافع، فلما قتل الخليفة الأموي مروان بن محمد وسقطت الدولة الأموية استقل عبد الرحمن بن حبيب بولاية إفريقية والمغرب ودعا لبني العباس، ثم كتب إلى الخليفة المنصور بإعلان الولاء الشكلي للخلافة العباسية وأمتنع عن إرسال الأموال السنوية إليه مما أغضب الخليفة المنصور وجعله يكتب كتاباً بخلعه ويقراً على المنابر في سائر بلاد المغرب؛ ابن الحكم: فتوح مصر، ص ٢٢٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٥٨؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٦٦٤.

(٨) قبيلة نفزة: بكسر النون قبيلة كبير منها بنو عميرة وبنو ملحان المقيمون بشاطية وهي في المغرب الأوسط وهي القبيلة المنحدر منها طارق ابن زياد في بعض آراء المؤرخين: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٩٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٤٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٣٥؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٢٥؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٢٥٤؛ الزركلي: الأعلام، ج ١، ص ٢٨٧.

(٩) ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٣٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٥.
(١٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٥؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٦٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣٣٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٢٧.

إلى مغيلة^(١١) بالساحل بالقرب من مدينة طنجة^(١٢) ونزل عبد الرحمن بضيافة وانسوس^(١٣) أحد مشايخ قبيلة مغيلة وهم موالى عبد العزيز بن مروان ببلاد البربر^(١٤). هناك بعض العوامل التي شجعت عبد الرحمن بن معاوية على التفكير في الأندلس منها: أن جده هشام بن عبد الملك الذي أهتم برعايته كان يقول: "أنه صاحبُ بني أمية ومحبي دولتهم بعد زوالها"^(١٥) وكذلك شجعه على التفكير في الأندلس وجود جماعة من موالى الأمويين تعيش في ناحيتي البيرة وجيان، ونما إلى علمه اشتدادُ الخلاف بين اليمينية والمضرية^(١٦)، فعندما وصل بدر للأندلس أجمع بموالى المروانيين وأشياهم، الذين بثوا لعبد الرحمن الداخل دعوة ونشروا له ذكرًا^(١٧)، فنزل بدر بساحل البيرة التي تجتمع فيها عصابة بني أمية، و تنتهي فيها رئاسة الأمويين والشاميين لزعيمين من موالى بني أمية، هما أبو عثمان عبيد الله بن عثمان، وصهره عبد الله بن خالد، فاجتمع بدر بأبي عثمان وأبلغه رسالة عبد الرحمن وناشده العمل لنصرته، وبثَّ دعوته بين أصدقائه وشيعته، ولا سيما بين اليمينية، وهم خصومُ يوسف الفهري

(١١) مغيلة: مدينة متحضرة كثيرة التجارات متصلة العمارات، والطريق من مغيلة إلى وادي سنات إلى فحص النخلة إلى مكناسة، ومغيلة أشهرت بالخارجية لأنهم كانوا صغرية، ومن ساحلهم أجاز عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس ونزل بالمنكب؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٧، ص ١٢.

(١٢) المقرئ: نفح الطيب، ج٣، ص ٤٩.

(١٣) وانسوس: هو شيخ من رؤساء البربر يدعي وانسوس ويكنى أبا قرّة المغيلي وأنه لما هرب عبد الرحمن بن معاوية من الشام إلى إفريقية قاصدا الأندلس نزل بمغيلة فصار بها عند فاستتر عنده وقتا فلما دخل الأندلس واستتب أمره به سار إليه أبو قرّة وانسوس البربري فأحسن إليه وحظي عنده وأكرم زوجته تكفات البربرية عندما فقتشت رسل ابن حبيب بينها عنه، فكان أبو قرّة المغيلي الدائن بمذهب الصغرية الخوارج؛ المقرئ: نفح الطيب، ج١، ص ٣٣٣؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٦، ص ١٢٥؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر في الأندلس، هامش ص ٣٢، ٣٣.

(١٤) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٤.

(١٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤١؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ٢، ص ٧.

(١٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥١.

(١٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٧؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٢٨؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص ٣٣٦.

ومنافسوه^(١٨)، وانقطع رجاء موالى بني أمية^(١٩) من ربيعة ومضر، وذلك بعد موقف الصميل بن حاتم الذي أفرعه أمر قدوم عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس وذلك خوفاً من ضياع أمره^(٢٠) فمضوا إلى اليمنية، فلم يتركوا قبيلةً يمنيةً مروا عليها إلا حدثوها بأمر عبد الرحمن خالفهم الحظ، حيث أن اليمنية ناقون على القيسية منذ وقعة شقندة^(٢١) بينهما ومنذ فشل ثورتهم في سرقسطة، كانوا ينتظرون الفرصة للانتقام من القيسية، فأعلنوا جميعهم الاستعداد للانضمام إلى دعوة الأمويين^(٢٢).

فقرر موالى بني أمية استدعاء عبد الرحمن بن معاوية قبل أن يتفرغ له يوسف الفهري والسميل بن حاتم^(٢٣) وقد ابتاع موالى بني أمية مركباً ووجهوا فيه أحد عشر رجلاً منهم مع بدر، كان فيهم تمام بن علقمة الثقفي^(٢٤) وأعطوه خمسمائة دينار تكون معه عدة للنفقة عليه، ولقديرة

(١٨) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥١.
(١٩) لمزيد من التفاصيل عن الدعوة لعبد الرحمن الداخل في الأندلس أنظر: مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٥ - ٩٠، ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص ٤٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٣، ٤٤؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٦٧٠، ٦٧١.

(٢٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٧٢، ٧٣؛ ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص ٤٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥١.

(٢١) شقندة: قرية بعدوة نهر قرطبة، وفيها كانت الواقعة، حين تفاقم الصراع بين اليمنية والقيسية، واتفق رأيهم على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري فتولى يوسف سنة (١٢٩هـ/٧٤٦م)، على أن يلي الأمر سنة ثم يرد الأمر إلى اليمنية فيولون من أحبوا من قومهم فلما انقضت السنة أقبل أهل اليمن باسـرهم يريدون أن يولوا رجلاً منهم، فكانت واقعة شقندة، حيث وسار أبو الخطار إلى شقندة فاجتمعت إليه اليمنية واجتمعت المضـرية إلى الصميل وتزاحفوا واقتتلوا أياماً كثيرة قتالا لم يكن بالأندلس أعظم منه ثم أجلت الحرب عن هزيمة اليمنية ومضى أبو الخطار منهزماً فاستتر في رحي كانت للصميل قـدل عليه فأخذ الصميل وقتله وأثن فيها القتل باليمنانية؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٠، ص ١٢٢؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢٠، الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٨.

(٢٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٤.

(٢٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٩، ٩٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥٢.
(٢٤) تمام بن علقمة: أبو غالب تمام بن علقمة مولى عبد الرحمن الداخل، وقد دخل أبو غالب تمام إلى الأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري، وانضم تمام لزعـام موالى بني أمية في الأندلس وجاوز البحر لعبد الرحمن بن معاوية الذي واستحجبه عقب نجاحه في تأسيس الدولة الأموية في الأندلس (١٣٨هـ/٧٥٦م) وكلفه عبد الرحمن الداخل بالعديد من المهام منها فتح مدينة طليطلة عندما ثار فيها هشام بن عذرة الفهري سنة (١٤٤هـ/٧٦١م) وشارك في القضاء على ثورة شقيا عبد الواحد التي استمرت عشر سنوات (١٥١-١٦٦هـ/٧٧٧-٧٦٨م)، ومات تمام بن علقمة الثقفي في آخر دولة الحكم بن هشام، في سنة (١٩٦هـ/٨١١م). مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٣؛ ابن الأبار: الحلة السرياء، ج ١، ص ١٤٣، ١٤٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٦٠٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٦٢، ج ١، ص ١٧١؛ ابن خلدون، تاريخه، ج ٤، ص ١٢٣؛ المقرئ: فنج الطيب، ج ١، ص ٤٥.

البربر، حيث كان ابن معاوية في مغيلة عند ابن قرّة المغيلي منتظراً لبدر^(٢٥). وفي شهر ربيع الآخر سنة (١٣٨هـ/٧٥٥م) اقتربَ رسلُ بني أمية ومواليهم من شاطئ إفريقية، وكان عبد الرحمن بن معاوية يتوضأ لصلاة المغرب، إذ نظر إلى المركب في لجة البحر مقبلاً حتى أسرع إليهم، ولم يصبر بدر موله حتى يصل المركب إلى الشاطئ وإنما قفز للماء زافاً البشري إلى سيده مخبراً موله بأن موالي بني أمية ومعهم اليمنية ينتظرونه وسوف ينصرونه، ثم خرج إليه تمام ومن معه في المركب فقال له ما اسمك وما كنتك فقال اسمي تمام وكنتي أبو غالب، فقال تم أمرنا وغلبنا عدونا إن شاء الله تعالى، ثم ركبوا المركب معه وذلك في سنة (١٣٨هـ / ٧٥٥م)^(٢٦)، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان!

فعندما همَّ عبد الرحمن بالدخول إلى المركب، عرضت له مشكلة خطيرة لم تكن في حسابه، حيث تجمع البربر حوله ومنعوه من الوصول للمركب، ما لم يدفع فدية^(٢٧)، فأصبح عبد الرحمن بن معاوية رهينة بيد البربر من أجل المال.

ولكن ما هي الأسباب التي دفعت بربر قبيلة مغيلة إلى منع عبد الرحمن بن معاوية من السفر إلا إذا فدي نفسه بالمال؟ وذلك رغم تمتع عبد الرحمن بضيافة وانسوس، ومن هم هؤلاء البربر الذين جعلوا سفر عبد الرحمن الداخل مرهوناً بالمال؟

من خلال النصوص نجد أن بربر قبيلة مغيلة كانوا على علم تام بشخصية عبد الرحمن الداخل وأنه هو أحد أمراء بني أمية المطلوبين من قبل بني العباس.

(٢٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٩؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٤؛ الزيري: نهاية الأرب، ج ٣، ص ٢٣٦؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٣٣.
(٢٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٩؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٤؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٣٣.
(٢٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٩؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ٣، ص ٣١.

وتؤكد لنا الدلائل أن عبد الرحمن بن معاوية في أثناء هروبه من بني العباس حدث له تضيق ومطاردات كثيرة من قبل قبائل البربر وهذا ما يؤكد ابن عذاري قائلا " ثم صار ابن حبيب يقتل الواصلين إليه من بني أمية ويأخذ أموالهم فهرب عبد الرحمن بن معاوية عن القيروان، فسار عبد الرحمن حتى أتى تادلا (٢٨) من قبائل المغرب؛ فناله عندهم تضيق ثم هرب من عندهم حتى أتى نفزة، وهم أخواله (٢٩)

والدليل على ذلك هو أن عبد الرحمن بن حبيب الفهري قام بمطاردة واسعة لعبد الرحمن بن معاوية، وبحث عنه في القبائل البربرية بداية من أخواله برايرة طرابلس (٣٠) وتابع البحث عنه حتى قبيلة مغيلة عند أبو قره والنسوس البربري ولكن زوجة والنسوس (تكفات البربرية) خبأت عبد الرحمن بن معاوية في ثيابها (٣١)، وهذا شيء ممن الممكن قبوله إذا وضعنا في اعتبارنا بعض الأمور: أولها ملابس النساء في إفريقية، حيث حرصت المرأة في إفريقية على أن يكون لباسها وفق الشريعة الإسلامية، فكانت تغطي وجهها عند خروجها من المنزل بـ "العجز" (٣٢) فهذه الملابس الواسعة تمكن الشخص من الاختباء فيها. وهذا متوقف على الأمر

(٢٨) تادلا: يفتح التاء من فوق ثم ألف ودال مهملة مكسورة ولام ألف، وهي مدينة بالمغرب الأقصى، قرب مراکش، هي مدينة بين جبال صنهاجة ويقال هي قاعدة صنهاجة وغربها جبل درن ممتد إلى البحر المحيط وهي بين مراکش وبين أعمال فاس من الغرب الأقصى ولها عمل جليل وأهلها بربر يعرفون بحراوة؛ عماد الدين إسماعيل أبي الفداء: تقويم البلدان، اعتني بتصحيحه: البارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس ١٨٥٠، ص ١٣٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٦، ص ١١٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٦٦، ١٦٧.

(٢٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤١.

(٣٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٢٨.

(٣١) المقرئ: نفع الطبيب، ج ١، ص ٣٣٣.

(٣٢) العجز: (جمعه "معاجز") وهو قماش تلفه على استدارة رأسها، ثم تغطي به وجهها، وعرف أيضا النقاب وهو قناع أو برقع تغطي به المرأة وجهها ومقدمة العنق ويظهر منه العينان، وكان يعرف بـ "الوصصة"، كانت المرأة بالمغرب تلبس المرط وهو كساء أو ملاءة من خز أو صوف أو كتان وهو غير مقطع ويلتف به، وكذلك الرداء الذي يلبس على ظاهر البدن، ومن أسمائه "الشملة" و"الملحفة" و"المحفة" وهي كل ما يستر البدن وتلتف به المرأة أو تلتفج أو تشتمل به. منيرة بنت عبد الرحمن الشرقي: اللباس الزينة في إفريقية في القرن الثالث الهجري، مجلة التاريخ والمستقبل، جامعة المنيا، عدد يوليو ٢٠٠٦م؛ ص ١٥٢، ١٥١.

الثاني لتصديق رواية المقرئ وهو حجم عبد الرحمن بن معاوية ووصف هيئته، وحجم تكفات البربرية.

وقد رصد ابن حبيب مكافأة لمن يقبض على عبد الرحمن بن معاوية، وخصوصاً أن عبد الرحمن بن حبيب كان يطمح في ملك الأندلس ولكن تنبؤات اليهودي الذي عنده حالت دون ذلك وجعلت ملك الأندلس لصاحب الضفيرتين، وهو عبد الرحمن بن معاوية فكان صاحب إفريقية عبد الرحمن بن حبيب حريصاً على قتل عبد الرحمن الداخل (٣٣).

فلذلك حرص أفراد قبيلة مغيلة على أخذ فدية، والغريب في الأمر أن موالي بني أمية في الأندلس كانوا على علم بأمر الفدية من بدر لذلك عندما وجهوا أحد عشر رجلاً منهم مع بدر كان فيهم تمام بن علقمة الثقفي أعطوه خمسمائة دينار تكون معه عدة للنفقة عليه، وفدية البربر (٣٤)، وعندما نزل عبد الرحمن بن معاوية ضيفاً على قبيلة مغيلة جعل بقاءه فيها مرهوناً بفدية لأفراد القبيلة وذلك حتى لا يسلموه لبني العباس، وهذا تفسير منطقي تؤيده الأحداث التاريخية وبذلك تم تبرير موقف البربر وموقف أبو قرة المغيلي شيخ القبيلة الذي أتاح لأفراد قبيلته الحصول على الفدية رغم نزول عبد الرحمن الداخل عنده وحمايته له، ونجد أن تصرف قرة المغيلي بإسماعه لأفراد قبيلته الحصول على الفدية تصرف ذكي من وجهين، الوجه الأول: أنه ضغط على أفراد قبيلته بعدم تسليم عبد الرحمن للجند العباسيين وبهذا يكون قد أبر بالأمير

(٣٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤١.

(٣٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٩؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص ٢٣٦؛ المقرئ: نفح الطيب، ج١، ص ٣٣٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج١، ص ١٥٢.

الأموي، وهذا وجهه، أما الوجه الثاني: سماحه لأفراد قبيلته بأخذ الفدية وذلك حتى لا يتعرض لمحقٍ منهم ومن ثم وشاية لأُمير أفريقية تُودي بحياته.
والرهينة في هذا المقام أُمير أموي استخف به البربر فأصبحوا لا يبالون شيئاً من مقامه وذلك لعدة أسباب منها:

- أنَّ الدولة العباسية قضت على معظم أفراد البيت الأموي فلم يكن عبد الرحمن بن معاوية ذا أهمية إليهم سوى أنه هارب.
- أن قبيلة مغيلة كانت معتنقة فكر الخوارج، فهم على عدااء شديد مع الدولة الأموية التي كانت تقوم سياستها على الشدة والعنف مع غير العرب من موالي وبربر^(٣٥) فلم يكن أمر عبد الرحمن بن معاوية يخطر لهم ببال، سوى أنه فرصة للحصول على المال.
- عدم تيقن البربر من نجاح عبد الرحمن بن معاوية في رحلته وأنه مقتول بلا محالة كما قتل العديد من أهل بيته في محاولات هروبهم.
- هدف البربر الرئيسي الحصول على المال.

وعندما وجد تمام بن علقمة تعرض البربر لعبد الرحمن بن معاوية ومنعه من الصعود للمركب إلا إذا دفع الفدية، فرق عليهم تمام المال الذي معه صلات على أقدارهم حتى لم يبق أحدٌ فلما صاروا في المركب أقبل واحدٌ منهم لم يكن أخذ شيئاً فتعلق بجبل المركب فقطع أحد الموالي يدعي شاكر يديه بالسيف وانصرفوا بعبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس وذلك في

(٣٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٩.

شهر ربيع الآخر سنة (١٣٨هـ / ٧٥٥م) ^(٣٦) حتى نزلوا في موضع يقال له المنكب ^(٣٧)
وكان نزوله في الأندلس بداية لعصر جديد يسمي بعصر الإمارة ^(٣٨).

^(٣٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٩.

^(٣٧) المنكب: هو بلد على ساحل جزيرة الأندلس من أعمال البيرة بينه وبين غرناطة أربعون ميلا، وهو مرسى صيفي يكن بشرقه، وله نهر يريق في البحر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢١٦.

^(٣٨) حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٦٧٤.

الرهائن السياسيون في عهد عبد الرحمن الداخل (١٣٨ - ١٧٢ هـ) /
(٧٥٥ - ٧٨٧ م)

رهائن الصراع مع يوسف الفهري:

لم تطأ قدم عبد الرحمن بن معاوية أرض الأندلس إلا ودخل في صراع قوي مع يوسف الفهري، ذلك الصراع الذي نتج عنه العديد من الرهائن، ونجده عندما نزل بالمنكب سار حتى وصل طرش^(٣٩) وأقام فيها عند منزل عبد الله بن خالد، وتسامع الناس بخبر قدوم عبد الرحمن فقدموا عليه معلنين تأييده ومبايعته^(٤٠) وأنضم له العديد من المؤيدين والأنصار^(٤١) ويؤكد على ذلك المقرئ بقوله: "وانثال عليه الناس انثيالاً"، وحصل على مبايعة معظم أجناد وقبائل الأندلس، وأيدته جماعات اليمنيين من أجناد الأردن وفلسطين وحمص حتى قوي أمره^(٤٢) وذلك في الوقت الذي انفض العديد من مؤيدي يوسف الفهري والصميل عنهما^(٤٣).

(٣٩) طُرُش: بضم أوله وتشديد ثانيه وضمه أيضاً وآخره شين معجمة ناحية بالأندلس تشتمل على قرى وهي من كورة البيرة؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٤.

(٤٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢١؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٨.

(٤١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٤.

(٤٢) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢١؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٢٨.

(٤٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢١؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٢٨.

وتشاور زعماء الموالي الثلاثة وهم (عبيد الله بن عثمان، عبد الله بن خالد^(٤٤))، ويوسف بن بخت^(٤٥) واتفقوا على إخفاء غرض عبد الرحمن الحقيقي في طلب السلطة، والاكتفاء بطلب الحماية والأمان والرغبة في استعادة الأحماس التي تعود لجده هشام بن عبد الملك في الأندلس^(٤٦) وحاولوا تضليل يوسف الفهري، فكتبوا إليه بأن عبد الرحمن لم يعبر إلى الأندلس طمعاً في الملك، بل جاء يطلب الثراء والأمان بين مواليه^(٤٧) فقد قيل ليوسف الفهري: أن عبد الرحمن لم يظهر لطلب سلطانك، وإنما جاء يطلب معاشاً وأماناً، فأعتقد يوسف أن عبد الرحمن الداخل يسعى من مجيئه للأندلس الحصول على المال والمكانة فيها، ومن هنا بدأت المفاوضات بين الجانبين، وأرسل يوسف الفهري، لعبد الرحمن الداخل وفداً من ثلاثة من معاونيه المقربين وهم عبيد الله بن علي، وخالد بن زياد كاتبه ومولاه، وعيسى بن عبد الرحمن الذي كان على أرزاق الأجناد^(٤٨) وكانت لدي الوفد تعليمات بعرض الثروة والزواج من إحدى بنات يوسف على عبد الرحمن، إذا ما كفَّ عن المطالبة بإمارة الأندلس ولكن المفاوضات باءت بالفشل^(٤٩)، فأعلنت الحرب وكان الالتقاء في المصارة في صباح

(٤٤) عبد الله بن خالد: عبد الله بن خالد بن أبان بن أسلم، من مولي عثمان بن عفان. ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٢.

(٤٥) يوسف بن بخت: أبو الحجاج يوسف بن بخت الفارسي مولي الخليفة عبد الملك بن مروان، دخل الأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري سنة (١٢٣هـ / ٧٤١م)، وكان يوسف بن بخت من القاتمين بأمر عبد الرحمن الداخل قبل جوازه إلى الأندلس، إذ أخذ له البيعة من جند الأردن، وبعد نجاح عبد الرحمن الداخل في إقامة دولته استحب يوسف بن بخت، كما كان يستخلفه على قصره عند خروجه للغزو أو لإخماد ثورة من الثورات، وتوفي يوسف بن بخت بمدينة طليطلة في عهد الأمير هشام الرضا. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٩؛ ابن الأبار: الحلة السريعة، ج ٢، ص ٣٧٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٥؛ المقرئ: فنج الطيب، ج ٤، ص ٤٥؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٦٦٦-٦٦٨.

(٤٦) المقرئ: فنج الطيب، ج ٣، ص ٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥١، ١٥٢.

(٤٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٥.

(٤٨) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٤.

(٤٩) لمزيد من التفاصيل عن المحادثات بين يوسف الفهري وعبد الرحمن الداخل أنظر: مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٤-٤٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥٣.

الجمعة) العاشر من ذي الحجة ١٣٨هـ / الخامس عشر من مايو ٧٥٦م^(٥٠)، والتي انتهت بانتصار الأمير عبد الرحمن الداخل، ولم يكن أمام الصميل سوي الهروب إلى جُندُه في جيان، وأما يوسف الفهري ففر من المعركة، حتى وصل طليطلة^(٥١).

ونال يوسف الفهري في طليطلة تأييد حاكمها هشام بن عذرة الفهري، فحشد يوسف في طليطلة ونواحيها ما استطاع من أنصاره، بمعاونة عامله عليها هشام بن عذرة، ووافاه الصميل بمن حشد من المضربة، وقاد يوسف هذه القوات إلى جيان، حيث كان الصميل يستنفر بأتباعه هناك، فالتقيا واستولوا على جيان، ثم إلى البيرة^(٥٢)، وأجبروا عاملها على الفرار منها، وعندما علم عبد الرحمن بخبرهما أعد حملة وسار بها إلى البيرة، وعندما وصل هناك وجد أن يوسف والصميل مستعدان للمفاوضات، ففضلا الصلح مع عبد الرحمن، وبحضور القاضي "يحيى التجيبي"^(٥٣) جري الصلح بينهما^(٥٤) سنة (١٤٠هـ / ٧٥٨ م) وكانت بنودُه على النحو الآتي :

- أن يسلم يوسف الفهري والصميل الأمر لعبد الرحمن بن معاوية على أن يؤمنا في أموالهما ومنازلهما وأن يؤمن الناس كلهم.
- يطلق كل واحد منهما من في يديه من الأسرى، وأن يسود السلام بينهما.

(٥٠) لمزيد من التفاصيل عن معركة المصاراة أنظر: مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٢ - ٩٦. أحمد مختار العبادي: شخصية عبد الرحمن الأول الأموي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج ٢٩، ١٩٩٧ م، ص ٢٥.
(٥١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٨؛ ابن الأثير، ج ٤، ص ٤٩٥؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ج ١، ص ٣٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٧؛ ابن خلدون، تاريخه، ج ٤، ص ١٥٥؛ الذهبي: تاريخه في خبر من غير، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب، العلمية، بيروت ١٩٨٥م، ج ١، ص ٢٠٢.
(٥٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥٧.
(٥٣) يحيى بن يزيد التجيبي: كان رجلاً صالحاً، استعمله على القضاء في الأندلس عمر بن عبد العزيز، فزاده الداخل إجلالاً وإكراماً، بقي على قضائه إلى أن مات سنة (١٤٢هـ / ٧٥٩م)؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص ٤٢٩؛ نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ٢٠٦.
(٥٤) الخشن: قضاة قرطبة، ط ٢، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٩م، ص ٤٧؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٩.

- اشترطَ عبدُ الرحمن على يوسف الفهري أن يرهنه ابنه عبد الرحمن أبا زيد ومحمد أبو الأسود، على أن يحبسهما حبساً جميلاً معه في قصر قرطبة حتى تهدأ الأمور، فإذا صلحت الأمور ردهم (٥٥)

- وأن يخلي عبد الرحمن بين يوسف الفهري وبين أمواله حيثما كانت وأن يسكن بلاط الحر منزلة بشرقي قرطبة، على أن يختلف كل يوم إلى ابن معاوية ويريه وجهه (٥٦)

وتم عقد الصلح بين الفريقين في صفر سنة (١٣٩هـ / ٧٥٦م) (٥٧).

ويهمنا من بنود الصلح البند الخاص بالرهائن فالرهائن في هذه الحالة هم أبناء آخر ولاية الأندلس (يوسف الفهري) الذي أصبح هو نفسه رهينة ولكن بصورة مخففة تحفظ بعض هيئته، وحرص الأمير عبد الرحمن بن معاوية أن يحبس أبناء يوسف الفهري في قصر قرطبة حبساً جميلاً، يليق بأبناء الأمراء، ثم هدأت الأحوال ودخل يوسف الفهري في عسكر الأمير كأحد رجاله وأبدي عبد الرحمن نحوهما عطفاً وليناً، وهو مع ذلك يشدد عليهما الرقابة، وحرص على تجريدهما من كل سلطة وقوة (٥٨).

لم يلتزم يوسف بشروط الصلح مع عبد الرحمن، فهرب ناقضاً الصلح معه، وكان سبب ذلك أن عبد الرحمن كان يضع عليه من يمينه وينازعه في أملاكه، فإذا أظهر حُجته الشرعية لا يُعمل بها، ففطن لما يراد منه فقصد مدينة ماردة (٥٩) واجتمع إليه الناس وبلغ جَمْعُهُمْ عَشْرُونَ أَلْفًا مِنَ الْبَرِيرِ فلما رأى كثرة ما أجمع له فتحرك من ماردة يريد

(٥٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٨؛ ابن خلدون، تاريخه، ج ٤، ص ١٥٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥٨.

(٥٦) المقري: نفح الطيب، ج ٣، ص ٣٤.

(٥٧) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥٨.

(٥٨) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥٨.

(٥٩) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ١٩٨.

قتال الأمير عبد الرحمن وحاول تحريض الصميل للخروج معه لكنه رفض^(٦٠) لعدم جدوي القتال وعندما علم عبد الرحمن بأمر يوسف الفهري أتهم الصميل بالتدبير مستبعداً قيام يوسف الفهري بهذا العمل وحده، فسجن الصميل ومعه ابنا يوسف ثم أرسل عامل اشبيلية" عبد الملك بن عمر المرواني^(٦١) إلى يوسف الفهري فوقع القتال بين يوسف الفهري وعبد الملك بن عمر المرواني فوقعت بينهما حرب شديدة فانهزم الفهري وتفرق أصحابه عنه وفر بنفسه متخفياً وسار لناحية طليطلة وفيها كانت نهايته سنة (١٤٢هـ / ٧٥٩م)، وأرسلت رأسه إلى الأمير عبد الرحمن، فشكر الله على موته، وأمر بقتل ابنه عبد الرحمن أبا زيد المرتين لديه وأمر بنصب رأسه مع رأس أبيه يوسف الفهري على جسر قرطبة، واستصغر أبا الأسود فأمر بحبسه، وتوفي الصميل في الحبس^(٦٢)، وقيل أنه قُتل خنقاً في سجن قرطبة بتدبير من الأمير عبد الرحمن^(٦٣).

ويلاحظ أن يوسف الفهري آخر ولاية الأندلس كان على درجة كبيرة من انعدام الوعي السياسي في مواجهة الأمير عبد الرحمن الذي تميّز بالفطنة والذكاء، حيث لوح عبد الرحمن بأنه صاحب الشرعية في ملك الأندلس، في الوقت الذي كانت تلوح فيه ليوسف الفهري فرصة ذهبية في ملك الأندلس له ولأبنائه لو أنه أرسل إلى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور

(٦٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥٨.
(٦١) عبد الملك بن عمر المرواني: وقد على عبد الرحمن الداخل من المشرق عندما دخلت المسودة أرض مصر فخرج عبد الملك يوم الأندلس في عشرة رجال من قومه مشهورين باليأس والنجدة حتى نزل على عبد الرحمن سنة (١٤٠هـ / ٧٥٧هـ) وأصبح هو من خواص الأمير عبد الرحمن فعقد له على اشبيلية وولي ابنه عبد الله على مورور، وأخذ الأمير عبد الرحمن برأي عبد الملك في قطع الخطبة للخليفة العباسي المنصور بعد أن استمرت عدة أشهر، وفي التخلص من أبي الصباح زعيم اليمانية بإشبيلية سنة (١٤٩هـ / ٧٦٦م)؛ لمزيد من التفاصيل عن عبد الملك بن عمر ينظر: ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٥٦، ٥٧؛ المقرئ: نفع الطبيب، ج ١، ص ٣٢٩.

(٦٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٩ - ١٠١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥٨.
(٦٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٢؛ ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٦٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٩؛ المقرئ: نفع الطبيب، ج ٣، ص ٤٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥٩.

(١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م) معلناً تبعيته للخلافة العباسية، وأن يطلب منه أن يرسل له سجلاً بولاية الأندلس، ولكن عبد الرحمن الداخل نجح في إقامة دولته في الأندلس، وذلك بعد مرحلة طويلة من النزاع مع يوسف الفهري والصميل بن حاتم^(٦٤).

معاملة الرهينتين:

من العرض السابق يتضح أن الأمير عبد الرحمن بن معاوية أخذ أبناء يوسف الفهري رهائن عنده، واتفقت المصادر التاريخية على ذلك^(٦٥) وذلك على أن يحبسهما حبساً جميلاً معه في قصر قرطبة حتى تبدأ الأمور، فإذا صلحت الأمور ردهم وذلك في شهر صفر سنة (١٣٩هـ/ ٧٥٦م)^(٦٦)، وتم حبسهم في قصر الإمارة في قرطبة ولم يتم احتجازهم داخل السجون مع أصحاب الجرائم ذلك لعدة أسباب منها:

اتخاذ أبناء يوسف الفهري رهائن في قصر الإمارة كان أحد شروط الصلح بين الجانبين، ولأنهما أبناء يوسف الفهري والي الأندلس السابق، واحتراما لمنزلته ومكانته، ورضاء له، وكذلك رغبة عبد الرحمن الداخل في بقاء الرهينتين أبناء يوسف الفهري تحت عينه وتحت إشرافه المباشر وذلك لأهميتهم السياسية وأيضاً رغبة عبد الرحمن الداخل في عدم إعطاء الفرصة لمن

(٦٤) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٦٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ١٢٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٨؛ النويري: نهاية الأرب: ج٢٣، ص ١٩٨.

(٦٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٥٨.

يحاول القيام بمساعدة هؤلاء الرهائن على الهرب، ومن ثم يلتف حولهم أنصار أبيهم، من الفهرين وغيرهم ويقوموا بإغرائهم، متخذين منهم زعامات ومن ثم تكون حروباً قلبية جديدة في الأندلس، فقصر الإمارة يتمتع بحراسات قوية، حيث توجد الحراسة الخاصة بالرهائن على الحجرة والحراسة بداخل وخارج قصر الإمارة.

وفي هذه الحالة نجد أن إحدى حجرات القصر أصبحت سجنًا وقد أصبح عرفاً لدى أمراء وخلفاء بني أمية تخصيص بعض حجرات القصر للرهائن والسجناء أصحاب المكانة السياسية^(٦٧)، وحرص الأمير عبد الرحمن على تشديد الرقابة وتجريدتهما من كل سلطة وقوة^(٦٨) ومن المرجح أن ابني يوسف الفهري تلقيا معاملة حسنة وذلك، رغم بغض عبد الرحمن الداخل لعبد الرحمن بن يوسف المكنى بأبي زيد لاختطافه جواريه^(٦٩) وأنه لم يقدم على قتله وذلك لرغبة عبد الرحمن الداخل في أن تستقيم له الأمور ويصفو له ملكه وأن أمر حبسهما موقوف على عدم خروج أبوهما يوسف الفهري، وأنه لما نقض أبوهما العهد ناكثاً للأيمان وهرب لطليطلة، فما كان من الأمير عبد الرحمن إلا أن تغيرت معاملته لأبناء يوسف الفهري، فأمر بسجنهم مع الصميل وقصد عبد الرحمن الداخل من سجنهم التلويح بورقة الرهائن، لتهديد أبوهما، وأن أبناءه معرضين للخطر، وأمر الأمير عبد الرحمن الداخل بتتبع

(٦٧) فقد استخدم الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠ هـ/ ٨٨٨م - ٩١٢م) بعض حجرات القصر المسماء بـ "دار البنية" في حبس ابنه محمد وأخاه القاسم ومن أشهر حالات الحبس داخل قصر الإمارة أو الخلافة حبس كليب بن عبد الرحمن بن معلوية في السجن داخل القصر ستاً وعشرين سنة إلى أن قتله الأمير الحكم بن هشام سنة (١٨٩ هـ/ ٨٠٤م)، بالإضافة إلى حبس الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦-٤٠٦ هـ/ ٩٧٦-١٠٠٩م) في القصر استمرار حبسه فترة طويلة حتى عام (٣٩٩ هـ/ ١٠٠٨م) إلى أن دبر واضح مع الموالي لي العامرية الغدر بالمهدي وأخرجوا هشام المؤيد من محبسه بالقصر وأجلسوه للخلافة؛ لمزيد من التفاصيل الهامة انظر: شيماء فر علي سيد علي: الجريمة والعقوبة في الأندلس عصور الإمارة والخلافة (١٣٨-٤٢٢ هـ/ ٧٥٦-١٠٣١م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة ٢٠١٠م، ص ١٩٦-١٩٩.

(٦٨) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥٨.

(٦٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠١.

يوسف الفهري حتى قتل، ولما جيء برأس يوسف الفهري، أمر الأمير عبد الرحمن بضرب عنق عبد الرحمن بن يوسف المُكَنَّى بأبي زيد^(٧٠) ونصب رأسه مع رأس أبيه وذلك لكي يلقي الرعب في قلوب الخوارج والمخالفين^(٧١).

وأقدم الأمير عبد الرحمن الداخل على قتل عبد الرحمن بن يوسف المُكَنَّى بأبي زيد بعد مقتل أبيه وذلك حتى لا يجعل بخسارة ورقة رابحة من الممكن أن يتم استخدامها في المفاوضات مع يوسف الفهري إذا دعت الضرورة لذلك وخصوصاً أن يوسف الفهري له العديد من الأنصار والمؤيدين في الأندلس.

وفي هذا الموضع ثمة سؤال سمة سؤال يتبادر إلى الذهن وهو لماذا أقدم الأمير عبد الرحمن الداخل على قتل عبد الرحمن بن يوسف الفهري ولم يقتل أخاه أبا الأسود الرهينة الثاني؟ حيث أمر به وزجه في السجن^(٧٢) يقدم لنا صاحب الأخبار المجموعة سببين لذلك، أولهما أن عبد الرحمن بن يوسف الفهري الرهينة القليل، كان عبد الرحمن الداخل غاضباً عليه لما صنع بعياله، وذلك عندما هاجم قرطبة فحصر عثمان عبيد الله بن عثمان في صومعة المسجد الجامع فاستنزله بعهد ألا يقتله فكله وأنطلق به فأصاب جاريي ابن معاوية وهربت الثالثة، وسار بالجاريين فعائره أصحاب العقول من أنصاره قائلين له " صنعت ما لم تسبق إليه ظفر بأخواتك وأمهاتك فستر عورتهم، وكسا عريهن، وظفرت بخادمتين فأخذتهما، فتبدا له سوء راية، فأمر بجناء فضرب في قلعة تدمين بجنوب قرطبة على بعد ميل^(٧٣) من المدينة، ثم أنزل

(٧٠) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠١؛ ابن الأثير: الحلة السيرة، ج ٢، ص ٣٥٠.

(٧١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٥١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥٨.

(٧٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٩.

(٧٣) الميل: هو مسافة مد البصر، وسميت الأعلام التي توضع في الطريق أميالاً، لأنها توضع على مقادير مد البصر، وقال ابن منظور " الميل من الأرض: قدر منتهى البصر والجمع أميال وميول"، وهو في الشريعة يعادل ألف باع، والباع أربعة أذرع

فيه الجاريتين، وما كان معه من متاعهن، ومضى بأبي عثمان مكبلاً^(٧٤) فعندما علم الأمير عبد الرحمن بما صنع أبو زيد بعياله وما صنع بالجاريتين فعزفت نفس الأمير عبد الرحمن عنهما فأعطى إحداهما مولاه عبد الحميد بن غانم وأسمها كلثم وأعطى الأخرى لغيره، ومن هنا أصبح الأمير عبد الرحمن الداخل حانقاً عليه وأمر بقتله عندما ظفر به^(٧٥)، ونجد أن ابن يوسف الفهري عبد الرحمن أبا زيد تراجع عن أخذ جوارى الأمير عبد الرحمن كرهائن ليستخدمهم للضغط عليه أثناء التفاوض، وذلك عندما ذكر بحرص الأمير عبد الرحمن على ستر بنات وزوجات و جوارى وأهل يوسف الفهري.

السبب الثاني: أنه " استصغر أبا الأسود فقام بحسبه"^(٧٦).

معاملة محمد أبي الأسود:

أمر الأمير عبد الرحمن الداخل بمحمد أبي الأسود وزجَّ به في السجن، أي أنه أخرجه من محبسه في قصر الإمارة وسجنه في سجن قرطبة^(٧٧) وذلك لأن يديه لم تقترف ما اقترف أبوه وأخوه، ولصغر سنه، وأنه ظل في سجن عبد الرحمن بقرطبة منذ هروب أبيه على نحو ما تقدم،

شرعية، الميل = ١٠٠٠ باع، والباع = ٤ أنزع شرعية، والذراع = ٤٦,٢ سنتيمترا؛ فالميل = ٤٦,٢ × ١٠٠٠ = ٤٦٨٠٠، فالميل يساوي ١٨٤٨ متراً؛ محمد صبحي: الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل، ص ٧١.

(٧٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٨؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٠، ٥١.

(٧٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠١.

(٧٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٨، ٩٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥٨.

(٧٧) ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ٢، ص ٣٥١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥٨.

ونستدل أن محمداً أبا الأسود قد تلقى نفس المعاملة التي يتلقاها المساجين في الأندلس^(٧٨) في هذه الفترة، والسجن الذي سجن فيه محمد الأسود كان من ضمن السجون الجماعية التي تتسع لأعداد كبيرة من السجناء ولم يتم فصل محمد الأسود عن غيره من السجناء وقد يكون ذلك استخفافاً بأمره.

وأما بالنسبة للأوضاع المعيشية للسجناء فقد اتسمت بالإهمال الشديد، حيث لم يوجد زي خاص للسجناء، وكانت ملابسهم تتعرض للبلل والتلف، وأن السجناء لم يكن يصرف لهم طعام داخل السجون، وكانوا كثيراً ما يستقبلون طعاماً يرسل لهم من أقاربهم، أو ترسل إليهم الأطعمة التي تفتقد للمعايير الصحية، أو التي يتم مصادرتها، بالإضافة إلى ظلام السجون وقذارتها وضيق مساحتها مع كثرة المساجين^(٧٩)

والسجن الذي وجد به محمد الأسود كان به سردابٌ يفضي إلى النهر يخرج منه المسجونون فيقضون حوائجهم من غسل وغيره وتكون عليهم حراسة^(٨٠)، وأن دور محمد أبي الأسود لم ينته كرهينة عند الأمير عبد الرحمن الداخل بعد أن تخلص من أبيه وأخيه، وقضي نهائياً على ثورة يوسف الفهري وذلك لخوفه من التفاف الفهريين حوله، فأمر الأمير عبد الرحمن الداخل

(٧٨) وجدت السجون في أماكن مختلفة من الأندلس ولم تقتصر السجون على المدن الكبيرة كقرطبة حيث وجدت السجون في الشرق كجيان وطرطوشة وسرقسطة ومنها ما وجد في الجنوب في مدينة إشبيلية ومالقة والجزيرة أو في الشمال كتطليبة أو في الوسط كمدينة تطليطة، وكذلك وجدت السجون في الحصون مثل التي وجدت في حصن مالقة ووبدة وأيضاً وجدت سجون في القلاع أو الأبراج وكان يوجد في كل مدينة من مدن الأندلس سجن عام ينسب إليها مثل سجن شاطبة وسجن طرطوشة وسجن غرناطة وقد يكون في المدينة الواحدة أكثر من سجن، حيث تعددت أنواع السجون في الأندلس فمنها ما كان يوجد تحت الأرض أو فوقها، أو في أماكن مرتفعة مثل الأبراج، ويندرج سجن المطبق ضمن السجون التي توجد تحت الأرض ولقد ارتبط سجن المطبق بحاضرة الدولة فقط وأوامر الحبس فيه تكون صادرة من قبل السلطة السياسية، وأن معظم من سجن بالمطبق كان السبب في سجنهم يرجع إلى عوامل سياسية أو دينية، فسجن المطبق هو سجن تحت الأرض وهو خصص في الغالب للسجناء السياسيين فقد كانت الدولة تقيمه بالقرب من إقامة الأمير أو الخليفة لضمان إحكام القيد على السجناء ومنعهم من الهرب ويدل على ذلك أن سجن المطبق بقرطبة كان يوجد في جوف خندق أسفل قصر الخلافة وكان إنشاؤه بهذا الشكل منذئذ في القصور الأندلسية لتكون قريبة من الحاكم فهناك مطبق الزهراء في قرطبة ومطبق الزاهرة؛ شيماء فرغلي: الجريمة والعقوبة، ص ١٩١ - ٢١٦.

(٧٩) شيماء فرغلي: الجريمة والعقوبة، ص ٢٠٧ - ٢١٠.

(٨٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٥٠.

بسجنه، ولكنه لم يخش شيئاً من جانبه، فلم يجعل له حراسة خاصةً أو عيناً تراقب تحركاته وترصد تصرفاته، بل أخرجه من محبسه في القصر إلى السجن. وكان هذا خطأ وقع فيه الأمير عبد الرحمن وذلك لأنه لم يشدد عليه الحراسة، وأن أبا الأسود محمد بن يوسف الفهري استطاع أن يفر من سجنه ويقصد طليطلة معقل عصابة أبيه ويتحصن بها، فبعث عبد الرحمن الداخل في أثره جيش بقيادة تمام بن علقمة فحاصرها حتى استسلمت له، وقبض على أبي الأسود محمد، وجيء به إلى قرطبة (٨١).

الرهينة الثائر (محمد أبو الأسود بن يوسف الفهري)

ولقد تم حبس أبو الأسود حيث ادعي العمى، وزعم أن الماء نزل بعينه فصار يحاكي العميان، ولا يطرف عينه لشيء حتى جازت حيلته، واشتبهت حركاته بحركات العميان، ووقع الإشفاق عليه والرثابة له، وهون من حبسه، حتى كان يقعد عنه الموكل به اختباراً لهدايته، إذا خرج لوضوئه وقضاء حاجته، فيبقي حائراً ينادي: " من يقود الأعمى إلى محبسه وبقي دهنراً طويلاً على حيلته حتى صحَّ عند الأمير عبد الرحمن الأموي ذلك (٨٢) .

كان في أقصى السجن سرداب يفضي إلى النهر الأعظم يخرج منه المسجونون فيقضون حوائجهم من غسل وغيره، وكان الموكلون يهملون أبا الأسود لعماه فإذا رجع من النهر يقول من يقود الأعمى يرحمه الله على موضعه، وكان يختلف لمحمد أبي الأسود مولي له اسمه مفرج

(٨١) حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٢٤، ٢٥.

(٨٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٥٠.

يقضي حوائجه ويلقاه على النهر تحت القنطرة، فلما اطمئن إليه، ولم يستنكر خروجه، وشاع عليه العمى، قال لمفرج مولاه: " ابع لي فرسا أنج عليه " وفي ذات يوم عندما اقتيد المسجونون إلى النهر كان المولي مفرج واقفا مع بعض أصحابه بجيولهم على الشاطئ الآخر للوادي، فاستغل أبو الأسود فرصة انزواء العيون عنه فوثب في النهر فعبه سباحة وركب الخيل ولحق بطليطة ودعا لنفسه^(٨٣)، واستمال الناس بموضعه، فاجتمع له خلق كثير وسار في جيش جحفل^(٨٤) حتى حلّ بأحواز جيان وكانت ثورته سنة (١٦٨ هـ/٧٨٤م).

نفرج إليه عبد الرحمن بن معاوية في جيوشه، فلاقاه مرة بعد مرة، يهزمه في كل منها ويقتل له الجمع الكبير، فرجع بهم إلى قتال عبد الرحمن الأموي فالتقيا على الوادي الأحمر^(٨٥) بقسطلونة^(٨٦)، على محاذة الفتح، وكانت حرب شديدة، مكر عبد الرحمن فيها بأبي الأسود، فراسل صاحب ميمنته واتفق معه على جر الهزيمة من جهته، ففعل فانهزم محمد أبو الأسود، وقتل عامة رجاله، فلم تقم له بعد ذلك قائمة^(٨٧)، وكانت هذه الواقعة بمحاذة الفتح، يوم الأربعاء غرة شهر ربيع الأول سنة (١٦٨ هـ/٧٨٤م)، وقتل لأبي الأسود فيها أربعة آلاف من أصحابه، سوي من تردي في النهر، ووقع في المهاي، وتلف في الشعاب. وبلغ في هزيمته إلى قسطلونة على الوادي الأحمر واتبه الأمير عبد الرحمن يقتل من لحق به حتى جاوز قلعة

(٨٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٥٧، ٢٥٨؛ ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٣٥١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٥٠؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٢٦٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٩٠؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطة، ص ٣٣.

(٨٤) جيش جحفل: الجحفل الجيش الكثير ولا يكون ذلك حتى يكون فيه خيل، ويكون عدده ٤٠٠٠ جندي؛ ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ١٠٢؛ إبراهيم القلا: تاريخ مصر الإسلامية، دار العلم والإيمان، القاهرة ٢٠٠٧م، ص ١٦٤.

(٨٥) الوادي الأحمر: هو نهر صغير من أنهار الوادي الكبير ينبع من جبل شقورة؛ سامية مسعد: التكوين العنصري للشعب الأندلسي، هامش ص ٣٥.

(٨٦) قسطلونة (Castallon): مدينة قديمة بالأندلس بالقرب من مدينة بسطة التي هي من أعمال جيان؛ الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٢٢؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٥٣.

(٨٧) وذكر أنه تمثل يوم قسطلونة قتالا: وموقف مثل حد السيف قمت به... أحمي الزمار وترمي به الحدق؛ ابن الأبار: الحلة السيرة، ص ٣٥٢؛ البيان المغرب، ج ٢، ص ٥٠؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٩٣.

رباح^(٨٨)، ثم جمع جموعه لقتال الأمير عبد الرحمن في سنة (١٦٩هـ/ ٧٨٥م)، فلما أحسن بمقدمة الأموي انهزم أصحابه وهو معهم فأخذ عياله وقتل أكثر رجاله، وقيل إن عبد الرحمن غزاه في سنة (١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، فلما أحس به فرّ عن قورية^(٨٩) وانقطع وحده وانحاز إلى غياض أشبة^(٩٠)، ثم صار إلى ركانة^(٩١) من طليطلة وبقي إلى أن توفي سنة (١٧٠هـ/ ٧٨٦م)^(٩٢)، ونجد أن أبا الأسود أصبح حريصاً على التخفي في منطقة ملتفة الشجر متشابكة، يصعب على جيوش الإمارة الأموية تتبعه فيها، ثم انتقل إلى مدينة ركانة حتى وفاته، وقد خلف أبا الأسود أخوه القاسم بن يوسف في جميع أموره، فتزوج من أرملة أخيه وتولي ما كان يتولاه^(٩٣) وجمع جمعاً غزاه الأمير عبد الرحمن الداخل، فلما أن اقترب عبد الرحمن الداخل من طليطلة حتى خرج القاسم مسلماً نفسه بعد أن أخذ المواثيق من الأمير

(٨٨) قلعة رباح: مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة، وهي مدينة حسنة ولها حصن حصين على نهر أنه، وهي مدينة محدثة في أيام بني أمية، وإنما عمرت قلعة رباح بخراب أوريط؛ وفي سنة (٢٤١هـ/ ٨٥٥م) أمر الإمام محمد بتحسين مدينة قلعة رباح والزيادة في مبانيها، ونقل الناس إليها وإلى مدينة طليطلة، ثم ملكها النصاري ولم تزل في أيديهم إلى عام وقية الأرك فجلت قبل الوصول إليها وكان لها في أيديهم إحدى وخمسون سنة وعشرة أشهر فأمر المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بتطهير جامعها، وصلّى فيه، وقدم على قيادتها يوسف بن قاسم؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٣؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٤٩٦.

(٨٩) مدينة قورية: بالضم ثم السكون والراء مكسورة وياء خفيفة مدينة من نواحي ماردة بالأندلس، وهي مدينة قديمة عرفت قبل الفتح الإسلامي بإسم Caurium، وهي من قحح موسى بن نصير، وكانت دائماً معقلاً للثوار والخارجين على البيت الأموي في الأندلس، وقد استولى عليها أردون الأول ملك ليون (٢٤٦هـ/ ٨٦٠م) ولكن المسلمين لم يلبثوا أن استردوها ومهد الخليفة عبد الرحمن الناصر إقليمها وأخلاه من الثوار وتابعه في ذلك المنصور محمد بن أبي عامر؛ وفي عصر الطوائف صارت قورية من توابع إمارة بني الأفطس إلى أن استولى عليها الفونسو السادس قبل استيلائه على طليطلة، ولكن المرابطين عادوا واستردوها؛ وفي أيام الموحدين أصبحت معقلاً إسلامياً ونقطة دفاع من جديد، ولم تسقط إلا حوالي عام (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) في يد الفونسو الثامن؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤١٢؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، هامش ص ٣٦.

(٩٠) غياض أشبة: غياض مفردة (الغضصة) هي المنطقة التي يكثر بها الشجر الملقف، أشبه هو شدة التفاف الشجر حتى لا مجاز فيه؛ الفرومي: المصباح المنير، ص ١٧٥؛ الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م، ج ١، ص ٢٨؛ المعجم الوسيط، ص ٦٦٨.

(٩١) ركانة: مدينة من عمل بنسبة بالأندلس وتقع غربها؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٦٣.

(٩٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٥٧، ٢٥٨؛ ابن الأبار: الحلة السرياء، ج ٢، ص ٣٥١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٥٠؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٣٣.

(٩٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٨، ٩٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٥٧، ٢٥٨؛ ابن الأبار: الحلة السرياء، ج ٢، ص ٣٥٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٥٠.

عبد الرحمن الذي اصطحبه معه إلى قرطبة التي توفي بها^(٩٤) وينفرد أحد المصادر بأن القاسم قاتل عبد الرحمن الداخل فقتله عندما ظفر به الأمير عبد الرحمن^(٩٥).

ثورة هشام بن عذرة الفهري في مدينة طليطلة

وفي سنة (١٤٤هـ / ٨٥٨م) ثار هشام بن عذرة الفهري وهو من بني عم يوسف بن عبد الرحمن الفهري^(٩٦)، وحيوة بن الوليد التيجيبي وحمزة بن عبد الله بن عمر من ولد عمر بن الخطاب[ؓ]، في مدينة طليطلة، وخصوصاً أن مدينة طليطلة كانت موطناً للفهرين أتباع يوسف بن عبد الرحمن الفهري، فقد قاموا بالثورة بقيادة هشام بن عذرة الفهري ضد الحكومة المركزية انتقاماً لمقتل يوسف الفهري، فخرج إليه الأمير عبد الرحمن إلى طليطلة فحاصره فيها ولما أرهقته الحرب، وناله الحصار دعا إلى الصلح وأعطى ولده أفلح رهينة، ومن المرجح أن الأمير الأموي عبد الرحمن قد طلب ابن هشام رهينة لديه بعد أن وافق على إبقاء هشام على طليطلة مواليا له ورجع عنه الأمير^(٩٧).

وأن الأمير عبد الرحمن الداخل سجن أفلح الرهينة في إحدى حجرات قصره وذلك لأنه يمثل رهينة قيمة لديه وورقة ضغط على ثائر لديه العديد من الأنصار، بالإضافة إلى رغبة عبد

(٩٤) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ١١.

(٩٥) تقي الدين المقرئ: تحقيق محمد العلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩١م، ج ٤، ص ١٠٨.

(٩٦) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣ ص ١٩٩.

(٩٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠١ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٨ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٧ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٦١.

الرحمن من تشديد المراقبة على هذا الثائر في قصره وذلك لأهمية مدينة طليطلة وحتى يضمن عدم خروج هشام بن عذرة الفهري مرة أخرى، ولكن حدث ما لم يكن يتوقعه الأمير عبد الرحمن الداخل، حيث عاد هشام بن عذرة الفهري للثورة مرة أخرى و خلع الأمير عبد الرحمن الداخل وعاد إلى نفاقه، ونكث الصلح فغضب الأمير عبد الرحمن فزراه في السنة الثانية (١٤٥هـ/٧٦٢م) وسار بجيشٍ لحصار مدينة طليطلة، وأصطحب معه أفلح بن هشام الرهينة، فنزل به وحاربه، ودعاه إلى الرجوع وصبر عليه، ولشدة غضب الأمير الأموي من طليطلة وإيوائها للخارجين عليه فإنه نصب المنجنيق عليها^(٩٨) فلما يئس منه أمر بانه الرهينة فضربت عنقه ثم جعل الرأس في المنجنيق ورمي به إليه في المدينة، ورجع عنه ذلك العام، وبقتل عبد الرحمن الداخل للرهينة ورمي رأسه بالمنجنيق^(٩٩) يكون قد استنفذ كل وسائله للحصول على المدينة.

واستخدام الأمير عبد الرحمن الداخل للمنجنيق ضد الثائرين لم يفد لحصانة مدينة طليطلة ومناعتها، مما دفع بعبد الرحمن الداخل بعد طول الحصار إلى قذف رأس الرهينة أفلح بعد فصله عن جسده إلى داخل طليطلة، وانسحب الأمير عبد الرحمن عن المدينة لأنه لم يجد هناك شيء مؤثراً بعد قتل الرهينة الذي بيده، وخاصةً بعد خروج العلاء بن مغيث اليحصبي

(٩٨) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠١؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٤٠.

(٩٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٩.

بباجة^(١٠٠) ودعوته للدولة العباسية بالأندلس^(١٠١)، ولكن الأمير عبد الرحمن الداخل استعد للقضاء على ثورة طليطلة بعد انتهائه من ثورة العلاء اليحصبي، وخصوصاً أن الثورة التي يثير ضرامها هشام الفهري في طليطلة، قد استفحلت واتسع نطاقها، فأرسل عبد الرحمن الداخل قائديه بدر وتمام بن علقمة بجيش كثيف إلى طليطلة في سنة (١٤٧ هـ / ٧٦٤م)^(١٠٢). وكان الإصرار على إسقاط هذا النائر وإعادة طليطلة لتبعية الإمارة سبباً في تتابع الإمدادات والمساعدات لإحكام حصار المدينة كل ستة أشهر، وهذا يدل على طول فترة الحصار التي قد تزيد على سنة، فنجحوا في تطويق المدينة وشددوا الحصار عليها، حتى ضاق أهلها ذرعاً، فاضطروا إلى طلب الصلح، فكتبوا بدراناً وتامماً وسألوهما الأمان على أن يسلبوا لهما ابن عروة وهشام بن حمزة بن عبيد الله وحيوة بن الوليد^(١٠٣)، فأصبح أمان أهل مدينة طليطلة أصبح مرهوناً بتسليم الزعماء الثائرين، فسلم أهل مدينة طليطلة الزعماء الثائرين إلى بدر وتمام الذين أتوهم إلى عبد الرحمن بن معاوية، فتم حلق رؤوسهم ولحاهم وألبسهم جباب الصوف،

(١٠٠) مدينة بباجة: (Beja) تقع في أقصى الجنوب الغربي من الأندلس غربي قرطبة، وبينها وبين قرطبة مائة فرسخ، وهي من الكور المجتدة نزلها جند مصر، فحمل الأمير عبد الرحمن بن معاوية لواءهم وأسقط جندهم، وكان سبب ذلك أن العلاء بن مغيث اليحصبي كان رأس جند بباجة فثار بها وقام بدعوة بني العباس وليس السواد، وتفسير بباجة في كلام العجم الصلح وهي مدينة مشهورة بدباغة الجلد وصبغ الكتان ويوجد معدن الفضة، وتسمى هذه المدينة بباجة الأندلس تميزا لها عن بباجة إفريقية التي تسمى بباجة القمح، ونسب لمدينة بباجة الكثير من العلماء منهم الفقيه والإمام والقاضي أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف و من أعلام أبنائها أيضاً، فيلسوف من أعظم فلاسفة الإسلام وعلمائه، هو أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن بباجة، وسقطت مدينة بباجة في يد النصارى سنة (٥٥٦هـ - ١١٦١م)؛ الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٥؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٧٥؛ محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج ٢، ص ٩٤.

(١٠١) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، دار المعارف، لبنان ١٩٦٢م، ص ١٩٧. إبراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٨م، ص ١٨٥.

(١٠٢) ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ١٤٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٥٣.

(١٠٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٥، ٩٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٤٠.

وأدخلوهم في السلال، حملوهم على الحمير، فأتى بهم على تلك الحال إلى خُشْب قد أُعدت لهم، فصلبوا فيها بقرطبة، وكُتب إلى البلدان بفتح طليطلة^(١٠٤).
والذي دفع أهالي طليطلة لتسليمهم الثائرين إضافة إلى نتائج الحصار الذي ترتب عليه قطع الأقوات والمؤن إلى داخل المدينة هو خوفهم من انتقام الأمير عبد الرحمن الداخل الذي قام بقتل أفلح بن هشام دون أن يبالي بشيء، وانتهت ثورة هشام بن عروة الفهري سنة (١٤٧هـ/٧٦٤م)^(١٠٥) ولولا تخلي أهالي طليطلة عن هشام لدامت ثورته إلى مدة طويلة، وبقي تمام بن علقمة يدير أمر طليطلة إلى أن استدعاه الأمير عبد الرحمن الداخل وعينه في الحجابة لديه^(١٠٦) وأقام على طليطلة حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان^(١٠٧) في عام (١٥١هـ/٧٦٨م)^(١٠٨).

(١٠٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٥٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ٣٤٠.

(١٠٥) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٤٠؛ خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس، ص ٧٧.

(١٠٦) ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج ٢، ص ٩، ١٠.

(١٠٧) حبيب بن عبد الملك: حبيب بن عبد الملك المرواني من نسل الخليفة الوليد بن عبد الملك، وهو من صدور الداخلين الأندلس المتميزين بالمعرفة والدهاء والشجاعة والأدب وقول الشعر دخل قبل عبد الرحمن الداخل، ولي طليطلة وأعمالها في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨هـ — ١٧٢م/٧٥٦ - ٧٨٨م)، وكان ممن يشاورهم الأمير عبد الرحمن الداخل في رأيه، ويندب مجالسهم، كما ضمه إلى خاصته ضمن نقياء دولته، وكان له عنده مكانة ومات قبل عبد الرحمن عن أحد عشر ذكراً وقشاً نسله، ولما توفي حبيب بن عبد الملك جعل عبد الرحمن يبكي ويجتهد في الدعاء والاستغفار لحبيب؛ لمزيد من التفاصيل القيمة عن حبيب بن عبد الملك: ابن الأبار: الحلة السرياء، ج ١، ص ٥٩، ٦٠؛ ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج ٢، ص ١٠؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ٣، ص ٥٥.

(١٠٨) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٤٣، ٣٤٤.

زعماء الثغور رهائن في قرطبة

شكلت مسألة الثغور إحدى العقبات الكبرى أمام إمارة قرطبة، التي كان من المفترض أن تكون خط الدفاع الأول عن الأمة، وبدلاً من ذلك كانت حدود الأندلس خليطاً مشوشاً من التناقضات، وافترقت تلك المنطقة إلى التجانس الضروري الذي يجعل منها منطقة حدود، وصارت حدوداً ضد قرطبة^(١٠٩)، ولم يتمكن عبد الرحمن الداخل من الرد على اعتداءات النصراري إلا في سنة (١٥٠هـ/٧٦٨م) وهذه السنة شهدت أول لقاء عسكري بين عبد الرحمن الداخل ونصارى الشمال، إذ وجه حملة بقيادة مولاه بدر إلى ألبه (Alava) شرقي ليون وحارب أهلها وانتصر عليهم وأخذ منهم الجزية دون إعطاء أي تفاصيل أخرى^(١١٠)، وخلال رحلة العودة جلب بدر معه إلى قرطبة كل من شك في إخلاصه وولائه من زعماء الثغور منهم سليمان الأعرابي^(١١١) الذي سوف يلعب دوراً رئيساً في سير الحوادث التاريخية لاحقاً.

وهذا العمل من قبل بدر يدل دلالة واضحة على بعد نظره، وأنه له دوراً واضحاً وفعالاً في قيام الدولة الأموية في الأندلس والمحافظة عليها، فباتخاذ زعماء الثغور المشكوك في ولائهم رهائن إلى قرطبة يحقق بعض الأهداف منها استقرار الأمن في تلك المناطق، ويعمل على حرمان

(١٠٩) ديونيسيوس أجويوس: التأثير العربي في أوروبا، ترجمة قاسم عبده قاسم، عين للبحوث والدراسات، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٢٣-١٢٥.

(١١٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٥٤؛ خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس، ص ٨٧.

(١١١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٥٤.

النصارى والإفنج من العناصر التي سوف تقدم العون لهم ضد الإمارة الأموية، وهو بذلك يركز جهود الأمير عبد الرحمن الداخل في القضاء على الثورات الداخلية، حتى يتفرغ لأعدائه الخارجيين، نكتشف من سير الحوادث التاريخية أن الرقابة على هؤلاء الزعماء كانت ضعيفة بدليل هروب سليمان الأعرابي، ونستدل كذلك أن هؤلاء الزعماء كانوا غير محتجزين في السجون، فمن الممكن أن الأمير عبد الرحمن الداخل كان يعمل على استمالتهم وأعطاهم بعض الامتيازات التي تكون في حدود عاصمة ملكه قرطبة حتى يكونوا تحت عينيه.

عبد الرحمن الداخل والتمرد في مدينة سرقسطة:

كان لموقع مدينة سرقسطة تأثيرٌ سلبي على المدينة، حيث مجاورتها للإمارات النصرانية فرض عليها أن تكون قاعدة للجهاد، ولذلك حرص الأمير عبد الرحمن الداخل على تفقد أحوالها وخصوصاً أن بعدها عن حكومة قرطبة أدّى إلى ظهور حركات التمرد والعصيان، حيث خرج بدر موالى عبد الرحمن الداخل في سنة (١٥٠هـ/٧٦٧م) إلى منطقة الشجر الأعلى ليتفقد أحوالها، وقام بأخذ كل من اشتبه بولائه لحكومة قرطبة منهم سليمان الأعرابي، حيث تمّ نقله إلى قرطبة وفرضت عليه الإقامة فيها، وبعد أن قضى الأمير عبد الرحمن الداخل

على ثورة اليمينية بزعامة حيوة بن ملامس^(١١٢) في إشبيلية وقتل منهم زهاء ثلاثين ألفاً^(١١٣) وبعد هذه المأساة التي حلت باليمانية حرض الشاعر المشهر بن هلال القضاعي سليمان الأعرابي ودعاه إلى أخذ ثار اليمينية، ففرج الأعرابي من قرطبة وسار إلى سرقسطة متمرداً^(١١٤) ففي سنة (١٥٧ هـ/ ٧٧٤ م) أعلن سليمان بن يقطان الكلبي المعروف بالأعرابي والي برشلونة^(١١٥) وجيرونة^(١١٦) عصيانه على الأمير عبد الرحمن الداخل بمساعدة الحسين بن يحيى الأنصاري والي سرقسطة وتحالفا على قتال عبد الرحمن الداخل وخلعه وذلك

(١١٢) حيوة بن ملامس: حيوة بن ملامس الحضرمي كان من أشرف إشبيلية ورؤسائها وكانت له منزلة لطيفة عند عبد الرحمن بن معاوية، لأول مقدمه، وينقل إلينا ابن الأبار بيتين ينسب قولهما إلى عبد الرحمن في امتداح حيوة وجوده ووفائه قائلاً: فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها... إذا غاب عنها حيوة بن ملامس

أخو السيف، قاري الضيف، حقا يراهما... عليه، وناقي الضيف عن كل بانس لكنه غدا بعد من ألد خصومه ومناقسيه؛ القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، ج ١، ص ٢٣٢؛ ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٣٥، ٣٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٦١، ١٦٠؛ هامش ص ١٦٦؛ السامرائي وآخرون: ص ١١٥، ١١٦.

(١١٣) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٣. (١١٤) حمدي عبد المنعم: ثورات البربر في الأندلس، هامش ص ٢٥.

(١١٥) برشلونة: (Barshaluna) مدينة أندلسية قديمة البناء، تقع على البحر المتوسط ولها ميناء تدخل إليه السفن ولها سوق وريض وأكثر سكانها من اليهود، وهي عاصمة إقليم (قطالونيا catalonia) وتقع في الشمال الشرقي من إسبانيا، استولى عليها موسى بن نصير سنة (٩٤ هـ/ ٧١٣ م) سقطت بيد الفرنجة عام (١٨٥ هـ/ ٨٠١ م)؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣٠٩؛ الزهري: كتاب الجغرافية، ص ٧٧؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٠، الحميري: الروض المعطار، ص ٨٦، ٨٧؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٢٣٣.

(١١٦) جيرونة أو جرنده: (Gerunde) إحدى مدن الشمال الأندلسي، وهي منطقة تقع في جنوب غرب فرنسا، شمالي برشلونة وهي من مقاطعات كتلونية، ويقال لها جيرونة، واسمها الروماني القديم جيرنده (Gerunda)، وكان إسمها هذا هو المستعمل يوم فتحها العرب، وسكنها العرب طويلاً، ولم يسكنوا جيرونة التي عاصمتها بوردو ولا عرفوها إلا في الغزوات عابري سبيل، و خرجت جرنده من أيدي المسلمين نهائياً سنة (١٨٤ هـ/ ٨٠٠ م) ابن = = خرداذبة: المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩ م، ص ٩٠؛ شكيب أرسلان: الحل السندسية، المطبعة الرحمانية، القاهرة ١٩٣٦ م، ج ٢، ص ٢٠٤.

لتحقيق مآربهما وأطماعهما في الحكم^(١١٧)، وخصوصاً أن عبد الرحمن كان منشغلاً بقمع فتنة شقيا البربري^(١١٨) في الجنوب^(١١٩).

وأرسل إليهم الأمير عبد الرحمن الداخل سنة (١٥٨هـ/٧٧٥م) جيشاً بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي^(١٢٠) فانهمز هذا الجيش ونجح سليمان في تبديد شمله وأسر قائده وزاد هذا النصر في حماسة الثوار في الشمال وأذكي روح العناد في نفوسهم وأطمعهم في مناوأة حكومة قرطبة^(١٢١) ولكن سليمان الأعرابي وحليفه الحسين بن يحيى والي سرقسطة لم يركا إلى هذا النصر المؤقت وذلك لما يعلمانه من عزم عبد الرحمن الداخل وقوة بأسه، وروح الانتقام لديه، وأنه سوف يعد العدة للانتقام لهذا فكراً في الاستعانة بملك الإفرنج حيث كان على اتصالٍ قديمٍ مع دولة الفرنجة، وقد استدعى سليمان الأعرابي شارلمان^(١٢٢) ملك فرنسا لغزو الأندلس

(١١٧) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٢٥؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ٣، ص ٤٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٦٨؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٢٨.
(١١٨) شقيا البربري: شقيا بن عبد الواحد من قبيلة مكناسة البربرية، قام بثورة في شمال شرق الأندلس في سنة (١٥١هـ/ ٧٦٨م) حيث كان يعمل معلماً للصبيان، وكانت أمه تسمى فاطمة، فادعى أنه فاطمي من سلالة النبي ﷺ وتسمى بعبد الله بن محمد ودعا الناس إلى اعتناق دعوته لكي يخلصهم من حكم الأمويين في الأندلس، وأتلف حوله الكثير من البربر في شنتبرية وعظم أمره، فسار إليه الأمير عبد الرحمن بن معاوية على رأس جيش كثيف فلم يستطع قتاله أو الإيقاع به، وذلك لإتباع شقيا خطة عسكرية محكمة، فهو يعمد للهروب إذا أدركه خطر ما، ولم يقدم على مواجهة الجيش الأموي، لذلك استمرت ثورته قرابة العشر سنين؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٦٠٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٥٤، ٥٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ١٦٣، ١٦٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٦٤-١٦٦؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ١٨-٢٢.

(١١٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٥٤، ٥٥.
(١٢٠) ثعلبة بن عبيد الجذامي: شارك عبد الرحمن الداخل في معركة المصاردة، وهو الذي دعا عبد الرحمن الداخل من الاحتراس من اليمانية لما يبتهوه له من الغدر، وبعد أن استقر الأمر لعبد الرحمن الداخل ولاءه سرقسطة زماناً ثم إستوزره وقربه. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٢؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٧.
(١٢١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٤٦؛ محمد مرسى الشيخ: دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨١، ص ١٣٨.

(١٢٢) شارلمان: ولد شارلمان حسب رواية إينهارد حوالي عام (١٢٦هـ/ ٧٤٣م) وقام الملك بينن القصير فيل وفاته عام (١٧٠هـ/ ٧٨٦م) بتقسيم المملكة الفرنجية بين ولديه شارلمان وكارلمان، و مات كارلمان عام (١٥٥هـ/ ٧٧١م) فقام شارلمان بضم أملاكه إليه وانفرد بحكم المملكة الإفريقية كلها، واتصف شارلمان بطول القامة وقوة البنية، تم تنويجه إمبراطوراً رومانيا على يد البابا ليو الثالث Leo III (١٧٩-٢٠٢هـ/ ٧٩٥-٨١٧م) سنة (١٨٤هـ/ ٨٠٠م)؛ إينهارد: سيرة شارلمان، ترجمة وتعليق عادل زيتون، دار حسان، دمشق ١٩٨٩م، ص ١٣؛ عفاف سيد صبره: الإمبراطورية الرومانية الغربية زمن شارلمان، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٢م، ص ٤٧.

ووعده بتسليم الولايات الشمالية ولاسيما سرقسطة وتسليم الأسير ثعلبة بن عبيد لكي يكون رهينة عنده^(١٢٣) فإننا نجد أن حركة الأعرابي والأنصاري في سرقسطة وطلبهما مساعدة شارلمان سنة (١٦١هـ/٧٧٨م) تنسجم مع مصالح الطرفين: فالأعرابي والأنصاري يرغبان في القضاء على الداخل وإمارته ويرغبان بالتالي في ولاية الأندلس، في حين كان شارلمان يطمع في الاستيلاء على الأندلس أيضاً وضمها للإمبراطورية الكارولنجية^(١٢٤).

ونجد أن الحسين بن يحيى انشق عن حلفائه وسيطر على مدينة سرقسطة وتحصن بها فالحسين نعم على سليمان موقف الصدارة والزعامة الذي انشح به إزاء الفرنجة، فنشبت بينهما الخصومة، أو أنه خشي عاقبة التورط في تحالف مع الإفرنج. فعدل موقفه في آخر لحظة حينما شعر بمسير الإفرنج إلى مدينته^(١٢٥) واتهي الأمرُ برجوع شارلمان ملك فرنسا بعد فشله في السيطرة على سرقسطة ولم يجد أمامه سوي سليمان الأعرابي فأخذه أسيراً معه^(١٢٦)

دبّ الخلافُ بين زعيمي الثورة في سرقسطة، على أثر نكبة جيش الفرنجة في موقعة باب الشري، ويذكر العذري: أن الحسين بن يحيى الأنصاري خوطب من قرطبة يؤمر باغتيال سليمان بن يقظان^(١٢٧) فدرس عليه ذات يوم من قتله بالمسجد الجامع وأنفرد بالأمر في سرقسطة وما حولها، ومن المحتمل أنه خلع طاعة الأمير عبد الرحمن الداخل الذي تأهب سنة (١٦٥هـ/٧٨١م) لقمع ثورته فسار إلى سرقسطة في جيشٍ ضخم، وانظم إليه عيشون بن سليمان الذي فرَّ إلى أربونة بعد مقتل أبيه بمن معه في مقاتلة الحسين الذي طلب الصلح

(١٢٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٦٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٦٩-١٧٤؛ محمد مرسى الشيخ: دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، ص ١٣٨.
(١٢٤) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٧٤؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٢٩.
(١٢٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٤٦؛ خليل السامرائي: تاريخ العرب، ص ١٣٠.
(١٢٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢١٣.
(١٢٧) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٢٦.

عندما اشتدَّ الحصارُ عليه، وقدم ابنه سعيد رهينة، فأجابه الأمير عبد الرحمن الداخل إلى ملتمسه وأقره والياً على سرقسطة، ولكن سعيد بن الحسين فرَّ من معسكر الأمير عبد الرحمن الداخل أثناء الطريق، حيث أنه لم يقيم في معسكر الأمير إلا يوماً واحداً^(١٢٨). فلما رأى الحسين بن يحيى أن عبد الرحمن قد ارتدَّ عنه، وعاد إليه ولدهُ سالماً نكثَ بعهده، وعاد إلى الثورة وعاث فساداً في سرقسطة وأعمالها، فأعزم الأمير عبد الرحمن أن يعود لقتاله سنة (١٦٦هـ/٧٨٢م) وأن ينكِّل به وبأنصاره، فبعث إلى الشمال جيشاً كثيفاً بقيادة غالب بن تمام بن علقمة، نفّرج الحسين إلى لقائه ووقعت بينهما معارك شديدة هزم فيها الحسين، وأسر ولده يحيى وعدة من صحبه^(١٢٩) فأرسلوا إلى قرطبة حيث أمر الأمير عبد الرحمن بإعدامهم، وأمنع الحسين بالمدينة واستمرَّ غالب في حصاره وفي العام التالي سنة (١٦٧هـ/٧٨٣م) سار عبد الرحمن إلى سرقسطة وحاصرها بشدة ونصب عليها ستة وثلاثين منجنيقا وضربها بعنف فلكها عنوةً وقتل الحسين أقيح قتله ونفي أهل سرقسطة منها لئيم تقدمت منه ثم ردهم إليها حتى هدم أسوارها وأقبحها عنوة وقبض على الحسين وجماعة من صحبه فقتلهم جميعاً، وشرَّد كثيراً من أهلها، وفر سعيد ولد الحسين، وعين عبد الرحمن قائده ثعلبة بن عبيد والياً على سرقسطة وكان قد افتداه من شارلمان^(١٣٠).

(١٢٨) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٨٧.

(١٢٩) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٤٩.

(١٣٠) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٤٩.

سعيد بن الحسين الرهينة الهارب

من خلال الأحداث يتضح أن الأمير عبد الرحمن الداخل قد أخذ سعيد بن الحسين بن يحيى رهينة من أبيه ثم تحول عن سرقسطة، ولكن سعيداً لم يقيم في معسكر الأمير إلا يوماً واحداً حيثُ أعمل الحيلة وهرب إلى منطقة بليارش Pallars وذلك في الوقت الذي كان فيه الأمير عبد الرحمن متجهاً إلى الشمال الشرقي محترقاً ببلاد البشكنس (نافار) ليعاقبهم على عدوانهم وغزا بنبلونة ثم عاد إلى قرطبة ظافراً^(١٣١)، ولم تُمدنا المصادر بمعلومات عن سعيد بن الحسين ومعاملة عبد الرحمن الداخل له أو عن كيفية هروبه غير المعلومة التي أمدنا بها المؤلف المجهول، أن سعيداً أعمل الحيلة في الهرب، والظاهر أن الرهينة سعيد بن الحسين كان شاباً والدليل على ذلك تخطيطه و نجاحه في الهروب، ولو كان طفلاً لخشى العواقب وقد يكون أظهر رغبة في الاشتراك في القتال مع جند الأمير خفت الرقابة عليه، أو أنه استغل انشغال جند الأمير عنه وتأهبهم لغزو بلاد البشكنس، فغافلهم وقام بالهرب.

ولكن ما هي الأسباب التي دفعته للهروب؟ هل تعرض لمعاملة سيئة من الأمير عبد الرحمن الداخل أو من جنده! نجد أن المصادر صمتت في تقديم أي معلومات.

لم يتتبع الأمير عبد الرحمن الرهينة الهارب، ومن المحتمل أن الشاب سعيداً بن الحسين هرب لأنه كان على يقين بخطط والده في الثورة والخروج على الأمير عبد الرحمن الداخل والدليل على ذلك هو قيام الحسين بن يحيى بالثورة ونكث بعهده وأعمالها، عندما عاد إليه ولده سالماً

(١٣١) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٨٧.

فأعزم الأمير عبد الرحمن أن يعود لقتاله سنة (١٦٦هـ/٧٨٢م) ونجح الأمير عبد الرحمن في أسر يحيى بن الحسين وعدد من أصحابه واقتحم المدينة عنوة، وقتلهم جميعاً، وشرّد كثيراً من أهلها^(١٣٢)، ولم يحاول الأمير عبد الرحمن تتبع الرهينة الهارب، معتقداً أنه تخلص نهائياً من الفتنة بقتل الحسين بن يحيى وأنصاره.

وتوفي الأمير عبد الرحمن في (الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ١٧٢هـ/ الثاني من أكتوبر ٧٨٧م) وهو في نحو الثامنة والخمسين من عمره^(١٣٣)، فجدد فترة حكمه امتدت من سنة (١٣٨هـ/٧٥٥م) وحتى سنة (١٧٢هـ/٧٨٨م) وكانت قد قامت عليه أكثر من خمس وعشرين ثورة^(١٣٤)، في كل مكان من أرض الأندلس، وبصبرٍ شديد وأناة عجبية أخذ عبد الرحمن الداخل يروّض هذه الثورات الواحدة تلو الأخرى، وبحسب ما يتوافق معها أخذ يستميل بعضها ويحارب الأخرى وهو يقيمها بنجاح عجيب، ونجده لم يتخذ رهائن من الثوار إلا مع يوسف الفهري ورهائن من هشام بن عذرة الفهري الثائر في مدينة طليطلة ومن الحسين بن يحيى الأنصاري في مدينة سرقسطة ولم يتخذ رهائن من باقي الثوار! وذلك يرجع لعدة أسباب منها رغبة عبد الرحمن الداخل بأن ينفرد بحكم الأندلس من يوسف الفهري

(١٣٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٤٩.

(١٣٣) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٩٢.

(١٣٤) لمزيد من التفاصيل عن هذه الثورات أنظر: مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٤ - ١٠٨، ابن القوطية: أخبار مجموعة، ص ٤٩ - ٥٥؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٧ - ٥٨؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٢٠ - ٢٢٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٥ - ١٥٨؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٢٣٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٥٢ - ١٦٧؛ السامرائي: تاريخ العرب، ص ٩٣ - ١١٥؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ١٠ - ٣٠؛ حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي لمدينة إشبيلية، ص ٣١ - ٤٥.

لأنه يعتبر الوالي السابق للأندلس وله العديد من الأنصار في الأندلس عامة وفي مدينة طليطلة خاصة والتي تتميز بمناعتها وقوة حصونها (١٣٥).

واتخذ الأمير عبد الرحمن الداخل، سعيد بن الحسين بن يحيى الأنصاري رهينة وذلك لان مدينة سرقسطة تعتبر من كبريات مدن الأندلس وأعظمها (١٣٦) وأنها مدينة حدودية وكان عبد الرحمن الداخل يخشى من أن يحدث اتفاق بين حاكم سرقسطة وشارلمان، وخصوصا أن ثوار مدينة سرقسطة نجحوا في التغلب على الحملة التي أرسلها عبد الرحمن الداخل لتأديبهم سنة (١٥٨هـ/٧٧٥م) بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي (١٣٧).

أما باقي الثورات التي كانت ضد الأمير عبد الرحمن فكانت ثورات قام بها أفراد تميز بعضها بالضعف وتميز البعض الآخر بالقوة، فكان لابد من مواجهتها والقضاء عليها، وبعض هذه الثورات سعت إلى جمع المعارضين والعناصر الناقية على حكم الأمير عبد الرحمن الداخل مثل ثورة العلاء بن مغيث الجذامي (١٣٨) في مدينة باجة سنة (١٤٦هـ/٧٦٣م) التي تميزت بكثرة من انضم إليها من الناقين على حكم عبد الرحمن الداخل، وأنها كادت تطيح بدولته. ولكنها انتهت بمقتل العلاء ونشيت جنده سنة (١٦٢هـ/٧٧٨م) (١٣٩).

(١٣٥) البكري: جغرافية الأندلس وأوربا، ص ٨٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٥٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٣٨، ٢٣٧؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ١.

(١٣٦) الإصطخري: إبراهيم محمد الفارسي: الممالك والممالك، ص ٣٥. (١٣٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٤؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٢؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢١؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٦٤.

(١٣٨) العلاء بن المغيث الجذامي: ويقال الحضرمي من أهل باجة بالأندلس وقيل أنه قدم من إفريقية إلى الأندلس بإيعاز من العباسيين، نزل مدينة باجة في غربي الأندلس وأرسل إليه الخليفة أبو جعفر المنصور بسجل ولواء وتقويض من قبله بولاية الأندلس، فخطب لأبي جعفر بباجة وما جاورها وأذاع أن عبد الرحمن الداخل خارج عن سلطان الخلافة الإسلامية ومغتصب للولاية؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٣؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٤؛ ابن حزم: نقط العروس، ص ٧٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٤١.

(١٣٩) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٤؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٥؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ٢، ص ٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٨؛ لين بول: قصة العرب، ص ٦٤.

عهد الأمير هشام الرضا (١٤٠) (١٧٢-١٨٠ هـ/٧٩٦-٧٨٨ م):

تولي الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل حكم الأندلس سنة (١٧٢ هـ/٧٨٨ م) وكان الأمير هشام على صراع مع أخويه، وأن سعيد بن الحسين بن يحيى الأنصاري استغل فرصة الصراع وأعلن الثورة بموضع شاغنت (١٤١) من أعمال طرطوشة بشرق الأندلس، وكان قد التجأ إليه حين قتل ولده، وفي سنة (١٧٢ هـ/٧٨٨ م) بدأ سعيد بن الحسين بدعوة اليمانية مظهراً التعصب لهم فاجتمع له خلق كثير ونجح في التغلب على أقاربها وملك مدينة طرطوشة فأخرج منها الوالي يوسف القيسي، وضرب بين الناس، ودعا إلى نفسه والي الفتنة، فأرسلها مضربة ويمانية، فعارضه موسى بن فرتون (١٤٢) الذي يعتبر من الشخصيات البارزة من بني قسي الذي كان من المؤيدين للأمير هشام ووافقته القبائل المضربة، والتقي باليمانية في معركة

(١٤٠) هشام بن عبد الرحمن الداخل: كنيته: أبو الوليد، كان مولده سنة (١٣٩ هـ/٧٥٦ م)، وأمه تسمى جمال؛ نقش خاتمه: (بالله يثق عبده هشام وبه يعتصم)؛ صاحب شرطته: عبد الغافر بن أبي عبدة وزراؤه: ثمانية؛ كتابه: اثنتان: فطيس بن عيسى، وخطاب بن زيد؛ قاضيه: المصعب بن عمران؛ وكان أبيض الوجه مشرب بحمرة وبعينه حول؛ حاجبه عبد الرحمن بن مغيث؛ بنوه: الذكور ستة، والإناث خمس؛ يوقع يوم الأحد مستهل جمادي الأولى من السنة؛ وكان عند موت أبيه بمدينة ماردة، فوافاه الخبر؛ فطرق، ووصل قرطبة بعد ستة أيام؛ قبائعه الخاصة والعامة؛ وتوفي هشام ليلة الخميس لثلاث خلون من صفر سنة (١٨٠ هـ/٧٩٦ م)؛ فكان عمره أربعين سنة وأربعة أشهر وأربعة أيام؛ فكانت مدة دولته وخلافته سبع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٦١.

(١٤١) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٤٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٩٢.

(١٤٢) موسى بن فرتون: أحد ولادة الأمويين بالثغر الأعلى، وتذكر المصادر الإسلامية والمسيحية أن موسى بن فرتون بن قسي كان يتولى حكم برجه (Borja بالثغر الأعلى (من أعمال سرقسطة) وكان متزوجاً من أميرة بشكنسية، تدعى أسونا (Assona)، وقتل موسى على يد رجل يدعى جدر أحد موالى الحسين بن بجني، فتزوجت زوجته من وثقة أمير نيرة (بنبلونة) المسيحية وعلى هذا كانت توجد علاقة قرابة تربط بني قسي وبين بني ابيجوارتسيا (ويعرفون في المصادر العربية ببني وثقة) وأرتبطوا أيضاً فيما بعد بالمصاهرة؛ كمال السيد: المولود، ص ٨٣، ٨٤.

انتهت بانتصاره وقتل سعيد بن الحسين (١٤٣) واستولى موسى بن فرتون على مدينة سرقسطة سنة (١٧٢هـ/٧٨٨م) غير أن أحد موالي الحسين بن يحيى الأنصاري ويسمى جحدر فاجأه بجمع غفير ودارت بينهما معركة انتهت بمقتل موسى بن فرتون بن قسي (المعروف بموسي الأول) (١٤٤).

وبذلك تم التخلص من سعيد في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل وذلك بعد أن أحدث الفتنة بين اليمينية والمضربة في مدينة طرطوشة.

ويتبين أن سعيد بن الحسين الأنصاري لعب دوراً سياسياً خطيراً في الأندلس حيث أنه استغل الصراع القبلي بين اليمينية والقيسية في الأندلس لصالحه، وقام بالثورة ضد الأمير هشام في منطقة الثغر الأعلى فتورته ترتب عليها تعميق الخلاف بين القيسية واليمينية، وتصدي لثورته أسرة من المولدين بقيادة موسى بن فرتون، وهذه الأسرة شعرت في نفسها القوة، ورغبت في السيطرة على العديد من المناطق فلعبت دوراً سياسياً خطيراً ضد الأمويين في الأندلس، وذلك لتحالفهم مع أصحابهم بني وثقة أصحاب بنبلونة.

وعلى المستوي السياسي لهذه الثورة أيضاً تم قتل موسى بن فرتون على يد أحد موالي الحسين بن يحيى الأنصاري، وفي نهاية الأمر استطاع الأمير هشام أن يسيطر على الأندلس وأن يقضي على ثورة أخويه (سليمان وعبد الله البلنسي) (١٤٥) سنة (١٧٤هـ/ ٧٩٠م) ونجح في

(١٤٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٨٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٦٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٠٧، ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٩١.

(١٤٤) كمال السيد: المولدون، ص ٤٩.

(١٤٥) ثار سليمان بن عبد الرحمن ضد أخيه هشام، لأنه يري نفسه أحق بولاية العهد من أخيه ولأنه أكبر منه سناً، فلما اتصل به خبر أبيه، حشد الحشود، وجند الجنود، يريد قرطبة، مخالفاً لأخيه؛ فلما وصل لجيان، خرج إليه هشام في أجناده، والتقي معه بجهة بلج؛ فوقع بينهم حرب شديدة؛ فانهزم سليمان، وأسلم عسكره، وفرَّ على وجهه؛ وقفل هشام إلى قرطبة، وأعلن سليمان الثورة في طليطلة بعد أن حصل على البيعة من أهلها على حكمها وحكم المناطق المجاورة وانظم له أخيه عبد الله ولكن إستطاع هشام القضاء على الثورة، حيث طلب عبد الله أن يتوجه إلى المغرب فساعدته هشام على ذلك واتفق مع سليمان أن يخرج بأهله إلى

- القضاء على ثورة البربر في تاكرنا ولم تمدنا المصادر بصراعات داخلية تم فيها احتجاز رهائن في عهد الأمير هشام ومن المحتمل يكون ذلك راجعاً لأسباب منها
- أن الأمير عبد الرحمن الداخل وطد الملك لابنه سليمان قبل وفاته.
 - نجاح الأمير هشام في القضاء على ثورة أخويه سليمان وعبد الله البلنسي.
 - تميز الأمير هشام بصفات شخصية جمعت قلوب الناس عليه، وأصبح محبوباً من عامة الناس حيث كان يرسل إلى البلاد قوماً عدولاً يسألون الناس عن أحوالهم وعن سير العمال فيهم^(١٤٦) فهو بذلك لم يكن ليجتاز رهائن لأن لديه القدرة على إخضاع الخارجين عليه، عكس عهد الأمير عبد الرحمن الداخل الذي تميز بكثرة الثورات والخوارج في كل أنحاء الأندلس فكان سلاح أخذ الرهائن ذو قيمة لديه في بعض الأحيان حتى يتفرغ لثأر آخر.
 - إن الأمير هشام كان مغرمًا ومحباً للجهاد في سبيل الله، فجمع الجميع تحت راية واحدة وبذلك لم يدعَ فرصة أن تظهر صراعات داخلية كثيرة في عهده.

المغرب وأن يعطيه ستين ألف دينار حقه في ورث أبيه ؛ ابن الأبار: الحلة السيرة ؛ ج ٢، ص ٣٦٣. ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٦٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٥٣؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ١، ص ١١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢٤.

(١٤٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٦٦.

الرهائن السياسيون في عهد الأمير الحكم الأول (١٨٠-
٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م)

الرهينة البربري: أصبغ بن عبيد الله بن وانسوس

خلف الأمير هشام ابنه الحكم الذي تكالبت عليه الثورات منذ أوائل حكمه في سرقسطة ووشقة (١٤٧) ومدينة طليطلة ماردة (١٤٨) حيث واجه الأمير الحكم (١٨٠- ٢٠٦هـ/٧٩٦- ٨٢١م) ثورة أصبغ بن عبيد الله بن وانسوس في سنة (١٩٠هـ/٨٠٥ - ٨٠٦م) في مدينة ماردة، التي كانت تضم أخلاطاً شتي من السكان منهم المولدون والمستعربون وطائفة كبري من البربر، كانت تنزل بنواحي ماردة وإقليم غرب الأندلس فأصبحت مدينة ماردة مدينة الثورات في الغرب فكانت ترحب دوماً بالخارجين عن الحكومة المركزية (١٤٩).
تزعم هذه الثورة أصبغ بن عبد الله بن وانسوس، الذي كان قائداً للأمير، ويدو أنه أراد التمتع بمزيد من الاستقلال في إدارة المدينة، فساءت العلاقة بينه وبين حكومة قرطبة، وساعد على

(١٤٧) وشقة: بفتح أوله وسكون ثانيه والقاف، وهي من مدن الثغر الأعلى، بينها وبين سرقسطة خمسون ميلاً، ووشقة مدينة حسنة، لها أسواق عامرة وصنائع قائمة، وأحوازها تتصل بأحواز بربطانية، ووشقة بشرقي مدينة تطيلة وهي مدينة كبيرة أولية قديمة، واتصل ذلك من فعلهم سبعة أعوام والنصارى في القصبة القديمة محصورون، فلما طال عليهم الحصار استأمنوا لأنفسهم وذراريهم، فمن دخل في الإسلام ملك نفسه وماله وحرمة، ومن أقام على النصرانية أدي الجزية، فليس بوشقة من أهلها المتأصلين رجل ينتهي إلى أصل صحيح من العرب، وتمكنت قوات أرجون من احتلال مدينة وشقة سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٦م)؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٥٥، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٧٧؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٤٥.

(١٤٨) ابن سعيدي: المغرب في حلي المغرب، ج ١، ص ٤٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٦٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢٦.

(١٤٩) حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٤٠؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٣٥.

هذا أن بعض أعدائه أوقع بينه وبين الأمير الحكم (١٥٠) وسرعان ما وافق أهل مدينة ماردة أصبغ بن عبيد الله بن وانسوس على الثورة ضد الأمير الحكم وأخرجوا عامله نخرج الأمير الحكم إلى قتاله، ولكنه لم يلبث أن قفل عائداً إلى قرطبة عندما بلغه نشوب بعض القلاقل بها، وترددت البعوث والحملات بعد ذلك إلى ماردة لإنقاذ ثورتها، ولكن زعيمها أصبغ ظل تمرده سبعة أعوام، وكان قوي الشخصية شديد البأس استطاع أن يجذب إليه الأنصار من بربر ماردة، فالتفتوا حوله وأصبحوا لكثرتهم قوة هائلة كانت السبب في إطالة أمد ثورته، ولم يزل أهل ماردة تارة يطيعون ومرة يعصون إلى سنة (١٩٢هـ/٨٠٧م) فضعف أمر أصبغ لأن الحكم تابع إرسال الجيوش إليه واستعمال جماعة من أعيان أهل ماردة وثقاته من أصحابه فمالوا إليه وفارقوا أصبغ حتى أخوه، فتحير أصبغ وضعفت نفسه ولكنه أضطر أخيراً إزاء حزم الأمير الحكم وصرامته إلى طلب الصلح والأمان، فأجابه الأمير الحكم إلى طلبه، فعادت ماردة إلى الطاعة، واشترط الحكم بن هشام على أصبغ بن وانسوس أن يسكن قرطبة، ثم سمح له بعد ذلك بتفقد ضياعه وأملاكه بماردة (١٥١)

أصبح العفو على أصبغ مرهوناً بترك مدينة ماردة والبقاء في قرطبة، وكان هدف الأمير الحكم من ذلك هو ألا يجتمع أصبغ بن عبيد الله بأنصاره فيكرر الثورة مرة أخرى وخصوصاً أنه استطاع مواجهة الأمير الحكم لمدة سبع سنوات متواصلة، وأراد الحكم أيضاً أن يحرم العناصر البربرية الناقمة على الحكم الأموي في مدينة ماردة من أي قيادة تجتمع حولها، وأن يبقى أصبغ بن عبيد الله تحت عينه رهينة في قرطبة، ونتيجة لانشغال الأمير الحكم بثورة مدينة

(١٥٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٧٢؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١١٧.
(١٥١) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣٤٥، ٣٤٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢١٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٦٢-١٦٣؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٣٣، ٣٤.

ماردة شن ألفونسو الثاني الغارات على أطراف الثغور^(١٥٢) وعبر نهر دويرة^(١٥٣)، وسار حتى قلورية^(١٥٤) وأشبونة^(١٥٥) في البرتغال الحالية وعاث في تلك المنطقة وخربها، فرد الحكم بأن سار بنفسه سنة (١٩٤هـ/٨١٠م) وغزا بلاد الأعداء واستعاد المدن المغتصبة^(١٥٦).

رهائن مدينة طليطلة:

تكررت ثورات مدينة طليطلة ضد الأمير الحكم الذي استخدم تجاههم الحيلة والقسوة والعنف، وبالرغم من نجاحه في قتل أغلب أعيان المدينة بعد واقعة الحفرة^(١٥٧) إلا أن أهل المدينة عادوا إلى شق عصا الطاعة بعد ثماني سنوات من واقعة الحفرة سنة (١٩٩هـ/٨١٤م)^(١٥٨)

(١٥٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٧٣.

(١٥٣) نهر دويرة: (duero) ويسمي بنهر دورو و هو أحد أنهار أسبانيا الكبرى ويصب في المحيط الأطلسي عند مرفأ (بورتو porto) ويعد نهر دورو أطول نهر يعبر البرتغال، بطول يبلغ ٣٢٠ كم.

http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=159276&m=1

(١٥٤) قلورية: بضم أوله وثانيه وسكون الميم وكسر الراء وتخفيف الياء من بلاد برتقال، بينها وبين قورية أربعة أيام، وهي على جبل مستدير، وعليها سور حصين، ولها ثلاثة أبواب، وهي في نهاية من الحصانة؛ وهي صغيرة متحضرة عامرة كثيرة الكروم والتفاح والقراسيا، وبين قلورية وشنترين ثلاث مراحل، وبينها وبين البحر اثنا عشر ميلاً؛ الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٩١؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٤٧١.

(١٥٥) أشبونة: لشبونة بالفتح ثم السكون وباء موحدة وواو ساكنة ونون وهاء ويقال أشبونة بالالف، يتصل عملها بأعمال شنترين وهي مدينة قديمة قريبة من البحر غربي قرطبة وفي جبالها التبرات الخالص ولعسلها فضل على كل عسل وهي مبنية على نهر تاجه والبحر قريب منها وبها معدن التبر الخالص ويوجد بساحلها العنبر الفائق وقد ملكها الأفرنج في سنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م)؛ الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٦١.

(١٥٦) خليل السامرائي: تاريخ العرب، ص ١٤٢.

(١٥٧) واقعة الحفرة: كانت في سنة (١٩١هـ/٨٠٦م) حيث أوقع الحكم بأهل طليطلة، فقتل منهم ما يزيد على خمسة آلاف رجل من أعيان أهلها؛ لمزيد من التفاصيل عن واقعة الحفرة أنظر: ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩٩ - ١٠٠؛ ص ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣٤٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢١٤، ٢١٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٦٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٤٠.

(١٥٨) ابن سعيد: المغرب، ج ١، ص ٤١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٧٤.

وبهذا لم يكن أمام الأمير الحكم بن هشام إلا أن يتوجه بنفسه إلى طليطلة لإخضاعها، وأن يكون الأمر بغتةً وذلك حتى لا يعلم أهلها به فيتحصنوا داخلها فيطالب عليه الأمر (١٥٩).

قرر الأمير الحكم أن يتحلى، وذلك بأن يظهر الخروج إلى غيرها وحين تأتيه الفرصة يدخل مدينة طليطلة دون أدنى مجهود، فتوجه إلى مدينة تدمير وأخذ يحارب الحصون المخالفة له، ثم أرسل كتابه إلى عمال الثغر بنزوله عليها وحربه لأهلها، وفي هذا الوقت أمن أهل طليطلة فخرجوا إلى مصالحهم وعادوا لحياتهم الطبيعية، وهذه الأمور لا تخفي على الحكم حيث أقام بطليطلة من يأتيه بأخبارها، وبعلم الحكم بحال المدينة ثم بدأ في التوجه غرباً نحوها وعندما حانت له الفرصة توجه إليها مسرعاً ودخلها ليلاً في غفلة من أهلها وقطع الصلة بينها وبين من كان خارجها، وب نجاح الحيلة بدأ في معاقبة أهل طليطلة فأنزله من الجبال إلى السهل وقام بإحراق ديارهم وأسكنهم لفترة في الصحراء ثم أعادهم إلى طليطلة (١٦٠).

وقبل خروج الأمير الحكم من مدينة طليطلة اصطحب عدداً من أعيانها ووجهائها رهائن عنده في قرطبة (١٦١) ولم تذكر لنا المصادر أي معلومات عن هؤلاء الرهائن وطريقة معاملتهم ولم تمدنا حتى بأسماء هؤلاء الرهائن إلا هشام الضراب وهو أحد وجهاء مدينة طليطلة ممن أخذهم الأمير الحكم إلى قرطبة في عام (١٩٩ هـ / ٨١٤ م) واكتسب هشام لقب الضراب حيث كان يعمل لدي الحدادين أجيراً يضرب بالمعول على الحديد (١٦٢).

(١٥٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٧٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٤٢.
(١٦٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٧٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٤٢؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٥٠.

(١٦١) ابن سعيد: المغرب، ج ١، ص ٤١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٣.

(١٦٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٩٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٣.

هل يكون الأمير الحكم قد أراد إذلال وجهاء مدينة طليطلة ففرقهم بين أصحاب الحرف نكاية بهم وإذلال لهم، ولم يعرضهم للسجن!

أو أن الأمير الحكم قصد بأخذهم إلى قرطبة أن يكونوا منفين، ويكونوا بعيدين عن موطنهم وأهلهم في طليطلة وتنطبق عليهم أحكام النفي فبدأ كل واحدٍ من هؤلاء الرهائن بالبحث عن مهنة!، أو أن الأمير الحكم قصد من اتخاذ وجهاء مدينة طليطلة رهائن عنده أن ينقل إقامتهم نهائياً من طليطلة إلى قرطبة وذلك حتى تحرم المدينة الثائرة من قيادتها ويكون هؤلاء الرهائن تحت عينه.

وفي هذه المسألة نأخذ قصة هاشم الضراب لنقيس عليها حال الرهائن الباقين.

أصبح هشام الضراب يعمل أجيراً عند أحد الحدادين، بعد أن كان من وجهاء مدينة طليطلة (١٦٣)،

فقال هشام الضراب ينطبق على حال باقي الرهائن، ومن المحتمل أن الأمير الحكم أراد من اتخاذ وجهاء مدينة طليطلة رهائن لكي يحقق عدداً من الأهداف:

وهي: أن يكون الزعماء الثائرون المحركون للثورة في طليطلة تحت عينيه في قرطبة، وأن يحرم المدينة الثائرة من قيادتها، وأنه رغب في إذلال هذه القيادات بالعمل بالأجرة في قرطبة نكاية فيهم ومبالغة في إذلالهم، ولم يقوم بسجنهم في قرطبة ومن المحتمل أن الأمير الحكم جعل رقابة على هؤلاء الرهائن، حيث أن هاشم الضراب خرج من قرطبة مستغلاً ثورة الربض وانفلات زمام الأمن وأنه لم يقم بأي ثورة إلا بعد وفاة الأمير الحكم.

(١٦٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٩٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٢٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٥٨.

حيث تجربنا المصادر: أن هاشم الضراب لم يدم بقاؤه بقرطبة، حيث أنه عاد إلى طليطلة (١٦٤) فيبدو أنه عاد إلى طليطلة مستغلاً اضطراب الأمور في قرطبة بعد حادثة الريض سنة (٢٠٢ هـ/٨١٨ م) (١٦٥) وما يؤيد ذلك: الخبر الذي أورده ابن خلدون الذي اختلط عنده الأمر فيذكر أن هاشم الضراب من أهل واقعة الريض وأنه خرج لمدينة طليطلة (١٦٦) وثار في سنة (٢١٤ هـ/٨٢٩ م) أي أنه مكث حوالي اثنتا عشرة سنة حتى قام بثورته، وأنه مكث طيلة هذه السنوات محتبثاً خائفاً من سطوة الأمير الحكم وأنه ثار بعد تولية الأمير عبد الرحمن الأوسط بحوالي ثماني سنوات (١٦٧).

(١٦٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٩٣، ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٣، النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٢٢، عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٥٨.
(١٦٥) واقعة الريض: لمزيد من التفاصيل عن واقعة الريض ينظر: مجهول: أخبار مجموعة، ص ١١٦، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٦٨، ٦٩، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤١٣، ٤١٤، ابن الأبار: الحلة السرياء، ج ١، ص ٤٤ - ٦٤، ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٧٥ - ٧٧، ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٦١، ١٦٢، المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٣٩، عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٤٣ - ٢٤٨، أنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٥٥ م، ص ٣، ٤.

(١٦٦) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢٨.
(١٦٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٣.

الرهائن السياسيون في عهد عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ /

٨٢٢ - ٨٥٢ م)

ثورة الرهينة هشام الضراب ضد الأمير عبد الرحمن الأوسط:

اجتمعَ حول هاشم الضراب أهل الشرِّ والفسادِ، وعددٌ من الثائرين وبهذا الجمع بدأ هشام بمهاجمة بعض المناطق المجاورة التي يقطنها البربر في شنتبرية ووقعت بينه وبين البربر حروب كثيرة وهاجم العرب كذلك^(١٦٨)، ومن ثم ذاع صيته فأصبح خطراً يهدد الإمارة الأموية، أمام هذا انخطر قام الأمير عبد الرحمن الأوسط بإرسال جيش في عام (٢١٤هـ / ٨٢٩م) بقيادة القائد محمد بن رستم^(١٦٩) عامل الثغر الأدنى فلم يصيبوا منه، ولم يحقق أحدهما النصر على

(١٦٨) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٨٣؛ التويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٣٧٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ١٢٨؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٥٣.

(١٦٩) محمد بن رستم: أحد أفراد أسرة بني رستم التي تنسب إلى عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية في تاهرت بالمغرب الأوسط، وكانت العلاقات بين الدولة الأموية في قرطبة والدولة الرستمية في تاهرت علاقات ودية وكان الهدف من ذلك إقامة سور قوي في وجه دولة الأغالية أصحاب القيروان كما كان الأمراء الرستميون بحكم عداوتهم لجيرانهم الأغالية من ناحية والادارسة أصحاب فاس من ناحية أخرى يرون أن السياسة تقضي بتوثيق علاقاتهم بقرطبة، وفي سنة (٢٠٧هـ / ٨٢٣م) قدم على بلاط قرطبة بنو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، فاستقبلوا استقبالا طيبا، وأستمر وفود أفراد هذه الأسرة على قرطبة وكان من أبرزهم محمد بن سعيد ابن محمد بن عبد الرحمن بن رستم الذي ولاه الأمير عبد الرحمن الأوسط الوزارة والقيادة، وفي سنة (٢١٤هـ / ٨٢٩م) عهد إليه بحكم طليطلة، وظل محمد بن رستم يتولى الوزارة والقيادة للأمير عبد الرحمن إلى أن توفي سنة (٢٣٥هـ / ٨٤٩م)؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، هامش ص ٥٤.

الآخر في هذه المعركة^(١٧٠) وكانت نتيجة هذه المعركة أن ازداد هاشم الضراب طغياناً وتغلب على عدة مواضع حتى جاوز بركة العجوز^(١٧١) وبات يهدد الثغر الأدنى^(١٧٢) فغضب الأمير عبد الرحمن وكتب إلى ابن رستم يعنفه ويتهمة بالتقصير في محاربة الضراب، فقام الأمير عبد الرحمن الأوسط بإرسال جيشٍ جديدٍ في سنة (٢١٦هـ/٨٣١م) أمد به محمد بن رستم فالتقي بهاشم الضراب بالقرب من حصن سمسطا المجاور لرورية، فدامت الحرب بينهما عدة أيام ثم انهزم هاشم وقُتل هو وكثير ممن معه^(١٧٣)، وبذلك نجح الأمير عبد الرحمن الأوسط من التخلص من الرجل الذي كان رهينة عند أبيه في قرطبة، ولم تكف مدينة طليطلة على الخروج والثورة ولم يستطع الأمير عبد الرحمن الأوسط القضاء على هذه الثورات المتكررة^(١٧٤).

رهائن مدينة طليطلة:

استخدم الأمير عبد الرحمن الأوسط الحصارَ الطويلَ والقسوةَ والعنفَ^(١٧٥) مع هذه المدينةِ الثائرةِ لكنه فشل، فلم يجد الأمير عبد الرحمن الأوسط سبيلاً للقضاء على الثورات المتكررة

(١٧٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٥٨.

(١٧١) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٩٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٢٢.

(١٧٢) الثغر الأدنى: ويشمل المنطقة الواقعة بين نهر دويرة ونهر التاجية، ومن أشهر مدن هذا الثغر مدينة قورية ومدينة قلورية، وكانت مدينة قورية عموماً قاعدة لهذا الثغر؛ إبراهيم السامرائي: تاريخ العرب، ص ٣٧٦.

(١٧٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٩٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٥٨.

(١٧٤) لمزيد من التفاصيل عن ثورات مدينة طليطلة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط أنظر: حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٥٣-٥٨.

(١٧٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٩٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٣، ٨٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ١٨٩؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٥٥-٥٧.

في مدينة طليطلة سوي أن يحرمها من زعمائها الذين لديهم القدرة على قيادة الثورات فقام باحتجازهم في مدينة قرطبة (١٧٦).

ولم تمدنا المصادر بمعلومات عن أماكن الاحتجاز هل كانت في أحد سجون مدينة قرطبة أو تم سجن الرهائن في قصر الإمارة، أو أن الأمير عبد الرحمن الأوسط عمل على إذلالهم ووزعهم على أصحاب الحرف في قرطبة وجعلهم تحت عينيه مثل حال هاشم الضراب حيث أهانتها السلطة، وقامت بإذلاله وجعله يعمل ضرباً عند أحد الحدادين !!!، والمصادر لم تمدنا بأي إجابات شافية سواء عن عدد هؤلاء الرهائن، أو معاملتهم أو أسماؤهم غير مسوقة بن مطرف الذي يعتبر أحد الزعماء الثائرين الذين فروا من قرطبة وأقام بجبل الأخوين الواقع بالهضبة القريبة من مدينة طليطلة، حيث انضم له الكثير من المارقين وأهل الشر وكان له دور بارز في الثورة ضد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (١٧٧).

استخدم الأمير عبد الرحمن الأوسط في سبيل القضاء على ثورات مدينة طليطلة أساليب القسوة والعنف والحصار المستمر مع أهالي المدينة، ويتضح ذلك في العديد من المواقف، منها مع استمرار ثورة مدينة طليطلة بعد مقتل هاشم الضراب أرسل إليهم الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة أخيه أمية بن الحكم سنة (٢١٩هـ/٨٣٤م) فقام بحاصرة مدينة طليطلة وقطع أشجارها وأهلك زروعها ورغم ذلك لم يذعن أهلها للطاعة فاضطر أمية بن الحكم إلى فك الحصار وجعل قائده ميسرة الفتي بقلعة رباح لمضايقة مدينة طليطلة التي خرج أهلها عنه وقاموا بمهاجمة قلعة رباح فلما علم ميسرة بتحركاتهم أعد لهم الكائن وقتل عدداً كبيراً منهم، وفي سنة

(١٧٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٩٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٩١، ٢٩٢.

حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٥٣-٥٨ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٤١، ٤٢.

(١٧٧) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٩١، ٢٩٢؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٥٩.

(٢٢١هـ/٨٣٦م) حاصرها الأمير عبد الرحمن واستمر حصاره لها حوالي عام إلى أن قام الوليد بن الحكم بفتح المدينة عنوة في سنة (٢٢٢هـ/٨٣٧م) (١٧٨).

رهائن الصراع بين المضربة واليمينية في مدينة تدمير:

ذكر ابن عذاري الصراع بين اليمينية والقيسية في مدينة تدمير واصفاً إياها بأنه أحد عجائب الدهر!!، فيذكر أن سبب انبعاث هذه الفتنة بين المضربة واليمينية كانت على ورق دالية أخذها مضري من جنان أحد اليمينية، فقتله اليماني؛ فكان ذلك سبب الحروب التي دارت بين الفريقين، وكانت الدوائر تدور أكثرها على اليمينية والقتلى منهم، ودامت الفتنة سبع سنين (١٧٩)، وأرسل إليهم الأمير عبد الرحمن في بداية الفتنة سنة (٢٠٧هـ/٨٢٢م) يحيى بن عبد الله بن خلف وعينه والياً على تدمير، ولكنه لم يفلح في إخضاع الولاية الثائرة، واستمرت الفتنة على أشدها، وغلب على تدمير أبو الشماخ بن إبراهيم زعيم اليمينية، ولبث بضعة أعوام يتحدى سلطة قرطبة، والبعوث تتردد إليه في كل عام، دون أن تنال منه، والأمير عبد الرحمن يبعث إليهم المرة بعد المرة بالقواد فيفترون فإذا قفلوا عادوا إلى الفتنة. وكانت بينهم وبين يحيى بن عبد الله وقعة تعرف بوقعة المصاراة بلورقة (١٨٠)، انتهى مبلغ القتلى فيهم إلى ثلاثة آلاف (١٨١).

(١٧٨) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٩٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٣ - ٨٤؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٥٧-٥٥.

(١٧٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٢.
(١٨٠) لورقة: من بلاد تدمير، إحدى المعازل السبعة التي عاهد عليها تدمير، وهي على ظهر جبل وبينها وبين مرسية أربعون ميلاً وفيها معدن لازورد؛ وتفسير لورقة باللاتيني "الدرع الحصين" وهي كذلك من المعازل الحصينة، وهي على نهر مجراه إلى الشرق من هذا القطر، ولورقة في الجوف منه واستولى عليها القشتاليون في سنة (٦٤٣هـ/١٢٤٥م)؛ الحميري: الروض المطعار، ص ٥١٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٦، ص ٤٦١؛

(١٨١) العنزي: نصوص عن الأندلس، ص ٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٥٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ٢٢٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٢؛ ابن سعيد المغربي: المغرب في حلي المغرب، ج ١، ص ٤٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٥٥.

لجأ الأمير عبد الرحمن إلى سياسة اتخاذ الرهائن حتى يسكن النزاع بين الفريقين، فأخذ رهائن من أبي الشماخ مقدم البجائية بتدمير ليسكن الفتنة بين المضربة والبجائية، فلم ينزجروا ودامت الفتنة فلما رأى عبد الرحمن ذلك أمر العامل بتدمير أن ينتقل منها ويجعل مرسية^(١٨٢) منزلاً ينزله العمال ففعل ذلك وصارت مرسية هي قاعدة تلك البلاد من ذلك الوقت ودامت الفتنة بينهم إلى سنة (٢١٣هـ/٨٢٨م) فسير عبد الرحمن إليهم جيشاً فأذعن أبو الشماخ، وأطاع عبد الرحمن وسار إليه وصار من جملة قواده وأصحابه وانقطعت الفتنة من ناحية تدمير^(١٨٣).

أهل ماردة ومقايضة الرهائن:

كانت مدينة ماردة بحكم وقوعها على مقربة من مملكة اشتوريش المسيحية تلقى تأييداً وتعزيداً من هذه المملكة الإسبانية للثورة ضد حكومة قرطبة، فقد كان الملك ألفونسو الثاني يشجع سكان غرب الأندلس من المولدين والمستعربين والبربر على الثورة ضد الأمير الأموي. ومن الثابت أن الملك الكارولنجي لويس التقي (١٩٨ - ٢٢٥ هـ / ٨١٤ - ٨٤٠ م) قدم نفس التشجيع في رسائله^(١٨٤) إلى مستعربي ماردة^(١٨٥)

(١٨٢) مرسية: وهي قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، واتخذت داراً للعمال وقراراً للقواد، وكان الذي تولى بنائها وخرج العهد إليه في اتخاذها جابر بن مالك بن لبيد، وكان تاريخ الكتاب يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأول سنة (٢١٦هـ/٨٣١م)، ومرسية على نهر كبير يسقي جميعها كنيل مصر، وغلب على مرسية مجاهد بن عبد الله صاحب دانية؛ العنزي: نصوص عن الأندلس، ص ٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٥٣٩.
(١٨٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٨١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٢١.
(١٨٤) رسالة من الملك لويس التقي لأهل ماردة أنظر ملاحق الرسالة ص ٣١٦.
(١٨٥) حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٣٥.

ثَارَ أَهْلُ مَارْدَةِ فِي سَنَةِ (٢١٣هـ/٨٢٨م)، وَقَدْ أَشْعَلَ نَارَ الثَّوْرَةِ هَذِهِ الْمَرَّةَ رَجُلٌ بَرَبْرِي وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ رَاحِلَةَ، وَهُوَ مِنْ بَنِي طَرِيفٍ مِنْ قَبِيلَةِ مَصْمُودَةَ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ أَحَدُ الْمَوْلَدِينَ وَاسْمُهُ سَلِيمَانُ بْنُ مَرْتِينَ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمُ النَّصَارِيُّ الْمَعَاهِدُونَ^(١٨٦)، وَوَجَدَ لُؤَيْسُ مَلِكُ الْفَرَنْجِ فَرْصَةً جَدِيدَةً لِلدَّسِّ وَالتَّحْرِيزِ عَلَى حُكُومَةِ قَرْطَبَةَ، فَبَعَثَ إِلَى الثَّوَارِ لِشَجْعِهِمْ وَيَعْدِهِمْ بِالْمَدَدِ وَالْعَوْنِ^(١٨٧)، وَكَانَ مُحَمَّدُ زَعِيمًا قَوِيًّا وَمَغَامِرًا جَرِيئًا، فَوَثَبَ عَلَى عَامِلِ مَارْدَةِ مَرْوَانَ الْجَلِيْقِيَّ وَقَتْلَهُ وَعَلَى أَثَرِ ذَلِكَ سَيَّرَ إِلَيْهِمُ الْأَمِيرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ جَيْشًا مِنْ قَرْطَبَةَ حَاصِرَ مَدِينَةِ مَارْدَةِ سَنَةِ (٢١٤هـ/٨٢٩م) وَلَكِنْ هَذَا الْحَصَارُ كَانَ مُوسِمِيًّا مُؤَقَّتًا، وَلِهَذَا كَانَ قَلِيلُ الْفَائِزَةِ فَتَوَالَتِ الْحَمَلَاتُ الْعَسْكَرِيَّةُ الْأُمُويَّةُ عَلَى مَارْدَةِ حَتَّى تَمَكَّنَتْ مِنْ إِحْمَادِ ثَوْرَتِهَا، وَحَتَّى يَضْمَنَ الْأَمِيرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ طَاعَتَهَا أَمَرَ جَنْدَهُ بِتَخْرِيبِ سُورِ الْمَدِينَةِ وَأَخَذَتْ رَهَائِهِمْ وَعَادَ الْجَيْشُ بَعْدَ أَنْ خَرَبُوا سُورَ الْمَدِينَةِ ثُمَّ أَرْسَلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَيْهِمْ بِنَقْلِ حِجَارَةِ السُّورِ إِلَى النِّهْرِ لِكَيْ يَطْمَعَ أَهْلُهَا فِي عِمَارَتِهِ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ عَادُوا إِلَى الْعَصِيَانِ وَأَسْرَوْا الْعَامِلَ عَلَيْهِمْ وَجَدَّدُوا بِنَاءَ السُّورِ وَأَتَقَنُوهُ، فَسَارَ إِلَيْهِمُ الْأَمِيرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي جَيْوشِهِ إِلَى مَارْدَةِ وَمَعَهُ رَهَائِنُ أَهْلِهَا فَلَمَّا بَارَزَهَا رَاسَلَهُ أَهْلُهَا وَافْتَكَوْا رَهَائِهِمْ بِالْعَامِلِ الَّذِي أَسْرَوْهُ وَغَيْرِهِ^(١٨٨).

وَيَلَاحُظُ أَنَّ هُنَاكَ مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَسْبَابِ جَرَأَتْ أَهْلِي مَدِينَةِ مَارْدَةِ عَلَى عَمَالِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ، حَيْثُ أَنَّهُمْ قَتَلُوا مَرْوَانَ الْجَلِيْقِيَّ، وَاتَّخَذُوا الْعَامِلَ الْآخَرَ رَهِينَةً، لِيَقَايِضُوا بِهِ رَهَائِهِمْ عِنْدَ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ. هَذِهِ الْأَسْبَابُ هِيَ:

(١٨٦) حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٣٦.

(١٨٧) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٥٧.

(١٨٨) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٩٠؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٦٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٥٧؛

حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٣٥ - ٣٨.

تفشي روح العصبية في الأندلس واعتزاز العنصر العربي بنفسه وشعور المولدين بأنهم أحط من الوجهة الاجتماعية من العرب رغم إسلامهم، وبغض البربر للعرب^(١٨٩) بالإضافة لمساعدة القوي الخارجية لأهالي ماردة، لتحريضهم على حكومة قرطبة ولتحقيق مكاسب سياسية على حساب الإمارة الأموية.

ومدينة ماردة كانت تضم أخلاطاً شتى من السكان منهم المولدون، والمستعربون وطائفة كبري من البربر، فوجد أن المدينة ضمت الأجناس الناقصة على الحكم الأموي. فهذه الأسباب مجتمعة شجعت أهالي المدينة على الثورة وكذلك مساعدة ألفونسو الثاني ولويس التقي لهم جرأتهم على الأمير عبد الرحمن الأوسط.

أخذت الحملات العسكرية مرة أخرى تتردد على ماردة حتى سنة (٨٣٣هـ/٢١٨م) حيث زحف الأمير عبد الرحمن بنفسه فهرب زعيما الثورة، فتحصن سليمان بن مارتين زعيم المولدين في حصن يدعي شنت أقروج Santa Cruz la Sierra على مقربة من مدينة ترجاله^(١٩٠) Trujilla ونجح الأمير عبد الرحمن بن الحكم في سنة (٨٣٥هـ/٢٢٠م) في محاصرته، وضيق عليه فلما حاول الفرار ليلاً، انزلق بجواده على صخرة ملساء فوق مينا وبذلك تخلص الأمير الأموي من زعيم الثورة المولد^(١٩١)، أما محمود بن عبد الجبار الماردي فقد تحصن في منت شلوط على مقربة من بطليوس، وقرر الزحف لمهاجمة مدن الغرب مثل باجة، فقاتل أهلها وسيطر عليها، فلما استمر في غيه، لم يتردد الأمير عبد الرحمن في وضع حداً لفساده،

(١٨٩) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٦٧.

(١٩٠) ترجاله: مدينة بالأندلس كالحصن المنيع لها أسوار وأسواق عامرة وخيل ورجل يقطعون أعمارهم في الغارات على بلاد الروم والأغلب عليهم التلصص والخداع؛ وفي وتملك الروم لترجاله في سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) من هذه السنة؛ الحميري: الروض المعطار، ص ١٣٣.

(١٩١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٤؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٣٧.

فأرسل الحملات تبعاً لمناطق نفوذه وأرغمه في النهاية على القرار سنة (٢٢٣هـ / ٨٣٨م) إلى جليقية، ولجأ إلى ملكها ألفونسو الثاني، فرحب به ومنحه حصناً على الحدود إقطاعاً له، اتخذته قاعدة يشن منها الغارات على الأراضي الإسلامية لمدة خمسة أعوام وثلاثة أشهر، ولكنه اكتشف بعد حين أنه ورنط في موقفه، وأن الملك الإسباني لا يساعده في حركته الانفصالية إلا ليحقق مكاسب سياسية لمملكته على حساب الإمارة الأموية، فحاول العودة إلى الطاعة فكتب عبد الرحمن، ووقف ألفونسو على هذه المحاولة، فخشي إن أفلت الثائر منه أن يتقلب حرباً عليه، فسار إليه وأحاطت به الجند من كل ناحية، ودافع محمود عن نفسه دفاع الأبطال، ولكنه قتل أخيراً، ومن معه وذلك في شهر رجب سنة (٢٢٥هـ / ٨٣٩م) وانصرف من فيها، وأسر أهله وصحبه (١٩٢).

بنو قسي (١٩٣) والأمير عبد الرحمن الأوسط:

كانَ موسى بن موسى فرتون بن قسي (المعروف بموسى الثاني) من أبرز زعماء المولدين بالشعر الأعلى وأكثرهم قوةً في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وعلى الرغم من صلاته فإنه كان يرتبط بروابط الولاء للدولة الأموية وظل يبذل الطاعة للأمويين خلال النصف الأول من عهد الأمير عبد الرحمن، حيثُ كان موسى يتولى بعض مناطق الثغر الأعلى مثل تطلية وأرنيط (١٩٤)، كما كان ابنه لب يتولى حكم برجة، واشترك موسى القسوي وأبناؤه في الدفاع عن

(١٩٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٩٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٢١ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٣٦ – ٣٨؛ السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ١١٧.

(١٩٣) نسب بنو قسي: انظر ملاحق الرسالة، ص ٣٣٠.
(١٩٤) أرنيط: مدينة في شرقي الأندلس من أعمال تطلية مطلة على أرض العدو، وحواليها بطاح طيبة المزراع، وهي قلعة عظيمة منيعة من أجل القلاع وبينها وبين تطيلة عشرة فراسخ وبينها وبين سرقسطة سبعة وعشرون فرخسا. ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ١٦٢؛ الحميري: ص ٢٧.

منطقة الثغر الأعلى وحمايتها من غارات النصارى والفرنجة (١٩٥).

وترجع أسباب خروج موسى الثاني عن الطاعة إلى سوء معاملة رجال الدولة الأموية للمولدين والبربر، سوء المعاملة الذي تجلت في العديد من المواقف، والتي كان لها أسوأ الأثر على الدولة الأموية في الأندلس، وكذلك عدم مقدرة أفراد البيت الأموي ورجاله من العرب على أن يتألفوا قلوب هؤلاء القادة والزعماء (١٩٦).

اشترك موسى القسوي في سنة (٢٢٦هـ/٨٤١م) في أحد الصوائف التي وجهها الأمويون إلى بلاد الفرنجة، فتذكر المصادر أن الأمير عبد الرحمن الأوسط أرسل جيشاً بقيادة عبيد الله بن عبد الله البلنسي (١٩٧) (صاحب الصوائف) إلى أرض الفرنجة، وكان يتولى مقدمة الجيش الإسلامي موسى بن قسى، وعندما وصل المسلمون إلى المنطقة الواقعة بين أربونة و سرطانة اجتمعت عليهم الفرنجة من كل ناحية وأحاطوا بالمسلمين، ودارت بين الجانبين معركة عنيفة انتهت بانتصار حاسم للمسلمين، وتضيف الرواية أن موسى ألي في تلك الموقعة بلاءً عظيماً، وعقب تلك الصائفة وفي أثناء عودة الجيش الإسلامي تعرض موسى القسوي للإهانة من قبل أحد القادة الأمويين، ممن اشتركوا في الصائفة، ويدعي خرز بن مؤمن وذكره ابن الأثير باسم (جرير بن موفق) الذي كان يسعى للتقليل من شأن موسى وتقليص دوره المهم في تلك الصائفة، وتفاقم الخلاف بين القائدين (١٩٨).

(١٩٥) كمال السيد: المولدون، ص ٥٢.

(١٩٦) ابن حبان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٤٧؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٢٩؛ كمال السيد: المولدون، ص ٥٢، ٥٣.

(١٩٧) عبيد الله بن عبد الله البلنسي: لحق بخدمة الحكم بن هشام وكان من ذوي مشورته ومن كبار قواده، كان له دور بارز في القضاء على ثورة الربض (٢٠٢ هـ / ٨١٧م) ضد الأمير الحكم، ثم قاد الصوائف للأمير عبد الرحمن بن الحكم فكان يعرف بصاحب الصوائف وهو أحد رجالات بني أمية. ابن الأثير: الحلة السيرة، ج ٢، ص ٣٦٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٧٦.

(١٩٨) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٧٤؛ كمال السيد: المولدون، ص ٥٣.

أضاف العذري سبباً آخر لخروج موسى عن طاعة الأمويين، وهو أن الأمير عبد الرحمن الأوسط أمر بتولية عبد الله بن كليب^(١٩٩) على سرقسطة، وعامر بن كليب على تطيلة، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقد تجرأ عبد الله بن كليب والي سرقسطة في أعقاب ذلك فأغار عبد الله على أموال ينقة بن ونقة^(٢٠٠) أخ موسى لأمه، واعتدي عامر بن كليب على أملاك موسى وخيله، وانتهت أمواله، وأُخرج أحد أفراد أسرة بني قسي ويدعي عبد الجبار بن قسي عن داره، وكذلك هدم عامر بن كليب أرحي موسى وعقر له خيلاً وأباح ظهور أعوانه ونهب أمواله وقطع ثماره^(٢٠١).

والذي زاد من توتر العلاقات أن المطرف بن عبد الرحمن الأوسط خرج بالصائفة إلى أراضي مملكة نبرة المسيحية في سنة (٢٢٧هـ/٨٤٢م) فتقاعس موسى عن الاشتراك فيها وأرسل إليه ابنه فرتون نيابة عنه على رأس فرقة من الفرسان، مما أثار غضب الأمير المطرف، الذي

(١٩٩) عبد الله بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي: هو من أسرة ذات رياسة ونباهة في الأندلس، وجده ثعلبة بن عبيد كان من وجوه أهل فلسطين، وكان له دور بارز في تأييد عبد الرحمن الداخل، واشتهر بعد ذلك من أفراد هذا البيت عبد الله بن كليب وأخوته عامر ومحمد وعبد الله وعبد الرحمن، وتولي الأولان القيادة لعبد الرحمن الأوسط فاستعمل عبد الله بن كليب على سرقسطة، وعامر على تطيلة في سنة (٢٢٦هـ/٨٤١م) وكانت عداوتهما لبيت موسى بن موسى القسوي سبباً في إنقباض موسى عن الطاعة وعزل الأمير إياه، وفي سنة (٢٢٧هـ/٨٤٢م) عزل عبد الله بن كليب عن سرقسطة، وفي سنة (٢٣٠هـ/٨٤٥م) كان عبد الله من بين القواد الذين عهد إليه بقتال (النور منديين) حينما حلوا بأشبيلية. ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود على مكي، ص ٢٣٦.

(٢٠٠) ونقة بن ونقة: تعتبر أسرة بني ونقة أول الأسر الحاكمة في مملكة نبرة، وهي التي يطلق عليها المؤرخون المسلمون مملكة بنبلونة، نسبة إلى قاعدتها أو بلاد البشكنش أو البشاكسة نسبة إلى ساكنيها والمراجع المسيحية في العصور الوسطى لم تترك لنا عن الأصول هذه الأسرة وملوكها إلا أخباراً قليلة متضاربة لا يوثق في صحتها، ولعل أول ضوء يلقي عن هذه الأسرة وعلي مطلع هذه الدولة المسيحية إنما هو بفضل تلك الأخبار التي يسوقها لنا ابن حيان في مقتبسه، وننقة بن ونقة (ابنجر بنجت Inido Iniguez) هو الذي أسس مملكة نبرة (Navarra) عقب انتهاء الحكم الإسلامي بها سنة (١٨٣هـ/٧٩٨م) وتوفي وترك ثلاثة أبناء كانوا يلقبون بالقباب الإمارة في نبرة وهم ونقة بن ونقة، وغرسية Carcia وفرتون Fortun وكانوا إخوة لموسى بن موسى بن قسي، إذ أن أباهم ونقة قد تزوج من أرملة موسى بن فرتون بن قسي بعد وفاته. ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود على مكي، ص ٢٤٥؛ كمال السيد: المولدون، ص ٩١.

(٢٠١) ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود على مكي، ص ٢٤٧؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٢٩؛ كمال السيد: المولدون، ص ٥٣.

لم يقبله، وأمره بالعودة من حيث أتى، ولما قفلت الصائفة وليّ حارث بن بزيغ^(٢٠٢) سرقسطة وتولي حرب موسى بن موسى، فأسره موسى في سنة (٢٢٧هـ/٨٤٢م) على نهر إبرة^(٢٠٣) بموضع يقال له بله (٢٠٤) (٢٠٥)، هذه الأمور مجتمعة أدت إلى خروج موسى عن طاعة الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة (٢٢٧هـ/٨٤٢م) وجاهر بالعصيان وبدأ في معاداة حكومة قرطبة، وتحالف مع غرسية^(٢٠٦) أمير نافار، وأوقع الاثنين بجند الأمير في الثغر^(٢٠٧).

ونتيجةً لخروج موسى القسوي توالى الصوائف عليه وعلي حلفائه النصارى أمراء بنبلونة، ويضطر في كل مرة لطلب الصلح ويعترف بالذنب ويطلب العفو، وعندما تعود الصوائف يعود للعصيان مرة أخرى وذلك حتى سنة (٢٣٥هـ / ٨٤٩م) حيث عاد للتمرد والثورة وعاث فسادا في أحواز تطلية وطرسونة وبرجه، مستعينا بحلفائه النصارى أصحاب مملكة نبرة، فبادر الأمير عبد الرحمن بتسيير حملة بقيادة عباس بن الوليد المعروف بالطلي^(٢٠٨) إلى تطلية فطاردته حتى أرهق وأعلن عودته إلى الطاعة، وقدم ولده إسماعيل رهينة كفالة بولائه، فقبل

(٢٠٢) حارث بن بزيغ: من كبار قواد الأمير عبد الرحمن الأوسط، كان أبوه من العبيد الذين إعتقهم الأمير عبد الرحمن الداخل لدوره البارز في القضاء على ثورة حيو بن ملامس في إشبيلية، نجح حارث في هزيمة موسى بن موسى بن قسي سنة (٢٢٧هـ/٨٤٢م)، وأسر لب بن موسى وأخرج موسى بن قسي من تطلية، وقام بالعديد من الغارات على موسى لكي يرهقه ولكن موسى نجح في نصب كمين له وأسره لمدة تسعة أشهر، إلى أنجح الأمير عبد الرحمن الأوسط من إطلاق سراحه، وكان في سنة (٢٤١هـ/٨٤٣م) عاملا للأمير محمد على قلعة رباح. ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٣٨.

(٢٠٣) نهر إبرة: هو النهر المنبع من جبال الإشكنس وينصب في البحر المتوسط بساحل مدينة طرطوش، ومجرأهم الجوف إلى القيلة، وهو لاصق بسور سرقسطة؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٢٢.

(٢٠٤) بله: مدينة من أحواز إشبيلية؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٣، ص ٣٥١.

(٢٠٥) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٣٠؛ كمال السيد: المولدون، ص ٥٣.

(٢٠٦) غرسية بن ونفة: (Garcia Iniguez) تولى حكم إمارة نبرة المسيحية عقب وفاة والده ونفة بن ونفة (Inido Inigues) في سنة (٢٣٧هـ / ٨٥٢م) وقد صاهر غرسية موسى بن موسى بن قسي، إذ تزوج من أورية ابنة موسى، التي أنجبت له موسى بن غرسية. كمال السيد: المولدون، ص ٩١.

(٢٠٧) ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ١٤٦؛ كمال السيد: المولدون، ص ٥٣.

(٢٠٨) عباس بن الوليد الطلي: أشار ابن حيان كثيرا إلى هذا القائد الأموي (عباس الطلي) وإن كان يذكره بإسم الطلي، وأوضح أنه أحد قواد الأمير عبد الرحمن الأوسط وأنه كان كثير التردد بالصوائف إلى أراضي النصارى الأسبان في الشمال، ولكنه تعرض لنفسة الأمير عليه في سنة (٢٣٧هـ/٨٥١م) فقام بتعذيبه هو وأخيه وغيرهما في إستخراج الأموال التي غلواها، وكانوا جميعا من صناعات نصر الخصي، أحد خاصة الأمير عبد الرحمن المقيبين. كمال السيد: المولدون، ص ٩٣.

عبد الرحمن طاعته، وعاد الأمير إلى القبول منه، وأخرج بيعته والتوثق منه وقبض رهينته خالد بن يحيى^(٢٠٩) ومحمد بن الوليد^(٢١٠) ومطرف بن نصير^(٢١١)، فتمموا سلبه، وتوثقوا من عهده، وجدد له الأمير الولاية على تطيلة، ودخل أخوه العليج ابن ونقه صاحب بنبلونة معه في الأمان، وقبض الأمناء المخرجون إلى موسى رهينته التي كانت ولده إسماعيل^(٢١٢)، ودخل معه في هذا الصلح حلفاء موسى وأقاربه أصحاب مملكة نبرة المسيحية^(٢١٣).

موقف إسماعيل القسوي من الرهن:

يورد ابن حيان خبراً غايةً في الأهمية عن هروب إسماعيل من قرطبة قائلاً: "وما تولى إسماعيل بن موسى رهينة أبيه موسى في يد الأمير عبد الرحمن أن هرب من يده عن قرطبة حاناً إلى ما فارقه من الشقاق، ذاهلاً عما كان فيه من غضارة المعيشة، لتوسعه في القواطع المنيفة والصلات الجزلة، فرفض ذلك كله، وسما للمعصية، وأمر الأمير بقص أثره، فلم يبعد أن جيء

(٢٠٩) خالد بن يحيى: لعله خالد بن يحيى بن خالد أخو القائد عبيد الله بن يحيى عامل طرطوشة والوزير محمد بن يحيى؛ ابن حيان: المقتبس، ص ٢٤٧.

(٢١٠) محمد بن الوليد: قد يكون محمد بن الوليد هذا أخا للقائد عباس بن الوليد الطلي؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٤٧.

(٢١١) مطرف بن نصير: يري مكي أن مطرف بن نصير هذا هو الذي أصبح بعد ذلك من أهل ثقة الأمير محمد بن عبد الرحمن، الذي عهد إليه ببعض المهمات ذات الشأن، وربما كان هو نفسه العامل على الجزيرة الخضراء في سنة (٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) عند مهاجمة المجوس لها. ابن حيان: المصدر السابق، ص ٢٤٧.

(٢١٢) ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ١٤٦.

(٢١٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ١٤٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص ٢٦٥.

به إليه من طريق الثغر، وقد انتهى إلى وادي آنة^(٢١٤) فقبض عليه هناك بعض من عرف خبره، وردده للأمير عبد الرحمن بقرطبة، فعفا عنه، وأغضي عن زلته، وخلاه على ما كان عليه من سعة قطائعه^(٢١٥).

تتبع من هذا النص أن إسماعيل تلقى معاملةً حسنةً من الأمير عبد الرحمن الأوسط ولكنه رفض أن يكون رهينةً فلجأ إلى الهرب، وأنَّ الرقابة التي جعلها الأمير عبد الرحمن الأوسط على إسماعيل كانت رقابةً ضعيفةً هينةً، وأن مقصده من هذه الرقابة الضعيفة على إسماعيل هو إشعاره بحسن المعاملة فرفض التضييق عليه، ولكن إسماعيل استغل الفرصة وهرب، ويتبين أن للأمير عبد الرحمن الأوسط العديد من العيون والجواسيس في أماكن الاضطرابات في الأندلس، فاستطاع عن طريقهم معرفة مكان هروب إسماعيل القسوي وأتى به لقرطبة.

معاملة إسماعيل في الرهن

من خلال النص السابق الذي أورده ابن حيان في مقتبسه يتبين أن إسماعيل المرتهن عند الأمير محمد سوف يتلقى معاملة حسنة وأنه سوف يكون في غضارة وسعة من العيش وسيصبح له صلات من قبل الأمير عبد الرحمن الأوسط، والغريب في الأمر أن ابن حيان

(٢١٤) وادي آنة: من أشهر أنهار إسبانيا؛ ينبع من الأطراف الشرقية لهضبة (قشتالة)، ويتجه غرباً ماراً بمدينة (قلعة رباح) ثم (الأرك) ثم (ماردة)، وعند مدينة (بطلوس) يتجه نحو الجنوب ويصب في المحيط الأطلسي عند مدينة (قسطللة دارج). ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٤٧.
(٢١٥) ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ١٤٦.

يذكر أن الأمير عبد الرحمن الأوسط جعل له إقطاعات في قرطبة^(٢١٦). ورغم هذه المعاملة الحسنة من قبل الأمير عبد الرحمن الأوسط لإسماعيل إلا أن الأمير عبد الرحمن كان جاداً في بقاء إسماعيل في قرطبة تحت عينيه، والدليل على ذلك أن الأمير عبد الرحمن أتى بإسماعيل من الثغر بعد هروبه.

تأثير اتخاذ إسماعيل رهينة على الأحوال السياسية:

أظهر موسى القسوي ولاءً تاماً للإمارة الأموية، حيث أنه قام في سنة (٢٣٦هـ / ٨٥٠م) بشن هجوم على ولاية سبتمانيا الإفرنجية، وعاث في تلك المنطقة فساداً، مستغلاً سوء الأوضاع الداخلية ببلاد الفرنجة، فأضطر شارل الأصلع ملك الفرنجة إلى مهادنته وعقد الصلح معه فبعث إليه سفارة محملة بالهدايا والتحف الثمينة ملتصقاً بمودته و صداقته^(٢١٧). ظل موسى القسوي يدين بالطاعة للأمويين حتى نهاية عهد الأمير عبد الرحمن، واشترك في واقعة البيضاء^(٢١٨) قرب مدينة بقرية^(٢١٩) بأراضي بنبلونة وأبدي في هذه المعركة ضروب الشجاعة، وأصيب موسى بعدة جروح، وكان يتولى قيادة مقدمة جيش المسلمين، ولقد عبر ابن حيان عن حال موسى بقوله " ونالت موسى بن موسى خمس وثلاثون وخزة تخللت حلق درعه،

(٢١٦) ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ١٤٦.

(٢١٧) ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ١٥٦ ؛ كمال السيد: المولدون، ص ٥٧.

(٢١٨) البيضاء: (Albeda) حصن صغير، أنشأه موسى بن موسى القسوي قرب مدينة بقرية وهي تقع على مسافة ٩١ كيلو مترا شمال غرب مدينة تطليبة ؛ كمال السيد: المولدون، ص ٩٤.

(٢١٩) بقرية: (Viguera) تقع جنوبي البيضاء، وتتبع الآن مقاطعة لوجينييو Logrehe، وقد أوضح العذري أن لب بن موسى القسوي هو الذي بني حصن بقرية في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ؛ كمال السيد: المولدون، ص ٩٤.

واليوم الثاني كالخهم المسلمون، وقد أخذ المقدمة موسي بن موسي متحاملا لألم جراحه فخامي على المسلمين وحسن غناؤه، وهزم الجاشقيون^(٢٢٠) أعداء الله أخفش هزيمة، وفرشت الأرض بصرعهم^(٢٢١) الأمر الذي كان له عظيم الأثر في نفس الأمير عبد الرحمن الأوسط، فقلده في سنة (٢٣٨هـ/٨٥٢م) ولاية سرقسطة مضافة إلى أعماله^(٢٢٢)، و أن موسي لم يكرر خروجه على الأمير عبد الرحمن وذلك لوجود ابنه رهينة عنده، فأظهر الولاء والطاعة التامة حتى نال رضا الأمير عبد الرحمن، أما حال إسماعيل بن موسي عقب خروجه من الرهن سوف تكشف عنه الأحداث في عهد الأمير محمد بن الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣ هـ/٨٥٢-٨٨٦م) .

(٢٢٠) الجاشقيون أو القاشقيون: فرع من البشكنش وهم أهل المنطقة المعروفة بإسم غشقونية أو غسقونية (Cascana) وهي كلمة مشتقة من Vascania اللاتنية التي تطلق على بلاد البشكنس التي تحف جبال البرتاب الغربية في أقصى شمال إسبانيا وقرب جنوب فرنسا؛ كمال السيد: المولدون، ص ٩٤.
(٢٢١) ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ١٥٦.
(٢٢٢) كمال السيد: المولدون، ص ٥٧.

رهائن الصراعات الخارجية في الأندلس في عصر الإمارة الأموية

أولاً عهدُ الأمير عبد الرحمن الداخل

(١٣٨-١٧٢ هـ / ٧٥٥-٧٨٧ م)

نجح عبد الرحمن الداخل من انتزاع النصر من خصومه المحليين وتأسيس إمارته سنة (١٣٨ هـ / ٧٥٥ م)، ودانت له الأندلس بأسرها بعد أن لقي فيها حروباً وقاسي خطوباً^(٢٢٣) فكان الثمن باهظاً إذ أن انشغاله في حروبه الداخلية انعكس بشكل خاص على سياسته الخارجية تجاه نصارى الشمال الإسباني فلقيت الإهمال، مما أتاح المجال أمام مملكة إشتريش وجليقية أخطر التجمعات النصرانية المعادية للمسلمين آنذاك أن تنمو وتزداد توسعاً على حساب حكومة قرطبة التي أصبحت مضطرة إلى الاعتماد على إمكانياتها الداخلية المحدودة في مواجهة الخطر الزاحف إليها من الشمال^(٢٢٤).

ولم تتركِ الفتن وحركات التمرد الداخلية الوقت الكافي لعبد الرحمن الداخل لمقارعة نصارى الشمال فوجد فرويلا الأول (١٤١-١٥٨ هـ / ٧٥٨-٧٧٤ م) ملك جليقية الفرصة مواتية لانشغال الأمير بقمع ثورة يوسف الفهري (١٤١ هـ / ٧٥٨ م)^(٢٢٥)، وأنه لا يستطيع القيام

(٢٢٣) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٥٠، ٥١.

(٢٢٤) كمال السيد: المولدون، ص ٥٧.

(٢٢٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٨-٩١؛ التويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٣٩؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٦٨٨-٦٩٠.

بأي عمل عسكري خارج حدود إمارته، فعبر نهر دويرة وهاجم الثغور الإسلامية واستولى على أراضي شاسعة، فلما مدينة لك وبرتغال وسمورة وشقوية وضمها إلى أملاكه سنة (١٤٢هـ/٧٥٩م)، فصارت جزءاً من مملكة جليقية، حتى استعادها المسلمون بعد ذلك بنحو قرنين في عهد الحاجب المنصور (٢٢٦).

وهكذا سقطت هذه الأراضي في عصر أمير يعد من أقوي وأصلب أمراء البيت الأموي في الأندلس، ورغم الانتصارات الحاسمة التي حققها فرويلا الأول إلا أنه اضطر لعقد معاهدة سلام (٢٢٧) مع المسلمين مدتها خمس سنوات تبدأ من سنة (١٤٢هـ/٧٥٩م) تعهد خلالها بدفع مبالغ كبيرة للحكومة الإسلامية (٢٢٨)، وذلك حتى يتفرغ لقمع ثورات الأشراف الداخلية التي حفل بها عصره (٢٢٩).

وبدأ الأمير عبد الرحمن الداخل يتحين الفرص لكي يدفع خطر نصارى الشمال، ففي سنة (١٤٨هـ / ٧٦٥م) أرسل بعض قواده إلى الشمال على رأس قوة كبيرة، فسارت حتى حدود جليقية، واشتبكت مع النصارى والعصاة في عدة مواقع، وعادت مثقلة بالغنائم والأسرى (٢٣٠).

وفي سنة (١٥٠هـ/٧٦٨م) وجه الأمير عبد الرحمن الداخل حملة بقيادة مولاة بدر إلى ألبه والقلاع شرقي ليون وحارب أهلها وانتصر عليهم وأخذ منهم الجزية وقبض على كثير من

(٢٢٦) ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٥٦؛ المقرئ: فنج الطبيب، ج١، ص ٣٣٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢١٥.

(٢٢٧) للإطلاع على كتاب الصلح: أنظر ملاحق الرسالة، ص ٣١٥.

(٢٢٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص ٢٥٠.

(٢٢٩) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢١٥.

(٢٣٠) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢١٥، ٢١٦.

العصاة في تلك الأنحاء (٢٣١)، وخلال رحلة العودة جلب بدر معه إلى قرطبة كل من شك في إخلاصه وولائه من زعماء الثغور (٢٣٢).

ولم تحدثنا الروايات التاريخية عن أي اشتباكات أخرى بين الطرفين حتى عام (١٦٤ هـ/٧٨٠م) إذ أجبرت الأوضاع الداخلية كلا الجانبين على العيش بسلام، باستثناء ما انفردت به رواية نصرانية عن نبأ موقعة عظيمة دارت أحداثها في بوتومو من أعمال جليقية سنة (١٥٧ هـ/٧٧٣م)، ودارت الدائرة فيها على المسلمين وقتل منهم على ما تدعيه الرواية أربعة وخمسون ألفاً (٢٣٣)، ونفي المؤرخون المحدثون إمكانية حدوث هذه المعركة في هذا الوقت، إذ أن ظروف المسلمين والنصارى لم تكن تسمح بحدوث مثل تلك المواجهة إذ أن عبد الرحمن الداخل كان مشغولاً بالقضاء على ثورة شقيا البربري، كما أن فرويلا الأول الذي زعمت الرواية النصرانية أنه قائد القوات النصرانية خلال المعركة كان قد قتل منذ سنة (١٥٠ هـ/٧٦٨م) (٢٣٤)

اتهمز الداخل فرصة وجوده في الشمال سنة (١٦٤ هـ/٧٨٠م) لردع ثوار سرقسطة بعد فشل حملة شارلمان فاخترق أراضي البشكنش (Bacons) (نافار) وخرّب بنبلونة

(٢٣١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٥٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢١٦؛ خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس، ص٨٧.

(٢٣٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٥٤.
(٢٣٣) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢١٣؛ رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص١٣١.

(٢٣٤) رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص١٣١.

(Pamplona) وقاهرة (٢٣٥) (Calabria) وأجتاح سرطانية (Cardinal) التي أرغم أميرها على تقديم الطاعة وأداء الجزية وأخذ ابنه رهينة (٢٣٦).
ولكن أهل سرطانية لم يلتزموا بالطاعة بعد وفاة الأمير عبد الرحمن الداخل في عهد ابنه هشام الذي هاجمها سنة (١٧٧هـ/٧٩٣م) فقتل رجالها واستباح حريمها وجاس في البلاد شهورا يخرب الحصون (٢٣٧)، ومنذ سنة (١٦٤هـ/٧٨٠م) وحتى وفاة عبد الرحمن الداخل (١٧٢هـ/٧٨٨م) لم يشترك مع نصارى الشمال لانشغاله في مجابهة التمردات الداخلية (٢٣٨).

شارلمان والرهائن:

لقد كانت الأوضاع الداخلية في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل سبباً في عدم اهتمامه إلا بصورة هامشية تجاه الفرنجة، السبب الذي شجعهم على مزيد من التوسع في غالة، وأيضاً في الأندلس ذاتها، ولعل هذه السياسة المتسمة بالسلبية من قبل الداخل تجاه الفرنجة هي التي جعلت شارلمان ملك الفرنجة بعد ما حققه من انتصارات في أوروبا (٢٣٩) أن يفكر في إمكانية

(٢٣٥) قلهرة: (Calahorra) بفتح أوله وتانيه وضم الهاء وتشديد الراء وفتحها مدينة من أعمال تطيلة في شرقي الأندلس؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٩٣.
(٢٣٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٨؛ خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس، ص ٨٨.

(٢٣٧) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٩٧.
(٢٣٨) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٢٦؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٥٠، ٥١.
(٢٣٩) قام شارلمان بمحاربة اللومباردين وأخضعهم وتوج نفسه ملكاً عليهم، ولقب بملك الفرنج والمبارد، كما خاض حروباً ضد السكسون استمرت ثلاثين عاماً وأخضعهم نهائياً سنة (١٥٨هـ/٧٧٤م)، كما أخضع الأفار والدانين لسلطانه، وقد اتخذت حروب شارلمان طابعاً صليبياً، إذ كانت معظم البلاد التي فتحها تدين بالوثنية، فسار على نهج أبيه "ببين" الذي كان يصحب معه في

القيام بمهمات وراء البرنيه، وتحقيق مشروعه الذي كان يسعى إلى تنفيذه وهو إحياء الإمبراطورية الرومانية المقدسة وأن يمد حدود الدولة الكارولنجية من جهة الجنوب إلى مضي ق جيل طارق^(٢٤٠).

ولقد وجد شارلمان الفرصة مواتية لتحقيق أطماعه، وذلك عندما استعان به سليمان بن يقظان الأعرابي الثائر في برشلونة والحسين بن يحيى الأنصاري والي سرقسطة، وذلك عندما أعلنوا العصيان على عبد الرحمن الداخل وتحالفا على قتاله، وذلك لتحقيق مآربهما وأطماعهما في الحكم^(٢٤١). وخصوصاً أنه كان منشغلاً بقمع فتنة شقيا البربري في الجنوب^(٢٤٢).

فأرسل إليهم عبد الرحمن الداخل جيشاً بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي، وذلك سنة (١٥٨هـ/٧٧٥م) فانهزم هذا الجيش وأسر قائده^(٢٤٣) ولكن سليمان الأعرابي لم يكتف بهذا النصر المؤقت وذلك لما كان يعلمه من عزم عبد الرحمن الداخل وأنه سوف يعد العدة للانتقام ففكر سليمان الأعرابي بالاستعانة بملك الإفرنج حيث كان على اتصال قديم مع دولة الفرنجة، وقد رحل سليمان بصحبة بعض رجاله للقاء شارلمان في ربيع سنة (١٦٠هـ/٧٧٧م) وكان وقتئذ يقيم في مدينة بادربون شمال غرب ألمانيا، بعد أن أزل الهزيمة بالسكسون وأجبرهم على اعتناق المسيحية^(٢٤٤)، وعرض سليمان على شارلمان

جيوشه المشرين والقساوسة؛ فيشر: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ج ١، ص ٩٢؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ج ١، ص ٢٠٢؛ عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، ص ٢٠١.
(٢٤٠) عبد المجيد نعنعي: الدولة الأموية في الأندلس، ج ٢، ص ١٦٦.
(٢٤١) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٢٥؛ المقري: نفح الطيب، ج ٣، ص ٤٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٦٨؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٢٨.
(٢٤٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٥٤، ٥٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٦٨.
(٢٤٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٤٦.
(٢٤٤) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٦٩؛ محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة، ص ١٣٨.

التحالف معه على قتال عبد الرحمن الداخل^(٢٤٥)، وذلك في مقابل تسليمه الولايات الشمالية ولاسيما سرقسطة وتسليمه الأسير ثعلبة بن عبيد الله لكي يكون رهينة عنده لكي يساوم عبد الرحمن الداخل عليه فيما بعد^(٢٤٦)، وأعلنوا خضوعهم لملك الفرنج وانضواءهم تحت حمايته^(٢٤٧)

ولقد جاءت موافقة شارلمان تنفيذاً لسياسته في إسبانيا التي تهدف إلى تأمين حدوده الجنوبية، وتحقيق مشروعه في إحياء الإمبراطورية الرومانية الذي طالما سعى إلى تحقيقه^(٢٤٨) فكانت دوافع شارلمان للهجوم على الأندلس سياسية بحتة، وإن كانت مبطنة بمظهر ديني هدفه حماية النصرانية، وتخليص جليقية من أيدي المسلمين، وفي الحقيقة كان شارلمان يريد تأمين حدوده الجنوبية بالاستيلاء على بعض المدن والقواعد في إسبانيا، بل إنه كان يرمي إلى السيطرة على إسبانيا كلها لو تيسر له ذلك ويدل على هذه السياسة التوسعية، ضخامة الجيش الذي حشده شارلمان لهذه الحملة، وكذلك مهاجمته لبلاد البشكنس، الذين كان قسم منهم من النصاري. ولهذا فلم تكن النزعة الدينية بارزة في هذه الحملة^(٢٤٩).

فإننا نجد أن حركة الأعرابي والأنصاري في سرقسطة وطلبها مساعدة شارلمان سنة (١٦١هـ/٧٧٨م) تنسجم مع مصالح الطرفين: فالأعرابي والأنصاري يرغبان في القضاء

(٢٤٥) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٦٨؛ مني حسن محمود: المسلمون في الأندلس، ص ١٧٩.
(٢٤٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٤٦؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٧٠؛ محمد مرسى الشيخ: دولة الفرنجة، ص ١٣٩.
(٢٤٧) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٦٩-١٧٤.
(٢٤٨) محمد مرسى الشيخ: دولة الفرنجة، ص ١٤٠.
(٢٤٩) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٧٢؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٢٩؛ مني حسن محمود: المسلمون في الأندلس، ص ١٧٩، ١٨٠.

على الداخل وإمارته ويرغبان بالتالي في ولاية الأندلس، في حين كان شارلمان يطمع في الاستيلاء على الأندلس أيضاً وضمها للإمبراطورية الكارولنجية (٢٥٠).
ونجد أن سليمان بادر بتسليم ثعلبة بن عبيد قائد جيش عبد الرحمن الداخل إلى شارلمان ليكون عنواناً للثقة والتحالف، فسارع شارلمان بسجن ثعلبة بن عبيد في إحدى القلاع الفرنسية قبل تحركه للجنوب، فقد كان حصول شارلمان على ثعلبة بن عبيد لكي يكون رهينة عنده، وهو من خاصة رجال عبد الرحمن الداخل ومن كبار وزرائه، يعد ضربة كبيرة لعبد الرحمن الداخل، ورهينة قيمة يمكن استغلالها (٢٥١).

وجري الاتفاق بين الثوار وشارلمان على أن يخدر شارلمان بجيوشه إلى شمال إسبانيا عابراً جبال البرنيه متجهاً إلى مدينة سرقسطة فيسلمها له سليمان بن يقظان الأعرابي لتكون قاعدة لانطلاق الجيوش الإفريقية للقضاء على عبد الرحمن الداخل، وفي أوائل الربيع سنة (١٦١هـ/٧٧٨م) تقدم شارلمان على رأس قواته وأتجه إلى مدينة أكتون حتى وصل نهر الجارون، وهناك قسم جيشه إلى قسمين، قسم يقوده بنفسه، وقرر أن يعبر به جبال البرنيه من جهتها الغربية التي تشرف على مفاوز روفنسال الوعرة، والقسم الثاني تحت قيادة أحد كبار أعوانه، وتقرر أن يعبر البرنيه من جهتها الشرقية، وأن يجتمع الجيشان على ضفاف نهر الإيبرو، أمام مدينة سرقسطة حيث يتم اللقاء مع حلفاء شارلمان من المسلمين (٢٥٢) فتقدم شارلمان نحو مدينة بنبلونة واستولى عليها، ثم سار في اتجاه سرقسطة، فخرج إليه سليمان بن

(٢٥٠) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٧٤؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٢٩.
(٢٥١) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٤٦؛ محمد مرسى الشيخ: دولة الفرنجة، ص ١٤٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٧٠.

(٢٥٢) محمد مرسى الشيخ: دولة الفرنجة، ص ١٤٣-١٤٥؛ مني حسن محمود: المسلمون في الأندلس، ص ١٨٠.

يقظان الأعرابي خارج المدينة وسلم إليه بعض الرهائن، كما خرج حاكم مدينة وشقة الذي يدعي أبو ثور بن قسي^(٢٥٣) والذي أعلن استقلاله عن إمارة قرطبة، وقدم أخاه وولده رهائن لشارلمان وقد بقيت هذه الرهائن في معسكر شارلمان حتى وقعت النكبة^(٢٥٤).
وبما سبق يتضح أن سليمان بن يقظان الأعرابي حريص كل الحرص على إرضاء شارلمان، ويؤكد له بإعطائه الرهائن على حسن نواياه، وحرصه على الفوز بثقته، كما يؤكد هذا الموقف على شدة ارتباط شارلمان وخوفه من المسلمين وأنه يخشى المباغتة لذلك كان حريصاً على أخذ الرهائن، ولم توضح لنا الروايات صفات هؤلاء الرهائن الذين قدمهم سليمان بن يقظان الأعرابي، ولم تذكر أهميتهم، على عكس رهائن مدينة وشقة.

ولقد اكتمل جيش شارلمان على مشارف مدينة سرقسطة، التي أمل شارلمان اتخاذها قاعدة لعملياته في إسبانيا معتقداً أن حلفاءه المسلمين سيسلمونها إليه لتحقيق أهدافه، ولكن أهالي المدينة ساءهم أن تسلم مدينتهم لملك نصراني، وفي نفس الوقت دبّ انخلاف بين قادة الثورة وحدث شقاق بين الحسين بن يحيى الأنصاري وبين حليفه سليمان بن الأعرابي، حيث خشي الحسين بن يحيى عاقبة التورط في حلف النصاري، ونقم موقف الزعامة والصدارة الذي اتخذته سليمان مع الفرنجة، فتخلي الحسين بن يحيى عن حليفه وتحصن في مدينة سرقسطة وأغلق أبوابها ورفض استقبال شارلمان^(٢٥٥)، الذي وجد المدينة مغلقة ومتحفزة للدفاع

(٢٥٣) أبو ثور: لم تذكر المصادر المسيحية التي أوردت الرواية نسب أبي ثور، وأن ابن حزم أورد هذا الاسم ضمن أبناء بني قسي، وأن حكمه لمدينة وشقة يدعم هذا الترجيح، لأن هذه المدينة كانت من قواعد الثغر الأعلى وموطن بني قسي ومركز نفوذهم وسلطانهم منذ أواخر عهد القوط وطوال عصر الإمارة الأموية في الأندلس؛ كمال السيد: تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، ص ٨٢، ٨٣.

(٢٥٤) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٧٤؛ محمد مرسى الشيوخ: دولة الفرنجة، ص ١٤٣ - ١٤٥؛ كمال السيد: تاريخ وحضارة الأندلس، ص ٨٢، ٨٣.

(٢٥٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٤٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٧٤.

والمقاومة، فأخذ شارلمان في مهاجمة المدينة من مواضع مختلفة، ولكن المدينة صمدت وردت كل هجماته، ولم يستطع سليمان أن يقدم أي مساعدة لشارلمان الذي بدأ يرتاب في نيته وخشي أن يكون ضالعا في مؤامرة ضده، فبادر بالقبض عليه وأخذه معه إلى بلاده (٢٥٦) ولم يغامر شارلمان في الدخول في معارك حربية في تلك الجهات، وظل محاصراً المدينة فترة ثم بدأ يرتد عنها نحو الشمال الشرقي وذلك في شهر شوال سنة (١٦١هـ/ يوليو ٧٧٨م)، عندما بلغته أنباء هامة من بلاده عن قيام قبائل السكسون بالثورة فارتد شارلمان على رأس قواته وفي ركابه سليمان أسيره وعدد من الرهائن وسار شمالاً نحو بلاد البشكنس، وكان النافاريون في تلك الأثناء قد جمعوا فلولهم، واعتزموا الدفاع عن حاضرتهم بنبلونة، وقد شجعتهم وقفة سرقسطة وصاحبها الحسين ضد الملك الإفنجي، ولكن شارلمان هاجم مدينة بنبلونة بعنف، ولم تجد بسالة النافاريين وحلفائهم المسلمين شيئاً، فتركوا المدينة وتفرقوا في مختلف الأنحاء واستولى شارلمان على بنبلونة للمرة الثانية، وهدم حصونها وأسوارها حتى لا تعود إلى المقاومة إذا عاد إلى تلك الأنحاء، ولكي يمهّد لجيشه طريق العود المأمون إلى فرنسا (٢٥٧).

وبينما كان شارلمان يعبر مع جنوده من ممر رونسفال في جبال البرتات حلت عليه الكارثة، إذ هاجمته قوة مؤلفة من البشكنس انضم إليهم الكثير من المسلمين على رأسهم ابنا سليمان بن يقظان: مطروح وعيشون بغرض فك أسر والدهما، وكانت هذه القوة مدعمة بتأييد وعون عبد الرحمن الداخل، الذي لا بد وأن أمدّها بالمال والسلاح ونجحت هذه القوة في القضاء

(٢٥٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢١٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٧٤؛ محمد مرسي الشيوخ: دولة الفرنجة، ص ١٤٣ - ١٤٥؛ كمال السيد: تاريخ وحضارة الأندلس، ص ٨٢، ٨٣.

(٢٥٧) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٧٦؛ محمد مرسي الشيوخ: دولة الفرنجة، ص ١٤٨، ١٤٩.

على مؤخرة جيش شارلمان، وفي استنقاذ سليمان والرهائن الذين اتخذهم شارلمان والعودة بهم إلى سرقسطة، وغنموا مغنم كثيرة^(٢٥٨).

ولكن ما هي أسباب الكارثة التي حلت على شارلمان عند ممر رونسفال؟ نجد أن أسبابها رغبة المسلمين وأبناء سليمان استنقاذ أبيهم الأسير من قبل شارلمان، واستنقاذ الرهائن الذين أعطاهم سليمان بن يقطان لشارلمان، وهذا دليل كبير على أن الرهائن الذين أعطاهم سليمان بن يقطان الأعرابي كانوا على قدر كبير من الأهمية لذلك تحركت جموع كثيرة من المسلمين لمهاجمة شارلمان، ولو كان الأمر غير ذلك لفرح المسلمون بانسحاب شارلمان دون تحقيق أغراضه، ولكن هؤلاء الرهائن كانوا على قدر كبير من الأهمية.

هذا من جانب أما من جانب البشكنش فقد كانوا حائقين على شارلمان وجيشه بعد أن أحدث الخراب والدمار ببلادهم وخرّب عاصمتهم بنبلونة، وأنزل بهم أشد أنواع التنكيل، بل إنهم كانوا أكثر حماسة لهزيمة شارلمان وتلقينه درساً قاسياً حتى لا يعود الكرة عليهم من جديد، فالتقي الطرفان عند الرغبة الجارحة في الانتقام من شارلمان، وتؤكد الأحداث أن كل طرف كان بحاجة إلى الطرف الآخر، فقد احتاج المسلمون إلى معرفة البشكنش الدقيقة بتلك الشباب والممرات الوعرة، وكان البشكنش بحاجة إلى مقدرة المسلمين في التنظيم العسكري، ودقتهم في رسم الخطط والهجوم، لذلك التقيا في إنزال الهزيمة بجيش شارلمان^(٢٥٩).

فالرغبة في استخلاص الرهائن من يد شارلمان جعلت المسلمين يحرصون على المغامرة وتكبيد جيش شارلمان أشد الخسائر، حيث تم القضاء نهائياً على مؤخرة جيش شارلمان، وتم

(٢٥٨) محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة، ص ١٥١؛ مني حسن محمود: المسلمون في الأندلس، ص ١٨٠.

(٢٥٩) محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة، ص ١٥٥، ١٥٤.

الاستيلاء على المغام وفي مقدمتها الخزينة الملكية، وقتل عدد كبير من سادة الجيش الفرنجي (٢٦٠). وهذا يدل على أن هدف المسلمين هو استنقاذ رهائهم، وفك أسر سليمان بن يقظان الأعرابي.

ونجد أن هجوم المسلمين بشأن استنقاذ رهائهم، وفك أسر سليمان بن يقظان الأعرابي بدد حلم شارلمان في إزالة السيادة الإسلامية عن إسبانيا، وتكوين إمبراطورية على النسق الروماني، فلولا الرهائن والأسير لما تحركت جموع المسلمين واتفقت مع البشكنش لمهاجمة جيش شارلمان.

الهزيمة التي تعرض لها شارلمان وما حدث فيها من أحداث جعلته لا يفكر في معاودة الهجوم مرة أخرى، وخصوصاً لاضطراب الأحوال الداخلية في الإمبراطورية الكارولنجية ذاتها، حيث استنفذ السكون جانباً كبيراً من جهوده، فكان بحاجة ماسة للسلام مع جيرانه، وخصوصاً عندما تأكد من صلابة عبد الرحمن الداخل (٢٦١).

ولكن ما هو مصير ثعلبة بن عبيد الجذامي الذي اتخذ شارلمان رهينة عنده؟ بعد تبدد أحلام شارلمان وتعرضه لهزيمة كان لها صدى واسع في الأوساط الأوربية والمسيحية (٢٦٢) لم يبق بيد شارلمان سوى ورقة واحدة رابحة قد يعوض بها جزءاً من خسارته وهي ورقة ثعلبة بن عبيد الجذامي الذي ظل مرهوناً عند شارلمان حتى جرت المفاوضات بشأنه مع المسلمين، وأطلق سراحه بعد أن دفع فدية كبيرة (٢٦٣).

(٢٦٠) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ١٨٠؛ محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة، ص ١٥٥.

(٢٦١) محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٢٦٢) محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة، ص ١٥٦.

(٢٦٣) محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة، ص ١٥٨.

الرهائن السياسيون في عهد خلفاء الأمير عبد الرحمن الداخل حتى نهاية عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (١٧٢-٢٣٨ هـ/٧٨٨-٨٥٢ م).

توفي الأمير عبد الرحمن الداخل في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة (١٧٢ هـ/٣٠ سبتمبر ٧٨٨ م) ^(٢٦٤) خلفه ابنه هشام الرضا (١٧٢-١٨٠ هـ/٧٨٨-٧٩٦ م) وقد عادت العلاقات السيئة بين الأمويين والكارولنجيين إلى الظهور في عهده من جديد، فكانت الدولة الكارولنجية ما تزال تنتهج سياستها القديمة تجاه الأندلس وهي انتهاز الفرص للنيل منها فكانت تشجع الثوار والخارجين على الحكم الأموي ^(٢٦٥) في حين أن الأمير هشام كان يري أن واجب الجهاد المقدس يفرض عليه القيام بالغارات المستمرة على أعدائه، وبدأ في تحريض المسلمين على مواصلة الجهاد وإعلاء كلمة الإسلام وعمد على إشغال المسلمين في الأندلس عن الفتن الداخلية بحثهم وتشجيعهم على الجهاد، واسترجاع ما فقد من البلاد على يد شارلمان ^(٢٦٦)، فكان كأبيه يقدر خطورة الدسائس الإفرنجية ^(٢٦٧)، وفي سنة (١٧٧ هـ/٧٩٣ م) استعد الأمير هشام لمحاربة الفرنج فسير جيشاً إلى الشمال بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث فدخلوا بلاد العدو فبلغوا أربونة وجردة فبدأ بجردة وكان بها حامية الفرنج

(٢٦٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٨٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٥٨.
(٢٦٥) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢١١؛ مني حسن محمود: المسلمون في الأندلس، ص ١٨٩.
(٢٦٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٨٩؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٣٩١.
(٢٦٧) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٢٦.

فقتل رجالها وهدم أسوارها وأبراجها وأشرف على فتحها فرحل عنها إلى أربونة ففعل مثل ذلك وتوغل في بلادهم^(٢٦٨)، وكان شارلمان مشغولاً آنذاك بحاربة قبائل السكسون والأفار بعيداً عن فرنسا، فنهض ابنه لويس ملك أكتوين لصدهجمات المسلمين، فالتقت قوات الفرنجة بقيادة جيوم كوت طولوشة^(٢٦٩) مع قوات الجيش الإسلامي بقيادة عبد الملك بن مغيث في موقعة بين قرقوشة وأربونة على ضفاف نهر أوربيو "أورينا" في مكان يسمى "فيل دني" Villedaigne، فحلت الكارثة على الجيش الفرنجي الذي خسر أعداداً كبيرة من القتلى والأسرى الذين اقتيدوا بالآلاف إلى قرطبة^(٢٧٠).

هذا مع الإفرنج أما مع الممالك النصرانية في الشمال فسادت العلاقات الحربية بصورة عامة، حيث كانت الحملات العسكرية العربية تزداد كثافة باتجاه الشمال، كلها كانت الأحوال الداخلية مستقرة، والأوضاع هادئة في الأندلس، فيتفرغ الأمراء لمكافحة الخطر الخارجي^(٢٧١) حيث لم تمكن الأحوال الداخلية الأمير هشام في بداية عهده من استئناف الجهاد ضد الدويلات الإسبانية، فأشغل بحاربة أخويه سليمان وعبد الله الطامعين في الحكم، وانهز الفرصة سعيد بن الحسين الأنصاري في طرطوشة، ومطروح بن سليمان والي برشلونة وأعلننا الثورة في الثغر الأعلى وذلك في سنة (١٧٣هـ/٧٨٩م)^(٢٧٢)، فتوقفت الغزوات ضد النصراني في الشمال حتى شاع بين الناس أن المسلمين غير قادرين إلا على قتال بعضهم بعضاً،

(٢٦٨) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٩٧.
(٢٦٩) عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٢١٧؛ شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص ١٢٩؛ مني حسن محمود: المسلمون في الأندلس، ص ١٩٠.
(٢٧٠) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٢٧؛ عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٢١٧؛ شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص ١٢٩؛ مني حسن محمود: المسلمون في الأندلس، ص ١٩٠.
(٢٧١) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٤١.
(٢٧٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٨٨؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٣٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٥٣-٣٥٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٩١.

وأفتي بعض الفقهاء بعدم جواز تأدية الخراج لأمرأ لا يعرفون إلا قتال مواطنهم المسلمين، وكانوا يضربون الأمثال في خدمة الإسلام بخلفاء بغداد الذين كانوا يواصلون غزو القسطنطينية^(٢٧٣).

وذلك في الوقت الذي اشتد فيه ساعد نصارى الشمال، وأصبحوا يكثرُونَ من الإغارة على البلاد الإسلامية والعيث فيها، ويشتد عدوانهم كلما اضطرت الأندلس بالفتن الداخلية، وشغلت حكومة قرطبة عن حماية الأطراف النائية. وكان الفرنجُ جرياً على سياستهم الماثورة، يشجعون النصارى من البشكنس والجلالقة على مواصلة التحرش بالمملكة الإسلامية، وكان هشام كأيهِ يقدر خطورة هذه الدسائس الإفريقية، وتحذوه من جهة أخرى نزعة قوية إلى الجهاد والغزو، فما كاد ينتهي من القضاء على الثورة الداخلية حتى أعلن الجهاد وعبا جيشاً سنة (١٧٦هـ/ ٧٩٢م) قوامه أربعين ألف مقاتل جعل على رأسه قائده أبا عثمان عبيد بن عثمان وسيره إلى ألبه والقلاع، ففضي الجيش حتى وصل وادي ابره وصعد مع النهر حتى ألبه، حيث التحم مع النصارى بقيادة ملكهم برمودو (برمند) وحلفائه البشكنس وفرق مجموعهم وقتل منهم تسعة آلاف ثم عاد إلى قرطبة محملاً بالغنائم^(٢٧٤).

وأخرج الأمير هشام جيشاً في العام نفسه (١٧٦هـ/ ٧٩٢م) على رأسه يوسف بن بخت وتوجه إلى جليقية واشتبك مع جيش برمودو فنجح في هزيمته وقتل منه ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل^(٢٧٥)، بعد هذه الهزيمة خشي برمودو على مستقبل المملكة فتنازل عن العرش مختاراً

(٢٧٣) شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص ١٢٦.

(٢٧٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٨٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٦٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٢٦؛ عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وأثرهم في الأندلس، ص ٢١٦.

(٢٧٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٨٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٦٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٠٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٢٦.

لصالح ألفونسو الثاني (١٧٥-٢٢٧هـ/٧٩١-٨٤٢م)، فجرد إليه الأمير هشام حملة بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث اخترقت ألبه والقلاع وأُخِنت في نواحيها^(٢٧٦). وتوالى حملات الأمير هشام على جليقية في الشمال، فقد سيرت الدولة حملات في كل صيف تقريباً في عهد هشام، وحقت انتصارات كبيرة على إمارة جليقية^(٢٧٧)، ورغم كثرة هذه الحروب إلا أن الروايات لم تحدثنا عن اتخاذ رهائن بين الجانبين. وفي الواقع يعتبر الأمير هشام من أنشط الأمراء الأمويين في مجال الحروب مع النصارى إذا ما أخذنا في الاعتبار عدد الغزوات التي قام بها في المناطق الشمالية بالنسبة إلى مدة حكمه والتي لم تتجاوز الثماني سنوات^(٢٧٨).

وخلفه ابنه الحكم الرضي سنة (١٨٠هـ/ ٧٩٦م)، فاستأنف عمليات الجهاد والغزو ضد الفرنجة، الذين كانوا يتدخلون في شئون الأندلس بطريقة غير مباشرة وذلك عندما تغفل حملاتهم على حدود الدولة الإسلامية، أخذوا يعتمدون على تشجيع الثوار بتقديم المساعدة وبذل العون وذلك مثلما حدث مع عبد الله البلنسي عم الحكم بن هشام، الذي ثار مع بهلول بن مرزوق في سرقسطة سنة (١٨١هـ/ ٧٩٧م) واتفقوا على التحالف وطلبوا مساعدة الفرنجة^(٢٧٩)، ولقد ذهب عبد الله البلنسي لمقابلة شارلمان في إكس لاشابل Aix-la-Chapelle. لالتماس عونه، فلم يترك شارلمان هذه الفرصة ووافق على مساعدة عبد الله البلنسي وحلفائه، وجهز جيشاً بقيادة ابنه لويس فعبر البرنيه واستولى على جيرندة، وتوغل في مدن

(٢٧٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٩٦-٢٩٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٦٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٠٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٢٦.
(٢٧٧) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٤٢.
(٢٧٨) خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس، ص ١٢٣.
(٢٧٩) شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص ١٢٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣١٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٦٩؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٥٩.

الثغر الأعلى بمساعدة الثوار، وفي ظل هذه الظروف أظهر الحكم نشاطاً وحملاً وسارع بالمشير باتجاه الشمال لمواجهة الفرنجة واستطاع رد خطرهم وباءت محاولاتهم بالفشل^(٢٨٠)، فلم يكد الأمير الحكم يلتقط أنفاسه بعد قضائه على ثورة عميه الطامعين في الحكم عام (١٨٦هـ/٨٠٢م) حتى اغتتم الفرنجة الفرصة وقصدوا مدينة برشلونه واستولوا عليها سنة (١٨٥هـ/٨٠١م) فأصبحوا يهددون بكان قرطبة باستيلائهم عليها، وخسر الإسلام بفقد برشلونه أمنع ثغوره في قاصية إسبانيا، وارتدت حدود الأندلس إلى الثغر الأعلى، بعد أن كانت تجاوز جبال البرنيه^(٢٨١)، ولقد شجع سقوط برشلونه الفرنجة على المضي قدماً في اعتداءاتهم تجاه المسلمين، حيث أرسل شارلمان ابنه لويس على رأس جيش لمهاجمة الثغر الأعلى ومحاصرة مدينة طرطوشة Tortosa على الساحل جنوبي برشلونه سنة (١٩٢هـ/٨٠٨م) غير أن الأمير الحكم أرسل جيشاً إلى الشمال بقيادة ولده عبد الرحمن نجح في إرغام الفرنج على الارتداد، ولكن لويس عاود مرة أخرى سنة (١٩٣هـ/٨٠٩م)، فوصلت أخبار هذه الحملة للحكم الذي جهز جيشاً بقيادة ابنه عبد الرحمن الذي نجح في هزيمة الفرنجة هزيمة ساحقة وتم فك الحصار عن طرطوشة^(٢٨٢).

وقاد الحكم بنفسه حملة ضد الفرنجة سنة (١٩٦هـ/٨١١م) فتوغل في بلادهم، وأفتتح الثغور والحصون وأكثر فيهم القتل والسي وعاد إلى قرطبة منتصراً^(٢٨٣)، وعلى الرغم من هذه

(٢٨٠) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣١٤؛ العدوي: المسلمون والجرمان، ص ٢٥٦.

(٢٨١) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣٢٢، ٣٢٣؛ التويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢١٢؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٦٢.

١٦٣؛ المقرئ: فتح الطيب، ج ١، ص ٣٣٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٣٦.

(٢٨٢) محمد مرسي الشبيخ: دولة الفرنجة، ص ١٧٢، ١٧٣.

(٢٨٣) المقرئ: فتح الطيب، ج ١، ص ٣٤٠.

الحملة إلا أن المسلمين لم يحرزوا فتوحات ثابتة وشعر الفريقان بسلبية هذه الحملات، ففضلوا السلم والمهادنة (٢٨٤)

ونجد أن الأحوال الداخلية المتردية في عهد الأمير الحكم كان لها دور كبير في مجال علاقته بنصارى الشمال، وهي تفسر لنا سبب ضعف الحملات التي وجهت نحو الشمال الأسبان، حيث انشغال الأمير الحكم بثورة مدينة ماردة التي استمرت سبع سنوات من عام (١٩٠- ١٩٧هـ/٨٠٥-٨١٢م) (٢٨٥)، فلم يترك ألفونسو الثاني هذه الفرصة وقام بحملات متوالية على الأراضي الإسلامية، واتسمت حملاته بأنها كانت ذات طابع ديني، إذ عرف هذا الملك بأنه كان شديد التعصب لدينه حتى أنه لقب بالعفيف (٢٨٦)، فبحر نهر دويرة والتاج، وتوغل في حملاته حتى قلمرية وأشبونة في غرب الأندلس بعدها عن حكومة قرطبة وضعف وسائل الدفاع فيها (٢٨٧)، ولقد تنامي إلى الحكم ما يعاينه أهالي الثغور من المتاعب جراء غزوات النصارى، خصوصاً ما نقله له الشاعر العباس بن ناصح الجزيري (٢٨٨)، عن متاعب الأسرى المسلمين، فأعلن الأمير الحكم النفير، وقاد الحملة بنفسه نحو وادي الحجارة سنة

(٢٨٤) لمزيد من التفاصيل أنظر: ناصر محمد بسيوني: السياسة الخارجية للدولة الأموية بالأندلس، ص ٢٢٥؛ (٢٨٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣٤٥، ٣٤٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢١٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٦٢، ١٦٣؛ حمدي عبد المنعم: ثورات الزبير، ص ٣٣، ٣٤. (٢٨٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٤١. (٢٨٧) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٤١؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٤٧؛ رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأشبانيا النصرانية، ص ١٣٩. (٢٨٨) العباس بن ناصح: كان من أهل العلم بالعربية واللغة والشعر، وله حظ في الفقه والرواية؛ ولي قضاء بلدة شذونة، وكان رحل مع أبيه إلى مصر، وتردد في الحجاز طالباً للغة العرب، ولقي الأصمعي وغيره بالعراق، واجتمع بابي نواس، وأذن له بالفضل على نفسه، وانصرف إلى الأندلس، وكان مذهبه في شعره مذهب العرب الأوائل، وكان حافظاً لمذهب مالك، ومات بعد سنة (٢٣٣هـ/٨٤٧م). ابن سعيد المغربي: المغرب في حلي المغرب، ج ١، ص ٣٢٤؛ الصغدني: الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٣٦٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢٤، = ص ٢٣١؛ السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط ٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لبنان ١٩٧٩م، ج ٢، ص ٢٨؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٤٣.

(١٩٤هـ/٨٠٠م)، فأوغل فيها وهدم المعادل والحصون، ويذكر أنه نجح في تخليص عددٍ من الأسرى المسلمين (٢٨٩).

فألردُ الإسلامي على هجمات النصارى كان متوقفاً على حجم التهديد النصراني للأراضي الإسلامية، واستقرار الأوضاع الداخلية، حيث أن التناحر بين المسلمين في الأندلس فرض واقعاً جديداً على شبه الجزيرة الأيبيرية، إذ أصبح المسلمون يسعون للحفاظ والذود عن أراضيهم، بعد أن كان هدف النصارى فيما قبل أن يحافظوا على مات بقي بأيديهم، وكان آخر لقاء عسكري بين الأمير الحكم ونصارى الشمال سنة (٢٠٠هـ/٨١٦م)، ثم انشغل بالقضاء على ثورة الربض (٢٠٢هـ/٨١٨م) ثم توفي بعد ذلك بسنوات قليلة (٢٩٠).

وأتم عهد خليفته عبد الرحمن الثاني (٢٠٦هـ/٢٣٨م-٨٢٢-٨٥٢م)، بالتشعب مع القوي الخارجية وأحسن التعامل معها على المستويين العسكري والدبلوماسي، وأنه في بداية عهده تحالف مع البشكنش في درء النفوذ الفرنجي عن الأندلس ونجح هذا التحالف في دحر الفرنجة سنة (٢٠٩هـ/٨٢٤م) (٢٩١)، أصيب الفرنج بهزيمة ساحقة في أحواز بنبلونة، في سفح جبال البرنيه، عند باب شزروا، حيث نكب جيش شارلمان من قبل، ويبدو من أقوال الرواية الإفريقية أن المسلمين كان لهم دور كبير في إيقاع هذه الهزيمة. ذلك أن لويس ملك الفرنج أرسل قواته بقيادة الكوتين أزارا وإبلو لمهاجمة البشكنس وإخضاعهم، فاستغاث البشكنس بغيرانهم المسلمين، والظاهر أن الذي لي نداء البشكنس هم بنو موسى أو بنو قسي

(٢٨٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٧٣؛ المقرئ: فح الطيب، ج١، ص ٣٤٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٤١؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٤٧.
(٢٩٠) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٣١٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٧٥؛ الفوري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٣٧٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٤٣، ٢٤٤.
(٢٩١) محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة، ص ١٧٣-١٧٤.

أصحاب تطيلة، وأن هذه المعاونة كانت بموافقة حكومة قرطبة، وعلى أي حال فقد أحرز المسلمون والبشكنس على الفرنج نصراً ساحقاً، وأسر القائدان أزنار وإبلو، ثم أطلق سراح الأول وأرسل الثاني إلى قرطبة حيث اعتقل بعض الوقت. وقد أثار هذا الحادث ذكريات موقعة باب شزروا الكبرى التي نكب فيها الفرنج أيام الأمير عبد الرحمن الداخل، قبل ذلك بستة وأربعين عاماً (٢٩٢).

والذي يخلصنا في هذا المقام القائد الثاني لجيش الإفرنج (إبلو) الذي اعتقل في قرطبة لبعض الوقت، فهل كان أسيراً، أما رهينة قيمة لدى عبد الرحمن الأوسط يمكن استخدامها في وقت معين أم سوف يتم مبادلتها بالعديد من الأسرى المسلمين! فالصمت من قبل المصادر وكتابات المؤرخين تمنعنا من حسم الأمر!

وبالرغم من انقطاع التلاحم العسكري بين جيوش قرطبة والجيوش الإفرنجية في المنطقة فترة من الزمن فإن العلاقات القائمة كانت عدائية، إذ لم يكف أي من الطرفين عن تشجيع حوادث التمرد في بلد الآخر (٢٩٣).

وعند استقرار الأحوال الداخلية في الدولة الأموية سعي الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى تسير الجيوش من قرطبة إلى مناطق النفوذ الفرنجي في شمال وشرق إسبانيا، فجرد جيشاً إلى أطراف برشلونة في سنة (٢٢٤هـ/٨٣٨م) بقيادة ابنه الحكم، وأمره بالتجول في جهات الثغور ليتعرف أخبارها، ودخل الحكم دار الحرب فقتل من المشركين مالا يحصي وأجمع من

(٢٩٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٥٦؛ محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة، ص ١٧٣، ١٧٤.
(٢٩٣) جوزيف رينو: الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا، ترجمة إسماعيل العربي، دار الحداثة، بيروت ١٩٨٤، ص ١٣٣.

رءوسهم أكداًس كالجبال حتى أن الفارس يقف من ناحية، فلا يري صاحبه من الناحية الأخرى من عظمها (٢٩٤).

ثم إن دولة الفرنجة انقسمت على نفسها فاندلعت الحروب في جوانبها إثر وفاة لويس التقي بن شارلمان سنة (٨٤٠هـ/٢٢٦م) (٢٩٥)، فحاول الأمير عبد الرحمن الأوسط الإفادة من ذلك في تدعيم موقف المسلمين ضد دولة الفرنجة وذلك بمساعدة الثائرين ضدهم في أملاكها الإسبانية (٢٩٦)، كما سير حملة إلى برشلونة سنة (٢٣٦هـ/٨٥٠م) (٢٩٧)، بالإضافة إلى ذلك فقد رصد تحركات الفرنجة في البحر، وتغلب على أسطولهم في أكثر من موقعة ونشر قواته في عدد من الجزر في غربي البحر المتوسط (٢٩٨).

وتميز عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط بالنشاط النسبي في مجال حروبه مع نصارى الشمال (٢٩٩)، حيث وجه عام (٢٠٨هـ/٨٢٣م) أول حملة عسكرية نحو الشمال بقيادة عبد الكريم ابن عبد الواحد فاتجهت نحو ألبّة والقلاع، فهزم جموع النصارى وخرّب المدن والقرى واستولى على مخازن المؤن والذخائر مما أجبر حكام تلك المنطقة على دفع الجزية وإطلاق سراح الأسرى المسلمين (٣٠٠).

(٢٩٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٥.

(٢٩٥) فشر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦م، ق ١، ص ١٠٠.

(٢٩٦) محمد مرسى الشنيخ: دولة الفرنجة، ص ١٧٧، ١٧٨.

(٢٩٧) ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ٥٧.

(٢٩٨) أرشبالد لويس: القوي البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، لترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (د. ت)، ص ٩٩، ١٠٠.

(٢٩٩) إبراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا، ص ٢٥١.

(٣٠٠) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٧٦؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٤٤، ٣٤٥.

وكانت هناك بعض معاهدات الصلح تُفرض بعد الانتصارات التي يحققها أهل الأندلس على جليقية وبقية المناطق الأخرى، من ذلك مثلاً الصلح الذي فرضه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث على الجلالقة، بعد أن غزاهم سنة (٢٠٨ هـ/ ٨٢٣ م) بغزوته المعروفة بغزاة ألبه والقلاع والتي كانت رداً على هجومهم على مدينة سالم في الثغر الأعلى. وكان من بنود هذا الصلح إطلاق سراح جميع الأسرى من الأندلس، ودفع جزية كبيرة، وتسليم بعض زعماء المنطقة إلى الدولة ليكونوا رهائن، ضماناً لعدم اعتدائهم في المستقبل (٣٠١).

ولكن لم يحافظ أهل جليقية على الصلح حيث أغار ألفونسو الثاني ملك جليقية على مدينة سالم Medinaceli من أعمال الثغر الأعلى، وخذت حذوه بعض القبائل الجبلية من أهل بسكونية، فأغارَت على أطراف الثغر وعاثت فيها، فاخترق الحاجب بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد ابن مغيث، بسائط ألبه والقلاع، وهزم النصاري في عدة مواقع، وعاث في ألبه وخرب مدينة ليون وأحرق حصونها، واشترط على النصاري أن يدفعوا جزية كبيرة، وأن يطلقوا أسرى المسلمين، وأن يسلموا بعض زعمائهم كفالة بسكينتهم، وعاد الحاجب إلى قرطبة مثقلاً بالغنائم والسيبي. سنة (٢٠٩ هـ/ ٨٢٤ م) (٣٠٢).

وباتخاذ القائد عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، رهائن من زعماء أهل بسكونية يضمن عدم اعتدائهم مرة أخرى على المسلمين وعدم مساعدتهم للفرنجة وأنه قد يستخدم هؤلاء الزعماء فيما بعد بتبادل أسرى المسلمين، ولكن لم تكن هذه المعاهدات تُحترم كثيراً من قبل

(٣٠١) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٤٧.

(٣٠٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٥٦.

أمراء الأسبان، بل كانت تُنقص في معظم الأحيان، خاصة إذا ما شعروا بقوتهم وضعف الدولة العربية الإسلامية في الأندلس (٣٠٣).

حيث نجد أنه في العام التالي (٢٠٩هـ/ ٨٢٤م) تحرك جيش إسلامي نحو الشمال، لكنه لم يتخط الحدود الإسلامية، إذ فاجأ المرض قائد الجيش عبد الكريم بن مغيث وكان مرضه الذي توفي به، فعين الأمير مكانه القائد أمية بن معاوية بن هشام، الذي غزا بالصائفة إلى مدينة أوريط (٣٠٤) ثم تقدم نحو شنت بربه، وتدمير وذلك لكي يعمل على تهدئة الثورة في تلك المناطق، فلم تخرج هذه الغزوة خارج الحدود (٣٠٥).

وخرجت حملة سنة (٢١٠هـ/ ٨٢٥م) بقيادة حاكم جيان فرج بن مسرة (٣٠٦) فتوغل في المناطق الشمالية وأفتتح حصن القلعة أو القليعة وعاد منتصرا، فهذه الحملة لم تخرج من قرطبة (٣٠٧).

وخرجت العديد من الصوائف لمهاجمة نصارى الشمال (٣٠٨)، فكانت هذه الحملات تهدف لتدمير الحصون والقلاع والاستيلاء على ما تحويه من ذخائر وموئن، وبلا شك أن هذه

(٣٠٣) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٤٥.

(٣٠٤) مدينة أوريط: (Oreto): بالضم ثم السكون وكسر الراء وياء وطاء مهمله مدينة بالأندلس بين الشرق والجوف، وهي مدينة قديمة، و مذكورة مع مدينة طليطلة، وهي معها في حد واحد من قسمة قسطنطين، وإنما عمرت قلعة رباح وكركي بخراب أوريط. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٧٩.

(٣٠٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٥٣؛ خالد الصوفى: تاريخ العرب في الأندلس، ص ٢١٠.

(٣٠٦) فرج بن مسرة بن سالم: (٢١٧هـ/ ٨٣٢م)، سماه بن حزم فرج بن سالم ناسبا إياه إلى جده، وسالم المذكور هو بن ورعالم بن وكذات المصمودي من موالي بني مخزوم وإليه تنسب مدينة سالم، أما حفيده الفرغ بن مسرة فهو الذي تنسب إليه مدينة الفرغ، التي كانت تسمى وادي الحجارة إحدى مدن الثغر الأوسط؛ لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٣٢٩.

(٣٠٧) ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢١٥.

(٣٠٨) حيث خرجت حملة سنة (٢١٠هـ/ ٨٢٥م) بقيادة عبيد الله البلسني، الذي استطاع تحقيق النصر على جيوش اشتريش قرب جبل المجوس في معركة وصفت بالكبيرة حتى أنه أطلق على الغزوة إسم غزوة الفتح، وفي نفس العام تمكن المسلمون بقيادة العباس بن عبد الله القرشي من مهاجمة مدينة جليقية والتوغل حتى بازو (Vizeu)، ثم خرجت صائفة أخرى عام (٢١٣هـ/ ٨٦٢م) بقيادة عبد الله البلسني فجال في أرض العدو حتى بلغ برشلونة وظل ينتسف ويخرب بها ستين يوما، و توقفت الغزوات

الحملة ألحقت ضربات موجعة بالاقتصاد الإسباني الفقير، ولكن هذه الحروب الاقتصادية ضد الأسبان لها نتائجها السلبية على المسلمين إذ أصبحت الإغارة على الثغور الإسلامية من أجل السلب والنهب تشكل أحد أسباب الغنى للنصارى مما زاد من متاعب قرطبة. وقد حدثت بعض الاتفاقات بين إمارة نافار وعبد الرحمن الأوسط، وكانت هذه الإمارة قد بدأت بالتححر من سيطرة الإفرنج وتدخلهم في شؤونها مما جعلها تتوجه إلى الأندلس لطلب العون والإسناد. ولهذا السبب فقد جاءت سفارة نافارية إلى بلاط عبد الرحمن الأوسط في قرطبة، وعقدت معاهدة بين الطرفين، تعهدت الدولة بموجبها بحماية نافار من أي اعتداء خارجي، مقابل مساعدة النافاريين لأهل الأندلس فيما إذا أرادوا عبور جبال ألبرت إلى فرنسا (٣٠٩).

ولم ترد نصوص تخبرنا عن أحوال الرهائن في هذه الفترة، فمن المحتمل أن أمراء الأندلس في هذه الفترة كانوا يستخدمون هؤلاء الرهائن وخصوصاً أنهم على قدر كبير من الأهمية في فداء الأسرى المسلمين حيث أن الحروب والمعارك لم تنقطع بين المسلمين في الأندلس والإمارات النصرانية في الشمال وكذلك اعتداءات الفرنجة المستمرة على الدولة الإسلامية، حيث اهتم الأمير هشام بفداء أسرى المسلمين ولم يبقَ في عهده منهم أحد في قبضة العدو (٣١٠).

ولم تستأنف إلا في عام (٢٢٣هـ / ٨٦٢م) فأرسل الأمير عبد الرحمن الأوسط ثلاث حملات متتالية إلى مملكة اشتريش . عنان، دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٦١.

(٣٠٩) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ١٤٥.
(٣١٠) مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٢٠؛ عنان، دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٢٩.

الفصل الرابع

الرهائن السياسيون في الأندلس منذ عهد الأمير محمد إلى نهاية عصر الإمارة (٢٣٨-٣١٦ هـ

٨٥٢-٨٥٢ م).

أولاً: رهائن الصراعات الداخلية في الأندلس.

١ - عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣ / ٨٥٢-٨٨٦ م).

٢ - عهد الأمير عبد المنذر (٢٧٣-٢٧٥ هـ / ٨٨٦-٨٨٨ م).

٣ - عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م).

٤ - عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣١٦ هـ / ٨٢٢ - ٩٢٨ م).

ثانياً: رهائن الصراعات الخارجية في الأندلس.

١ - رهائن الصراعات الخارجية منذ عهد الأمير محمد إلى نهاية عصر الإمارة

(٢٣٨-٣١٦ هـ / ٨٥٢-٨٥٢ م).

رهائن الصراعات الداخلية في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣ م)
(٨٥٢ / - ٨٨٦ م)

شاء القدرُ أن يكونَ عهدُ الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣ هـ / ٨٥٢-٨٨٦ م) بدايةَ عصرٍ من أخطرِ عصور التاريخ الأندلسي، وأشدّهم خطراً على ملك بني أمية، وعلي دولة الإسلام في الأندلس، ذلك أنه ما كاد يتبوأ العرش حتى بدأت طلائع تلك الثورة الجارفة، التي قدر له أن يضطلع بكفاحها طوال حكمه، الذي امتدّ لخمسٍ وثلاثين عاماً، والذي يصفه ابن حيان بقوله: "والمشوب آخره بالتنكيد، المنصرم عن فرقة الجماعة، ونجوم النفاق بكل جهة"^(١)، فهذه الثورات اتبع الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط سياسة قائمة على اتخاذ رهائن من المناطق النائرة وذلك حتى يضمن ولائهم وعدم خروجهم عليه، فهل حققت سياسة اتخاذ الرهائن الهدف المنشود منها في عهده أم لا؟.

ولأوّل مرة يطالعنا خبر المكان الذي تم فيه احتجازُ الرهائن الأطفال في قرطبة، حيث تم حجزهم في دار تسمي بدار الرهن ولم يرد أي ذكر لدار الرهن في كتابات المؤرخين إلا عند ابن القوطية^(٢) في خبر وحيد يؤكد ابن حيان في المقتبس^(٣)، فيسوق لنا ابن القوطية أخباراً غايةً في الأهمية عن معاملة الرهائن، حيث يذكر:

(١) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٩١.

(٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠٦.

(٣) ورد ذكر دار الرهائن عند ابن حيان: عند ذكر عبد الرحمن بن مروان الجليقي الذي قدم ابنه عبد الله رهينة لطاعته للأمير عبد الله بن محمد؛ ابن حيان: المقتبس، إسماعيل العزب، ص ٣٣.

"أن الوزير أمية بن عيسى بن شهيد^(٤) على عهد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن الأوسط أنه ذهب يوماً إلى دار الرهائن بقرطبة المجاورة لباب القنطرة لتفقد رهائن بني قسي وغيرهم من أبناء الثوار على الدولة، فوجدهم ينشدون شعر عنترة^(٥) الحماسي أمام المؤدب، فما كان من الوزير إلا أن نهر المؤدب وقال له: "لولا أنني أعذرك بالجهل لأدبتك أدباً موجعاً، تعمد إلى شياطين أبناء شياطين، قد شجي بهم الخلفاء، فتروهم شعر عنترة والشعر الذي يزيدهم بصيرة في الشجاعة؟ كف عن هذا ولا تروهم إلا خمريات الحسن بن هاني^(٦)، وشبهها من الأهزال، ومثل شعر عمر بن أبي ربيعة^(٧)، وجميل بثينة^(٨)، وغيرهما من أمثاله^(٩)."

(٤) أمية بن عيسى بن شهيد: أصله إلى أسرة بني شهيد التي تعد من أكبر الأسر الأندلسية وأثرها وأشهرها في عصر الإمارة والخلافة، وقد تصرف أفرادها لخلفاء بني أمية في الخطط الكبرى من القيادة والكتابة والوزارة والحجابة إلى انقراض الدولة المر وانية، وتنتهي هذه الأسرة إلى شهيد بن عيسى بن شهيد بن وضاح، وكان أمية بن عيسى بن شهيد من أجل وزراء الأمير محمد، كان يتعاقب مناصب ولاية المدينة هو والوليد بن غانم، وهو من أهم مناصب الدولة يومئذ لما يتطلبه من الحزم وقوة الشكيمة والقرار. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩٨؛ ابن حبان المقتبس: مكي، هامش ص ٢٦٥، ٢٦٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣١٣.

(٥) عنترة: عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العنسي من أهل نجد، وهو من أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى؛ أمه حبشية اسمها زبيبة، سري إليه السواد منها؛ وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وكان من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده وفي شعره رقة وعذوبة؛ ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ط ٢، أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٨ م، ج ١، ص ٢٥٠؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، دمشق ١٩٥٧ م، ج ٢، ص ٥٨٧، الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ٩١.

(٦) الحسن بن هاني: (١٤٦-١٩٨ هـ/٧٦٣-٨١٣ م) المعروف بابي نؤاس ويكنى أبا علي شاعر العراق في عصره؛ ولد في الأهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها وعاد إلى بغداد فأقام بها إلى أن توفي فيها، وفي تاريخ ابن عساكر أن أباه من أهل دمشق وفي تاريخ بغداد أنه من طي من بني سعد العنبرية، وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية، وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره خمرياته. ابن المعتز: طبقات الشعراء، عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦ م، ج ١، ص ١٩٣-٢١١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٢٧٩، ٢٨٠؛ الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٧) عمر بن أبي ربيعة: أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة القرشي المخزومي عمر بن أبي ربيعة، ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب سنة (٢٣ هـ / ٦٤٣ م) فسمي باسمه، وهو أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفريز، ولم يكن في فريش أشعر منه، وهو كثير الغزل والنوادر والمجون والخلاعة، وله في ذلك حكايات مشهورة، وكان يقد على عبد الملك بن مروان فيكرمه، رُفِعَ إلى عمر بن عبد العزيز أنه يتعرض للنساء فنفاه إلى ذلك، ثم غزا في البحر فاحتُرقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقاً، سنة (٩٣ هـ / ٧١١ م). ابن حلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج ٣، ص ٤٣٦؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ط ٢، سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ج ١، ص ١٣٠-١٦٩.

(٨) جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو: شاعر، من عشاق العرب، افتتن ببثينة، من فتيات قومه، فقتلها الناس أخبارهما؛ شعره يذوب رقة، أقل ما فيه المدح، وأكثره في النسيب والغزل والفخر. الأصفهاني: الأغاني، ج ٨، ص ١١١، ص ١٣٦؛ الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١٣٨.

(٩) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠٦.

ومن هذا النص السابق نستدل على العديد من الأمور التي تفيد الدراسة وتجعلها في مسارها الصحيح، وهذا النص يؤكد وجود دار مخصصة للرهائن الأطفال في مدينة قرطبة بجوار باب القنطرة وأن لهم مؤدبين يقومون على تعليمهم، ويؤكد أيضاً أن الإمارة الأموية في هذه الفترة ورجالها كانوا حريصين على أن يتلقى هؤلاء الأطفال نوعاً معيناً من الثقافة ألا وهو ثقافة الهزل والخمریات، وهذا النوع من التعليم كان مقصوداً، لكي يقضي على همم هؤلاء الأطفال، ولكي ينشئون على حب النساء والخمر، فتكون همهم فطرةً عديمي النخوة والمروءة، وذلك حتى يتسنى للأمرء الأمويين السيطرة على هؤلاء الأطفال عندما يشبوا ويكونون خلفاء لآبائهم. وهذا النص يبين مدي انتشار هذا النوع من الثقافة التربوية العسكرية بين شباب الأندلس إلى درجة أن أحد الوزراء حاول حجها عن كل من لا يستحقها من الخارجين على الدولة، ويتضح كذلك أن الأطفال كانوا يتعلمون في دار الرهائن في قرطبة العقيدة والأخلاق والأفكار والعادات والتقاليد وغير ذلك من السلوكيات السلبية التي تجعل أمر السيطرة عليهم فيما بعد سهلاً من قبل الأمويين تبعاً لاعتقادهم، والأحداث التاريخية سوف تظهر هل حققت هذه التربية مقاصدها أم لا؟.

أهل طليطلة ومقايضة الرهائن:

بجرد أن تولى الأمير محمد بعد وفاة الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة (٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م) أعلن أهل طليطلة الثورة فور وصول خبر وفاته إليهم، بتحريض من مسوكة بن مطرف وأنه سوف يساعدهم بجماعته وأعوانه المقيمين معه بجبل الأخوين الواقع على هضبة قريبة من طليطلة

فاستجاب أهالي طليطلة، واشتعلت الثورة داخل المدينة، ولم يكتفِ أهل طليطلة هذه المرة بالانفراد وحدهم بالثورة بل أشركوا معهم بربر البرانس من سكان طليطلة وينفرد ابن حيان بالإشارة إلى المشاركة البربرية بقوله " واشترك مع أهل طليطلة في هذه الثورة البرانس البربر فكثرت جمعهم وسعروا البلاد حولهم " وكان ذلك في يوم السبت الرابع عشر من ربيع الثاني (١٠) وبدءوا في محاربة حاكم طليطلة حارث بن يزيع، والأمير سعيد بن عبد الرحمن الأوسط، ومع شدة الحصار من قبل أهل طليطلة من الداخل وابن مطرف من الخارج قامت الحامية الأموية التي عجزت عن إخماد الثورة في المدينة بإخراج الأمير سعيد من باب القنطرة ومكنوه من الفرار، بينما وقع حارث بن يزيع أسيراً في أيدي الثوار (١١).

وبذلك يكون قد وقع في أيدي الثوار صيدٌ ثمين سوف يكون له تأثيرٌ كبيرٌ على سير الأحداث السياسية في عهد الأمير محمد، حيثُ قابض أهل مدينة طليطلة الأمير محمد فعرضوا عليه إطلاق سراح الوالي (حارث بن يزيع) مقابل إفراجه عن الرهائن المحتجزين من أهل طليطلة في قرطبة منذ عهد أبيه الأمير عبد الرحمن، فخضع الأمير محمد لمطالب الثوار بالفعل، وأفرج عن رهائن مدينة طليطلة الذين لم يفرجوا عن الوالي الأسير حارث بن يزيع إلا عند وصول رهائتهم إلى المدينة (١٢).

وبذلك نجح أهالي المدينة في استرجاع زعمائهم القادرين على قيادة الثورة وذلك في الوقت الذي كان يظن فيه الأمير محمد أنه بهذا التصرف أنه يخرجه من المدينة النائرة عليه، ولكن مدينة طليطلة لم تكف عن الخروج والثورة حيث إنه في سنة (٢٣٩ هـ / ٨٣٥ م) هدم أهالي

(١٠) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٩١؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٥٩.

(١١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٤؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٤١.

(١٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٩٢.

طليطلة أسوار قلعة رباح وهاجموا أهلها فما كان من الأمير محمد إلا أن أرسل أخيه الحكم إلى قلعة رباح لإعمارها وإعادة من فر من أهلها وبعد انتهائه من مهمته أكملها بتخريب طليطلة ونواحيها (١٣)، ولكن هذا العمل لم يردع أهالي طليطلة، ففي شهر شوال من نفس العام أخرج الأمير محمد إلى شندلة (١٤) قاسم بن العباس وتمام بن أبي العطف صاحب الخيل، ومعهما الحشم. فلما حلا بأندوجر (١٥) خرجت عليهم كائن أهل طليطلة ووقعت الحرب وكثر القتل فانهمز قاسم وتمام، وأصيب ما في المعسكر ونهب أهل طليطلة وهددوا المصالح الأموية، فجهز الأمير محمد جيشاً وتوجه به إليهم في شهر المحرم سنة (٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م)، وكانت أول حملة يقودها بنفسه بعد تبوئه الملك (١٦).

وكان عماد الثورة في طليطلة جمعاً كبيراً من المولدين والنصارى الذين تحركهم روايات المتعصبين، عن الاضطهاد الذي يلقاه إخوانهم في قرطبة، وكانوا يتطلعون دائماً إلى عون ملوك النصارى فلم علم أهل طليطلة بقدمه، قاموا بطلب المساعدة من ملك جليقية وأشتوريش، فلي ملك جليقية أردون بن إذفونش طلب أهالي طليطلة (١٧)، وأرسل جيشاً كبيراً يقوده أخوه غشتون Gaston قومس بيرزو Conte de Bierzo بجيش كبير من النصارى (١٨)، ففرج الأمير محمد حتى وصل وادي سليط (١٩) وقام بوضع الكائن فيه، وأتجه إلى مدينة

(١٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١١٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٤.

(١٤) شندلة: هو حصن واقع على النهر المسمى بهذا الاسم Jandula، وهو من أفرع الوادي الكبير. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٩٢؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٥٩.

(١٥) أندوجر: يطلق عليه ياقوت الحموي: أندوشر وهو بالضم ثم السكون والشين معجمة وهو حصن بالأندلس بقرب قرطبة؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٦٤.

(١٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٢٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٤.

(١٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٤، ٩٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٢٧.

(١٨) (Provençal (Lévi), Histoire de l'Espagne Musulmane, Paris, 1950, T.1, P.293. 4

(١٩) وادي سليط: وهو الوادي الذي يخترقه النهر المسمى بهذا الاسم Guazalete، وهو أحد أفرع التاجية الجنوبية وهو على مقربة من طليطلة؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٩٣.

طليطلة بأعداد قليلة نفرج غشتون بسرعة طامعاً في النصر والمكاسب مستغلاً أعداد جيش الإمارة القليلة، وعند وقوع المعركة خرجت الكتائب وأحاطت الخليل بالعدو فولوا الأدبار (٢٠) وقتل منهم عددٌ كبيرٌ اختلف في إحصائه بين ثمانية آلاف فتيل وعشرين ألف قتيل (٢١)، وأسّر منهم كذلك عددٌ جم بينهم الكثير من القساوسة وقد أعدموا على الفور ورسّمت رؤوس القتلى، وأذن فوقها لصلاة الظهر وكان نصراً عظيماً (٢٢)، سطره عباس بن فرناس (٢٣) في شعره (٢٤)، ولم يستغل الأمير محمد انتصاره ويحكم قبضته على مدينة طليطلة، ولكنه في سنة (٨٥٥ هـ / ٨٥٥ م) قام بإمداد قلعة رباح بالمؤن والرجال للتضييق على أهل طليطلة (٢٥)، وفي سنة (٨٥٦ هـ / ٨٥٦ م) وجه الأمير محمد ابنه المنذر إلى طليطلة فقام المنذر بمحاصرتها وتدمير ما حولها (٢٦)، ورغم ذلك استمرت ثورة أهالي طليطلة نفرجوا في سنة (٨٥٣ هـ / ٨٥٣ م) إلى طليطلة (٢٧) مبتعدين عن قلعة رباح لعلهم أنها كاملة التجهيز وفي طليطلة أعد لهم

(٢٠) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٢٠، ١٢١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٤، ٩٥.
(٢١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٢٢٧؛ لسان الدين: أعمال الأعلام، ص ٢٠؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٦٧؛ المقرئ: فتح الطيب، ج ١، ص ٣٥٠.
(٢٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٥؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٦٣، ٦٤.
(٢٣) عباس بن فرناس: من أهل قرطبة، من موالى بني أمية، وبيته في برابر (تاكرونا) وظهر في عصر الحكم الرضوي، و برع منذ فتوته في الفلسفة والفلك والكيمياء ووصف بأنه حكيم الأندلس، كان حاذقاً بعلم التنجيم وهو أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة وصنع الآلة المعروفة بالمنقانة ليعرف الأوقات وكان كثير الاختراع حتى نسب إليه السحر، واحتال في تطيير جيشانه فهو أول طيار اخترق الجو، وأثار ابن فرناس باختراعاته المدهشة ريب الجاهل فاتهم بالزندقة، ولكن القضاء لم يجد سبيلاً إلى إدانته، وتوفي في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة (٢٩٤ هـ / ٩٠٦ م). ابن سعيد: المغرب، ج ١، ص ٣٣٣؛ المقرئ: فتح الطيب، ج ٣، ص ٣٧٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٥، ص ٢٥٢؛ الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٢٦٤.
(٢٤) وصف عباس بن فرناس هذه المعركة بقوله:
يكي جبلا وادي سليط فأعولا على نفر العبدان والعصبة الغلف
قتلنا لهم ألفاً وألفاً ومثلها وألفاً بعد ألف إلى ألف
سوي من طواه النهر في مستلجّه فأغرق فيه أو تهدد من جرف

عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٩٣.
(٢٥) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٨٨.
(٢٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٦.
(٢٧) طليطلة: بفتح أوله وثانيه وكسر الباء الموحدة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة وراء همزة مدينة الأندلس من أعمال طليطلة وتقع في أقصى ثغر المسلمين؛ وهي باب من الأبواب التي يدخل منها إلى أرض المشركين، وهي مدينة قديمة أزلية على نهر تاجه بينها وبين طليطلة سبعون ميلاً. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٧؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٨، ١٢٨.

القائد مسعود بن عبد الله العريف الكائن وهزمهم وأرسل سبعائة من رؤوس أكابرهم إلى قرطبة (٢٨).

وفي العام التالي سنة (٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م) خرج الأمير محمد بنفسه على رأس الصائفة إلى طليطلة، وقد قل عددهم وضائق معيشتهم، ولكن أهلها اعتمدوا على حصانة مدينتهم ومنعتها واكتفوا بالحرب من وراء الأسوار وعلي القنطرة التي تربط المدينة عبر النهر بالأرض المحيطة بها (٢٩) وأمام رغبة الأمير محمد في الانتقام من أهالي المدينة ومعرفته بحصاتها لجأ للحيلة حيث أنه جلب معه البنائين والمهندسين طالباً منهم أن يوهنوا بناء القنطرة دون أن يعلم أهلها، فلما نزلوا عليها اندقت بهم وسقطوا في النهر ولم يترك محمد هذه المرة وسيلة إلا استعملها لسحق المدينة الثائرة، فخرب حصونها ومعالمها، وأوقع بأهلها قتلاً وتشريداً فأسرعوا في طلب الأمان من الأمير محمد في سنة (٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) (٣٠)

وفي ذلك يقول الشاعر عباس بن فرناس مهتماً بهذا النصر.

يا ابن الخلائف يا محمد يا من سيفه في راحة النصر
أضحت طليطلة معطلةً من أهلها في قبضة الصقر
تركت بلا أهل تؤهلها مهجورة الأكاف كالقبر
ما كان يبغي الله قنطرة نصبت لجل كائب الكفر (٣١)

وأذن أهل طليطلة للطاعة سنة (٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) وهم يعترفون النكث في قرارة أنفسهم متى سنحت الفرصة، وهكذا لبث طليطلة عصراً تضني حكومة قرطبة بتمرداتها وثوراتها المتوالية،

(٢٨) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٢٨؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٦٦.

(٢٩) حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٦٦.

(٣٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٩٥.

(٣١) المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ١٦٢؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٦٧.

وكانت حاضرة القوط القديمة تشعر دائماً بقوتها ومنعتها الطبيعية، وكانت فوق ذلك مثوي التيارات النصرانية الخطرة تنساب إليها من نصاري الشمال، ومن النصاري المعاهدين بقرطبة، ومن أهلها أنفسهم، والواقع أن طليطلة كانت بوعورة موقعها على المنحدر الصخري الممتد نحو نهر التاجه، وإحاطة النهر بهذا المنحدر الوعر ثم بحصونها القوية وأسوارها العالية الضخمة من أمنع مدن العصور الوسطى وما تزال إلى اليوم حين تتأملها وتجتول فيها، تذكرنا بموقعها الصعب وطرقها الصخرية الوعرة وبقية أسوارها وحصونها المنيعه، بما كان لها من سابق الحصانة والقوة فيما خلا من العصور (٣٢).

ولكن لم يلبث أن عاد أهل طليطلة إلى الثورة ونكثوا عهدهم بعد أن عقد لهم الأمير محمد الأمان وأدخلوا لب بن موسى بن موسي القسوي بلدهم، وعادوا إلى الخلاف ونبد الطاعة، و في سنة (٢٥٧ هـ / ٨٧٠ - ٨٧١ م) " كان حال أهل طليطلة بين الإلتزاء والطاعة وأنهم سألوا الأمير محمد أن يولي عليهم أحد زعمائهم واسمه محمد بن بلوش، فلما ولاه عليهم قتلوه (٣٣) فتوجه إليهم الأمير محمد في سنة (٢٥٩ هـ / ٨٧٣ م) وقام بمحاصرتهم (٣٤) إلى أن طلب أهلها الأمان فأعطاهم الأمان وهو الأمان الثاني (٣٥)، وذلك على أن يأخذ منهم رهائن ويقبلوا العمال المقامين عليها وأن يدفعوا له العشور كل عام (٣٦).

(٣٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٩٥.

(٣٣) حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٧٠، ٧١.

(٣٤) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٦٣.

(٣٥) الأمان الأول أعطاه الأمير محمد بن عبد الرحمن لأهل طليطلة سنة (٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) وذلك بعد حادثة القنطرة الشهيرة سنة (٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م) حيث أمر الأمير محمد بقطع القنطرة، وجمع العرفاء من البنائين والمهندسين، وأداروا الحيلة من حيث لا يشعرون أهل طليطلة؛ ثم نزلوا عنها؛ فبينما هم مجتمعون بها، إذ اندقت بهم، وتهدمت نواحيها، وانكفأت بمن كان عليها فغرقوا في النهر عن آخرهم؛ فكان ذلك من أعظم صنع الله فيهم، فكان لهذه المكيدة أثر كبير على أهل طليطلة فطلبوا الأمان من الأمير محمد؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٦.

(٣٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٤٤؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠١؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٩٠؛ عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٩١، ٢٩٢؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٥٩.

ومن هنا ظهر أن الأمير محمد أراد أن يضغط على أهالي طليطلة ويخيفهم بورقة الرهائن، وذلك كي يضمن سكونهم وعدم جنوحهم إلى الثورة، وكذلك أنه وجد أن قوة النواحي الاقتصادية بطليطلة أحد دعائم ثورتها فأخذ منهم العشور لعله يقلل من قوتهم وقبل الأمير محمد أراء أهل طليطلة في تولية من يروونه مناسباً لهم، فقد اختلف أهلها في من يقوم والياً عليهم، ففريقٌ يري تولية مطرف بن عبد الرحمن، وفريق يري تولية رجل يدعى طريشة بن ماسوية وأمام هذين الرأيين قام الأمير محمد بتقسيم طليطلة وأقاليمها بين هذين الرجلين

وذلك بمشورة وزيره هاشم بن عبد العزيز^(٣٧)، وقد كانت الغلبة فيما بعد لآخرهما^(٣٨) وقد كان غرض الأمير من هذا التقسيم هو أن يشغل أهل طليطلة بأنفسهم، ولكن اتخاذ الرهائن من أهالي طليطلة لم يقض على خروجهم المستمر والأحداث التاريخية تؤكد ذلك حيث إنه في سنة (٨٥٩ هـ/٨٧٢-٨٧٣ م) هاجم أهالي طليطلة حصن سكيان^(٣٩) الذي يقطنه البربر فتلقى أهل طليطلة هزيمة شديدة وقتل عددٌ كبيرٌ منهم^(٤٠)، والمصادر التاريخية كعاداتها تقف صامتة في أغلب الأحيان عن مصير هؤلاء الرهائن الذين أحتجزهم الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط!

(٣٧) هاشم بن عبد العزيز: أصله من موالي عثمان بن عفان الذين حازوا الرياسة والجلالة بالبيرة وعظم قدره بقرطبة عند الأمير محمد بن عبد الرحمن حتى صيره أخص وزرائه وأسند إليه أمور بلاده وعساكره وهو أحد رجالات المروانية بالأندلس، وقال ابن سعيد عنه (في المغرب): أنه أقصد الدولة أيام محمد بن عبد الرحمن، وكان على رأس جيش توجه إلى غرب الأندلس، فأسر، وفداه السلطان، فعاد إلى مكانته عنده؛ ولما مات الأمير محمد، وولي ابنه " المنذر " ولاد الحجابة مدة يسيرة، ثم نكبه، لأشياء حقدوا عليه في خلافة أبيه، فحبسه وعذبه ثم قتله. ابن الأبار: الحلة السبراء، ج ١، ص ١٢٧؛ ابن سعيد: المغرب، ج ٢، ص ٩٤.

(٣٨) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٢٦٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٩٠، ٣٩١.

(٣٩) حصن سكيان: يقع شمال غرب مدينة طليطلة ويبدو أنه تحول فيما بعد إلى مدينة أهلة بالسكان؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، هامش ص ٧٣.

(٤٠) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٤٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٩٠، ٣٩١.

رهائن مدينة ماردة:

لم تكف مدينة ماردة عن الثورات ضد الإمارة الأموية، ولكن هذه المرة كانت على يد عبد الرحمن بن مروان الجليقي^(٤١)، وذلك ليكمل مسيرة والده مروان الجليقي في الثورة ضد الإمارة الأموية، وهو الذي قاد مدينة ماردة في الثورة على عهد الأمير الحكم سنة (٢٠١ هـ / ٨١٦ م)^(٤٢)، ومروان الجليقي قد عاد إلى الطاعة للأمير عبد الرحمن الأوسط وأنه جنح للطاعة الأمر الذي اتهمه بقتله على يد الثوار في سنة (٢١٣ هـ / ٨٢٨ م)^(٤٣).

وقد استغل عبد الرحمن بن مروان الجليقي ظروف المدينة الثائرة وموقعها المتميز وحصانها الطبيعية وقوة أسوارها ومساعدة القوي المسيحية له ولاسيما أن مدينة ماردة كانت تضم جالية كبيرة من المولدين الذين ينتمي إليهم عبد الرحمن بن مروان الجليقي بالإضافة إلى طائفة قوية من نصارى الذمة، وكانت بحكم وقوعها على مقربة من مملكة أشتورياس تتلقي تشجيعاً من هذه المملكة على القيام بالثورة ضد قرطبة، وجنحت العناصر الغير عربية في ماردة إلى الارتباط بمملكة أشتورياس برابطة الحلف^(٤٤).

ونجح عبد الرحمن بن مروان الجليقي ورفاقه في الإعداد لثورة جديدة لم تلبث أن تفجرت سنة (٢٥١ هـ / ٨٦٥ م)^(٤٥) وشملت الثورة ماردة ونواحيها وكانت مدينة ماردة في مقدمة القواعد

(٤١) ينسب أسرة مروان الجليقي: أنظر ملاحق الرسالة، ص ١١٩.

(٤٢) ابن سعيد: المغرب، ج ١، ص ٤١ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ص ٢٣٩.

(٤٣) سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٤٠ - ٢٤٣.

(٤٤) سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٣١.

(٤٥) سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٤٠ - ٢٤٣.

التي يشك في ولائها وطاعتها، فلم يتردد الأمير محمد بن عبد الرحمن أن يتدارك هذا الخطر قبل أن يستفحل وأن يمحّد نارَ الثورة قبل أن تأتي على كل البلاد التي في الغرب ولذلك قام بتسيير حملة بقيادة الوزير أمية بن عيسى بن شهيد سنة (٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م) ووافاه الأمير بنفسه في قوة إضافية فأحكم حصارها ودمر مزارعها، ثم قفل بعد شهر من وصوله، وفي العام التالي غزاها الأمير محمد بنفسه، وتمكن بعد حصاره لها وتخريب دعائم قنطرتها من السيطرة على الموقف، وكان ذلك سبباً في إذعان أهلها وبذلهم الطاعة له بعد أن سلموا له زعماء الثورة وعلي رأسهم عبد الرحمن بن مروان الجليقي وابن مكحول وشاكر ورقط وأولادهم وذراريهم ليتخذهم رهائن يضمن بوجودهم في قرطبة انضواء ماردة إلى سلطانه، وتم هُدم أسوار مدينة ماردة والإبقاء على قصبة المدينة فقط لتكون مقرّاً للحاكم سعيد ابن العاص، ثم استعمل عليهم سعيد بن عباس القرشي والياً عليهم من قبله^(٤٦).

معاملة الرهائن:

أراد الأميرُ محمد بن عبد الرحمن الأوسط أن يتخلص من عناصر الثورة العصيان في مدينة ماردة وذلك بأن يقوم بنقلهم إلى مدينة قرطبة ليظلوا تحت عينيه ويقوم بمراقبة تصرفاتهم وبذلك يضمن بوجودهم في قرطبة سيطرته على مدينة ماردة.

(٤٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٩٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٠؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٤٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٠٠.

ولقد ظهر ذكاء الأمير محمد في معاملة رهائن مدينة ماردة، حيث إنه عمل على الاستفادة من هؤلاء الخارجين وعمل على تقريهم إليه، والعمل لدي جيش الإمارة (٤٧)، وأقام عبد الرحمن الجليقي في ديوان الأمير محمد بقرطبة فترة من الوقت تقدر بسبع سنوات، كان خلالها موضع عناية الأمير واهتمامه بحيثُ أُعْتَبِرَ من الحشم، كما ظفر بثقة رجال الدولة والبلط (٤٨)، والدليل على حسن المعاملة التي تلقاها رهائن مدينة ماردة هو سهولة هروبهم من قرطبة حيث نجح ابن عبد الرحمن الجليقي هو وأصحابه وذويه في الهروب بيسر شديد، وهذا يدل على أن الرقابة عليهم كانت منعقدة وذلك لأنهم لم يصدر عنهم محاولة للهروب طيلة السبع سنوات الماضية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يؤكد أن سياسة الأمير محمد تجاه الرهائن واسمالتهم وإرضائهم بالمناصب جعلهم مخلصين له عدة سنوات.

وكادت سياسة الأمير محمد تؤدي أوكلمها لولا تعرض عبد الرحمن بن مروان لسوء معاملة الوزير هاشم بن عبد العزيز، حيث وقعت مشادةً بينهما فأمر الوزير هاشم بن عبد العزيز بصفع قفاه واستدله بأن قال له: الكلب خير منك، فجعله يعجل بالفرار إلى الغرب، وفي نيته المعصية وخلع الطاعة (٤٩).

وبعض المؤرخين يرجع سبب هروب عبد الرحمن بن مروان الجليقي إلى رغبته الداخلية في الثورة والخروج وأنه لم يكن ليرضي بالتعتم هو وذويه في قرطبة ويتخلى هو ورفاقه عن قضية قومه في ماردة والغرب، بالإضافة إلى الشعور القومي الطاغى الذي كان يغمر جوانحه ويدفعه

(٤٧) عبد الفتاح عوض: فصول في تاريخ الأندلس، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ١٤.
(٤٨) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٠٤؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٤٥؛ عبد الفتاح عوض: فصول في تاريخ الأندلس، ص ١٤.
(٤٩) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٠٤؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٤٥؛ عبد الفتاح عوض: فصول في تاريخ الأندلس، ص ١٤.

دفعاً إلى ترقب الفرص المواتية للحاق بقومه ورفع راية الثورة من جديد ضد الحكم الأموي، وأنه كانت تحدوه الرغبة في الزعامة المطلقة على بلاد الغرب^(٥٠). وهذا هو رأي بعض المؤرخين الغربيين أو ترديد لآرائهم، خاصة أنهم يرفعون شأن كل خارج ومتعاون مع نصارى الشمال ضد الحكم الأموي إلى مرتبة الأبطال. حيث إنه طيلة السبع سنوات من سنة (٢٥٤ - ٢٦١ هـ / ٨٦٨ - ٨٧٥ م) لم يجد ابن مروان الجليقي فرصة للهروب هو وأصدقائه وأسرتهم من الرهن إلا عندما صفع على قفاه!.

ولكن سوء المعاملة التي تلقاها عبد الرحمن الجليقي وغيره من الزعماء الثائرين من كبار رجالات العرب الذين ليس لديهم القدرة على استمالة هؤلاء الثوار إلى جانبهم ونظرتهم إليهم نظرة احتقار وعنصرية، كانا هما السببان الرئيسيان فيما حدث للإمارة الأموية.

ونتيجةً لهروبه وخلعه الطاعة نعت بأحط الصفات كالغدر والخبث والشر والنفاق والبصر بالشر، فيخبر عنه ابن القوطية قائلاً " كان لابن مروان من العقل والكيد والبصر بالشر بحيث لم يوجد متقدم له فيه"^(٥١) ويصفه ابن حيان بالخبث والمروق^(٥٢).

(٥٠) سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٤٥.

(٥١) ابن القوطية: تاريخ إفتح الأندلس، ص ١٠١.

(٥٢) ابن حيان: المقتبس، محمود مكى، ص ٢٣٤؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٤٥.

هروبُ الرهائن وتأثيره على الأحداث السياسية:

اتفقَ عبد الرحمن الجليقي مع أصحابه الذين كان الأمير محمد قد اتخذهم رهائن بعد أن تمكن من استئزال أهل ماردة في سنة (٢٥٤هـ/٨٦٨م) علي أن يخرجوا متفرقين في أوقات مختلفة وعلي طرق شتي علي أن يتم اجتماعهم بحصن الثلج^(٥٣)، وأفلح عبد الرحمن الجليقي في الفرار من قرطبة في سنة (٢٦١هـ/٨٧٠م) مع ابنائه الثلاثة منتصر ومروان ومحمد، وكذلك أصحابه^(٥٤) وبعد وصولهم لحصن الثلج أشاعوا أن الأمير محمد قد مات وأعلنوا خروجهم عن الدولة الأموية وأخذوا يبنون الغارات في نواحي الحصن ويسلبون وينهبون^(٥٥)، ولما كان من الصعب علي عبد الرحمن الجليقي الدخول إلى مدينته لجا إلى بعض الحصون مع أنصاره في قلعة الحنش^(٥٦) الواقعة جنوب شرق ماردة^(٥٧) فملكها وامتنع بها^(٥٨).

فعمل علي إطلاق الغارات علي أهل الطاعة وكل من يدين بالطاعة للحكومة المركزية في جميع النواحي، وأوقعوا بكل من التقوا به من أتباع الدولة وأولي الأمر فيها من ولاة وعسكر وفرسان فكانوا يرجلونهم عن خيولهم، ويسلبون أمتعتهم وثيابهم ثم امتدت أيديهم إلى خيول العرب والبربر الذين ينزلون فيما جاورهم من القرى والضياع، فجمعوا منها في خمسة أيام خمسمائة

(٥٣) حصن الثلج: هو موضع قريب جدا من قلعة الحنش التي لاذ بها عبد الرحمن بن مروان الجليقي؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٤٨.

(٥٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٥٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٠.

(٥٥) سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٤٩.

(٥٦) قلعة الحنش: موضع قريب من بطليوس يتصف بالمنعة والحصانة، والإسم ربما يكون مشتقا من الكلمة الأسبانية الأيبيرية (Lanca) التي تعني عين، والظاهر أنها كانت عين ماء رومانية. لمزيد من التفاصيل انظر: سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، هامش ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٥٧) عبد الفتاح عوض: فصول في تاريخ الأندلس، ص ١٤.

(٥٨) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٥٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٢.

فرس، وأشاعوا الذعر وبثوا الرعب في نفوس الناس، ففر سكان هذه النواحي من البساط إلى قمم الجبال والحصون، وأرسلوا إلى الأمير محمد يستعينون به، وفي تلك الأثناء استولى مكحول بن عمر زميل الجليقي على قلعة جلمانية^(٥٩) القريبة منها، واجتمع إليهما جمع غفير من المارقين، فلما اشتد عيئهما خرج إليهم الأمير محمد بقوة كثيفة من عسكر قرطبة لقتالهم سنة (٢٦١ هـ / ٨٧٥ م)^(٦٠).

عبد الرحمن بن مروان الجليقي يقدم الرهائن للأمير محمد:

عندما علم عبد الرحمن بن مروان الجليقي في قلعة الحنش، ومكحول في جلمانية بقرب وصول الأمير محمد، حشد أعدادا غفيرة من المولدين الثائرين واستغاثا بزميلهما القديم سعدون بن عامر المعروف بالسرنباقي^(٦١)، وهو أيضاً من زعماء الثوار المولدين وكان يعيش في كنف

(٥٩) قلعة جلمانية: هي قلعة حصينة قريبة من قلعة الحنش، وهي الآن مدينة (Jurumenha) البرتغالية الحالية، وهي من أعمال مدينة إبرة (Evora) إحدى المقاطعات الشرقية في البرتغال، وتقع جلمانية على بعد خمسة وعشرين كيلو مترا إلى جنوب شرق بطليوس على الضفة اليسرى لواديانة، وقد تحولت مدينة جلمانية في أواخر القرن (السادس وأول السابع الهجري/ الثاني عشر والثالث عشر الميلادي) إلى مركز من أهم مراكز المثاغرة والجهاد ضد النصارى في الأندلس؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، هامش ص ٢٥٠.

(٦٠) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٢؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٤٩، ٢٥٠.

(٦١) سعدون بن فتح السرنباقي: هو صديق ابن مروان الجليقي، وناصره في العديد من المواقف أثناء ثورته ضد الأمير محمد، كان فارسا شجاعا في ميدان القتال، وفي عهد الأمير محمد أسره النورمان الخارجون بساحل الأندلس الغربي وفداه بعض اليهود إلى الجبل الذي نسب إلى قلنبرية وشنترين، وعاد إلى حياة المغامرة والسلب والنهب إلى أن قتل على يد الفونسو الثالث ملك ليون. ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٣؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٧٩.

ألفونسو الثالث^(٦٢) ملك ليون (٢٥٢-٢٩٨ هـ / ٨٦٦-٩١٠ م) في مدينة برتقال^(٦٣) جنوبي جليقية، فاستأذن سعدون من الملك ألفونسو الثالث في التوجه لمساعدتهم، فلم يتردد ألفونسو في السماح له بمساعدة رفاقه في الشقاق وتحمس لذلك كثيراً إذ وجد في ذلك إضعافاً لقوي المسلمين وتمزيقاً لوحدهم وتشجيعاً لجهود الدولة الأموية^(٦٤)، فلم يلبث سعدون أن توجه في قوة كبيرة من أتباعه وانضم إلى قوات ابن مكحول، ولكثرة القوات المجتمعة في قلعة جلمانية توجه الأمير محمد بقواته لمحاصرة قلعة الحنش وذلك بناءً على نصيحة وزرائه الذين قالوا له: "الجمع بجلمانية كثيف ولسنا نأمل أن نظفر بهؤلاء المارقين فيها على قلتنا فيقتصوا منك"^(٦٥)، ثم أقتعوه بالبدء بالأسهل وهو عبد الرحمن بن مروان الجليقي في قلعة الحنش^(٦٦) فضرب الأمير الحصار حول القلاع الثائرة وأمر بجمع الجيف الميتة من معسكره وأمر بإلقائها في الآبار التي يشرب منها الثوار المحاصرين حتى أن ماءها داد وفسد وأصبح لا يصلح للشرب، وفي نفس الوقت رتب وضع الرماة على ضفة النهر يحمون قواته عند وردهم للسقاية ويمنعون الثوار من مياهه فنجحت خطته وأشرف الثوار على الهلاك من العطش، ولما هم الثوار بالاستسلام فطنوا إلى إمكانية حفر عدد من الآبار خارج سور حصنهم والتوصيل بينهم عن طريق شبكة

(٦٢) ألفونسو الثالث: تولى الحكم سنة (٢٥٢-٢٩٨ هـ / ٨٦٦-٩١٠ م) وكان قد حكم أربع سنوات حكماً مشتركاً و٣ سنة منفرداً، فقد كان أسند إلى أوردون (Ordona) حكم مملكة جليقية في حين تولى ابنه الأكبر غرسية (Garcia) حكم مملكة ليون وابنه فرويله (Fruela) حكم إشتوريش، ونونة فراند (NunoFernandez) حكم قشتالة، أما ابنه أوردون فقد عهد أبوه ألفونسو الثالث إلى بني موسى بن قسي بتأسيسه فعاش في كفهم حتى سنة (٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م) وفي سنة (٢٧٩ هـ / ٩٨٢ م) أسند إليه أبوه حكم مملكة جليقية فظل يتولاها إلى أن توفي أخوه الأكبر غرسية في سنة (٣٠٢ هـ / ٩١٤ م) وأسقط في مدينة ليون التي أصبحت مركزاً للإدارة والحكم، أما ألفونسو ففتح بالمقام في سمورة في رفقة زوجته خمينة، إلى أن توفي سنة (٢٩٨ هـ / ٩١٠ م) أثر مرض قصير وقد بلغ من العمر (٦٢ عاماً). سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٣٠٥.

(٦٣) مدينة برتقال: تقع جنوبي جليقية وهي تعني في الجغرافية الأندلسية ثغر بورتو، فهي تقع في أقصى شمالي البرتغال، وفي شمال قلمرية، ومن ثم فإن المرابطين لم يصلوا في زحفهم إليها ولم يفتحوها. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٣، ص ٧٠.

(٦٤) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٠٤؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، هامش ص ٢٥٠، ٢٥١.

(٦٥) سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٥٢.

(٦٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٢؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٥٢.

مائة من السروب الأرضية فتمكنوا بهذه الطريقة من استخراج الماء العذب فرفع ذلك من معنوياتهم وزادت طاقتهم للصمود وبذلك لم يبق للأمير محمد سوى ضرب الثوار بالحصار الطويل حتى تنفذ مؤن الثوار وهو يضربهم بالمنجنيق فلما طالت الحال بالثوار كتب عبد الرحمن الجليقي إلى الأمير محمد كتابا يسترحمه ويسأله الأمان، وكاد الأمير محمد يستجيب إلى مله لولا جرأة أحد رجاله من رؤساء البحرين يدعى ابن اللغام الذي أقسم له ألا يؤدي صلاة الظهر إلا بداخل قلعة الحنش بعد افتتاحها (٦٧).

فاستأنفت المعارك وسقطت حصونهم الواحد تلو الآخر، فانسحب الثوار إلى المواقع المرتفعة حتى لا تصل إليهم سهام الرماة واستمر القتال حتى وقت الزوال فلما توقف القتال عاد ابن مروان الجليقي في الصباح إلى طلب الأمان بعد أن اشتد عليه الأمر وتخرج موقفه، ويئس من الصمود وأثر أن يوسط الأمير عبد الله ولي العهد وطلب منه الشفاعة عند أبيه الأمير، ويبدو أن العلاقة بين الأمير عبد الله وعبد الرحمن الجليقي كانت طيبة وربما كانت تربطهما صداقة ما تمت بينهما عندما كان ابن مروان الجليقي رهينة بديوان الأمير بدليل أن ابن مروان الجليقي يعرف عن الأمير عبد الله الكثير كلين العريكة وشدة الحب للعافية، فاستغل ذلك أحسن استغلال عندما طلب منه الوساطة عند أبيه الأمير محمد (٦٨)، فتوسط عبد الله لدي والده الأمير وألح حتى أسعفه بما طلب ووافق على منح الأمان للثائر على أن ينزل له عن قلعة الحنش ولكن ابن مروان الجليقي أخذ يشكو للأمير "ثقل الظهر وضيق الحال" فسأل الأمير

(٦٧) سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٥٤.

(٦٨) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٠٤؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٥٥.

أن يأذن له بالرحيل إلى بطليوس وكانت يومئذ قرية خالية مجردة من الحصون فينزلون بها، ويقومون بتعميرها (٦٩).

وتم الأمرُ على ذلك، وأصدر الأمير محمد منشوراً بهذا المعنى، ولضمان انضواء عبد الرحمن بن مروان تحت لواء الأمير وخضوعه له، طلب الأمير محمد عدداً من الرهائن، فلم يتردد عبد الرحمن بن مروان الجليقي في أن يقدم من قبله ثلاثون رجلاً من قومه رهائن يصحبهم الأمير معه إلى قرطبة، ومعهم ولده محمد بن عبد الرحمن وحفيده عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن (٧٠).

وعلى هذا الأساس تم الاتفاق وقفل الأميرُ بحشوده إلى قرطبة، بينما اتجه عبد الرحمن ابن مروان الجليقي إلى بطليوس وعمرها وأخذ في تحصينها وإعدادها للدفاع والمقاومة، وبعث جواسيسه إلى قرطبة، يتعرفون أخبار الأمير ويترصّدون حركاته ويبعثون بها إليه تبعاً ثم عقد حلفاً مع ألفونسو الثالث ملك ليون (٧١)، ولم يلبث أن عاد إلى المجاهرة بالعصيان في سنة (٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م)، وأخذ يغير على الأنحاء المجاورة لبطليوس ويرهق أهلها ويسلب أموالهم ومتاعهم وتمكن من الاستيلاء على بعض المدن مثل طبلالطة (Tablada) وأكشونية، فأنزح الأمير محمد لهذه الأخبار وعزم على معاقبته ويقمع شره بطريقة حاسمة، فجهاز إليه حملة كبيرة برياسة ولده المنذر وجعل قيادتها لوزيره هاشم بن عبد العزيز (٧٢). وسارت هذه الحملة صوب بطليوس في شهر شعبان سنة (٢٦٢ هـ / ٨٧٦ م)، فلما علم عبد الرحمن بن مروان بمقدم جند

(٦٩) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٢٥٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٦٨.
(٧٠) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٢٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام: ج ١، ص ٣٠٤؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٥٧.

(٧١) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٢٣؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٥٢.

(٧٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٧٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٠.

الأمير عن طريق أعوانه وجواسيسه في بلاط الأمير بقرطبة اتَّخَذَ أهْبَتَهُ، وشعر بصعوبة الدفاع عن بطليوس لاتساعها، فغادرها مع قواته، وانضم إليه كثيرٌ من المولدين من الأنحاء المجاورة ممن خشوا بطش قوات الأمير بهم، ونزل بحصن كركي^(٧٣) أو كرك^(٧٤) القريب وامتنع به، وبعث إلى سعدون السرنباقي في طلب النجدة وجاءَ بمدد كبير من الجلالقة^(٧٥).

وسارَ المنذرُ وهاشم إلى بطليوس فألفياها خالية فسارا في أثره واحتل هاشم حصن منت سلود (منت شلوط) الواقع جنوبي بطليوس خوفاً من أن يحتله الثوار وضرب المنذر الحصار حول حصن كركي^(٧٦)، وفي تلك الأثناء قدم سعدون السرنباقي واشتبك في طريقه بحامية كانت موجودة بمدينة قلُمرية، وهم قومٌ من البربر من بني دانس من مصمودة وفتك بهم وكانوا على الطاعة فبعثوا إلى هاشم بن عبد العزيز يستغيثون به، ووقف هاشم من طلائعه على مقدم سعدون وقواته، وما فعله بأهل قلُمرية نفرج إلى لقائه متحمساً تواقاً إلى الانتقام، وكان سعدون قائداً مجرباً وافر الجراءة^(٧٧)، وكانت لديه فرق مختارة من الفرسان والرماة، فرتب معظم قواته وراء التلال، وتقدم للقاء قوات هاشم، واعتقد هاشم أنه يستطيع سحق الثوار بأيسر أمر، والتقي الفريقان في مخاضة النهر جنوبي بطليوس وفاجأت خيل سعدون قوات الأندلس وأرهقتها وكثر فيها القتلُ، وتقدم هاشم بن عبد العزيز إلى المعركة بعيداً عن مركز قيادته فأصابته جراحٌ وأحاطت به فرسان العدو وكادت تجهز عليه لولا أن عرفه بعضهم فقبض عليه، وحمله معه سعدون أسيراً إلى حصن منت سلود وكانت قوات الأمير قد غادرته، وهزمت قوات الأندلس

(٧٣) حصن كركي: كركي بالتحريك اسم حصن من أعمال أوريط بالأندلس له ولاية وقرى؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ص ٤٥٤.

(٧٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٧٠.

(٧٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٧٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام: ج ١، ص ٣٠٦.

(٧٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٧٠.

(٧٧) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٣.

وأسر قائدهم على هذا النحو، في الثاني عشر من شهر شوال سنة (٢٦٢ هـ / يونيو ٨٧٦ م) (٧٨).

ولما علم المنذر بن محمد بما وقع لجنده من الهزيمة وأسر هاشم وكان مقيماً على حصار الجليقي شدد في الحصار أياماً أخرى، ثم انصرف قافلاً ببقية الجند إلى قرطبة. وسار الجليقي وسعدون ومعهما أسيرهما القائد هاشم غرباً وهما يعيثان فساداً في الأرض، وحصل الجليقي أولاً على هاشم، فاخترى به وبدأ معه حواراً عنقه فيه إذ أخذ يذكره بإهنته له ولزملائه في دار الرهن بقرطبة، ولم يلبث عبد الرحمن الجليقي أن أحتد في الحديث على هاشم وهم بالوثوب عليه ولكن هاشم خفف من ثورته وحمله على الاستحياء وأنه نال كفايته بسبب ذنبه وقد قضى الله قضاءه، ويذكر ابن حيان أن عبد الرحمن الجليقي قال له "أما علمت أنه لا ينبغي للمقتدر أن يغتر بقدرته فإن قدرة الله فوقه؟ أتذكر قولك لي ولأصحابي هؤلاء بقرطبة، وقد أريناك الخبز الذي يقطع لنا ومحاكلته الزفت في لونه وسألناك غيره؟ فالحمد لله الذي حكم بالعدل ووطأ من نخوتك" (٧٩).

والنص الذي أورده ابن حيان يدل دلالة واضحة على سوء المعاملة التي تلقاها الثوار الرهائن في قرطبة من كبار رجالات العرب في الأندلس، رغم مكانة الثوار عند الأمير محمد ورفعة شأنهم، وذلك لأنه جعلهم ضباطاً في جيشه ومن حاشيته، ورغم ذلك يزدري بهم رجاله، ويذكر ابن عذاري: أن ابن مروان الجليقي بره وأكرمه وأحسن إليه ولم يعاقبه بفعلة (٨٠).

وهنا لابد من وقفة مع النص

(٧٨) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٣٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام: ج ١، ص ٣٠٦.

(٧٩) سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٦٦.

(٨٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٢.

يتضح أن السبب الذي أجبر عبد الرحمن بن مروان الجليقي على عدم معاقبة الوزير هاشم هم الرهائن المحتجزون في قرطبة، فإنه خشي بإساءته للوزير هاشم أن ينكل الأمير محمد برهائه، فوجد أن عبد الرحمن بن مروان الجليقي يوافق على إرسال الوزير هاشم إلى ألفونسو الثالث، رغم أنه كان يأمل أن يتخذه أداةً للمساومة مع الأمير حتى يفرجَ عن رهائن قومه ويردهم إلى بلدهم، ولكن سعدون استرده منه فيما بعد، خوفاً من غضب سيده وحاميه ألفونسو الثالث ملك ليون وتوجه به سعدون بالفعل إليه ^(٨١) فوافقه عبد الرحمن بن مروان الجليقي لأنه صاحب الفضل في أسره ^(٨٢). ويبدو أن عبد الرحمن بن مروان الجليقي واثق تماماً أن الأمير محمد لم يلجأ إلى قتل الرهائن طالما أنه لم يقتل وزيره.

وسنظ الأمير محمد عندما علم بما حدث لوزيره ثم قال " هذا أمر جناه هاشم على نفسه، وقد أوقعه فيه طيشه وعجلته " ^(٨٣) ورغم هذا الحدث إلا أن الأمير محمد لم يستخدم ورقة الرهائن للضغط على عبد الرحمن الجليقي الذي نال من هيبة الإمارة الأموية بأسره للوزير هاشم. واستمر ابن عبد الرحمن بن مروان الجليقي أعواماً وهو يسيطر على منطقة بطليوس، ويعيش في أنحائها فساداً ويخرج منها للإغارة على ناحية الغرب حتى أشبونة وجنوباً حتى باجة وأطراف أكشونة ثم إن بعض أصحابه اختلفوا معه وغادروه إلى بلدهم ماردة بعد أن حصلوا على أمان من الأمير، ولما شعر بقلّة جمعه وخشي مطاردة الأمير وانتقامه عول على أن يحذو حذو صاحبه سعدون في الالتجاء إلى ملك جليقية فقبل الملك النصراني التماسه، وأنزله مع صحبه

(٨١) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٦٨؛ رينهارت دوزي: المسلمون في الأندلس، ج ١، ص ١٣٦.

(٨٢) سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٦٨.

(٨٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٣؛ رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ١٤٦.

حصن بطرلسة^(٨٤) بوادي دويرة على مقربة من ليون، ولبث في كنفه أعواماً^(٨٥)، وظل الوزير هاشم أسيراً بمدينة أوبيدو زهاء عامين^(٨٦) وعاد في سنة (٢٦٤ هـ / ٧٧٨ م) من الأسر لقاء فدية ثقيلة^(٨٧) بلغت مائة وخمسين ألف دينار^(٨٨) ورضي الأمير محمد بدفع جزء من الفدية المطلوبة كما تعهد الملك ليون بدفع البقية فيما بعد، وأسلمه للوفاء بعهده إخوة الوزير هاشم وابنه وابن أخيه رهائن^(٨٩)، ولم يلبث هاشم أن استعاد مكانته في البلاط، فأعادته الأمير محمد إلى القيادة مع الوزارة في سنة (٢٦٦ هـ / ٨٧٩ م) وأخذ يغزو الثائرين والمتمردين^(٩٠).

وفي تلك الأثناء دبَّ الخلافُ بين عبد الرحمن الجليقي والملك ألفونسو الثالث بسبب غارة قام بها ملك جليقية في منطقة بطليوس ومعه عبد الرحمن بن مروان، وفيها بالغ الملك النصراني في قتل المسلمين، ومعظمهم من أصحاب ابن مروان ورعاياه السابقين سنة (٢٦٦ هـ - ٨٧٩ م)^(٩١)، فغادره عبد الرحمن بن مروان مغضباً وعاد إلى منطقة بطليوس، ليستأنف غاراته وعيَّنه في أراضي النواحي المجاورة، وفي سنة (٢٧١ هـ / ٨٨٥ م) سَيَّرَ إليه الأمير محمد ولده المنذر في قوة كبيرة، فزحف على بطليوس ففرَّ منها عبد الرحمن بن مروان وتحصن بجبل " أشيروغيره " فأحرق المنذر بطليوس ودمر حصونها^(٩٢)، وفي العام التالي سارت حملة أخرى بقيادة الوزير

(٨٤) بطرلسة: لعله محرف من بطريشة الذي يعرف اليوم بإسم لابدراخا (La padraja)، وهي بلدة على بعد ٢٠ كيلو متر إلى جنوب بلد الوليد كما تبعد عن مجري نهر وادي دويرة بنحو عشرة كيلو مترات؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٧٢.

(٨٥) سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٧٢.

(٨٦) رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ١٤٦.

(٨٧) ابن حيان: المقتبس: إسماعيل العزب، ص ٣٣.

(٨٨) ابن القوطية: تاريخ إفتح الأندلس، ص ١٠١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٣؛ رينهارت دوزى: المسلمون في الأندلس، ج ١، ص ١٣٦.

(٨٩) رينهارت دوزى: المسلمون في الأندلس، ج ١، ص ١٣٦.

(٩٠) سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٦٨.

(٩١) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص ٣٠٦، ٣٠٧؛ رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ١٤٦.

(٩٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٣٤٣.

هاشم إلى " أشيرو غيره " لقتال عبد الرحمن بن مروان، فحاصره حيناً ثم ارتد عنه دون إخضاعه، ولما أعيا الأمير أمره وجه إليه أميناً فقال له: "يا هذا قد طال غمنا بك وغمك بنا عرفنا بمذهبك، فقال لهم مذهبي أن يباح لي البشرى وأبتنيها وأمدنها وأعمرها وأقيم الدعوة ولا تلزمني جباية ولا طاعة في أمر ولا في نهي.." (٩٣) ووافق الأمير محمد إلى قبول شروطه في الاستقلال بحكم بطليوس وما جاورها والإعفاء من المغارم والفروض (٩٤). فصفت طاعة عبد الرحمن بن مروان الجليقي إلا أن الوزير هاشم أراد الانتقام وأن يأخذ الثأر في عبد الرحمن بن مروان، وقال للأمير محمد " إنما كان تعاصي أمر بن مروان علينا بأنه كان هو وأصحابه على ظهور خيولهم، ينتقلون من موضع إلى موضع، وقد صار الساعة في دور وقصور وبساتين محيطة بها فلنخرج إليه فإني أرجو أن يظفر الله به، ويخرج معي الولد عبد الله"، فخرج في حملة إلى إشبيلية ثم انتقل إلى بلبة وذلك في سنة (٢٧٢هـ / ٨٨٥م)، فلما بلغ عبد الرحمن بن مروان الخبر أدرك الأمر بعقله وذكائه، فكتب إلى الأمير محمد: "بلغني أن هاشما خرج إلى جهة الغرب ولست أشك أنه قد أطمعه في أخذ الثأر مني كوني في حصن وغلقي، وبالله لئن جاز بلبة إلى لأضرم بطليموس بالنار ثم أعود إلى حالي الأول معك. فلما قرأ الأمير محمد كتابه أمر بصرف ابنه الأمير عبد الله والوزير هاشم من الطريق فانصرفا " (٩٥).

وفي ظل هذه الأحداث المتتالية لم يرد ذكر الرهائن حيث صمت المصادر عن ذكر أخبارهم، والغريب في هذا الشأن أن الأمير محمد لم يستخدم ورقة الرهائن إطلاقاً في تهديد بن مروان الجليقي، ومن المحتمل أن يكون قد أطلق سراحهم خلال تلك الأحداث.

(٩٣) ابن القوطية: تاريخ إفتح الأندلس، ص ١٠٢.

(٩٤) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص ٣٠٦، ٣٠٧.

(٩٥) ابن القوطية: تاريخ إفتح الأندلس، ص ١٠٢؛ رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ١٤٦؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٨١.

وكان الثوار كلما ظهرُوا بمظهر القوة أبدت حكومة قرطبة من جانبها مظاهر التراخي والجبن، ذلك أنها في كل مرة تتساح فيها مع الثوار أو تعقد معهم معاهدة كانت تفقد شيئاً من الهيبة التي هي أحوج ما تكون إليها لتفرض احترامها على شعب ثائر غاضب يفوق سادته عدداً (٩٦)، ولم يلجأ الأمير محمد إلى استخدام ورقة الرهائن للضغط على عبد الرحمن بن مروان الجليقي، الذي لم يبال إطلاقاً بهيبة الإمارة أو مصالحها، ولو استخدم الأمير محمد هذه الورقة لحدث تغيير كبير على الساحة السياسية آنذاك.

بنو قسي والأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط:

ظل بنو قسي يذعنون بالطاعة للأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣ هـ / ٨٥٢-٨٨٦ م) خلال السنوات الأولى من حكمه حيث كان إسماعيل بن موسى رهينة في قرطبة منذ سنة (٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م) (٩٧)، لذلك أظهر والده موسى القسوي الطاعة للأمير محمد واشترك معه في صائفة سنة (٢٤١ هـ / ٨٥٥ م) المتوجهة إلى منطقة ألبّة والقلاع (٩٨)، واستجاب موسى القسوي لأوامر الأمير محمد بغزو الثغر الأعلى سنة (٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م) فتمكن موسى من افتتاح المنطقة واسترداد حصن طراجة (٩٩) من أيدي الفرنجة (١٠٠).

(٩٦) رينهارت دوزي: المسلمون في الأندلس، ج ١، ص ١٣٧.

(٩٧) ابن حبان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ١٤٦.

(٩٨) ابن حبان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٣٠٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٦٧؛

(٩٩) حصن طراجة: قلعة حصينة وهي تقع آخر أحواز برشلونة؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٢٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٥.

(١٠٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٦٧.

وقد كان لوجود إسماعيل بن موسي القسوي في الرهن لدى الأمير محمد تأثيرٌ مباشرٌ على الأحوال السياسية في منطقة الثغر الأعلى وبوجوده في قرطبة ضمن الأمير محمد ومن قبله الأمير عبد الرحمن الأوسط ولواء موسي القسوي ووقوفه سداً منيعاً ضد أطماع النصارى والفرنجية في الشمال.

أما عن حال إسماعيل في الرهن فلم نخبرنا المصادر بتفاصيل عن وقت خروجه من الرهن، وأن إسماعيل لم يظهر في الأحداث التاريخية إلا في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ / ٨٥٢ - ٨٨٦ م)، حيث لم تُجدِ حسن المعاملة التي تلقاها إسماعيل بن موسي من قبل الأمير عبد الرحمن الأوسط نفعاً، ونجدُ أن الأمير محمد ولي إسماعيل ابن موسي بعض الحصون في الثغر الأعلى ليختبر طاعته واستقر بمنى شون^(١٠١) ملتزماً بالطاعة في الظاهر (١٠٢).

وزحف مطرف وأخوه إسماعيل ابنا موسي بن موسي على تطيلة فانتزعاها من حاكمها عبد الوهاب بن مغيث^(١٠٣)، كما انتزعا سرقسطة من ولده محمد بن عبد الوهاب، وملك مطرف تطيلة في صفر سنة (٢٥٨ هـ / ٨٧١ م) وملك إسماعيل سرقسطة في ربيع الأول من نفس العام^(١٠٤)، وقبضوا على أبناء عبد الوهاب بن مغيث وسجنوهم مع أبيهم، وباين إسماعيل بالخلعان فغزته الصوائف وترددت عليه الجيوش، ثم اتجه إلى لاردة فقبض عليه عبد الله بن

(١٠١) منى شون: (Monzon) الشين معجمة وآخره نون حصن من حصون لاردة بالأندلس قديم بينه وبين لاردة عشرة فراسخ وهو حصين جدا تملكه الأفرنج سنة ٢٨٤؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٠٧.

(١٠٢) ابن حيان: المقتبس، ص ٢٣٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٦٦، ٢٦٧؛ كمال السيد: المولدون في منطقة الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٥٧.

(١٠٣) عبد الوهاب بن مغيث: المعروف (بوهيب) بن أحمد بن عبد الواحد بن مغيث الرومي عامل الأمير محمد على الثغر الأعلى، وأحد أفراد أسرة بني مغيث المشهورة والتي تولي الكثير من أفرادها مناصب الحجابة والوزارة والقيادة لبني أمية؛ كمال السيد: المولدون، ص ٩٨.

(١٠٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٠١.

خلف بن راشد عامل بريطانية (١٠٥) بحصن منت شون فدفعه الأمير محمد في غزوته سنة (٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م) ولما قفلت الصائفة أطلق الأمير محمد سراحه، وتمكن من خداع عبد الله بن خلف بن راشد عامل بريطانية، فصاهره وتزوج من ابنته " سيدة " فأنجب منها ولداً سماه محمد، وأعد له عقيقه بحصن منت شون وبعث إسماعيل إلى صهره عبد الله وأولاده ليحضروا عقيقته، فقدموا عليه بمنى شون، حيث أمر بالقبض عليهم وقتلهم وخاصة عندما علم بقدوم جيش الأمير عليه واستولى إسماعيل على أعمال ابن خلف مثل بربشتر والقصر وبريطانية كلها، وجاهر بالعداء للأمويين وعظم شره، فأرسل إليه الأمير محمد عدة حملات فيما بين سنتي (٢٦٤ - ٢٦٨ هـ / ٨٧٧ - ٨٨١ م) عاثت فساداً في ملك إسماعيل بن موسي ونجحت في استرداد بعض الحصون مثل برجة وطرسونة وورطة، ولكنهم لم يستطيعوا إنهاء عصيانه، وذلك ربما يرجع للتحالف الذي عقده بنو قسي مع ألفونسو الثالث وملك إشتوريس وليون ومساعدته لهم مكنته من الصمود أمام الحملات الأموية المتتالية (١٠٦).

وفي أعقاب ذلك دخل إسماعيل في معارك مع ابن أخيه محمد بن لب ونشبت بينهما معارك في قلهرة انتهت بانتصار محمد بن لب وأسر عمه إسماعيل وبني عمه وحبسهم إلى أن سلم له إسماعيل سرقسطة وتطلية وبلتيرة، وذلك في سنة (٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م) واتجه إسماعيل بعد ذلك إلى حصن منتون فأقام فيه البقية الباقية من عمره وتوفي في سنة (٢٧٦ هـ / ٨٨٩ - ٨٩٠ م)

فآل حصن منت شوم إلى ابن أخيه محمد بن لب القسوي (١٠٧).

(١٠٥) بريطانية: فتح الباء الثانية وطاء وألف ونون مكسورة وياء خفيفة وهاء مدينة كبيرة في الأندلس، يتصل عملها بعمل لاردة، وكانت سداً بين المسلمين والزُوم، ولها مدن وحصون، وفي أهلها جلادة وممانعة للعدو، وهي في شرقي الأندلس؛ ويسميتها صاحب نفح الطبيب: كورة بريطانية، بياء واحدة، لا بيانين، وهو الأقرب للأصل الإسباني، وهو يذكر بأنها كورة، فيقول: كورة بريطانية، وقد أطلق اسم المدينة على الكورة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٣٧١؛ محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج١، ص ٧٥.

(١٠٦) العذرى: نصوص عن الأندلس، ص ٣٢، ٣٣؛ كمال السيد: المولودون في الثغر الأعلى، ص ٦٣.

(١٠٧) العذرى: نصوص عن الأندلس، ص ٣٤.

لب بن موسي القسوي:

بعد أن مات موسي القسوي سنة (٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م) خلفه في حكم الثغر الأعلى أبنائه الأربعة وهم لب وإسماعيل وفرتون ومطرف، وخلف لب أباه موسي القسوي على معظم ما كان بيده في الثغر الأعلى عقب وفاته في سنة (٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م) (١٠٨).

ويذكر العذري أن لب بن موسي القسوي كان رهينة بقرطبة عند الأمير محمد ولم ين لنا أسباب رهنه، ويذكر أن الأمير محمد أثناء غارة النورماندين على إشبيلية سنة (٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) أطلقه الأمير محمد وقوده وأخرجه إليهم، فانهزم المجوس، وعاد لب بن موسي إلى قرطبة حيث أكرمه الأمير محمد وأهدي له جارية تسمى عجا، وأمره بالتوجه إلى الثغر الأعلى، فقام ببناء حصن بقرية الذي تولى حكمه (١٠٩).

هذا الخبر نستدل من خلاله على عدة حقائق: أولها أن لب بن موسي كان شاباً، ثانيها: أنه كان يخالط الأمير محمد لذلك عرف كفايته ومقدرته الحربية فولاة قيادة بعض الفرق لمواجهة النورماندين، ونستدل مما سبق أنه كان يتلقى معاملة حسنة في الرهن.

وكان لب أثناء حياة أبيه يتولى حصن بقره الذي قام ببنائه وتعميره، وفي سنة (٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م) خلع لب بن موسي طاعة الأمير محمد وتحالف مع غرسيه بن ونقه ملك نبره وتقلد على منطقة الثغر الأعلى في سنة (٢٥٨ هـ / ٨٧٢ م)، وأسر عمال الأمير محمد بها،

(١٠٨) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٣٠، ٣١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٧.

(١٠٩) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٣١.

وقام بتعيين أخيه فرتون على تطلية، ومطرف على وشقة، فلما علم الأمير محمد بتمرد بني قسي وما أحدثوه خرج بنفسه إلى الثغر الأعلى سنة (٢٥٩ هـ / ٨٧٣ م)، وشن عدة هجمات على أراضي بني قسي غير أنه لم يتمكن من القضاء على نفوذهم رغم أنه أسر مطرف بن موسي وعاد به إلى قرطبة فأمر بقتله هو وبنيه سنة (٢٥٩ هـ / ٨٧٣ م) ^(١١٠)، ولم يتمكن من لب بن موسي الذي توفي في سنة (٢٦١ هـ / ٨٧٥ م) أثناء رحلة صيد ^(١١١).

فرتون بن موسي بن موسي

ثار فرتون بن موسي وباين بالخلعان ضد الإمارة الأموية سنة (٢٥٨ هـ / ٨٧٢ م)، فلما غزا الأمير محمد الثغر نجح في هزيمته وأخذه رهينة في قرطبة هو وأخيه مطرف وحبسا في سجن الدويره، ولكن عفا عنهم الأمير محمد بعد أن أمرهم بأن يقسموا بالله في المسجد الجامع على ألا يفارقا الطاعة وأن يسكنا بمدينة تطلية، فأقسم كل واحد منهم خمسين يمينا، ولكن لم يلبث فرتون بن موسي إلا أن غدر واستولى على تطلية بمساعدة أخيه لب بن موسي سنة (٢٥٨ هـ / ٨٧١ م) بعد أن أسر عاملها بن مغيث، وظل فرتون بمدينة تطلية إلى أن توفي بها في أواخر سنة (٢٦٠ هـ / ٨٧٤ م) ^(١١٢)، أما مطرف بن موسي استمر على فساده، نفرج

(١١٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠١.

(١١١) الغزري: نصوص عن الأندلس، ص ٣١.

(١١٢) الغزري: نصوص عن الأندلس، ص ٣٤.

الأمير محمد بنفسه إلى الثغر الأعلى وقام بمحاصرته، ونجح في أسرهِ وعاد به إلى قرطبة ومعه جماعة من الثوار، فأمر بقتل مطرف بن موسى القسوي وبنيه سنة (٢٥٩ هـ / ٨٧٣ م) (١١٣).

الأميرُ محمدُ بنُ عبد الرحمن الأوسط ورهائن بني ذي النون:

يعد بنو ذي النون من أشهر السكان البربر الذين استقروا في كورة شنت برية، حيث كان جدهم الأعلى دخل الأندلس مع طارق بن زياد، و اتخذَ من مدينة شنت برية موطناً له (١١٤)، وقد بقي نسل هذا الرجل بعيدين عن أي نشاط سياسي إلى أن ظهر على مسرح الأحداث في عهد الأمير محمد (ذو النون بن سليمان) الذي عرفت الأسرة باسمه فيما بعد، وذلك أن الأمير محمد كان قافلاً من الثغر الأعلى في بعض غزواته، فأعتل أحد مماليكه في الطريق وحينئذ تركه لدي ذو النون بن سليمان ليرضه، ففعل ذو النون ذلك وتابع في تمرير الصلح والطفاه حتى أفاق من علقته، فاصطحبه ذو النون إلى قرطبة فكافأه الأمير على هذا الصنيع بأن سجل على ناحيته وأرتهن منه موسى ولده (١١٥).

ولقد استقام ذو النون على الطاعة إلى أن توفي سنة (٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م) ووُلي مكانه ابنه الجوشن الذي توفي سريعاً، فصارت الزعامة على بربر شنت برية لابن الثاني موسى الذي كان رهينة عند الأمير محمد، والذي لم يلبث أن نكث العهد ونبد الطاعة وهاجم أهل مدينة طليطلة الذين

(١١٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠١.

(١١٤) عبد المجيد نعنعي: تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، ص ٣٠٠.

(١١٥) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٣٦، ٣٧.

كانوا على الطاعة آنذاك في نحو عشرين ألفاً وهزمهم هزيمة كبيرة، وذلك في سنة (٢٦٠ هـ / ٨٧٣ هـ) (١١٦).

ومن المعروف أن موسي ذي النون كان طفلاً صغيراً وجعله الأمير محمد بدار الرهن ليتلقى تعليماً خاصاً، فسلك موسي هذا عندما خلف والده كان على غير المنتظر منه فهذا دليل كبير على فشل التربية التي تلقاها في دار الرهن وهذا ما سوف تؤيده الحوادث التاريخية.

الثائر عمر بن حفصون:

وفي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن احتدمت نار الفتنة في كورة ريه والجزيرة الخضراء وتاكرنا سنة (٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م)، ويرجع ذلك إلى سياسة العنف والشدة التي اتبعتها يحيى بن عبيد الله (١١٧) عامل الأمير محمد على كورية ريه وأخوه إدريس عامل الجزيرة الخضراء مع أهالي تلك المناطق، فقد طالب الأهالي ببقايا خراج تأخر عليه وأشدت في طلبه فرفض الأهالي ذلك واعتصموا بجبالهم وتأهبوا للدفاع عن أنفسهم فكان يتزعم تلك الثورة رجل من الجزيرة الخضراء يدعى يحيى الجزيري فأرسل إليه الأمير محمد جيشاً بقيادة هاشم بن عبد العزيز فغزاه

(١١٦) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٣٦، ٣٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٤٨.
(١١٧) يحيى بن عبيد الله: والي ريه وأخوه إدريس والي الجزيرة الخضراء في عهد الأمير محمد، وهما من الأسرة المعروفة بالخالدين إذ أن نسبهم ينتهي عند عبد الله بن خالد الذي كان من أكبر نقباء الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل وممهد الأمر له في الأندلس؛ كمال السيد: بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس، هامش ص ١٢٩.

فاضطر يحيى الجزيري إلى الإذعان له فقدم به هاشم إلى قرطبة معلنا الدخول في الطاعة (١١٨).

ولكن الفتنة لم تهدأ فقد انبعثت مرة أخرى في هذه النواحي وأواخر سنة (٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م) بسبب مواصلة ولاية الأمير محمد سياستهم التعسفية بتلك الكور، مما أدى إلى سنخط الأهالي وإعلانهم العصيان، فكانت ثورتهم مقدمة فتنة عمر بن حفصون الذي استغل فرصة اضطراب الأوضاع وسنخط الأهالي على الولاية الأموية واستمرار الفتنة في كورة ريه والجزيرة وتاكرنا (١١٩).

ففي سنة (٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م) ابتدأ شر عمر بن حفصون الذي أعيا الخلفاء أمره، وطالت في الدنيا فتنته وعظم شره وأخذ ابن حفصون ينتهز كل فرصة للإغارة على أطراف إقليم ريه ويوسعها تحريماً وسيباً ونهباً، ثم يعتصم بأوكاره في جبل يبشتر فلما اشتد عيئه وعدوانه سار إليه عامل ريه عامر بن عامر في بعض قواته فانهزم عامر هزيمة تكراء وسلم قبته فأخذها ابن حفصون وهو أول رواق ضربه فاستكن إليه أهل الشر، وترتب على ذلك ازدياد نفوذ عمر بن حفصون وكثرة أتباعه ودخل في طاعته أهل رية والجزيرة الخضراء وتاكرنا (١٢٠)، فعزل الأمير محمد عامله على ريه عامر بن عامر وبعث لكورية ريه بعامل جديد هو عبد العزيز بن عباس فهادنه ابن حفصون وسكنت الحال بينهما، ثم عزل عبد العزيز وتحرك ابن حفصون وعاد إلى ما كان عليه من الشر، فأرسل إليه الأمير محمد قائده هاشم بن عبد العزيز في قوة كبيرة سنة

(١١٨) ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٣٩١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٠٨.

(١١٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٤؛ الونشريسي: المعيار المغرب، ج ١٠، ص ١١٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٠٩.

(١٢٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٤؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٥؛ الونشريسي: المعيار المغرب، ج ١٠، ص ١١٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٠٩.

(٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م)، فشدد الحصار على ابن حفصون وجد في أثر العصاة والخوارج يطلب كل من كشف وجهه في الفتنة، وأظهر اختلاف وما زال حتى أرغم ابن حفصون على التسليم مع سائر عصابته، وأخذ رهائن أهل تاكرنا على إعطاء الطاعة وحملهم جميعاً إلى قرطبة، وصفح الأمير محمد على عمر بن حفصون وأوسع له في الإكرام وضمه إلى جيشه، لما لمسه فيه من براعة وقوة (١٢١).

ويلاحظ أن هاشم بن عبد العزيز في سبيل أن يقضي على الثورات المتكررة في هذا الإقليم أرغم عمر بن حفصون وأنصاره على التسليم هذا من جهة، ومن جهة أخرى اتخذ رهائن من أهل مدينة تاكرنا وذلك حتى يضمن طاعتهم وعدم خروجهم على الأمير محمد، وعلى الراجح أن هؤلاء الرهائن كانوا هم المدبرين لهذه الثورات ولديهم القدرة على الوقوف في وجه الإمارة الأموية وهو بذلك يحرم المدينة من هذه العناصر، وأن يستفيد من خبرات عمر بن حفصون وجنوده في جيش الإمارة الأموية.

وفي سنة (٢٧١ هـ / ٨٨٤ م) تعرض عمر بن حفصون للإهانة من قبل محمد بن وليد ابن غانم صاحب المدينة بقرطبة، وذلك لأن عمر بن حفصون شكى إلى محمد بن الوليد بن غانم الطعام الرديء الذي يأكله قائلاً له "يرحمك الله يمكن أن يعاش من هذا" فرد عليه ابن غانم قائلاً من أنت يا شيطان" (١٢٢)،

نجد أن سوء المعاملة التي تلقاها عمر بن حفصون من قبل القيادات العربية قد خلقت منه ثائراً يبحث عن أطماع شخصية إلى ثائر حاق وكاره لكل ما هو عربي يلاحقه دوماً الشعور بالامتهان من قبل رجال الدولة الأموية العرب واحتقارهم للمولدين، فهذه الأحداث سوف تجعل من

(١٢١) ابن عذاري: البيان، ج ٢، ص ١٠٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٠٩.

(١٢٢) ابن القوطية: تاريخ إفتح الأندلس، ص ١٠٥.

عمر بن حفصون الأمل الأعظم للولدين في مواجهة الأرستقراطية العربية، فهرب عمر بن حفصون من قرطبة وأشار إلى جنده إلى الارتداد إلى الجبال والتجأ إلى قلعة ببشتر وجمع حوله أتباعه وأعلن العصيان (١٢٣)، فأرسل إليه الأمير محمد جيشاً بقيادة ابنه المنذر في سنة (٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م)، وبدأ الزحف على مدينة الحامة في شمال شرقي مالقة، وفيها التائر حارث ابن حمدون حليف عمر بن حفصون، فسارع ابن حفصون إلى إنجاد حليفه، واجتمع الثائران بمدينة الحامة لمقاتلة جند الأمير، فحاصر المنذر الحامة لشهرين، ولما أشرفت مؤن المدينة المحصورة على النفاد، خرج ابن حفصون وحليفه في جندهما، واشتبكا مع جند الأمير في معركة عنيفة، هزم فيها الثوار وجرح ابن حفصون وارتد مع أصحابه إلى الحامة واستعصم بها وبينما المنذر مقيم على حصارها جاءتة الأنباء من قرطبة بوفاة أبيه الأمير محمد (٢٩ صفر سنة ٢٧٣ هـ / أوائل أغسطس سنة ٨٨٦ م) فارتد لفوره إلى قرطبة، تاركاً الحامة لمصيرها، وتنفس ابن حفصون الصعداء، وانتهر الفرصة السانحة للإغارة على معظم الحصون الواقعة في تلك المنطقة، ولم يمض سوي قليل حتى استطاع أن ييسط سلطانه على ربه ورندة وإسجة وغيرها (١٢٤).

وقد وفق عمر بن حفصون في اختيار مكان قاعدته التي اعتصم بها حيث التجأ إلى حصن ببشتر في كورة ربه، ومن الواضح أن الحصن كان في جبل هذه الكورة (١٢٥) الذي يقع ضمن سلاسل الجبال الجنوبية في الأندلس (١٢٦)، ولقد وصف حصن ببشتر بأنه شديد الامتناع

(١٢٣) ابن عذاري: البيان، ج ٢، ص ١٠٥، ١٠٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٠٩؛ رينهارت دوزي: المسلمون في الأندلس، ج ١، ص ١٤٥.

(١٢٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣١٠؛ رينهارت دوزي: المسلمون في الأندلس، ج ١، ص ١٤٦.

(١٢٥) البكري: جغرافية الأندلس، ص ٨٤.

(١٢٦) العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٧٠.

قوي التحصين " تزل عنه الأبصار، فكيف الإقدام " على حد تعبير الحميري^(١٢٧)، حيث أنه شديد على صخرة عالية منقطعة من جميع النواحي^(١٢٨)، ولم يكن له غير باين لا سبيل للوصول إليهما إلا عبر شعب وعر محاذ للنهر^(١٢٩)، ولهذا فإن الصعود إليه كان في غاية الصعوبة^(١٣٠) وفوق ذلك كانت المنطقة التي أقيم فيها هذا الحصن موعلة في داخل الجبال، لا يمكن ولوجها إلا من خلال خواتق وعرة، بعضها لا يحتمل سوي المرور بصعوبة لإثنين أو ثلاثة معا^(١٣١).

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الممتنعين بهذا الحصن قد لا يتعرضون لضائقة اقتصادية، وذلك لأن القلعة التي بني عليها معقل ببشر كان غنياً بالماء ويتميز بكثرة الشجر والتمر^(١٣٢) ليس هذا فحسب بل أن هناك العديد من القرى والحصون المحيطة بهذا المعقل التي كانت هي الأخرى كثيرة المياه، غاصة الأشجار مملوءة بأنواع الثمار^(١٣٣).

ثم إن عمر بن حفصون نجح في اجتذاب الأتباع، وحشد الأنصار من كل جهة، فلقد كانت دعوته التي ردها توافق في ذلك الحين هوي في نفوس قطاع كبير من سكان الأندلس، فن أقاله " طالما عنف عليكم السلطان، وأنتزع أموالكم، وحملكم فوق طاقتكم، وأذلتكم العرب واستعبدتكم، وإنما أريد أن أقوم بآركم، وأخرجكم من عبوديتكم"^(١٣٤)، ومن المعروف أن لمثل

(١٢٧) الحميري: الروض المعطار، ص ٧٩.

(١٢٨) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص ٢٦؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٩٦.

(١٢٩) الحميري: الروض المعطار، ص ٧٩.

(١٣٠) الإدريسي: صفة المغرب، ص ٢٠٤.

(١٣١) ابن حيان: المقتبس، إسماعيل العزب، ص ٩٩.

(١٣٢) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص ٢٦؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٩٦.

(١٣٣) الحميري: الروض المعطار، ص ٧٩.

(١٣٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١١٤.

هذه الدعوات يقوم بها المعارضون للسلطات إذ أن لها بريقاً جذاباً وواقعاً فعالاً في نفوس الناس، ولذا فإن بن حفصون كان لا يوردها على أحد إلا أجابه وشكره (١٣٥).

الرهائن السياسيون في عهد الأمير عبد الله (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)

يوصفُ الأمير عبد الله بأنه " لين العريكة شديد الحب للعافية" (١٣٦) حيث وصل الأمير عبد الله إلى عرش الإمارة الأموية بعد وفاة أخيه المنذر، فورث حملاً من المشكلات الكبيرة التي لم يتهياً لسابقه التمكن من حسم أمرها، فالإمارة الأموية كما يقول ابن عذاري " قد تحيفها النكث ومزقها الشقاق وحل عراها النفاق والفتنة مستولية، والدجنة متكاثفة، والقلوب مختلفة، وعصي الجماعة متصدعة، والباطل قد أعلن، والشر قد اشتهر؛ وقد تمالأ على أهل الإيمان حزب الشيطان، وصار الناس من ذلك في ظلماء ليل داج، لا إشراق لصباحه، ولا أفول لنجومه، وتألّب على أهل الإسلام أهل الشرك ومن ضاهاهم من أهل الفتنة، الذين جردوا سيوفهم على أهل الإسلام؛ فصار أهل الإسلام بين قتيل ومحروق ومحصور، يعيش مجهوداً، ويموت هزلاً، قد انقطع الحرث، وكاد ينقطع النسل" (١٣٧)، " فلم يبق تحت طاعة الأمير عبد الله سوي قرطبة وأقاليم معدودة (١٣٨).

(١٣٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١١٤.

(١٣٦) ابن حيان: المقتبين، ص ٣٥٥.

(١٣٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٢١.

(١٣٨) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٧.

ولقد بلغ النزاع آنذاك أشده بين الإمارة الأموية من جانب وطوائف المجتمع من مولدين وعرب وبربر من جانب آخر، كما أن هذه الطوائف تصارعت مع بعضها البعض فلقد عمت حركة المولدين معظم أنحاء الأندلس تقريباً، وكان من أبرز زعمائهم آنذاك عمر بن حفصون في جنوب البلاد وعبد الرحمن بن مروان الجليقي في المناطق الممتدة من ماردة حتى البحر المحيط (الأطلسي) في الغرب، وبنو قسي في الثغر الأعلى، وديسم بن إسحاق في تدمير وغيرهم (١٣٩). كما أن البربر كانوا قد قاموا بالانتفاضة على السلطة الأموية في بعض مناطق الأندلس، وكان بنو قسي بن ذي النون من أشهر من حمل لواء هذه الانتفاضة البربرية (١٤٠)، أما العرب فإن جل حركاتهم لحكومة قرطبة قد ظهرت في السنوات الأولى من عهد الأمير عبد الله، ولعل أبرز حركاتهم كانت في منطقة البيرة وبنو تجيب في سرقسطة وإشبيلية (١٤١).

وهذه الحركات التي كادت أن تعصف بملك بني أمية في الأندلس تختلف كثيراً عن الحركات المناوئة لهم فيما سبق، وذلك من حيث أتساع نطاق هذه الثورات من ناحية والعناصر التي أثارها من ناحية أخرى، بالإضافة إلى الدوافع المحركة لها. فقد بدأت هذه الحركات في أوائل النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وتفاقت حتى وصلت ذروتها في عهد الأمير عبد الله، ولم تقتصر على عنصر بعينه من عناصر المجتمع المختلفة، وإنما شاركت فيها العناصر السكانية في كل البلاد تقريباً، وذلك لأن التفكك الاجتماعي كان واضحاً في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري، وخاصة في نصفه الثاني، فظهر سكان الأندلس وكأنهم لم ينصهروا تماماً، ولم يندمجوا الاندماج الذي يجعلهم شعباً واحداً (١٤٢).

(١٣٩) ابن حيان: المقتبس: إسماعيل العزب، ص ٤٣٨ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٧٠-١٧٣.

(١٤٠) ابن حيان: المقتبس: إسماعيل العزب، ص ٣٦-٣٨.

(١٤١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣٣-١٣٥.

(١٤٢) العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٦٧، إبراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا، ص ٢٧٤.

الأمير عبد الله ورهائن عمر بن حفصون

لقد استفاد عمر بن حفصون من التداول السريع للسلطة بين حكام الدولة الأموية، فعمل جاهداً على تحقيق طموحاته، إذ أنه في الفترة التي تعاقب فيها ثلاثة من الأمراء الأمويين، فكان انتقال السلطة يقتضي من الأمير الجديد أن يصرف جزءاً من وقته لأخذ البيعة ثم النظر في شئون الدولة الإدارية والمالية (١٤٣).

وفي حالة عمر بن حفصون توافقت أن قوات الإمارة الأموية كانت تحاصره بقيادة ولي العهد الأمير المنذر عندما توفي الأمير محمد، فلم يكن أمام الأمير المنذر سوي فك الحصار، والعودة على وجه السرعة إلى قرطبة (١٤٤)، فاستغل عمر بن حفصون هذا الموقف لتقوية جانبه، وما ان صمم الأمير المنذر على قمع حركته حتى تكررت العملية مرة أخرى، حيث توفي الأمير المنذر الذي كان على رأس العسكر في سنة (٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) (١٤٥)، وكان أخوه الأمير عبد الله قد قدم إلى معسكر الجيش، الذي انسحب إلى قرطبة ليتمكن من أخذ البيعة العامة فاستفاد عمر ابن حفصون من هذه الظروف، حيث هاجم بقوة الجموع المنسحبة إلى درجة أن الأمير عبد الله سأل الكف والتوقف عن مهاجمته ووعد بالصفح والتآلف (١٤٦).

(١٤٣) أحمد بدر: دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٤٤.

(١٤٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١١٤.

(١٤٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١١٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٢٦٣.

(١٤٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٢٥؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٧.

وأول ما تناوله ونظر فيه الأمير عبد الله أن وجه إبراهيم بن حمير لأخذ بيعة ابن حفصون فقصد إبراهيم إليه وطلب طاعته فوافق ابن حفصون وأرسل حفص ابنه وجماعة من أصحابه، فرحب الأمير عبد الله بقدومهم واحتفي بهم وخلع عليهم الأعطيات والهدايا، ثم أخذت عليهم البيعة مقابل أن يستقر عمر بن حفصون في منطقة ببشر في طاعة الأمير، فاستجاب الأمير عبد الله لطلبه وأرسل عبد الوهاب بن عبد الرؤوف ليكون والياً من قبله على كورة ريه شريكاً لابن حفصون في حكمها (١٤٧)، فكان هذا القرار من قبل الإمارة الأموية اعترافاً صريحاً بنفوذ عمر بن حفصون في الجنوب الأندلسي.

ومن خلال هذه الهدنة استطاع ابن حفصون أن ينظم شؤنه ويوطد سلطانه، ثم تعدي بعد ذلك حده ومد يده إلى ما نهي عنه واستحوذ على أهل الكور في أموالهم وأمضي نفسه على عادته الذميمة من الفساد وقطع السبل، وذلك في سنة (٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) (١٤٨)، ووجه أحد قواده الأشداء وهو حفص بن المرة أشجع قواده على رأس جيش كبير قام بالهجوم على كورة إستجة، وما يليها من أعمال قرطبة، فأخرج إليه الأمير عبد الله جيشاً بقيادة عبد الملك بن مسلمة الباجي، الذي التقى بقوات عمر بن حفصون في أحواز إقليم أشونة (١٤٩) ولكن قوات عمر بن حفصون تمكنت من هزيمة هذا الجيش وقتلت قائده عبد الملك وقام عمر بن حفصون بطرد عامل الأمير عبد الله المشارك له في حكم كورة رية (١٥٠).

(١٤٧) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٧٢، ٧٣؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٢١، ١٢٢ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٢٣، ٣٢٤.

(١٤٨) ابن حيان: المقتبس، إسماعيل العزب، ص ٧٢، ٧٣؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٢١، ١٢٢.

(١٤٩) أشونة: إحدى الأقاليم الجنوبية لكورة إستجة، بينهما مسيرة نصف يوم؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٧٢؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٦٠.

(١٥٠) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٧٢.

ونتيجةً لهذه الانتهاكات الصارخة من قبل عمر بن حفصون تحرك الأمير عبد الله بنفسه في سنة (٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) إلى بربشتر وحصون رية فانتسف معايشها^(١٥١) ولم يدخل في مواجهة مع ابن حفصون الذي انكمش في حصنه والذي عاد لمد سلطانه مرة أخرى بعد عودة الأمير عبد الله لقرطبة^(١٥٢)، فخرج ابن حفصون في إثره وتآلف إليه المفسدون فأتوا إلى إسبجة، فاحتلوها، وقدم أهلها طاعتهم لابن حفصون ثم احتل أُشُبونة^(١٥٣) ولهذا انزعج الأمير عبد الله فأخرج جيشاً لمواجهة تعديات ابن حفصون، الذي سرعان ما طلب الأمان والصلح فسارع الأمير عبد الله بإعطائه إياه، وأسند له كورة ريه للمرة الثانية^(١٥٤).

وهذا التصرف من قبل الأمير عبد الله يظهره وكأنه يخطب ود ابن حفصون، ويوضح مدي ضعف الإمارة الأموية في مواجهة ابن حفصون، ويكشف ما تعانيه الإمارة الأموية من تدهور اقتصادي بسبب انقطاع جباية عدد من الأقاليم وأن الإمارة الأموية أنفقت مصروفات ضخمة في سبيل إخماد حركات التمرد^(١٥٥) الأمر الذي انعكس بدوره على سياسة الأمير عبد الله المالية، فقلل من أعطيات الجند، فتخلي عنه العديد منهم^(١٥٦)، بالإضافة إلى ذلك الانشقاق الذي حدث في البيت الأموي نفسه، إذ استجار الأمير محمد الابن الأكبر للأمير عبد الله بعمر بن حفصون إثر خلاف نشب بينهما، فأجاره عمر بن حفصون، ولم يعد محمد إلى قرطبة إلا بعد أن أمنه والده^(١٥٧)، ولعل كل هذا حداً بالأمير عبد الله أن يصانع عمر

(١٥١) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٧٢، ٧٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٢١، ١٢٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٢٤.

(١٥٢) أحمد بدر: دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٤٤.

(١٥٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٧٢، ٧٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٢١، ١٢٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٢٤.

(١٥٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٢٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٢٤.

(١٥٥) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٧٠.

(١٥٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٢٥.

(١٥٧) ابن الأبار: الحلة السراء، ج ٢، ص ٣٦٧، ٣٦٨؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٧٠.

بن حفصون ويجعله على كورة ريه، فاستهان بهيبة الإمارة الأموية وهاجم المناطق الواقعة إلى الجنوب من مركزه ببشتر، وتمكّن من احتلال بعض حصون الجزيرة الخضراء، وحاصر حاضرتها التي فشل في الاستيلاء عليها^(١٥٨)، وأظهر عمر بن حفصون الخروج عن الطاعة، وأشاع الفرع في النفوس، واستولى على كورة قبرة^(١٥٩) التي كانت تتصل بأحواز قرطبة، إذ لم تبعد حاضرتها بيانة عن قرطبة العاصمة سوي ثلاثين ميلاً فقط^(١٦٠)، وكان خطر عمر بن حفصون يحيط بالإمارة الأموية في ذلك الوقت، واستطاع أن يستولي على مدينة جيان^(١٦١)، واتّخذ من مدينة إستجة عاصمة له، ومن حصن بلاي مركزاً لتسليط هجماته على العاصمة الأموية^(١٦٢).

موقعة بلاي

وفي سنة (٢٧٨ هـ / ٨٩١ م) اشتدت شوكة عمر بن حفصون وتداعي إليه أهل الشر والفساد من أقطار الأندلس، وطمع في التغلب على الأندلس بأسرها وأظهر الميل إلى دعوة المسودة من بني العباس إرهاباً لبني أمية في الأندلس، وأنه كاتب ابن الأغلب ولاطفه بالهدايا، وفي نفس الوقت كان عمر بن حفصون يدفع بغاراته شمالاً حتى أحواز قرطبة، وبسبب ذلك ازدادت أحوال العاصمة قرطبة سوءاً، فانتشر بين أهلها الخوف، وساد الذعر، فتعطلت الأسواق،

(١٥٨) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١١٢.
(١٥٩) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١١٤.
(١٦٠) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٥١٨.
(١٦١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٢٣.
(١٦٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٢٥؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١١٥.

وارتفعت الأسعار^(١٦٣)، وأصبح ابن حفصون لا يقيم قدراً للأمير عبد الله، ولا يقدر لقوته وزناً، وبلغ من استهتاره به أنه كان يستبعد خروجه من قرطبة لقتاله إلى درجة أنه كان يقول من جاءني بخبر خروجه نحوي أعطيته خمسمائة دينار^(١٦٤)، وبلغ من جرأته أن حاول إحراق مخيم الأمير في ضاحية شقنّدة على مقربة من العاصمة. فعندئذ عول الأمير عبد الله على أن يخرج لقتاله مرة أخرى، فحشد ما استطاع من قواته، واتجه نحو الجنوب إلى ناحية قبرة حيث حشد عمر بن حفصون قواته في معقل بلاي^(١٦٥)

ويعتبر حصن بلاي من أمتع حصون قبرة الواقعة على مقربة من جنوب شرقي قرطبة، وقد أتقن عمر بن حفصون تقويته وتحصينه وجعله مركزاً للإغارة على المدن والحصون القريبة من قرطبة وتهديد أطراف العاصمة ذاتها، وكانت قوات الثوار تبلغ زهاء ثلاثين ألفاً ولا تعدو قوات الأندلس ثمانية عشر ألفاً^(١٦٦).

ووقع اللقاء بين الفريقين على ضفاف نهر الفوشكة أحد فروع نهر الوادي الكبير على قيد مسافة قصيرة من بلاي، في الثاني من صفر سنة (٢٧٨ هـ / ١٦ مايو سنة ٨٩١ م) وقاد جند الأندلس القائد عبيد الله بن محمد ابن أبي عبدة، وتولي ابن حفصون قيادة جنده بنفسه ونجح فرسان الأندلس في هزيمة الجناح الأيمن للثوار وتمزيقه، فدب الذعر إلى باقي القوات الثائرة، وركنت إلى الفرار، وهرعت الخيل في آثارهم فقتلت كثيراً منهم، وفر ابن حفصون في بعض قواته إلى حصن بلاي معولاً على الامتناع به، ولكن هجره معظم جنده، مؤثرين الفرار على حصار

(١٦٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١١٦، ١١٧.

(١٦٤) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل، ص ١٢٠.

(١٦٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٢٢.

(١٦٦) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل، ص ١١٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣؛ ص ٣٩٥؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٣١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٢٤.

غير مأمون العاقبة؛ فلما رأي ابن حفصون عبث المقاومة ارتد في نفر من صحبه إلى شعب الجبال الجنوبية بعد أن فقد معظم قواته، وقتل من الثوار أثناء الموقعة وخلال المطاردة ألوف عدة، واحتل الأمير عبد الله حصن بلاي وقتل فيه من جند ابن حفصون زهاء الألف واستولى على كل محتوياته، وسار الأمير عبد الله بعد ذلك في أثر ابن حفصون إلى ببشتر قاعدته الرئيسية، وكان الثائر قد التجأ إليها عقب الهزيمة، واجتمع إليه كثير من أنصاره من أهل الجزيرة وعاث الأمير في تلك المنطقة ولم يخرج ابن حفصون إلى لقائه ولكنه حينما ارتد جيش الأندلس أدراجه حاول مطاردته واشتبك مع مؤخرته في معركة هزم فيها ورد على أعقابها سنة (٢٧٨ هـ / ٨٩١ م) (١٦٧).

فنصر الله الأمير نصراً عظيماً ثم انتقل بعسكره إلى مدينة إستجة التي كانت في طاعة عمر بن حفصون، وقد التجأ إليها معظم أصحابه الفارين، فأشد عليهم الأمير محمد وضرب المدينة بالمنجنيق، فطلبوا الدخول في الطاعة وأبرزوا أطفالهم ونساءهم بأعلى السور مستعطفين الأمير بصراخهم وعويلهم، فأجابهم الأمير على ما التمسوه، وبسط لهم الأمان وتوثق منهم بالارتهان لرهط من وجوههم واستعمل عليهم عاملاً من قبله (١٦٨).

(١٦٧) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل، ص ١١٨ - ١٢٠.
(١٦٨) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل، ص ١٢٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٢٤، ٣٢٥.

عمر بن حفصون يطلب السلم ويقدم ابناً مزيفاً رهينة

وفي سنة (٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) طلب عمر بن حفصون السلم خديعة فأجيب إليه وتوثق من نفسه بدفع رهينة له، ثم لم يلبث أن انتفض سريعاً وعاد إلى المعصية وكان السبب في ذلك أن أهل أرشدونة غدروا بأحمد بن هاشم بن عبد العزيز الوزير الذي استعمله الأمير عبد الله عليهم عند معاودتهم طاعته، ومحمد بن دنين العدي المقيم معه فقبضوا عليهما، واستدعوا عمر بن حفصون فأدخلوه ليلاً وأسلموا له الرجلين، فقام عمر بن حفصون بقتل محمد بن دنين العدي لحنقه عليه وأمسك ابن هاشم أسيراً عنده ونقد بذلك السلم واستقر في عصيانه (١٦٩)، وفي سنة (٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م) توجه المطرف بن الأمير عبد الله بالجيش إلى عمر بن حفصون ببريشتر ومعه القائد عبد الملك بن عبد الله بن أمية وكان سبب هذه الغزوة، نقض عمر بن حفصون الصلح الذي عقده مع الأمير عبد الله سنة (٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)، وإعطائه كذلك " رهينة زعم أنه ولده، فلما أمتحن الغلام وجد أنه ليس بابنه، وأنه ابن خازن له تبناه ورباه" فكتب الأمير عبد الله لابن حفصون يوبخه على ذلك من مكروه ويسأله إبدال الرهينة بولد له لا يخفي عنه، فامتنع عمر بن حفصون ونكث وأخذ يسعى في الأرض فساداً، فخرج إليه الأمير المطرف الذي أوقع هزيمة قاسية بعمر بن حفصون وقتل أكبر قواده حفص بن المرة وآخرين من خيرة

(١٦٩) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل، ص ١٢٨.

رجاله، ولا شك أن هذه الغزوة أضرت بعمر بن حفصون وشلت قوته وخاصة بعد أن قتل فيها عدد من كبار رجاله الذين " اشتد بهم فجعه، ووهن فيهم جناحه (١٧٠) هذا النص السابق الذي أورده ابن حيان يؤكد أن الرهينة الذي كان يتم تقديمه من الثوار للإمارة الأموية كدليل على الطاعة كان يتم امتحانه، حتى يتأكد الأمير الأموي أنه ابن الثائر وبذلك تحقق الإمارة الأموية مقاصدها من أخذه، ويكون المرهون ورقة ضغط في مواجهة أي ثائر تسول له نفسه الخروج عن الطاعة.

فلما عادت جند الأمير إلى قرطبة عاد ابن حفصون يدبر خطط العدوان وجمع جموعه وزحف على إستجة واستولى عليها للمرة الثانية سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧م) فبادر الأمير عبد الله باستقدام الجند من النواحي وفي العام التالي سنة (٢٨٥هـ/٨٩٨م) سير ولده أبان لقتال ابن حفصون ومعه القائد أحمد بن أبي عبدة. ونشبت بينها وبين قوات ابن حفصون عدة معارك محلية، ثم عادت إلى قرطبة عن طريق وادي آش. ولكن هذه المعارك لم تسفر عن أية نتيجة حاسمة، واقتنعت حكومة قرطبة بأنه لا بد من مضاعفة الأبهة لكي تستطيع أن تضع حداً لعدوان الزعيم الثائر (١٧١).

وفي سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م) أعلن عمر بن حفصون اعتناقه للنصرانية فخرج عليه بعض قواده المسلمين وامتنعوا بحصونهم وبعثوا بطاعتهم إلى الأمير عبد الله واشتد السخط عليه في سائر جنابات الأندلس، ورأى المسلمون في قتاله نوعاً من الجهاد، وحاول ابن حفصون من جانبه أن يقوي مركزه بعقد محادثات جديدة، ففاوض ألفونسو الثالث ملك ليون وبني قسي، كما

(١٧٠) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل، ص ١٣٠. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٣٦.
(١٧١) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل، ص ١٤٣. ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣٨. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٣٦.

فاوض بعض أمراء المغرب ولكن العون الحقيقي جاء من ناحية أخرى ذلك أن إبراهيم بن حجاج سيد إشبيلية وقرمونة لما ساءت العلاقات بينه وبين الأمير عبد الله بسبب رفضه إطلاق سراح ولده، قطع الجزية وأعلن استقلاله وتحالف مع ابن حفصون (٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م) وغدا الاثنان قوة يحسب حسابها (١٧٢).

لقد توجست حكومة قرطبة شراً من تحاف إبراهيم بن حجاج مع عمر بن حفصون، فبعث الأمير عبد الله إلى ابن حفصون يعرض عليه شروطاً مغرية للصالح، فقبل الثائر هذا العرض، وبعث إلى قرطبة أربع رهائن من أصحابه، منهم خازنه وحليفه سعيد بن مستنة الثائر من قبل في باغة بيد أنه لم يمض قليل على ذلك، حتى حدث خلاف في تنفيذ الشروط بين الفريقين، وعاد ابن حفصون فأعلن انخلاف وتأهب للحرب، وعاونته حليفه ابن حجاج بقوة من الفرسان عليهم جفيل بن مسلم الشذوني، وسارت جند الأندلس بقيادة أحمد بن أبي عبدة، وخرج ابن حفصون من إستجة التي اتخذها قاعدة للملاقاته. واشتبك الفريقان في "إسنة" الواقعة جنوبي إستجة على مقربة من نهر شنيل، فهزم جند الأندلس في البداية وقتل منهم بضع مئات ولكنهم عادوا فكروا على قوات ابن حفصون بعنف وأوقعوا بها هزيمة شديدة سنة (٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م) استرد بها ما كان خسره في الموقعة السابقة (١٧٣)، وعلى أثر ذلك أمر الأمير عبد الله بقتل رهائن ابن حفصون ما عدا ابن مستنة إذ افتدي حياته بالخضوع والطاعة (١٧٤)، ومن الواضح أن هؤلاء الرهائن الأربعة كان فيهم ابن أخي عمر بن حفصون.

(١٧٢) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل، ص ١٥٢، ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ٢، هامش ص ٣٧٦.
(١٧٣) ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص ١٢٣؛ ابن حيان: المقتبس؛ إسماعيل العزب، ص ١٥٢، ١٥٣.
(١٧٤) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٣٧.

حيث كاد الأمير عبد الله يتقزز من الغيظ، عندما ترامت إليه الأنباء بما فعله هذان الحليفان فأمر بقتل ابن أخي عمر بن حفصون، وكذلك عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج حيث كان قد احتجزهما عنده، ولما نفذ القتل في ابن أخي عمر بن حفصون أشار بعض رجال الدولة بإبقاء عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج، وذلك لأن في قتله توثيقاً للحلف القائم بين والده وبين عمر بن حفصون، فاستصوب الأمير عبد الله هذا الرأي، فقام بإطلاق سراح عبد الرحمن ابن إبراهيم وعلاوة على ذلك سجل رسمياً لبني حجاج عامة على المناطق التي كانوا يسيطرون عليها^(١٧٥) وبسبب هذه السياسة التي انتهجها الأمير عبد الله انحل ما كان يجمع بين ابن حفصون وابن حجاج من اتفاق عسكري، فلم يشتركا معا بعد ذلك في تجهيز أي جيش ضد الإمارة الأموية، بالرغم من أن الاتصال الودي بقي قائماً بينهما حتى آخر أيامهما^(١٧٦).

وبقتل ابن أخي عمر بن حفصون المرهون عند الأمير عبد الأمير عبد الله يتضح لنا أن الإمارة الأموية قد أصبحت في هذا الوقت أكثر قوة وأكثر ثباتاً وأنها على استعداد للدخول في معارك حربية فاصلة مع ابن حفصون وأنها أخيراً قد فطنت لحيله وأنه لا يحترم السلم، فأقدمت على قتل ابن أخيه، ونجد أن الأمير عبد الله اشتد في التعامل مع ابن حفصون من ذي قبل ففي سنة (٢٨٨ هـ / ٩٠٠ م) تكرر طلب عمر بن حفصون إلى معاودة الطاعة فتم الصلح وقبضت رهائته^(١٧٧).

وفي سنة (٢٩١ هـ / ٩٠٣ م) أرسل إليه الصائفة بقيادة ابنه أبان وما إن بلغ الجيش الأموي ببشتر حتى خرج عمر بن حفصون بقواته فجرت بين الجانبين معركة شديدة تكشف عن نصر

(١٧٥) ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص ١٢٢، ١٢٣.

(١٧٦) ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص ١٢٣؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٥٣.

(١٧٧) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٥٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣٩.

كبير للأمويين^(١٧٨)، ومن الملاحظ أن الدولة الأموية في هذه الفترة لم تقبل من عمر ابن حفصون المودة^(١٧٩) التي كان يلجأ إليها عند شعوره بالضعف وعملت الإمارة الأموية على تفريق أنصاره وقامت بافتتاح ومصالحة العديد من الحصون الواقعة تحت طاعته^(١٨٠)، وأن الإمارة الأموية رضيت بالجباية من أكثر المتمردين وتركهم يديرون أقاليمهم بأنفسهم، وهي بذلك لم تكن قد وصلت إلى القوة الفعلية التي تمكنها من السيطرة على أقاليم الأندلس. استطاع الأمير عبد الله أن يحول ثورة عمر بن حفصون من ثورة عامة تهدف إلى الإطاحة بحكمه، إلى حركة لا تختلف عن غيرها، وخصوصا أن الأمير عبد الله أبدى الحزم تجاه ابن حفصون وقام بقتل ابن أخ عمر بن حفصون المرهون في قرطبة واستخدم كل الإمكانيات في سبيل مواجهته.

(١٧٨) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٥٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٤٠.

(١٧٩) أحمد بدر: دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٦٠.

(١٨٠) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٥٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٤٠.

محمد بن أضحى^(١٨١) يقدم ابنه رهائن لابن حفصون

كان محمد بن أضحى يسيطر على حصن الحمة الواقع في الأجزاء الجنوبية من كورة البيرة وكان على عداء مع سعيد بن جودي، الذي قتل غدرًا سنة (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ هـ)^(١٨٢)، فتولي محمد بن أضحى أمر العرب بالبيرة^(١٨٣)، فأمسي على طاعة الأمير عبد الله وأضحى؛ فناسب ابن حفصون الحرب، ودارت بينهما حروبٌ عصبيةٌ، تمكن عمر بن حفصون من أسره فيها، فبقي محمد بن أضحى في الأسر إلى أن اقتداه العرب بمال جسيم^(١٨٤)، وهناك روايةٌ تشير إلى أن ابن أضحى هو الذي افتك نفسه من الأسر بإرتهان ابنه لدي عمر بن حفصون، إذ يذكر ابن حيان: أن عبد الرحمن الناصر في أوائل حكمه سنة (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) قد دفع إلى محمد ابن أضحى أحد الأسرى الموالين لابن حفصون وهو مسلمة بن ربيعة^(١٨٥) "فقادي به ابنه المرتين عند عمر بن حفصون عما كان قاطعه به عن نفسه في أسره"^(١٨٦)، وقد يتثنى لنا الجمع بين الروایتين والأخذ بهما، فيبدو أن عمر بن حفصون اشترط على محمد بن أضحى شروطًا حتى

(١٨١) محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الهمداني: من أكابر أبناء العرب بكورة البيرة إذ يعود نسبه إلى قبيلة همدان اليمنية، حيث كان جده من أوائل الزعماء اليمنيين الذين ناصروا عبد الرحمن الداخل وهو صاحب حصن الحمة من أعمال البيرة زمن الفتنة، وقام بأمر العرب بعد قتل سعيد بن جودي، وتمسك بموالة أمير عبد الله بن محمد إلى آخر مدته، وأورث عقبه نياهة ورياسة انسحبت عليهم دهرًا وكان ابن أضحى هذا، مع رجوليته، أدبياً خطيباً، يقوم بين أيدي الخلفاء في المحافل فيحسن القول ويطيب الثناء؛ وله أخبار معروفة. ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص ٤٥؛ ابن الأبار: الحلة السرياء، ج ٢، ص ٣٧٨، ٣٧٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣٧.

(١٨٢) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٥٠.

(١٨٣) ابن الأبار: الحلة السرياء، ج ١، ص ٢٢٨.

(١٨٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣٤.

(١٨٥) مسلمة بن ربيعة: أحد قواد عمر بن حفصون، نجح الأمير عبد الرحمن الناصر في أسره هو ووجوه أصحابه وذلك عندما افتتح حصن فتيانة عنوة بعد قتال استمر أحد عشرة يوماً. ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٦٣.

(١٨٦) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٦٤.

يوافق على إطلاق أسرته وهي أن يدخلَ في عداة الأمير عبد الله ولا يصانعه ويؤيد ذلك رواية ابن حيان " عما كان قاطعه به عن نفسه" ^(١٨٧) فهذه العبارة تدل على أن ابن أضحى أعطي ابن حفصون عهدودا فأخذ ابن حفصون ابنه رهائن على تلك العهود و بعد أن فك عمر بن حفصون أسر محمد بن أضحى خرج عن طاعة الأمير عبد الله وناصبه العداة حتى استنزله الأمير عبد الرحمن الناصر من حصنه ^(١٨٨) . وهذا التحليل يبين سب باتخاذ عمر بن حفصون رهائن من محمد بن أضحى ليعادي الإمارة

الأموية، وهو بذلك يرد على الأمير عبد الله الذي أفشل تحالفه مع إبراهيم بن حجاج ونستدل كذلك أن الأمير عبد الرحمن الناصر استخدم الأسرى في فداء الرهائن.

عاملُ مدينةِ إشبيليةِ يَحتمي بالرهائن العرب:

كان سكان إشبيلية مزيجاً من العرب والمولدين والبربر واستقرت بإشبيلية أسرٌ عربية كان أبرزها بنو حجاج ^(١٨٩) وبنو خلدون ^(١٩٠) وبنو عبده وإلى جانب هذه الأسرات العربية عاشت أسرٌ أخرى من المولدين ومنهم بنو أنجلين وبنو شبرقة وبنو الجريج، وكان المولدون أغلظ

(١٨٧) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٦٤.

(١٨٨) ابن الأبار: الحلة السراء، ج ٢، ص ٣٧٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣٧.

(١٨٩) بنو حجاج: فإنهم يرجعون بنسبتهم إلى لخم، ويتصلون في الوقت نفسه من ناحية الأمومة بملوك القوط، وذلك عن طريق سارة القوطية حفيذة ونيزا ملك القوط؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٣١. حمدي عبد المنعم: تاريخ إشبيلية، ص ٦٢، ٦١؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ١٢٦.

(١٩٠) بنو خلدون: ينتسبون إلى العرب اليمانية في حضرموت، وإليهم ينتسب المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون، وكان زعيم بيتهم يومنز كريب بن عثمان بن خلدون وأخوه خالد؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٦٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٣١.

أهل إشبيلية شوكة وأوسعهم نعمة وأعزهم جانباً، وإلى جانب العرب والمولدين كان هناك زعماء قریش ومواليهم من العرب والبربر (١٩١).

وكان التنافس بين العرب والمولدين في النفوذ والرياسة، من أهم أسباب الاضطراب في المجتمع الأندلسي يومئذ، وكان بنو خلدون أول من رفع لواء الثورة في إشبيلية في سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م)، وخرج زعيمهم كريب بن عثمان ابن خلدون في أنصاره وحلفائه من المولدين والبربر الذين رأوا أن يعملوا على إذكاء المعركة بين الأسر العربية، وتحالف مع ابن مروان الجليقي الثائر ببطلوس (١٩٢)، ودعا كريب قومه العرب اليمنية في إشبيلية إلى الالتفاف حوله، وأتصل بزعماء المتمردين في كورتي شذونة ولبلة، وبعض زعماء البربر البرانس، وعقد تحالفاً معهم، فساور المولدون في حاضرة إشبيلية القلق فتحالفوا مع العرب المضربة والبربر البتر، فكونوا بذلك جبهة مضادة لكريب وحلفاؤه (١٩٣).

وبجانب هاتين الكتلتين قامت فئة حيادية تناصر الإمارة الأموية، وتمتخ الخرج عليها، ففشل كريب في تحقيق مأربه في إشبيلية، فغادرها إلى إقليم الشرف واستوطن قرية البلاط فيه (١٩٤)، وعمل على إحلال الفوضى في إشبيلية، وأغري بربر مدينة ماردة بالإغارة عليها، وذلك لبيغض الأمير عبد الله في نفوس أهلها وحقق ما أراد، وبان وهن السلطان، ومقتة رعيته، وقويت أطماع أهل الشر في كل جهة، وكثف البربر غاراتهم على إشبيلية، وأنتشر

(١٩١) حمدي عبد المنعم: تاريخ إشبيلية، ص ٦٣، ٦٤.

(١٩٢) ابن حبان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٩١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٣١؛ حمدي عبد المنعم: تاريخ إشبيلية، ص ٦٥.

(١٩٣) ابن حبان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٩١، ٩٢.

(١٩٤) إقليم الشرف: أحد الأقاليم إشبيلية، وهو على بعد ثلاثة أميال ويقع إلى الغرب منها، وهو ما بين إشبيلية ولبلة والبحر المظلم وفيه من المعالق حصن القصر ومدينة لبلة وولبة وجزيرة شلطيش وجبل العيون.

ويعرف حتى الآن بالاسم نفسه. العذري: نصوص عن الاندلس، ص ٩٥؛ ابن غالب فرحة الأنفس، ص ٢٣، ٢٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٣، ص ١٣٥؛ حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين، ص ٣٨٤.

قطاع الطرق، فكان من أعتاهم رجل من البربر يدعى الطماشكة، إذ اتَّخَذَ من الطريق بين إشبيلية والعاصمة قرطبة مجالا واسعا لعمليات النهب والسلب والفساد (١٩٥).

ولعل هذا الاضطراب الذي خيم على كورة إشبيلية هو ما كان يسعي إليه كريب بن خلدون، ونتيجة لهذه الأوضاع اتصل أحد زعماء مدينة إشبيلية وهو محمد بن غالب بالأمير عبد الله واستأذنه في بناء حصن بقرية شنت طرش (١٩٦)، وتكفل له بإعادة الأمن والاستقرار، فلم يمانع الأمير عبد الله (١٩٧)، لم يسر العرب البينية في إشبيلية بالحالة التي بلغها ابن غالب، وكأنهم رأوا أن عمله ذلك سوف يبطل مخططاتهم، ذاك أن ابن غالب لم يكن ينتمي إليهم، كما أن الغالب على أتباعه أنهم من المناوئين للعرب، لذلك تحالف بنو خلدون مع بني حجاج، ووقعت اشتباكات بين الجانبين قتل فيها رجل من بني حجاج فأراد العرب أن يسخروا هذه الحادثة لدعم موقفهم لدي السلطات الأموية فادعوا عند عامل الإمارة في إشبيلية أن ابن غالب قد اغتال صاحبهم غدرًا، وأردفوا ذلك بشهادات مزورة، فلما لم يفلح عامل الإمارة في حل القضية فأحالتها للأمير عبد الله، ولكن الأمر التبس عليه، ورأي ألا يتعجل في البت فيها حتى تقوي الأدلة، فبعث ابنه محمد لهذا الغرض فلم يوفق في حلها فأرجأ الحكم فيها، ولعل الأمير عبد الله رأي أن إرجاء الحكم بحجة عدم وضوح الأدلة سوف يخفف من حدة الخلاف بين المتخاصمين في الوقت الذي تكون فيه الإمارة قد عززت سلطانها في كورة إشبيلية، وأنه ولي

(١٩٥) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٩٢ - ٩٣.
(١٩٦) شنت طرش: (Siete Torres) وهي إحدى القرى التابعة لإشبيلية على الطريق الذي كان يربطها بقرطبة، وموقعها على حدود إشبيلية مع إستجة. ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٩٢، ٩٣؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص ١٠٤.
(١٩٧) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٩٣.

وعزل عنها أكثر من عامل إلى أن وقع اختياره على أمية بن عبد الغافر الخالدي الذي يوصف بأنه كان "شهما، بعيد الصيت، منيع الجانب" (١٩٨).

على أن العرب اشتد غضبهم، حينما أجل الأمير محمد القضية، وسمح لمحمد بن غالب بالعودة إلى حصنه، وكأنهم قد فهموا من هذا الموقف أن الإمارة بدأت تميل في صف بن غالب، لذلك قرروا الرحيل عن الحاضرة، فأتجه بني حجاج إلى باديتهم بالسند المنسوب إليهم، بينما خرج بنو خلدون إلى قريتهم بالشرف، وبدأ الجميع مع حلفائهم من العرب اليمنية والبربر البرانس بإشاعة الفوضى في المنطقة عن طريق الإغارة والسطو على بعض المراكز المهمة، ثم تطور الأمر بهم فاستولى عبد الله بن حجاج مع حليفه البربري جنيد بن وهب على مدينة قرمونة بعد طرد عاملها الأموي، أما كريب بن خلدون فقد ضبط حصن قورة، واتخذ قاعدة لنشاطه، كما جرت اتصالات بين ابن غالب صاحب حصن شنت طرش وبين وجوه المولدين من أهل إشبيلية واتفقوا معه على خلع الطاعة، ولكن محمد بن الأمير عبد الله الموجود في إشبيلية آنذاك اطلع على هذه الاتصالات، فكتب إلى والده في قرطبة ينبئه بكل التطورات التي جرت على ساحة إشبيلية، سواء ما كان قد ارتكبه العرب، أو ما خطط له المولدون مع ابن غالب، فقرر الأمير عبد الله القضاء على محمد بن غالب لاستئلاف قلوب العرب (١٩٩).

إمعانا في سرية التنفيذ أخفى الأمير عبد الله الخطة المرسومة حتى عن إصبع بن عيسى الوزير المصاحب لهذه الحملة، كما كتب إلى بن غالب يحثه على الخروج في أصحابه، والالتحاق في الجيش الأموي المتجه إلى قرمونة، ولقد استراب محمد بن غالب من هذه الحركة، وذلك لخوفه من تسرب أخبار اتفاه السري مع المولدين في إشبيلية إلى الأمير عبد الله، أو ربما كان مصدر

(١٩٨) ابن حيان: المقتبس، إسماعيل العزب، ص ٩٤.
(١٩٩) ابن حيان: المقتبس، إسماعيل العزب، ص ٩٦، ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٧٤.

خوفه من الإمارة أيضا هو أنه في ذلك الحين " قد نفر وجنح إلى ابن حفصون، نخشي أن يعاقبه الأمير عبد الله على فعله هذا، فكتب إليه القائد جعد يطمئنه، ويؤكد له أن الحملة إنما خرجت لقتال العرب، فصدق بن غالب قوله، وخاصة أنه كان مندفعاً للانتقام من بني حجاج وبني خلدون، فأستقبله جعد وقضي حقه، وبمجرد أن عسكر الجيش حول قرمونة اتصل القائد جعد بعبد الله المستبد بحكمها، وخبره بأنه سينصفه من ابن غالب بالقتل إنه هو تعهد بالعودة إلى الطاعة، فلما أجاب بن حجاج بالموافقة بدأ جعد يترصد لابن غالب إلى أن وجد منه غرة فقبض عليه وقتله صبوا، ثم بعث برأسه إلى ابن حجاج في قرمونة، وعندئذ وفي بن حجاج بعده وسلم مدينة قرمونة للأمويين، ولم يكتفِ جعد بقتل ابن غالب، بل انتقل إلى حصنه شنت طرش فهدمه وشتت من كان فيه (٢٠٠).

أثار مقتل ابن غالب غضبةً عارمةً بين المولدين في حاضرة إشبيلية فنهضوا إلى محمد بن الأمير عبد الله وأفضوا إليه ما بأنفسهم من شكوك حول نوايا الإمارة، وطلبوا منه تسليم مفاتيح الحاضرة ليأمنوا على أرواحهم، وكان محمد بن الأمير عبد الله آنذاك لا يملك قوة يدفعهم بها، فاضطر إلى الاستجابة لهو دون قيد أو شرط (٢٠١)، وحينما صار زمام المدينة بأيديهم كسروا عن أنيابهم وطلبوا القود من عامل المدينة أمية بن عبد الغافر الذي قُتل ابن غالب على يد أخيه جعد، واستنصروا حليفهم بن مولود (٢٠٢) فبعث إليهم قوة عسكرية تجرؤوا بوصولها على إعلان الثورة وحاصروا قصر الحكم وشنوا هجوما صارخا عليه، فدافعهم أمية وظل يقاتلهم حتى

(٢٠٠) ابن حيان: المقتبس، إسماعيل العزب، ص ٩٦.

(٢٠١) ابن حيان: المقتبس، إسماعيل العزب، ص ٩٦.

(٢٠٢) طالب بن مولود: من موالى الأندلس، و كان يقطن في كورة شذونة، نجح في مد نفوذه إلى الأراضي المجاورة، فأحكم قبضته على كورة مورور، وبدأت تحركاته سنة (٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) فصدته قوات الإمارة في منطقة تمرده ونجحت في قتله، في صدر ربيع الآخر سنة (٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م). ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص ١١٥؛ العزري: نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.

قدم جيش الإمارة بقيادة أخيه جعد بن عبد الغافر حيث أن المحاصرين كانوا قد استصرخوه فأتي إليهم ووجد أخيه والأمير محمد بن الأمير عبد الله وهما بآخر رمق، وسيطر الجيش الأموي على المدينة وأمر محمد بن الأمير عبد الله محمد بن الأمير عبد الله بتشتيت الثائرين ونهب دورهم، وترك مقاليد إشبيلية بيد أمية عبد الغافر ثم عاد لقرطبة (٢٠٣).

فلما تفرد أمية بحكم إشبيلية قرب إليه زعيمى العرب كريب بن خلدون وعبد الله بن حجاج، وأظهر لهما أنه مستظهر بهما على أهل الحاضرة أعدائهما، وبالع في نكاية المولدين من أجلهما، فأظهرا إليه القبول وأقاما لديه مدة، ولكنهما تركوه حبا للفتنة حيث عاد كريب بن خلدون إلى معقله قورة، ودخل وعبد الله بن حجاج، قرمونة مرة أخرى وملكها، وصرحا بشق عصا الطاعة، حيث "تضافر كل واحد منهما من جاوره من أهل الخلاف، فقويت شوكتهما" (٢٠٤).

ولم يكن هذا السلوك من قبل زعيمى العرب غريباً حيث إن اجتماعهم المؤقت عند أمية بن عبد الغافر كان من أجل القضاء على المولدين، فلما تم لهم مرادهم عادوا لشق عصا الطاعة، لذلك لجأ أمية بن عبد الغافر إلى خلخلة صفوف العرب وحلفائهم من البربر عن طريق إثارة الشقاق بين رؤسائهم، فأوقع بين عبد الله بن حجاج وصاحبه البربري المشارك له في حكم قرمونة جنيد بن وهبه الذي وثب على بن حجاج وقتله، وسي أهلته ونهب ماله، ثم بعث برأسه إلى أمية بن عبد الغافر سنة (٢٧٨ هـ / ٨٩١ م) (٢٠٥).

(٢٠٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٩٨؛ ابن عذارى: نصوص عن الأندلس، ص ١٠٢.

(٢٠٤) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٩٩. ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٧٤.

(٢٠٥) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٩٩.

قترّب على ذلك التحالف بين العرب اليمنية حتى أن رئاسة إبراهيم بن حجاج اللخمي على قومه وأتباعه العرب بعد مقتل أخيه عبد الله قد تمت بإجماع من كريب بن خلدون، لذلك بادر أمية بالتبرؤ من دم عبد الله بن خلدون فناققه العرب بالتصديق، فحاول الإيقاع بين بني حجاج وبني خلدون، فأتصل بكريب بن خلدون فدعاه للانضمام إليه ضد بني حجاج فتظاهر كريب بالقبول، لكنه كان هو وحليفه بن حجاج يخططان للإطاحة به (٢٠٦)،

ويبدو أن أمية قد اكتشف فشل سياسة الوقعة بين زعميي العرب (٢٠٧) فخاف على نفسه وشرع في بناء قصبة بجوار قصر الحكم في إشبيلية وعندما اعترض العرب عليه تذرّع بأن ما يفعله إنما هو تنفيذ لأوامر الأمير عبد الله، ولكنهم لم يلتفتوا إلى قوله "وحاولوا منعه بالقوة فوجدوه مستعدا ومعه جملة من الحشم فاستظهر عليهم بهم فاقصروا عن مغالبته ولاذوا بطاعته وسلموا لأمره فلم يقبل منهم إلا على رهائن من وجوههم يضعونهم عنده ليطمئن إلى حبسهم لديه فأجبهه إلى ذلك، ولم يدع بيتا من العرب إلا أخذ منه رهينة ولدا وأخا وابن عم، فلما قبض منهم الرهائن طابت نفسه، فتماذي في عمله"، وقد جعل أمية الرهائن في قصر الحكم (٢٠٨) ومن المؤكد أنهم تلقوا معاملة حسنة وخصوصا أن الرهائن من وجوه العرب في إشبيلية. فأخذ العربُ يترصدون له وقد استمالوا أحد أصحابه فصيروه عينا عليه فأخبرهم في أحد الأيام أن الفرصة سانحة للقضاء عليه لانفراده بالقصر وحده فقاموا بالهجوم عليه وأخذوا عليه باب القصر، فن كان خارجا عنه لم يقدر على الدخول إليه، فبادر أمية بالصعود إلى أعلي القصر فيمن خلص معه من غلمانه، ولما رأى إصرار بني خلدون وبني حجاج لأخذه، أخرج الرهائن

(٢٠٦) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٧٤.

(٢٠٧) حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي لمدينة إشبيلية، ص ٧٧.

(٢٠٨) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٠٠.

الذين كانوا عنده منهم فأشرف بهم إلى موضع يراعهم منه أهلهم وأمر بضرب أعناقهم فاستغاثوا وأرسلوا إلى أهلهم في تخليصهم من يديه، "فبعث بنو خلدون وبنو حجاج يستوقفونه ويستلطفونه بالقول ويتوسلون إليه بذمة السلف ويسألونه الإبقاء ويعرفونه أن مذهبهم ملك بلدهم على السلطان على ما قد فعله سواهم من الأهل الكور، وأن تمام ذلك بخروجه آمناً على نفسه وماله وأصحابه على أن يعاهدوه على ذلك بما تطيب به نفسه" (٢٠٩).

ووقف له كريب بن خلدون وأبوه وإبراهيم بن حجاج وأخوه، وبشر بن محمد بن عبد الملك على الباب الشرقي على مما يلي القصر وحلف له كل واحد منهم خمسيناً على الوفاء بما عاقده عليه وأنه لا ينبذه بمكره ويحلي له سبيله ويبلغ مأمنه، فلما اقتضى أيمانهم طابت نفسه وأطلق لهم رهائهم، فلما صاروا عندهم نكثوا أيمانهم وغدروا به، وعندئذ أيقن أمية بالهلاك فاستمات في قتالهم مقبلاً غير مدبر (٢١٠).

ولقد أخطأ أمية بن عبد الغافر خطأ كبيراً كلفه حياته، حيث أجابهم إلى مطلبهم لقلة المدافعين عنه، مقابل مغادرته إشبيلية آمناً، ولم يدرك أمية قيمة الرهائن الذين تحت يديه والذين كانوا سبباً لنجاته في المرة الأولى.

وبمقتل أمية بن عبد الغافر بسط العربُ سلطانهم على إشبيلية ولم يجنحوا للخروج على الأمير عبد الله، وأظهروا أنهم قتلوا أمية بسبب جنوحه إلى العصيان، أما هم فإنهم لا يزالون على الطاعة، ولا مانع من إرسال عامل آخر إليهم، فأظهر الأمير عبد الله قبول عذرهم، وأرسل إليهم المددي عاملاً عليهم فكان بمثابة التابع، فأخرج الأمير عبد الله إليهم عمه هشام بن الأمير عبد الرحمن وصرف المددي، فحجر كريب بن خلدون وإبراهيم بن حجاج عليه، بل إن كريب قد

(٢٠٩) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٠٠.

(٢١٠) ابن حيان: المقتبس، إسماعيل العزب، ص ١٠١.

استحل دم المطرف ولد هشام وقتله بدون سبب، فأرسل إليه هشام مستغيثاً فتغافل عنه الأمير عبد الله مدة من الزمن، وذلك لأنه لا يمتلك من الوسائل ما يستطيع به ردع العرب في إشبيلية، وعندما تحسنت أحواله في سنة (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) أعد حملةً وأمر عليها ابنه المطرف، وجعل القيادة فيها لوزيره عبد الملك بن عبد الله بن أمية للتوجه إلى الخارجين على السلطة، فعسكر الجيش على بعد ميلين من إشبيلية (٢١١).

ويبدو أن المراسلات جرت بين المطرف والعرب وتعهد العرب بتقديم الطاعة والولاء للمطرف إذا خلصهم من الوزير عبد الملك فوافق المطرف على هذا الطلب وقام بقتله وأرسل برأسه إلى إشبيلية وعندئذ أجابوه إلى ما كانوا عاهدوه عليه والتحق إبراهيم بن حجاج وخالد بن خلدون بحملة المطرف (٢١٢).

وأسند المطرف القيادة إلى أحمد بن هاشم بن عبد العزيز واستأنف المسير نحو الجنوب الأندلسي، ومضي يتعقب المتمردين بالصلح تارةً وبال حرب تارةً أخرى، واستمر على ذلك عدة أشهر ثم قفل راجعاً إلى قرطبة، وجعل طريق العودة يمر بإشبيلية، فلما حل بها امتنع أهلها عنه بقيادة كريب بن خلدون، فاضطر المطرف إلى تكبيل إبراهيم بن حجاج وخالد بن خلدون وأصحابهما والذين كانوا مصاحبين له في حملته، وقام أهل إشبيلية بالهجوم على مقدمته فجرت بين الجانبين حربٌ هزم فيها أهل إشبيلية، وأمر المطرف بالتشديد على بن حجاج ومن على شاكلته ثم قفل إلى قرطبة، فأرسل أهل إشبيلية جبايتهم ورغم ذلك أمر المطرف بسجن أهل إشبيلية في قرطبة (٢١٣).

(٢١١) ابن حيان: المقتبس، إسماعيل العزب، ص ١٠٢.

(٢١٢) ابن حيان: المقتبس، إسماعيل العزب، ص ١٠١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٧٤.

(٢١٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٠٤.

رهائن لتأسيس دولة بني حجاج وبني خلدون في إشبيلية:

لما اشتد خطرُ عمر بن حفصون، أشار بعض وزراء الأمير عبد الله بإطلاق سراح إبراهيم بن حجاج، وخالد بن عثمان بن خلدون، ومسلمة بن محمد بن عبد الملك السكوني وأصحابهم خوفاً من تغلب عمر بن حفصون على بلادهم أثناء غيابهم " فهم في حال أضعف شوكة منه، وأن توثق منهم بالأمان ومن عليهم بإطلاق سراحهم شكروا حادثة النعمة وسدوا بلادهم عن ابن حفصون" فأخذ الأمير عبد الله بهذا الرأي وأطلق سراحهم بعد أن أقسم كل منهم في المسجد الجامع بقرطبة خمسين يمينا أن لا يخرج عن طاعة الأمير، كما أخذ منهم بعض الرهائن ضماناً كي لا ينكثوا عن طاعة الدولة الأموية (٢١٤)، وقدم زعماء الفتنة رهائن من الولد والأهل، حيث ترك إبراهيم بن الحجاج ابنه رهينة بقرطبة وأتفق على أن يشترك في حكم المدينة إبراهيم بن حجاج وكريب بن خلدون باسم الأمير وفي طاعته، فتوزعت كورتها بينهما إلى نصفين وبقيا على ذلك مدة وقد أخذ الأمير عبد الله بالواقعة بينهما حتى يضعف قبضة كل منهما على إشبيلية من ناحية ولكي يضمن عدم تحالفهما معا ضد الإمارة الأموية من ناحية أخرى (٢١٥) وكان كريب طاغية فنفر منه الشعب، أما إبراهيم فكان رفيقاً فكثرت أنصاره ورجحت

(٢١٤) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٠٥ حمدي عبد المنعم: تاريخ إشبيلية، ص ٦٣، ٦٤.

(٢١٥) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٧٥. حمدي عبد المنعم: تاريخ إشبيلية، ص ٨٩.

كفته واستطاع أن يحصل من الأمير عبد الله سرّاً على عهد بولاية المدينة، فدير مقتل كريب ابن خلدون وأخيه خالد، وانفرد بحكم إشبيلية سنة (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) (٢١٦). وكتب إبراهيم بن حجاج إلى الأمير عبد الله بن محمد بقرطبة يتبرأ من دهما وأنهما كانا يدفعانه نخلع الطاعة وأنه الآن على الطاعة ويطلب تعيينه على ولاية إشبيلية، على أن يدفع كل عام من جبايتها سبعة آلاف دينار، فأجابه الأمير إلى ذلك وأشرك معه في ولايتها القائد قاسم بن وليد الكلبي، فأقام معه عدة شهور حتى استقرت أحوال إشبيلية فعزله الأمير عبد الله وانفرد إبراهيم بن حجاج بولاية إشبيلية " (٢١٧).

الرهينة عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج في الميزان:

لقد قوي أمر إبراهيم بن حجاج، فأخذ يشتط في مطالبه على الأمير عبد الله إلى أن سأله إطلاق سراح ولده عبد الرحمن الذي كان قد ارتهنه عنده، فلما تباطأ الأمير عبد الله في إجابته أعلن خلع الطاعة ومنع الجباية (٢١٨)، ولجأ إلى التحالف مع عمر بن حفصون رغم اختلافهما، فابن حجاج عربي وابن حفصون مولد إلا أن البغض لقريش ألف بينهما"، وكان ذلك في سنة (٢٨٨ هـ / ٩٠٠ م)، وغدا الاثنان قوة يحسب حسابها فغضب الأمير عبد الله من التحالف الذي تم بين إبراهيم بن حجاج وعمر بن حفصون، وقيام بن حجاج بإمداد عمر ابن حفصون

(٢١٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٣٣.

(٢١٧) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٧٤.

(٢١٨) ابن حيان: المقتبس،: إسماعيل العزب، ص ١٠٥.

بالمال والرجال في حروبه ضد الإمارة الأموية، فأمر الأمير عبد الله بإحضار عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج وابن أخي عمر بن حفصون من دار الرهن وعزم على قتلهما، فنفذ القتل في ابن أخي عمر بن حفصون، فلما هم بقتل عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج تقدم نحوه وصيفه بدر بن أحمد النخعي الصقلي وجثا بين يدي الأمير عبد الله ونصح به بإطلاق سراح عبد الرحمن لأن قتله سوف يؤدي إلى تدعيم العلاقات بين بن حجاج وابن حفصون، " وابن حجاج عربي ترجي فيئته وابن حفصون مولدي لا تطفأ غائلته " (٢١٩).

ولكن ما الدافع الذي دفع بدر بن أحمد النخعي الصقلي للتوسط عند الأمير عبد الله ابن حجاج للحيلولة في تنفيذ القتل في عبد الرحمن بن إبراهيم؟ هل للسياسة والخوف على ملك بني أمية بالأندلس أم لهدف ما؟ ويذكر ابن حيان: أن بدر بن أحمد تربطه صداقة قديمة بإبراهيم بن حجاج (٢٢٠).

وقد عرض الأمير عبد الله الأمر على وزرائه، فأشاروا عليه بالعفو عن عبد الرحمن، وتدعيم صلاته مع إبراهيم بن حجاج ضماناً لحسن طاعته، وتضمن بدر طاعته، وكتب التجيبي الخازن إلى الأمير عبد الله بأن يدخل بدر في ضمان فيئة بن حجاج ويعقد على نفسه إنابته للطاعة، وكانت لكليهما بآب حجاج عرفة وصداقة قديمة، ترجع إلى فترة وجوده في قرطبة عندما كان رهينة عند الأمير عبد الله، فأطلق الأمير عبد الله سراح عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج وخلع عليه وسجل له على إشبيلية ولأخيه محمد على قرمونة، وأسلمت الكتب وانلخ إلى التجيبي، فتوجه بها إلى إبراهيم بن حجاج فتقبلها وسر بها واستجاب لطاعة الأمير عبد الله على شروط منها مبلغ من المال يرسل سنوياً إلى قرطبة وإلغاء التحالف مع عمر بن حفصون مع الإبقاء

(٢١٩) ابن حيان: المقتبس،: إسماعيل العزب، ص ١٥٣.

(٢٢٠) ابن حيان: المقتبس،: إسماعيل العزب، ص ١٥٣.

على الصداقة بينهما فقط (٢٢١)، في ظل هذه الأحداث ما هو الضامن لكل هذه الامتيازات التي حصل عليها إبراهيم بن حجاج الذي كان رهينةً عند الأمير عبد الله في قرطبة فيما قبل. استقرت العلاقات بين إبراهيم بن حجاج في إشبيلية والأمير عبد الله، ولم يربط إشبيلية بقرطبة سوى الطاعة الإسمية والمال السنوي الذي يحمل إلى دار الإمارة، فضلاً عن بعض الطرائف التي كان يرسلها ابن حجاج من هدايا إشبيلية إلى قرطبة في المناسبات المختلفة، وكان لهذه العلاقة الودية أثرها في انتعاش الحياة الاقتصادية في قرطبة بانفتاح طريق إشبيلية الذي كان يمثل الباب الغربي للأندلس، قد نوه الأمير عبد الله بفضل فتاه بدر بن أحمد الصقلي وأمر بوضع فراش له للتشاور مع الوزراء (٢٢٢).

بهذا المظهر من الخضوع والطاعة، استقرت الأمور في إشبيلية، وأبدي إبراهيم بن حجاج في إدارة ولايته همة وبراعة، واتَّخَذَ سمة الملوك وأنشأ له بلاطاً، وحرساً خاصاً قوامه خمسمائة فارس غير المشاة، وحصن مدينة قرمونة، وجعل بها مرابط خيله، وفرض الضرائب وأصلح نظم الحكم والقضاء، وعمل على توثيق أواصر المودة بينه وبين حكومة قرطبة. وكان يبعث بالأموال والهدايا إلى الأمير عبد الله، ويمده بجنده في بعض غزواته. وكان إبراهيم بن حجاج محبوب من الشعب جواداً يقصده الشعراء وينشدونه مدائحهم (٢٢٣).

(٢٢١) ابن حيان: المقتبس، المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٥٣.

(٢٢٢) حمدي عبد المنعم: تاريخ إشبيلية، ص ٩٤، ٩٥.

(٢٢٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٥٤، ١٥٥.

الأمير عبد الله بن محمد وموسى بن ذي النون:

وكان موسى بن ذي النون رهينةً عن طاعة أبيه عند الأمير محمد، فتولي موسى ابن ذي النون حكم مدينة شنت برية بعد وفاة أخيه أبي جوشن، ولقد استغلظ أمر موسى بن ذي النون في عهد الأمير المنذر وعظم خطره وأنه هاجم أهل مدينة طليطلة وأوقع بهم هزيمةً مفزعة، وذلك في العام الذي تولى فيه الأمير المنذر في أحد الروايات (٢٢٤) أو في العام الثاني من ولايته (٢٧٤هـ/٨٨٧م) في رواية أخرى (٢٢٥)، وهذا التاريخ يمثل الحكم الأول لبني ذي النون على مدينة طليطلة وقد استمر هذا الحكم لعدة سنوات حيث أن أهل طليطلة وهم في غالبيتهم من المولدين والنصارى (٢٢٦) قد تدمروا من حكم أسرة بني ذي النون البربر، ورأوا أنه من الأجدي لهم الدخول في سلطان إحدى الأسر المولدية البارزة، فاستدعوا أسرة بني قسي من الثغر الأعلى، وفتحوا لهم أبواب المدينة سنة (٢٨٣هـ/٨٩٦م) (٢٢٧).

وأخبار موسى بن ذي النون نادرة في المصادر زمن الأمير عبد الله، وذلك لتنظر في أخباره بعد أن أصبح حاكماً على كورة شنت برية وذلك لأنه كان رهينةً في الماضي عند الأمير محمد لكي أبين تأثير تربية الأمويين له في دار الرهن وهل حققت وجهة نظرهم أم لا، إلا أنه

(٢٢٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١١٦.

(٢٢٥) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٣٧.

(٢٢٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٤٠.

(٢٢٧) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٤٠.

هلك شاردا عن الأمير عبد الله في المحرم سنة (٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م)، وبوفاة موسى بن ذي النون توزعت السلطة في كورة شنت برية بين أبنائه (٢٢٨).
فهذه الأحداث تدل دلالة قاطعة على فشل التربية التي تلقاها الرهائن في دار الرهن.

رهائن من المولد سعيد بن هذيل

يعد سعيد بن هذيل أحد الزعماء المولدين الذين أعلنوا عصيانهم للحكم الأموي في صدر أيام الأمير عبد الله، فدخل حصن المنتلون من كورة جيان (٢٢٩) وأهم بنائه وتحصينه، "وحاول الأمير عبد الله أن يثنيه عن غيه ويرده إلى حبل الدولة فأرسل إليه جيشا بقيادة عبد الملك بن عبد الله بن أمية فأذعن بالطاعة وألتزم قطعاً من الجباية" (٢٣٠)،

ولم يلتزم ابن هذيل فيما يبدو بما قطعه على نفسه تجاه الإمارة الأموية لذا عرج عليه الجيش النافر إلى مدينة تدمير سنة (٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م) (٢٣١)، ولما حلّ هذا الجيش بأراضيه شرع القائد الأموي أحمد بن محمد بن أبي عبدة بنسف كل ما يحيط بحصن المنتلون، فأفسد الزرع وقطع الشجر، الأمر الذي أزعج ابن هذيل فخرج لمقابلة القوات الأموية، وقاتلها بشدة، إلا

(٢٢٨) مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص ٥٨.

(٢٢٩) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣٦.

(٢٣٠) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٦.

(٢٣١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣٨.

أنه في النهاية لا بد بطلب الصلح، فأجيب إلى ذلك بعد أن قدم رهائن تدل على صدق نواياه (٢٣٢).

ومن الملاحظ أن القائد الأموي بعد أن صالح بن هذيل في حصنه عمد إلى حصن آخر كان يعتمد به أنصاره، فخاربهم حتى غلبهم ثم قام بإخراجهم من ذلك الحصن الذي يسمى حصن " اللقون" (٢٣٣)، وهذا يظهر بوضوح أن الصلح الذي جري بين القائد الأموي وابن هذيل كان لا يشمل جميع الحصون الموالية له وربما كان وقفا على حصن المنتلون فقط. وظل سعيد بن هذيل فترة من الزمن يقدم طاعته للإمارة الأموية دون أن يكن الإخلاص التام لها، إذ كان لا يدخر وسعا في عون الخارجين عليها، ولكنه لم يلبث أن يتراجع تحت وطأة الرهبة أو الرغبة، فمن ذلك أنه بذل مساعدة عسكرية لعمر بن مهزم (٢٣٤) الذي خرج على عامل جيان وقتله، ولكن سرعان ما تغير موقفه منه بعد أن ضغط عليه قائد الجيش الأموي الذي خرج لقتال عمر بن مهزم، فلما تقابل هذا الأخير مع الأمويين أمر ابن هذيل جنوده الذين أرسلهم مددا له بالتخاذل عن القتال، فكان ذلك السبب الرئيسي في القضاء على عمر بن مهزم سنة (٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م) الذي طلب الأمان من القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة، فقدم به إلى قرطبة (٢٣٥).

(٢٣٢) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٣٦.

(٢٣٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١١٦.

(٢٣٤) لعمر بن مهزم الهترولي: يعرف بالملاحى لأن أصله من قرية " ملاحه "، وينسب إلى البربر، وكان أحد الجنود المدونين لدى عامل جيان، فتحركت عنده الرغبة في حكم جيان، فقتل عاملها، ونصب نفسه بدلا منه، إلا أن الأمير عبد الله لم يرضى عن هذا التصرف الصارخ وخاصة أن دولته قد قويت في ذلك الحين، فأرسل جيشا إليه، فاستطاع هذا الجيش أن يجبر بن مهزم على الاستسلام، حيث قبض عليه وأخذ إلى قرطبة، وبذلك تم القضاء على حركته؛ ابن حيان: المقتبس؛ إسماعيل العزب، ص ٤٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣٦.

(٢٣٥) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٥.

وحينما وجد ابن هذيل إصرارا من زعيم المولدين عمر بن حفصون على نقض كيان الدولة قام بعقد حلف وثيق معه، أظهر عصيانه للأمير عبد الله، على الرغم من كون دولته آنذاك في أعز أيامها، وعلي أثر ذلك اجتمع بن هذيل سنة (٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م) مع عمر بن حفصون وسعيد بن مستنة فأغاروا على نواحي مدينة جيان (٢٣٦)، وعندما هزمتهم جيوش الإمارة الأموية هربوا إلى حصن جريشة القاعدة الأولى لابن هذيل، ولم تتأخر الدولة الأموية في قتال بن هذيل بعد إقدامه على هذا التحالف الخطير إذ سارع القائد الأموي الذي نجح في هزيمة القواد الثلاثة في التضيق على بن هذيل فافتتح بعض حصونه (٢٣٧)، وبالرغم من أن الأمير عبد الله تابع إرسال الحملات لإعادة ابن هذيل للطاعة خلال السنتين الأخيرتين من عهده (٢٣٨)، إلا أن ابن هذيل استمر مصارحا بالخلاف، ومكاشفا لها بالعصيان حتى توفي الأمير عبد الله سنة (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) (٢٣٩).

رهائنُ ابنِ السليم في كورة شدونة

ينتمي ابن السليم (منذر بن إبراهيم بن محمد بن السليم بن عكرمة جعفر بن يزيد بن عبد الله (٢٤٠)) لموالي الأندلس، وعندما اعتلى الأمير عبد الله عرش الإمارة الأموية كان منذر ابن

(٢٣٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٤٥؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٦.

(٢٣٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٤٦.

(٢٣٨) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٤٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٤٧-١٤٩.

(٢٣٩) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٤٧-١٤٩.

(٢٤٠) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٣، ٤٤.

إبراهيم أحد المتمردين الذين ظهروا في أنحاء الأندلس^(٢٤١)، ولكنه مع ذلك اقتصد في سيرته ورفض التصريح بنبذ الطاعة، وقنع أن يترك حاكماً لمدينته كغيره من الثائرين^(٢٤٢). ولقد كان تمرّد بني السليم ضد الإمارة الأموية غير متوقع، وذلك لأنهم عرفوا بولائهم للإمارة الأموية وارتبطوا بها منذ نشأتهم، فقد كان جدّهم أبو عكرمة من زعماء الموالي الذين ساعدوا الأمير عبد الرحمن الداخل في تأسيس دولته^(٢٤٣)، كما أن بعض أفراد الأسرة تقلدوا مناصب رفيعة في عهد عبد الرحمن الأوسط^(٢٤٤)، والأدلة على ذلك أنه في الوقت الذي رفع فيه منذر بن إبراهيم لواء التمرّد ضد الإمارة الأموية كان عمه سعيد بن محمد بن السليم^(٢٤٥) يترقّى في الوظائف إلى أن أصبح حاجباً للأمير عبد الله^(٢٤٦)، ولكن لماذا خرجت هذه الطائفة من أسرة بني السليم على الأمير عبد الله؟

يمكنُ تبرير هذا الخروج بسبب سياسة الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط في بداية حكمه في حق بعض أبناء بني السليم، الذين قاموا بالهجوم على دار الحكم في شذونة، واستولوا على بعض الأموال، وأن أولي الأمر والنهي في هذا الإقليم أعادوا الأمور إلى نصابها وردّوا الأموال إلا أن الأمير محمد قام بسجن هؤلاء الأحداث، فبقوا في سجنه نحو عشرين سنة، فلما طال بهم الحبس أحرقوا السجن ليلاً وتمكنوا من الخروج منه فبعث الأمير محمد في طلبهم، وقتلهم

(٢٤١) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٢٤٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣٥.

(٢٤٣) ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة (د. ت)، ج ١، ص ٢١٤.

(٢٤٤) الخشنى: قضاة قرطبة، ص ١٣٢.

(٢٤٥) سعيد بن محمد بن السليم: تولى ولاية كورة شذونة قبيل تولي الأمير عبد الله إمارة الأندلس، وعندما تولى الأمير محمد الإمارة ولاة السوق بمدينة قرطبة فضبط أمر العامة وظهرت منه صرامة أكسبته مهابة، واستمرت ولايته للسوق ثلاثين يوماً، ثم ولاة الأمير عبد الله الحجابة سنة (٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) وتوفي لأربع خلون من ربيع الآخر سنة (٣٠٢ هـ / ٩١٤ م)؛ ابن القوطية: تاريخ إفتح الأندلس، ص ١١٥؛ ابن حيان: المقتبس: إسماعيل العزب، ص ٢٠؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٦٦.

(٢٤٦) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٤٧.

جميعا بدون استثناء^(٢٤٧)، فربما أن هذه القسوة التي اتبعها الأمير محمد في معالجته لتلك القضية جعلت قسم من بني السليم تنفر من سياسته، هذا القسم انضم بقوة تحت لواء منذر بن إبراهيم في تمرده.

وكان وجود سعيد بن محمد بن السليم ضمن رجال الإمارة الأموية أحد الأسباب القوية التي أدت إلى عدم اتساع ثورة منذر بن إبراهيم وجعلت ثورته محدودة وضعيفة، ومن ثم لا يشكلون خطرا على الدولة، وذلك لأن أغلب بني السليم كان ولائهم للدولة الأموية بتأثير من سعيد بن محمد بن السليم.

وفي سنة (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) تحرك المطرف بن الأمير محمد وكان معه القائد عبد الملك بن أمية بالصائفة، وعرجوا على مدينة ابن السليم^(٢٤٨)، وسرعان ما خضع منذر بن إبراهيم للطاعة وقدم الرهائن فأمنه الأمير المطرف^(٢٤٩)، ثم قتل منذر بن إبراهيم على يد أحد مماليكه يدعى غلنده^(٢٥٠).

رهائنُ طالبِ بنِ مولود: -

يلحق العذري طالب بن مولود بطائفة موالي الأندلس، و كان يقطن في كورة شذونة، وكان من صانعي الأمير عبد الله قبل ولايته، فلما صار الأمير عبد الله حاكما للبلاد قرب به إليه وأسكنه

(٢٤٧) ابن القوطية: تاريخ إفتح الأندلس، ص ١٠٩.
(٢٤٨) مدينة ابن السليم: سميت بهذا الاسم نسبة لابن السليم جد منذر بن إبراهيم، وكانت هذه المدينة حاضرة لمدينة شذونة؛ لذلك عرفت مدينة شذونة بمدينة ابن السليم، الذين لجأوا إليها إليها عند خراب مدينة قلشانة ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣٥؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٤٦٦.

(٢٤٩) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٣٥.
(٢٥٠) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٤؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣٥.

عنده في قرطبة (٢٥١)، ولعل الصلة بينهما جاءت عندما كان الأمير عبد الله عاملاً على كورة شذونة (٢٥٢) وخرج طالب بن مولود من قرطبة إلى شذونة وأعلن ثورته من حصن أقوط (٢٥٣)، ونجح في مد نفوذه إلى الأراضي المجاورة، فأحكم قبضته على كورة مورور (٢٥٤)، وبدأت تحركاته سنة (٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) وكانت دعوته مضرية وقصد المولدين في إشبيلية، ونشر الفوضى في أرجاء إشبيلية، وأصبح طالب بن مولود يؤرق بال الإمارة الأموية، فأرسل إليه الأمير عبد الله حملة عسكرية بقيادة ابنه المطرف سنة (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م)، حيث قام بمحاصرة حصن منت فيق (٢٥٥) وأفسد ما حوله من الزروع والأشجار، الأمر الذي أثار أهله فاشتبكوا مع محاصريهم، وسار الجيش الأموي رأساً إلى حصن أقوط، وتقاتل مع طالب بن مولود الذي كان يعسكر فيه، فحلت الهزيمة بطالب وجنوده، ولما رأى أنه لا طاقة له في الحرب أذعن للطاعة، وتوثق منه وأخذت رهينته وأشهد على أمانته (٢٥٦)، وتعرض طالب لخيانة من قبل أصحابه إذ غدر به عبد الله بن حميد الذي تحيل عليه وتمكن من احتلال حصن أقوط (٢٥٧)، فلم يستطع طالب استرداد هذا الحصن الذي يعتبر قاعدته الرئيسية، فأتقل إلى حصن جبل الحجار (٢٥٨) وجعله مركزاً لنشاطه (٢٥٩).

(٢٥١) الغزري: نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.
 (٢٥٢) الخشني: قضاة قرطبة، ص ١٨٦؛ ابن القوطية: تاريخ إفتح الأندلس، ص ١١٥.
 (٢٥٣) الغزري: نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.
 (٢٥٤) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٣٤.
 (٢٥٥) حصن منت فيق: يقع على ضفة نهر إيرة الذي يصب على مقربة من جبل طارق، وهذا الحصن بناه طالب بن مولود عند تمرده على الإمارة الأموية؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٣٤.
 (٢٥٦) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٣٤.
 (٢٥٧) الغزري: نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.
 (٢٥٨) حصن جبل الحجار: يقع في كورة شذونة بناه طالب بن مولود؛ الغزري: نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.
 (٢٥٩) الغزري: نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.

ولم يتقيد ابن مولود بالاتفاق المبرم بينه وبين الدولة الأموية حيث عاد إلى العصيان مرة أخرى، نفرت إليه القوات الأموية في صائفة سنة (٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م) بقيادة القائد أبو العباس أحمد بن أبي عبدة إلى الجنوب الأندلسي، ووضعت مناجزته على قمة مهامها، فقصدته في منطقة ترمده ونجحت في قتله، في صدر ربيع الآخر سنة (٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م) (٢٦٠).

مساور بن عبد الرحمن يقدم الرهائن:

وفي سنة (٢٩٤ هـ / ٩٠٦ هـ) كان غزو أبان ابن الأمير عبد الله عبد الله بالصائفة إلى الجزيرة وقاد الخليل أحمد بن محمد بن أبي عبدة، وحل بالجزيرة وتقدم إلى حصن لوزة يوم السبت لانسلاخ رجب؛ فخارب الحصن وحاصره، وقتل جماعة ممن فيه؛ ثم تقدم إلى حاضرة رية، فيها مساور بن عبد الرحمن (٢٦١)؛ فأحرقت أرباض الحاضرة وحوصر من كان فيها؛ فدعا مساور إلى السلم، وبذل الرهائن فأجيب إلى ذلك، وقبضت رهائمه (٢٦٢).

ومن المحتمل أن مساور بن عبد الرحمن كان يدين بالولاء والطاعة لعمر بن حفصون.

(٢٦٠) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٥١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٤٢.
(٢٦١) لم أحصل له على ترجمة؛ وأن ذكره لم يرد إلا في موضعين فقط عند ابن حيان، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٦٤؛ وابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣٩.
(٢٦٢) ابن حيان: المقتبس؛ إسماعيل العزب، ص ١٦٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣٩.

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان الجليقي حاكماً على بطليوس

عرفنا في السابق أسرة مروان الجليقي، وتمرد عبد الرحمن بن مروان على الأمير محمد في كورة ماردة، وأن الأمير محمد اضطر إلى الاعتراف به حاكماً عليها، وليستأمن لطاعته اخذ منه قبله ثلاثون رجلاً من قومه معهم ولده محمد وحفيده عبد الله بن محمد رهائن يصحبهم إلى قرطبة، (٢٦٣).

والمصادر نادرة في معلوماتها عن ابن مروان الجليقي في عهد الأمير المنذر، وكل ما لدينا عن هذه الفترة أن ابن مروان الجليقي استغلظ شأنه في بلاده ووقعت بينه وبين زعيم البربر في ماردة محمد بن تاجيت (٢٦٤) حروباً شنيعةً كان النصر فيها لحليفه، كما ضم لبطليوس قاعدته أراضٍ واسعة (٢٦٥)، وحينما تولى الأمير عبد الله الحكم بادر عبد الرحمن بن مروان الجليقي بإظهار الولاء له، وكتب له " أن يحدد له سجلاً على بلده، وعقدنا على قومه المولدين فأجابه إلى ذلك (٢٦٦) ليس هذا فقط بل إن الأمير قدم له العون من أجل بناء بعض المرافق العمرانية في مدينة بطليوس (٢٦٧)، ورغم صلات عبد الرحمن الجليقي الودية بالأمير عبد الله، إلا أنه

(٢٦٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٣٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام: ج ١، ص ٣٠٤؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٥٧.

(٢٦٤) محمد بن تاجيت: هو محمد بن تاجيت بن مناع بن مسعود بن الفرج بن راشد المصمودي، أمير البربر البرانس في أقاليم ماردة، وأعلن خروجه على الإمارة الأموية، وعاد للطاعة بعد سنة (٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)، ولقد حكم مدينة ماردة بعد وفاة محمد بن تاجيت ابنه تاجيت، ثم حفيده مسعود الذي استتزل به عبد الرحمن الناصر منها سنة (٣١٦هـ/ ٩٢٨م). ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٧١، ١٧٢.

(٢٦٥) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٧٠، ١٧١.

(٢٦٦) ابن حيان المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٧٥؛ البكري: جغرافية الأندلس، ص ١٢٢، ١٢٣.

(٢٦٧) البكري: جغرافية الأندلس، ص ١١٣؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٩٣.

هاجم كورة إشبيلية وما حولها سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م) وعاد إلى قاعدته (٢٦٨)، وتوفي بعد عودته من المدينة في السنة نفسها (٢٦٩)، خلفه ابنه مروان بن عبد الرحمن الجليقي سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩-٨٩٠م) والذي دخل في صراع مرير مع البربر المجاورين، ولكن ذلك لم يدم سوى شهرين، لأن هذا الابن قد لحق بأبيه (٢٧٠).

استفاد الأمير عبد الله من الحروب الناشبة بين بني مروان الجليقي والبربر فأعاد مدينة بطليوس لحكمه المباشر، فولي عليها أميرين من قبله بعد وفاة مروان بن عبد الرحمن الجليقي، لا تحدد المصادر العربية أسمائهم، فكان هذا سببا في جلاء أسرة الجليقي عن مدينة بطليوس وحلولهم بمحضر شونة، ثم التحقوا بأحد حلفائهم وبدءوا ينتظرون الفرص للعودة إلى بلدهم، حتى نشب خلاف بين الأميرين الذين أسندت لهم ولاية بطليوس من قبل الأمير عبد الله، فقتل أحدهما الآخر واستقل بالحكم فيها وحينئذ تهيأت الفرصة لعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان الجليقي (٢٧١) حفيد عبد الرحمن الجليقي الذي كان رهينة عند الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، وأقام بدار الرهن في قرطبة (٢٧٢) حيث كان رهينة عن طاعة جده عبد الرحمن بن مروان الجليقي، ونريد أن نتعرف على علاقته بالإمارة الأموية وهل أثرت التربية التي تلقاها في دار الرهن في سلوكه وأنه سوف يكون أداة طيعة في يد الأمويين أم أن التربية التي تلقاها كانت فاسدة جعلته خارجا على بني أمية، وهذا ما سوف توضحه الأحداث التالية.

(٢٦٨) ابن حيان المقتبس: إسماعيل الغزب، ص ٧٥.

(٢٦٩) سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٢٤.

(٢٧٠) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٧٢.

(٢٧١) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٧٢.

(٢٧٢) ابن حيان المقتبس، تحقيق إسماعيل الغزب، ص ٣٣.

قدم عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان الجليقي إلى بطليوس وقتل حاكمها المستقل سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م)، ونصب نفسه واليا عليها فاسترد بذلك ملك أسرته، ولقد استأنف عبد الله بن محمد الجليقي الحرب مع البربر المحيطين به إلى أن أخضعهم كما حارب ابن تاجيت زعيم بربر ماردة، ثم اصططح الطرفان وأعطى كل منهما الطاعة للأمير عبد الله فهدأت الأحوال بذلك، على أنه لم يمر وقت طويل حتى تجدد النزاع بينهما مرة أخرى (٢٧٣) أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر، وأن نفوذ عبد الله بن عبد الرحمن الجليقي صاحب بطليوس اشتمل على مدينة ماردة وبابرة وبعض الحصون كحصن أروش وقلعة الحنش ومنتانجش ومنت شلوط، وتحالف عبد الله الجليقي مع بعض الثوار أمثال مسعود بن سعدون السرباقي الذي كان متحصنا بحصن نياني، ولكن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقي قتل سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) "قتله أصحابه لخلاف وقع بينهم، فرفع الله به عن المسلمين شراً شديداً" (٢٧٤)

فالواضح أن قتلته كانوا من جملة أنصاره اختلفوا معه لأمر خطير ربما يتعلق بتسليم بطليوس لعبد الرحمن الناصر، والكف عن الخلاف للجماعة، وإن كان ابن حيان يختم نصه بعبارة يفهم منها أن قتله جاء خيراً للمسلمين، وفي هذه الحالة يمكن تفسير سبب قتله بنيته في التحالف من جديد مع أردون ملك ليون وأشتوريش (٢٧٥).

ونلاحظ من خلال الأحداث السابقة أن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقي كان

(٢٧٣) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٧٢.
(٢٧٤) ابن حيان: المقتبس، شالمتيا، ص ٩٦. ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٨٥.
(٢٧٥) سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٣٢٦.

كان معاديا للإمارة الأموية خارجاً عن الطاعة، وأن التربية التي تلقاها في دار الرهن فاسدة لم تحقق الهدف المرجو منها، والتي كان السبب فيها نظرة الكراهية والدونية التي نظر بها كبار رجال دولة بني أمية العرب للمولدين والبربر وللخارجين على طاعة الإمارة الأموية، ولو أن هذه التربية كانت صالحة وتم تعليم هؤلاء الأطفال تعاليم الدين وأمور الجهاد وزرع حب الأمويين في نفوسهم لتغيرت الأمور كثيراً.

الصراع بين محمد بن عبد الملك (الطويل) وبين لب بن محمد

ينتمي محمد بن عبد الملك الطويل إلى بني شبريط الذين كانوا يمثلون إحدى الأسر المولدية البارزة في الثغر الأعلى، وكان ظهوره لأول مرة على مسرح الأحداث حينما استولى على الحكم في مدينة وشقة ونواحها بعد أن قتل حاكمها مسعود بن عمروس أحد أبناء عمومته من بني عمروس سنة (٢٧٣هـ/٨٨٦م) (٢٧٦)

ولقد اقتفي محمد بن عبد الملك الطويل سياسة أبناء عمومته من قبله في بذل فروض الطاعة لحكومة قرطبة، ولما تولى الأمير عبد الله مقاليد الحكم في البلاد سارع ببعث بيعته إليه، فما كان من الأمير إلا أن أقره على عمله، وسجل له على المناطق التي كانت تحت نفوذه، فأصبح بهذا يحكم أراضيه حكماً ذاتياً (٢٧٧)،

(٢٧٦) الغزري: نصوص عن الأندلس، ص ٦٤، ٦٥.

(٢٧٧) الغزري: نصوص عن الأندلس، ص ٦٥.

ورغب محمد بن عبد الملك في الاستيلاء على الأراضي التي تحت حكم جاره من الشرق إسماعيل بن موسى القسوي وذلك عندما اعتلت صحته في سنة (٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م)، وسنحت له الفرصة عندما خرج موسى ومطرف ابنا إسماعيل للقيام ببعض الأعمال المتعلقة بولاية أبيهما حيث كان الأخير قد فوض شئون ولايته لابنيه المذكورين فكمن لهما محمد بن عبد الملك، فجرت بينهما حروب شديدة، تمكن فيها من قتل موسى بن إسماعيل وأسر أخيه مطرف، ثم تغلب على مدينة لاردة وبربطانية اللتين كانت ضمن أملاك إسماعيل بن موسى (٢٧٨).

ولم يكن باستطاعة إسماعيل بن موسى الذي أنهكه المرض أن يتحمل هذه المصيبة التي نزلت به، فسرعان ما هلك، وعندئذ وقع نزاع بين محمد الطويل ومحمد بن لب بشأن المناطق التي كان يحكمها، وقد تم حسم الخلاف بالرجوع إلى الأمير عبد الله الذي فضل إلحاق أملاك إسماعيل بن موسى بولاية ابن أخيه محمد بن لب بن موسى، أما المدينتان اللتان كان محمد ابن عبد الملك قد اقتطعهما من أملاك إسماعيل وهما مدينتي ماردة وبربطانية فاصطالحا على أن يتخلى الطويل عن لاردة لمحمد بن لب بينما تبقى مدينة بربطانية تحت ملكه (٢٧٩).

فمن الواضح أن محمد بن عبد الملك الطويل لم يكن قد بلغ مبلغ القوة التي تؤهله من الوقوف في وجه ابن لب، لذلك أبدي رضاه عن حكم الأمير عبد الله، إلا أنه ظل يضمّر العداء لخصمه محمد بن لب فكان يتربص به الدوائر ويرغب في انتزاع تلك الأراضي التي حرم منها، فقد انتهاز فرصة انشغال محمد بن لب في محاصرة سرقسطة فحشد حشوداً كثيرة سنة (٢٨٣ هـ / ٨٩٧ م) وحاول أن يضرب لب بن محمد الذي أرسله والده لبناء بعض الحصون في المناطق الشرقية من الثغر، ومع أن محمد الطويل كان أكثر نفرا من لب بن محمد إلا أن الهزيمة

(٢٧٨) ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٨٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٤٢.

(٢٧٩) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١١٨.

في النهاية حلت به فقتل جملةً عظيمةً من أصحابه، وتمَّ أسر جماعة أخرى كان أخوه فرتون بن عبد الملك منهم (٢٨٠).

لقد وحدت عداوة محمد الطويل لبني قسي الكلمة بينه وبين أسرة بني تميم العربية الحاكمة في مدينة سرقسطة، لذا فمجرد أن قتل حمد بن لب سنة (٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م) أثناء حصاره لهذه المدينة بادر الطويل بحشد جموعه وحمل الكثير من المتاع وقصد مدينة سرقسطة فزود أهلها بالموْن، ولم يكتفِ بذلك بل أغار على القوات المحاصرة، وشتت شملها (٢٨١) وحينما علم لب بن محمد بن لب بعد عودته من الجنوب الأندلسي بما فعله محمد الطويل خف مسرعاً للانتقام منه، فأتجه إلى عاصمته وشقة وكن له قربها، ثم أمر خيلاً بالإغارة عليها، فلما خرج الطويل لمدافعها طوّقه لب بن محمد بجموعه، فقتل العديد من أصحابه وتمكن من أسره (٢٨٢).

لقد دفع محمد الطويل الثمن غالباً لتخليص نفسه من الأسر، إذ لم يطلقه لب ابن محمد إلا بعد أن تكفل له بالتنازل عن مدينتي برطانية ووشقة، فلما سلمت له حاضرة وشقة وما حوّلها عدل الاتفاق بأن يدفع الطويل مئة ألف دينار بدلاً من تسليم بقية الأراضي التي اصطاح عليها، فدفع النصف الأول من المبلغ، أما النصف الثاني فقد أمهله لب فيه بشرط أن يقدم له ابنه عبد الملك وابنة عبد الملك "سيدة" ونفرا من بني عمه أن يقدمهم باعتبارهم رهائن حتى يتم التسديد، ولم يمض وقتٌ كثيرٌ حتى زف عبد الملك بن محمد الطويل ابنته سيدة إلى لب بن محمد، وبهذه المصاهرة رد هذا الأخير أملاك الطويل عليه وأسقط عنه المبلغ المتبقي وأطلق الرهائن، فقامت بينهما علاقات ودية (٢٨٣).

(٢٨٠) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١١٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٤٣.

(٢٨١) الغزري: نصوص عن الأندلس، ص ٣٧.

(٢٨٢) الغزري: نصوص عن الأندلس، ص ٦٥.

(٢٨٣) الغزري: نصوص عن الأندلس، ص ٦٥، ٦٦.

ولقد ركن محمد بن لب إلى الهدوء في حياة لب بن محمد فلما قتل لب عام (٢٩٤هـ / ٩٠٦م) (٢٨٤) تحرك مرة أخرى لتنفيذ مخططاته التي كان يطمح إليها، فتوسع على حساب بني قسي، حيث استولى على عدد من الحصون، كان أبرزها حصن برشتر (٢٨٥)، وفي سنة (٢٩٥هـ / ٩٠٧م) ضم إليه حصن منتشون (٢٨٦) وباحتلال الطويل هذه المواضع يكون قد أنهى حكم بني قسي في شرقي الثغر الأعلى، فأصبح ملكهم يقتصر فقط على الجهات الغربية، ورغم ذلك لا نجد معارضة صريحة من جانب زعيم بني قسي عبد الله بن محمد بن لب الطويل على هذا التوسع، فلعل السبب في ذلك أن زعيم بني قسي كان يري نفسه غير قادر على مواجهة جاره الذي اشتدت شوكته في الثغر الأعلى بعد إحرازه انتصارات رائعة على النصاري المجاورين (٢٨٧).

ولقد ظل محمد بن عبد الملك الطويل على علاقة حسنة مع حكومة قرطبة طوال عهد الأمير عبد الله، فكان يُبدي طاعته الإسمية لها، ويحكم بلاده حكماً ذاتياً بحيث أنه كان يعين بنفسه موظفي منطقته دون الرجوع للأمير عبد الله (٢٨٨).

(٢٨٤) ابن حيان المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١١٨.

(٢٨٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٤٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٤٢.

(٢٨٦) حصن منتشون (Monzon) أحد الحصون التابعة لمدينة لاردة، وهو إلى الجنوب من برشتر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٠٧؛ شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج ٢، ص ١٩٦.

(٢٨٧) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٤٣.

(٢٨٨) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٨١.

الأمير عبد الرحمن الناصر وتوحيد الأندلس والقضاء على المتمردين:

توفي الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن أمير الأندلس في مستهل ربيع الأول سنة (٣٠٠ هـ / ١٥ أكتوبر سنة ٩١٢م) بعد حكم طويل عاصف، مزقت فيه أوصال المملكة ونضبت مواردها، خلفه في نفس اليوم على العرش حفيده عبد الرحمن ابن ابنه محمد، غير متجاوز الثالثة والعشرين من عمره، وأخذ الأمير عبد الرحمن الناصر البيعة من الخاصة والعامة في قرطبة وانفذت الكتب بأخذ البيعة إلى العمال في سائر الكور والنواحي، وكان الأمير عبد الرحمن يري أن خطة التردد والرفق التي اتبعها أجداده نحو الزعماء الخوارج كانت سياسة خطيرة، ولم تكن ناجحة، وأنه لا بد لاستتباب الأمن واستقرار السكينة، من سحق الثورة وزعمائها بأي الوسائل (٢٨٩).

وأعلن عبد الرحمن الناصر منشوراً عاماً يؤكد على التسامح بحق المتمردين الذين يعلنون الولاء والطاعة للسلطة المركزية والقضاء على المتمردين (٢٩٠) وأرسل حملته الأولى إلى المناطق الثائرة بقيادة وزيره عباس بن عبد العزيز القرشي، هزموا فيها الفتح بن موسى وقتلوا حليفه الرياحي المعروف بأذبلش وبعثت رأسه إلى قرطبة (٢٩١). وأصبحت سياسة الدولة الأموية في عهد عبد الرحمن الناصر أكثر حزمًا وقوة في معاملة المتمردين ومما زاد في حماسة الجنود أنهم رأوا أميرهم الشجاع في مقدمتهم (٢٩٢).

(٢٨٩) عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج ٢، ص ٣٧٤، ٣٧٥.

(٢٩٠) أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٨٠.

(٢٩١) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ١٥٦.

(6) (Beirut 1967), p19, khayatsreprint, (lane Poole:Stanley, the moors in span,

المتوردون يقدمون الرهائن للأمير عبد الرحمن الناصر مقابل العفو:

أصلح الأمير عبد الرحمن أمر الجزيرة الخضراء وأقاليمها، ثم رحل عنها بالعسكر إلى حاضرة قلانة (٢٩٣) سنة (٣٠١ هـ / ٩١٣ م)، وعند حركته من الجزيرة الخضراء، هرب ولد حبيب بن عمرو بن سودة المنتكث بقرمونة عندما بلغه غدر أبيه حبيب، فلحق بأبيه، وهرب عند ذلك أيضا محمد بن سليمان بن عبد الملك الشذوني المعروف بالرهيني، ورحل العسكر من قلانة فوصلا حصن أركش وفيه ثمانية بن سليمان أخو الرهيني الفار من العسكر، ونازله الناصر لدين الله، فترددت رسله ورسله أخيه اللاحق به على الأمير عبد الرحمن الناصر راغبين في الطاعة باذلين رهنهما للوثيقة منهما على أن يباح لهما حصن الأصنام خاصة، وأرسلا في عقد ذلك لهما سهيل بن عبد الله بن أسيد وأجابهما الناصر وسجل لهما على حصن الأصنام وقبض ولديهما رهينة (٢٩٤).

عبد الرحمن الناصر يستنزل الثوار رهائن في مدينة قرطبة:

اتجه عبد الرحمن الناصر إلى عبيد الله بن أمية بن الشالية وهو من زعماء المولدين البارزين وقد خرج على الأمير عبد الله في جبل شمنتان (٢٩٥) الواقع شمال حاضرة جيان وقد استفحل أمره

(٢٩٣) قلانة: بالفتح ثم السكون وسين مهملة وبعد الألف نون وهي ناحية بالاندلس من أعمال شذونة وهي مجمع نهر بيطة ونهر لكه وبينها وبين شذونة أحد وعشرون فرسخا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٨٩.
(٢٩٤) ابن حيان المقتبس، ج ٥، ص ٨٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٣٧٥؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٥٦.
(٢٩٥) شمنتان: بلد بالاندلس من عمل المرية قرب جيان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٦٤.

وعلا شأنه، وأمتد سلطانه إلى حصن قسطلونية، واستطاع الأمير عبد الله هزيمته في معركة جرت بينهما، فالتزم عبيد الله بدفع قطع من المال للإمارة الأموية على أن تتركه يحكم أراضيه، ولكنه عاد إلى غيه ووالى عمر بن حفصون (٢٩٦)، ولما تولي عبد الرحمن الناصر وغزا غزوته الأولى إلى جيان سنة (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) خرج إليه عبيد الله مغالطا في طاعته إياه فأمر بالقبض عليه ولكنه استسلم دون مقاومة، وطلب الأمان، ونزل عن جميع حصونه ومعاقله وأرسل إلى معاقله من ضبطها وحمل عياله إلى قرطبة، فصار في الديوان بها في أعلي الملاحق، وصرفه الناصر في ضروب خدمته (٢٩٧).

في سنة (٣١٢ هـ / ٩٢٤ م) سار الأمير عبد الرحمن الناصر بالصائفة يقصد بنبلونة، فنازل في طريقه عبد الرحمن بن وضاح المنتزي على مدينة لورقة من كورة تدمير، وكان عبد الرحمن بن وضاح ثائراً منذ أيام الأمير عبد الله، وضايقه الأمير عبد الرحمن حتى أذعن بالطاعة، وسأل الأمان لينزل إليه فأعطاه إياه ونزل إليه، فأشخصه إلى قرطبة بعياله وماله، فدخلها في يوم مشهور وأحتفل فيه الناس لرؤيته (٢٩٨) ورعي له الأمير عبد الرحمن ولاءه فقدمه وأكرمه واستعان به في كثير من أعماله إلى أن توفي بن وضاح في قرطبة سنة (٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م) (٢٩٩)، واستنزل كذلك الأمير عبد الرحمن، محمد بن عبد الكريم بن إلياس الذي كان ممتعا بقرية ورد من كورة شذونة على عهد الأمير عبد الله، فاستنزل عبد الرحمن الناصر إلى جواره بقرطبة وكرم منزلته (٣٠٠)، واستنزل ابن عطاف العقيلي الذي كان خارجا على الأمير عبد

(٢٩٦) ابن حيان المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٢٥.

(٢٩٧) ابن حيان المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٢٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٣٧٦.

(٢٩٨) ابن حيان المقتبس، ج ٥، ص ١٩٦.

(٢٩٩) ابن حيان المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٢.

(٣٠٠) ابن حيان المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٤.

الله في حصن منتشية^(٣٠١)، ووالى ابن حفصون، وذلك في سنة (٣١٣ هـ / ٩٢٥ م) وجعله في مدينة قرطبة^(٣٠٢).

ويتبين لنا أن الأمير عبد الرحمن الناصر قام باستنزال هؤلاء الخوارج وجعلهم في قرطبة تحت عينيه وقرب بعضهم لمهارتهم الإدارية والسياسية وجعل حياتهم رهنا ببقائهم في مدينة قرطبة.

عمر بن حفصون يقدم ابنه رهينة لإتمام السلم مع عبد الرحمن الناصر
(٣٠٣ هـ / ٩١٥ م)

بدأت خطة الناصر بالقضاء على حلفاء ابن حفصون في كورة البيرة ونواحيها وأغلبهم من المولدين مثل سعيد بن هذيل وعبيد الله بن الشاليه، وسميت هذه الغزوة بغزوة المتلون واستولى الناصر فيها على (سبعين) حصناً كبيراً مع توابعها التي بلغت (ثلاثة مائة) ما بين حصن وبرج وهاجم الناصر سنة (٣٠١ هـ / ٩١٣ م) مدينة ريه والجزيرة وبذلك حرم ابن حفصون من معونات الدولة الفاطمية في المغرب وأحرقت مراكبه^(٣٠٣) وبذلك أرغم المتمرد عمر ابن حفصون على طلب الصلح سنة (٣٠٣ هـ / ٩١٩ م)، فبعث إلى الناصر يخطب وده، ويلتمس الصلح، مستشفعاً بما كان منه في إيواء الأمير محمد والد عبد الرحمن وحمايته، حينما فر من أبيه الأمير عبد الله، وقام بالوساطة في ذلك يحيى بن إسحق طبيب عبد الرحمن، وكان صديقاً

(٣٠١) حصن منتشية: بالفتح وهي بلدة صغيرة من كورة جيان اندثرت تماماً في الوقت الحاضر، ووصفها ياقوت بأنها حصينة مطلة على بساتين وأنهار وعيون. ابن حيان المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٩.

(٣٠٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣٦.

(٣٠٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٦٤، ١٦٥.

لعمر بن حفصون، وعاونته الحاجب بدر، فاستجاب الناصر لعقد الصلح مع عمر، مع الحذر من غدره ومكره، واتصل يحيى في ذلك مع جعفر بن مقسم أسقف بيشتر، وعبد الله بن أصبغ بن نبيل، وهم أكابر رجال ابن حفصون وخاصته، وكانوا يميلون إلى عقد الصلح والدخول في كنف الطاعة، وسار يحيى نفسه لمقابلة ابن حفصون، ووضع معه شروط الصلح وعاد إلى قرطبة، وأقر الناصر تلك الشروط، إن الحصون التي دخلت في أمان عمر بن حفصون بمقتضي هذا الصلح وسميت في كتاب العهد، مائة واثنين وستين حصناً، واغتنب عمر بن حفصون بعقد هذا العهد مع الناصر، ولما أن تم صلح عمر بن حفصون في هذا الوقت أهدي للأمير عبد الرحمن الناصر هدية فكافأه عنها بأضعافها أنفذ إليه به يحيى بن إسحاق صديقه، فلما وصلت إلى عمر بن حفصون عظم بها سروره وطالب يحيى بن إسحاق عند ذلك بإنفاذ رهيئته إلى الأمير عبد الرحمن، فأرسل ابنه عبد الرحمن بن عمر (٣٠٤).

وأقام عبد الرحمن بن عمر بقرطبة المدة التي جعلت له، فلما حان وقت إبداله سأل الناصر لدين الله أن يجعل مكانه ابن ابنه جعفر بن عمر المرشح لمكان والده، وكان هذا الابن أثيراً لدي جعفر، وهو لبنت عبيد الله بن الشالية، فأنفذه مضطراً ومكث عند الناصر لدين الله أربعة أشهر، ثم صرفه إلى جده عمر مع أخ له كان أنفذه عمر لإدالته بحفيده، فأعطاه من الارتهان ثقة بتصحيحه، فاستوى أمر عمر بالسلم وارتفعت عنه الحرب واستحكمت طاعة عمر بن حفصون طول حياته (٣٠٥).

وليستدل من النص السابق أن مقام الرهينة في قرطبة حدد بوقت معين تم فيه إبداله برهينة آخر.

(٣٠٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٣٣.

(٣٠٥) ابن حيان المقتبس، ج ٥، ص ١١٦.

ومات عمر بن حفصون سنة (٣٠٥ هـ/٩١٧ م) ^(٣٠٦) وقام جعفر مكان أبيه في يبشتر بعهد منه، وكان أبوه قد قلده عهده في حياته، وأخذ له البيعة في أواخر أيامه، ولاطف جعفر إخوته، ووعدهم بالجميل حتى سلموا له، " وكان جعفر في ذاته متهوراً سخيفاً، جباناً ضعيفاً لثيماً ذميماً، لم يعرف قدر ما مهده له والده مع السلطان من فراش الصلح، وبسط من ظلال الأمن، بالتسجيل له على أعماله، وإمضاء ذلك بعده لعقبه بل غمط النعمة عليه " ^(٣٠٧)، ولم تمض أشهر قلائل حتى سير عبد الرحمن قواته إلى أبدة فاقتحمها وأسر سليمان وذلك لاعتدائه على عامل السلطان عبد الرحمن في مدينة أبدة، وأخذ إلى قرطبة حيث عفا عنه عبد الرحمن وضمه إلى جيشه، ولكنه استطاع الهرب إلى يبشتر ^(٣٠٨)، وفي سنة (٣٠٧ هـ/٩١٩ م) أخرج الأمير عبد الرحمن الناصر الحاجب بدر بن أحمد إلى جعفر بن عمر بن حفصون لنكثه الطاعة، فحاصر الحاجب بدر مدينة ببشتر وأجهد جعفر بن عمر بن حفصون الذي أرسل إلى الناصر ييؤء بالذنب ويسأله العفو، ويطلب الصلح ويظهر استعداداه لبذل الرهينة، فقبل الأمير عبد الرحمن الناصر فعقد أمانه بعد أن قبض رهينته، وأطلق له جعفر جميع من قبله من أولاد إخوته المستأمنين إلى السلطان وعيالهم رهائن مواضعهم بالإضافة إلى رهائن من أهل البلد، وأطلق سراح جميع الأسرى المسلمين ^(٣٠٩)، فقدم جعفر بن عمر بن حفصون عددا لا بأس به من الرهائن وذلك عندما تأكد من عزم الأمير عبد الرحمن الناصر على استئصاله. وفي سنة (٣٠٧ هـ/٩١٩ م) استسلم عبد الرحمن بن حفصون وكان ممتنعاً بحصن طُرش، وكان أخوه جعفر صاحب يبشتر، قد ضايقه، وحاول أن يتنزح منه طرش، فالتجأ عندئذ إلى الأمير

(٣٠٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٧١.

(٣٠٧) ابن حيان المقتبس، ج ٥، ص ١٣٩، ١٤٠.

(٣٠٨) ابن حيان المقتبس، ج ٥، ص ١٤٠، ١٤٢.

(٣٠٩) ابن حيان المقتبس، ج ٥، ص ١٥٤.

وأذعن للطاعة، على أن يسلم حصنه ويمنح الأمان لنفسه وأهله، فأجابه الأمير إلى ما طلب، وتسلم منه الحصن، واستقدمه إلى قرطبة وأجرى عليه الصلات (٣١٠).

وفي سنة (٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م) قتل جعفر في ببشتر ضحية مؤامرة قيل إنها من تدبير أخيه سليمان (٣١١)، وقيل من جهة أخرى إنه رأي أن يعود إلى الإسلام اكتساباً لمودة السكان والجنود المسلمين، فاغتاله نفر من جنده النصاري (٣١٢) فقام أخوه سليمان مكانه في ببشتر، وأقره عبد الرحمن على ولايته ولكنه نكث عهد الطاعة، فسار عبد الرحمن لقتاله وحاصره مدي حين، وكان أصحاب سليمان بحصن طُرُش، قد نبذوا الطاعة مثله، فسار عبد الرحمن إلى طرش وترك قوة استمرت في حصارهم، حتى أذعنوا إلى الطاعة، وسلخوا الحصن بالأمان، وأمر عبد الرحمن بتخريبه وتسويته بالأرض، ثم سار عبد الرحمن لحصار سليمان مرة أخرى سنة (٣١١ هـ / ٩٢٣ م)، وخرب سائر المناطق التي يسيطر عليها، واعتصم سليمان ببجل ببشتر، فنازله عبد الرحمن واشتد في محاصرته وخرج عليه معظم أنصاره، فعرض عليه سليمان أن يعود إلى الطاعة وأن يسلم بعض حصونه، فاستجاب عبد الرحمن إلى رغبته وتسلم بعض الحصون كغزالة بحسن الطاعة، وأخذ رهائنه وانصرف عائداً إلى قرطبة (٣١٣)، ولكنه عاد لعصيانته فسير إليه الأمير عبد الرحمن جيشاً سنة (٣١٤ هـ / ٩٢٦ م)، بقيادة وزيره عبد الحميد بن بسيل إلى ببشتر، وخرج سليمان في قواته إلى لقائه فهزم وقتل، واحتز رأسه وقطعت أشلاؤه، وأرسلت إلى قرطبة فرفعت على باب السدة سنة (٣١٥ هـ / ٩٢٧ م) (٣١٤)، وقام

(٣١٠) ابن حيان المقتبس، ج ٥، ص ١٥٤، ١٥٥.

(٣١١) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٣٨٣.

(٣١٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٨٠.

(٣١٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٨٣، ١٨٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٣٣.

(٣١٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٩٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٣٤.

أخوه حفص مكانه في ببشتر واستمر على المقاومة حيناً، وفي سنة (٣١٥ هـ / ٩٢٧ م)، سار عبد الرحمن بنفسه إلى ببشتر وشدّد عليها الحصار الذي استمر بضعة أشهر حتى اضطر حفص أن يذعن إلى التسليم؛ فسلم المدينة إلى القائد سعيد بن المنذر، سنة (٣١٥ هـ / ٩٢٨ م) وأخذ حفص بن عمر وأهله وأصحابه أسرى إلى قرطبة فعفا الأمير عبد الرحمن عنهم وضم حفصاً إلى جيشه^(٣١٥)، وفي العام التالي سنة (٣١٦ هـ / ٩٢٨ م)، سار عبد الرحمن إلى ببشتر لتنظيم شئونها سنة (٣١٦ هـ / ٩٢٨ م) فوجدها منقطعة النظير من حيث الحصانة والمنعة فعين لها والياً من قبله، وعمد إلى تطهيرها من آثار ابن حفصون، وأمر الناصر بنبش قبره وإخراج جثته وفحصها فبين من هيئتها أنه دفن على دين النصرانية، وعان ذلك الناس من العسكر وغيرهم وشهد بذلك الفقهاء المرافقون، فأمر الأمير عبد الرحمن بحمل الجثة إلى قرطبة حيث علقت في أعلى الجذوع على باب السدة يكتنفها أشلاء ولديه المصلوبين قبله، واستمرت أشلاؤهم معلقة على جذوعها عبء للناظرين حتى سنة (٣٣١ هـ / ٩٤٢ م)^(٣١٦)، واستقرت الأمور في الأندلس بعد أن قضى الأمير عبد الرحمن الناصر على التمرد الذي استمر قرابة اثنتين وخمسين عاماً^(٣١٧).

(٣١٥) ابن خيyan المقتبس، ج ٥، ص ٢١٢، ٢١٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٩٣.

(٣١٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٩٦.

(٣١٧) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٣١.

دارُ الرهائن في قرطبة:

لم توفر دار الرهائن مقومات التربية الإسلامية الصحيحة التي تعتنى بمختلف الجوانب الشخصية للإنسان (روحياً، وعقلياً، وجسماً) للرهائن فخرجوا انتهازين وكانت لديهم أفكار سيئة عن البيت الأموي في الأندلس، وظهرت عندهم انحسة وانحطاط الأخلاق، فأخذوا يسعون دائماً للانفصال عن الإمارة الأموية في الأندلس بل والتعاون مع النصارى. فالحلاصة أن هذا النوع من التربية الذي سلكته الإمارة الأموية كان خاطئاً ويدل بقوة على مدي الضعف الذي وصلت لديه، وتفشي العنصرية في الأندلس ومدي كره العرب لغيرهم من الأجناس.

رهائن الصراعات الخارجية منذ عهد الأمير محمد إلى نهاية عصر الإمارة (٢٣٨ -
٣١٦ هـ / ٨٥٢ - ٨٥٢ م)

رهائن لفك أسر الوزير هاشم بن عبد العزيز:

وصل الأمير محمد (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ / ٨٥٢ - ٨٨٦ م) للحكم في وقت تمزقت فيه وحدة الأندلس، وقام الثوار بسائر أنحاء ضد حكومة قرطبة، واستقلوا بحكم المناطق التي ثاروا فيها، وتعددت أجناس الثوار، بالإضافة إلى ذلك لم يستطع الأمير محمد تجاهل خطر الدويلات الإسبانية في الشمال التي أخذ عددها يزداد وقوتها كذلك، وأخذت بالتوسع تدريجياً على حساب الممتلكات الإسلامية، فحاول أن يضع حدا لهذا الزحف نحو الجنوب (٣١٨).

بدأ الأمير محمد نشاطه العسكري ضد نصارى الشمال عام (٢٣٩ هـ / ٨٥٣ م) بإرسال حملتين إحداهما بقيادة أخيه الحكم لإصلاح قلعة رباح (٣١٩)، والثانية بقيادة موسى بن موسى صاحب تطلية (Tudela) فعات في نواحي ألبّة والقلاع وفتح بعض حصونها ورجع (٣٢٠).

وكان أهل طليطلة قد أعلنوا الثورة على الأمير محمد في نفس عام ولايته، وكانت المدينة تعج بالمولدين والنصارى فالتسوا العون من أردونيو الأول الذي لم يتردد في تقديم كل وسائل المساعدة للثوار، فبعث إليهم جيشاً بقيادة أخيه غاتون (Gaton) سنة (٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م)

(٣١٨) خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس، ص ٢٦٧.

(٣١٩) عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، ص ٢٤٥.

(٣٢٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٧؛ خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس، ص ٢٦٧.

(٣٢١)، فكان تدخل النصاري في شئون البلاد الداخلية أثره في إذكاء حماسة المسلمين الدينية فسارعوا للانضمام لجيش الإمارة الذي نجح في هزيمة هذا التحالف (٣٢٢). وفي السنة التالية (٢٤١ هـ / ٨٥٥ م) قاد الأمير محمد الصائفة وكان قد كتب إلى موسى بن موسى وأهل الثغور بأن يتوافقوا إليه، فدخلوا جميعا إلى منطقة ألبة والقلاع وبلغوا جليقية وفتحوا كثيرا من الحصون (٣٢٣)، وفي سنة (٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) شغل الأمير محمد بعودة ظهور النورمانديين على سواحل الأندلس، وشغله تحالف بني قسي الذين عادوا للتمرد مع إمارة نبرة، وطلبوا من الأمير محمد أن لا تكون أرضهم طريقا لمرور القوات الإسلامية الغازية وذلك لما تناله أرضهم من دمار، فوافق الأمير محمد وتحركت صائفة سنة (٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) نحو ألبة والقلاع عن طريق آخر (٣٢٤)، وكانت حملات الأمير محمد إلى نصاري الشمال تخرج إليهم بصفة مستمرة ولم يترك لهم الأمير محمد فرصة للراحة حتى وفاة ملكهم أردونيو سنة (٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م) خلفه ابنه ألفونسو الثالث (الكبير) (٢٥٢-٢٩٦ هـ / ٨٦٦-٩١٠ م) (٣٢٥)، وفي سنة (٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م) أرسل الأمير محمد ابنه الحكم بصائفة نجحت في فتح حصن جرنيق (Guernica) والاستيلاء على ما فيه (٣٢٦) ثم توقفت الغزوات الإسلامية إلى نصاري الشمال حتى سنة (٢٦٦ هـ / ٨٨٠ م) وذلك بسبب انشغال الأمير محمد بقمع فتنة النصاري المعاهدين الذين حرضوا أهل طليطلة وماردة على الثورة (٣٢٧) فأتتهز ألفونسو الثالث هذه الفرصة وشجع كل خارج عن حكومة قرطبة، فد يد العون

(٣٢١) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٨٧؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٠.

(٣٢٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٠، ٢١.

(٣٢٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٨٨.

(٣٢٤) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٨٩.

(٣٢٥) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٩٩.

(٣٢٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٩.

(٣٢٧) رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ١٤٥.

وتحالف مع ابن مروان الجليقي، وجاء سعدون السرنباقي بمدد كبير من الملك ألفونسو الثالث، واستطاع الطرفان هزيمة قوات الأمير محمد والتي قادها ابنه المنذر بن محمد والوزير هاشم بن عبد العزيز، فأسر الأخير (٣٢٨).

وكتب سعدون إلى أذفونش (ألفونسو الثالث) يبشره بما أصابه من نصر ويبلغه بشأن أسيره، وما أن بلغ ألفونسو الثالث ذلك حتى أذهله الخبر فعظم سروره به، وشمخت أنفه بوقوع هاشم في أسره، فلما مثل هاشم أمام الملك وقف على حسن شمائله ولطف معشره واتساع أفق معارفه قربته إليه وأدناه منه واتخذته نديماً، فأصبح نادراً ما جلس لأهل مملكته أو تفرغ لطعامه إلا وكان هاشم يرفقته يأخذ الملك بمشورته ويعمل برأيه (٣٢٩).

ظل هاشم بن عبد العزيز أسيراً بمدينة أوبيدو زهاء عامين، حتى تم الإفراج عنه لقاء فدية كبيرة بلغت مائة وخمسين ألف دينار حتى رضي الأمير محمد بدفع جزء من الفدية المطلوبة، كما تعهد الملك ليون بدفع البقية فيما بعد، وأسلمه للوفاء بعهده إخوة هاشم بن عبد العزيز وابنه وابن أخيه رهائن (٣٣٠)، والرهائن الذين أرسلهم الأمير محمد كانوا ضماناً لكي يدفع الأمير محمد باقي الفدية، وأن استمرار الوزير هاشم بن عبد العزيز في الأسر لمدة عامين قد نال من هيبة الإمارة الأموية وزاد من حماسة الثوار وشجع النصارى على مساعدتهم.

وكان لهذه الحادثة تأثير بالغ في نفسية الأمير محمد فأمر بغزو مدينة جليقية من ناحية البحر، ووجهها إلى المحيط الأطلسي سنة (٢٦٦ هـ / ٨٧٩ م) بقيادة قائد الأسطول عبد الحميد بن مغيث، ولكن لسوء الحظ داهمت العواصف المراكب ودمرتها قبل أن تبلغ هدفها، وأضطر

(٣٢٨) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٩ - ١٠٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٠٦.

(٣٢٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٩.

(٣٣٠) رينهارت دوزي: المسلمون في الأندلس، ج ١، ص ١٣٦.

ما بقي منها للعودة إلى قواعده دون القيام بأي عملية حربية (٣٣١)، فرد ألفونسو الثالث على ذلك بأن قام في العام التالي (٢٦٧هـ/٨٨٠م) بغزو الأراضي الإسلامية وعبر نهر دويرة والتوجه ووصل في زحفه حتى أحواز مدينة ماردة ووادي آته وهو مدي لم يصله أحد من ملوك النصارى من قبل (٣٣٢).

إزاء ذلك أرسل الأمير محمد سنة (٢٦٨هـ/٧٨١م) جيشا بقيادة ابنه المنذر وهاشم نحو ألبة والقلاع، وعني الأمير محمد بتحصين أطراف الثغور، فأقام عددا من القلاع الدفاعية مثل حصن شنت أشتين لحماية مدينة سالم، وحصن طلمنكة ومجريط بمدينة وادي الحجارة لحماية طليطلة (٣٣٣)، وحصون قنالش (Canales) ودلموش (Olmos) وقلعة الحلفا (Salatalifa) على سفوح جبال وادي الرمل الجنوبية، والنصارى من جهتهم قاموا ببناء المدن الحصينة بعد أن وصلت حدودهم حتى نهر دويرة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وهي مدن سمورة (Zamora) وسمينقة (Simancas)، ومدينة واسمه (Osma)، فنجد أن هذه الحصون المنتشرة فرضت على الطرفين واقعا جديدا، فنجد أن غزوة سنة (٢٧٠هـ/٨٨٣م) والتي خرجت بقيادة المنذر وهاشم قد انتهت بعقد هدنة، ورحب ألفونسو الثالث بها وأرسل القس دولشديو سفيراً إلى قرطبة لإرساء دعائم هذا الصلح فتفنس ألفونسو الصعداء لأنه أراد التفرغ للأزمات والقتال الداخلي (٣٣٤).

(٣٣١) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٤٩١؛ ابن خلدون، ج ٤، ص ١٦٧، ١٦٨.
(٣٣٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٠٠؛ رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ١٤٥.

(٣٣٣) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٠٧.
(٣٣٤) رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ١٤٦، ١٤٧؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٩٠.

أما قرطبة بعد وفاة الأمير محمد سنة (٢٧٣هـ/٨٨٦م) شغلت بكثرة الثوار والمنشقين خاصة ثورة عمر بن حفصون، وبني قسي وبني الطويل المولدون، وبني تميم العرب قد تنازعوا فيما بينهم من أجل السيادة على الثغر الأعلى واستعانوا بملوك جليقية ونبره ضد بعضهم البعض (٣٣٥).

محمد بن عبد الملك الطويل يرفض عرض الرهائن والجزية:

في سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) خرج محمد بن عبد الملك الطويل إلى بليارش في شهر رمضان فقتل هنالك مقتلة عظيمة. ووفد عليه رسل أهل حصن روضة، يرغبون الصلح ويسمحون بالرهائن والجزية؛ فلم يجبههم إلى ذلك؛ فخرجوا هاربين من الحصن، وأخلوه. وتقدم إليه فهدمه وتغلب على حصن منت بطروش، وهو المعروف بجبل الحجارة.

وفي هذه الحالة يتبين رفض محمد الطويل للصلح واتخاذ الرهائن لأسباب منها: -
أن المنطقة الجغرافية ذاتها قريبة منه فهو على علم ودراية بها، وأن محمد الطويل كان على درجة من القوة جعلته واثقاً في النصر فرغب في توسيع منطقة سيطرته ونفوذه.

ومن خلال الأحداث السابقة نجد أن الحملات العسكرية التي جردتها الإمارة الأموية نحو الشمال الأسباني خلال عصر الإمارة اتخذت شكلاً تقليدياً وزمناً ثابتاً وهو إرسال صائفة

(٣٣٥) ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص ١١٦، ١١٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٩٣؛ كمال السيد: بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس، ص ٦٦، ٦٧.

كل عام تقريبا، وأن ذكر المعارك يرد بإيجاز بسيط وغير واضح في المصادر الإسلامية، ويرجع ذلك إلى أنها لم تكن معارك ذات نتائج حاسمة، فحرب المسلمين ضد نصاري الشمال كانت حرب وقائية بالدرجة الأولى، فالمسلمين لم يجردوا الحملات إلى الشمال الأسباني إلا لرد عدوان أو لحماية الثغور، مما أعطي الفرصة لنصاري الشمال لإعادة ترتيب صفوفهم لاستئناف حربهم ضد المسلمين من جديد، وأن تركيز الروايات التاريخية على حصول المسلمين على الأسلاب والغنائم يدعو إلى القول بأن المكاسب المادية كانت إحدى الدوافع وراء تجريد الحملات للشمال، خصوصا أن نسبة كبيرة من الجيش النظامي كان من الجنود المرتزقة، كما أنه تم استخدام النصاري بشكل واضح في الجيوش الإسلامية (٣٣٦).

ورغم عبارات التضخيم والمبالغة التي استخدمها المؤرخون المسلمون لتضخيم دور الأمراء الأمويين الجهادي إلا أن خروج الجيوش الإسلامية للجهاد لم يكن سوي استعراض عسكري لإظهار قوة قرطبة وفرض السلطة والهيبة وتوفير الأمن لسكان الثغور ثم العودة سريعا إلى الجنوب، ولم يكن خروجها للقضاء على الدويلات النصرانية وذلك لم يكن ممكنا اعدم توافر الإمكانات، فحكومة قرطبة كانت تركز نفقاتها في إصلاح البلاد وإعمارها بدلا من الإنفاق على الحملات العسكرية (٣٣٧)، التي كانت مكلفة جدا لقرطبة والتي شكلت استنزافا لثرواتها البشرية والمادية، وأصبح الأمراء الأمويون في النصف الثاني من عصر الإمارة يلوذون إلى السلم، وأن المعاهدات السلمية لم تكن على قدم المساواة فحينما يشعر حكام الإمارات الإسبانية

(٣٣٦)عبادة كحيلة: تاريخ النصاري، ص١٦١، ١٦٠؛ استائلي لين بول: قصة العرب في إسبانيا، ص ١٧٢.

(٣٣٧)جوستاف لوبيون: حضارة العرب، ص٢٧٤.

بالقوة أو بانشغال المسلمين في مشكلة داخلية لا يترددون في نقض عهودهم وغزو الأراضي التابعة للأندلس (٣٣٨).

وربما كان لمذهب الإمام مالك أثر في ذلك فهو من القائلين بجواز الصلح وإن كان من غير ضرورة معتمداً على قوله تعالى ^١ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ^٢ (٣٣٩)، فخروب المسلمين في الأندلس كانت تهدف قبل كل شيء إلى الدفاع عن النفس والمحافظة على المصالح، فصار الجهاد مجرد دعاية تضفي طابع الاحترام على السلطة القائمة وإدماج العامة في صفوفها، فكان المسلمون بالأندلس يحاربون النصارى أحيانا ويتحالفون معهم أحيانا أخرى لقتال أهل ملتهم، وبذلك تحكمت المصالح الدنيوية في توجيه مضمون الجهاد والانحراف به عن معناه الأساسي (٣٤٠).

وممالك إسبانيا النصرانية نجحت في مد حدود سلطانهم وتمسكوا بالدين المسيحي ووجدوا في تقديس شانت ياقب مصدر قوة خارقة تشد أزهرهم ولها تأثير كبير في إثارة الروح المعنوية عندهم فأخذت حروبهم الطابع الصليبي (٣٤١)، ولم يهملوا الأسس المادية للنصر العسكري فاقبستوا ما أمكنهم من السلاح التي كانت تمنح المسلمين التفوق وعجلوا من عملية استيعاب توطین المستعربين النازحين من المناطق الإسلامية في المناطق الخالية على تقوم المناطق المسيحية (٣٤٢)، وفي هذه الحروب نجد أن المسحيين بدءوا حربهم ضد المسلمين بالهجوم عوضاً عن الدفاع لإيقاف الحملات الإسلامية، وأن خسائر المسلمين بدأت تتضاعف عندما

(٣٣٨) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٤٠.

(٣٣٩) سورة الأنفال: آية ٦١.

(٣٤٠) محمد مفتاح: مفهوم الجهاد والإتحاد في الأدب الأندلسي، مجلة عالم الفكر، م ١٢، عدد ١، ص ١٨٢.

(٣٤١) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٤٣.

(٣٤٢) مونتغمري وات: في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص ١٧٩، ١٨٠.

انتقلت مهمة الدفاع عن الثغور الإسلامية إلى الإمارات المستقلة في الشمال، فتساقطت الواحدة تلو الأخرى أمام هجمات الممالك النصرانية، إضافة إلى ذلك كان ملوك النصارى يقودون المعارك بأنفسهم مما كان له أكبر الأثر على الجنود^(٣٤٣)، ولقد استفادت القوي النصرانية من التحالفات مع الثوار المولدين ودعمتها بوسائل مختلفة كالمصاهرة، وعملت على إضعاف الإمارة الأموية بكل الوسائل^(٣٤٤).

وبعد أن تأكدت القوي المسيحية في الشمال أن الأندلس أصبحت في موقف دفاعي بدأت تصعد من هجماتها حتى أصبحت دولتهم تشمل كل ما يقع خلف نهر دويرة، ونصف المنطقة التي تقع بين نهر إيره وجبال البرنيه حتى تنتهي إلى نقطة على ساحل المتوسط في منتصف المسافة بين برشلونة التي يسيطر عليها الفرنجة وبين طرطوشة آخر الثغور الإسلامية في تلك الناحية^(٣٤٥) ولذلك نجد أن الملك غرسيه الأول (٢٩٧-٣٠٢ هـ / ٩٠٩-٩١٤ م) قام بنقل العاصمة من مدينة أبيدو إلى مدينة ليون، فأصبحت مملكة أستورياس تسمى في ذلك الحين مملكة ليون^(٣٤٦) ولا شك أن نقل العاصمة إلى ليون يحمل العديد من الحقائق، حيث أن نطاق الدولة النصرانية قد اتسع جنوباً على حساب المسلمين حيث أصبحت مدينة أبيدو غير لائقة بأن تكون عاصمة لها^(٣٤٧)، وذلك دليل على أن نصاري الشمال قد شعروا بقوة أنفسهم إزاء قوة المسلمين، ولذلك نقلوا عاصمتهم من المناطق الجبلية إلى المناطق السهلية، القريبة من المسلمين.

(٣٤٣) أميرة بنت أحمد الجعفري: سياسة الدولة الأموية في إدارة الثغور الأندلسية، مجلة المؤرخ العربي، عدد (١٤) القاهرة ٢٠٠٦، ص ٢٧٢.

(٣٤٤) مونتغمري وات: في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص ١٧٩، ١٨٠.

(٣٤٥) رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ١٢٨.

(٣٤٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٦١، الحجى: التاريخ الأندلسي، ص ٢٧١.

(٣٤٧) مونتغمري وات: في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص ١٧٩، ١٨٠.

الفصل الخامس

الرهائن في عصري الخلافة وملوك الطوائف

(٣١٦-٤٢٢ هـ / ٩٢٨ - ١٠٣٠ م)

أولاً: رهائن الصراعات الداخلية في الأندلس.

١- الرهائن السياسيون في عصر الخلافة (٣١٦-٤٢٢ هـ / ٩٢٨ - ١٠٣٠ م).

ثانياً: رهائن الصراعات الخارجية في عصري الخلافة وملوك الطوائف

(٣١٦-٤٢٢ هـ / ٩٢٨ - ١٠٣٠ م)

١- رهائن للسيطرة على بلاد المغرب.

٢- الرهائن السياسيون مع الممالك النصرانية.

٣- الرهائن السياسيون في عصر ملوك الطوائف (٤٢٢-٤٧٩ هـ / ١٠٣٠ - ١٠٨٦ م).

رهائن الصرعات الداخلية في عصري الخلافة وملوك الطوائف (٣١٦-٤٧٩ هـ)

هـ / ٩٢٨ - ١٠٨٦ م

الرهائن السياسيون في عصر الخلافة (٣١٦-٤٢٢ هـ / ٩٢٨ - ١٠٣٠ م)

بدأ عصر الخلافة الأموية في الأندلس أواخر سنة (٣١٦ هـ / ٩٢٨ م)^(١) وإعلان عبد الرحمن الناصر لخلافة يأتي تلبية لما تلميه المصالح الداخلية والخارجية، ومن أهمها تأكيد قوة الأندلس، وخاصة بعد أن ضعفت مكانة الأمير الأموي في قرطبة نتيجة للثورات والفتن الداخلية، فأصبحت الحاجة ماسة إلى رفع مكانته السياسية والدنية وخاصة بعد أن أصبح لقب (أمير) لقباً مبتدلاً تلقب به معظم العصاة والخارجون عن سلطة الإمارة الأموية، بالإضافة إلى أن الوحدة السياسية في الأندلس قطعت شوطاً كبيراً بعد ستة عشر عاماً من النضال الذي توج بالانتصار على عمر ابن حفصون^(٢) بالإضافة إلى ضعف الخلافة العباسية في المشرق وقيام الخلافة الفاطمية في المغرب^(٣) وعبد الرحمن الناصر هو أول من تسمي من بني أمية بالأندلس

(١) في هذه السنة رأى الناصر أن تكون الدعوة له والمخاطبات له في جميع ما يجري ذكره فيه، بأمر المؤمنين فعهد إلى القاضي أحمد بن بقي، صاحب الصلاة بقرطبة بأن تكون الخطبة يوم الجمعة مستهل ذي الحجة بذلك فيقول: (الحمد لله ولي النعمة والانتعاش بما انعم به، وأهل الفضل بما تفضل علينا " وقد راينا أن تكون الدعوة لنا بأمر المؤمنين وخروج الكتب عنا ووردها علينا بذلك أذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له، ودخل فيه وقسم بما لا يستحقه وعلما أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك أضاعناه واسم ثابت اسقطناه فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به وأجر مخاطبتك لنا على إن شاء الله والله المستعان). ابن عذاري: البيان ج ٢، ص ١٩٨، ١٩٩.

(٢) إبراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا، ص ٢٩٥؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٥٧.

(٣) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٢٩، ٤٣٠.

بالخلافة^(٤) واستمر لقب خليفة في ذرية عبد الرحمن الناصر بعده حتى سقوط الدولة الأموية (٤٢٢هـ/١٠٣٠م)^(٥).

عبد الرحمن الناصر يستنزل الثوار رهائن في مدينة قرطبة

أصر الخليفة عبد الرحمن الناصر على استنزال المتمسكين بالخلاف عليه، فقرر الخروج لغزو مدن غرب الأندلس وبدأ في تعبئة قواته، وكان خروجه سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) وكان قد أرسل رسله إلى ثوار الغرب المتمسكين بالخلاف، وينصحهم بالتخلي عن عصيانهم ولوح لهم بإكرام الطائعين وأنذر المخالفين بالقتال، وللأسف لم يلق الناصر أي استجابة من هؤلاء الثوار وعلى رأسهم صاحب بطليوس عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان الجليقي^(٦) الذي تولي زعامة بطليوس بعد مقتل والده عبد الله في سنة (٣١١هـ/٩٢٣م)^(٧). نزلت جيوش قرطبة بقيادة الخليفة عبد الرحمن الناصر، وشارك في القيادة القائدان أحمد بن إسحاق القرشي^(٨) وأخوه محمد في ساحة بطليوس في ربيع الآخر سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) فبرز

(٤) جدول يوضح أمراء وخلفاء البيت الأموي في الأندلس، أنظر ملاحق الرسالة، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٥) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٢٤١، ٢٤٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢، ص ١٥٧.

(٦) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٢٤٦. سحر عبد العزيز سالم: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٣٣١.

(٧) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ١٨٨.

(٨) أحمد بن إسحاق القرشي: من نسل عبد الملك بن عمر المرواني، وهو من أقارب الخليفة عبد الرحمن الناصر وكان قائداً للفرسان، وعينه الخليفة عبد الرحمن الناصر حاكماً للتغر وعهد إليه بحصار مدينة سرقسطة ولكنه تهاون في الحصار وتواني لمرض في قلبه، ولأطماع كانت تجيش بها نفسه، فأنبه عبد الرحمن وعزله، فاتفق مع أخيه أمية على التآمر والخروج، فوقف عبد الرحمن على أمرهما واكتفي بنفيهما، فاتصل أحمد بن إسحاق بعمال الفاطميين في عدوة المغرب، وتآمر معهم على حكومة قرطبة، فسعى الخليفة عبد الرحمن إلى القبض عليه ثم أمر بإعدامه في الأندلس. مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٢٨، ١٢٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١٤٥. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٠٨، ٤٠٩.

له صاحبها عبد الرحمن الثاني فأخفش في القول وأساء التصرف، وأخرج عدداً من فرسانه لمحاربة جيش الخلافة فانهزموا وولوا الأدبار، وتحصنوا بداخل مدينتهم وقد أصيبوا بالذعر وعلي أثر ذلك بدأ الخليفة عبد الرحمن الناصر في إحكام حصاره على المدينة وبادر رجاله بانتساف المزارع وإحراق الأشجار، وتدمير المرافق، وشدّد الحصار عليهم، ووكّل به القائد أحمد بن إسحاق القرشي ثم أتيه بقوة من رجاله إلى مدينة ماردة لتفقد أحوالها، وواصل القائد أحمد بن إسحاق حصاره لبطليوس ومقاتلة أهلها وكانت بينه وبينهم وقعة شديدة بددتهم قتلاً وذلّتهم أسراً وأرسل منهم إلى باب السدة في قرطبة نيف وسبعين أسيراً من فرسانهم فضربت رقابهم، فانكسرت شوكتهم وانهارت مقاومتهم واستمر حصار بطليوس حتى بداية سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م) فقد واصل عسكر الخليفة التضييق على أهل بطليوس وقطعوا عنهم الأقوات فأيقنوا بنهايتهم المحتومة، فاضطر عبد الرحمن بن عبد الله بن مروان الجليقي إلى طلب الأمان فأجاباه السلطان إليه فأوسعاه عفوه وأعطاه أمانه هو وأهله وذوي الشوكة من رجاله، فأخذهم إلى قرطبة وأوسعهم من إحسانه^(٩).

فوجد أن الخليفة عبد الرحمن الناصر نقل أسرة بني مروان الجليقي إلى مدينة قرطبة تحديداً ليكونوا تحت عينيه رهائن مراقباً لتحركاتهم وحتى لا يفكرون في استعادة ملك أسرته في مدينة بطليوس التي أنشأها جدّهم عبد الرحمن بن مروان الجليقي، وبذلك يكون الخليفة عبد الرحمن الناصر قيد حركتهم وجعلها مقصورة على مدينة قرطبة.

وسار الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى مدينة باجة، وفيها عبد الرحمن بن سعيد بن مالك أحد زعماء المولدين، وكان على الخلاف فنزل بساحة الخليفة عبد الرحمن الناصر في غره جهادي

(٩) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٢٧١، ٢٧٢. سحر عبد العزيز سالم: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٣٣٤، ٣٣٥.

الآخرة سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)، فدعاه الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى الطاعة فلم يقبل عبد الرحمن بن سعيد فأعلن الناصر الحرب عليه ومنعوا الماء والميرة من مدينة باجة، حتى مس أهلها الجهد والعطش، فلما رأى أميرهم عبد الرحمن بن سعيد بن مالك حالهم طلب الرجوع إلى الطاعة، فأجابه الخليفة عبد الرحمن إلى مطلبه وأمن إخوته وأهل بيته، ومن كان بداخل المدينة من رجاله، ونزلوا على حكمه وخرجوا جميعا إليه ودخلوه في معسكره ونقلهم إلى قرطبة وساروا في عداد حشمه^(١٠).

فوجد أن حياة هؤلاء الثوار أصبحت مرهونة ببقائهم في مدينة قرطبة.

محمد بن هاشم التجيبي يقدم الرهائن للخليفة عبد الرحمن الناصر:

على الرغم من أن الخليفة عبد الرحمن الناصر أعلن نفسه خليفة على الأندلس، إلا أن هناك بعض حركات التمرد والعصيان خاصة في الولايات الشمالية ومنها سرقسطة التي تولت الزعامة في عصر الخلافة الأموية أسرة بني تميم فلم يكونوا على وفاق دائم مع حكومة قرطبة وكانت تحذوهم أطماع كثيرة، وكانوا يخشون عواقب السياسة التي كان يتبعها الناصر في إخضاع الولاة المحليين وسمح الأسر القديمة وكان وجودهم في الشمال بين الممالك النصرانية يفسح لهم مجال التأمر والخروج^(١١).

(١٠) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٢٤٧، ٢٤٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٠٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام ج ٢، ص ٣٩٠.

(١١) عنان دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٠٥.

وفي سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م) توفي عامل سرقسطة^(١٢) من قبل حكومة قرطبة وهو هاشم بن محمد عبد الرحمن التجيبي^(١٣) فطلب ولده محمد بن هاشم لتجيبي إلى الناصر أن يقره على ولاية سرقسطة فلم يجبه الناصر إلى ذلك، فقدم محمد بن هاشم إلى قرطبة طالباً الولاية من الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي أصدر الأمر بتوليته في رجب سنة (٣١٩هـ/٩٣١م)^(١٤)، والتزم محمد بن هاشم التجيبي بدفع الجباية، ودام هذا الولاء نحو ثلاث سنوات وأراد الناصر أن يختبر ولاء أهل سرقسطة وذلك بدعوتهم للمشاركة في غزواته ضد نصاري إسبانيا فقرر الخليفة عبد الرحمن الناصر أن يغزو أراضي النصارى سنة (٣٢٢هـ/٩٣٣م)^(١٥)، فبعث إلى أهل الثغور لموافاته فخرج إليه التجيبيون في رجالهم وتخلف محمد بن هاشم عنه، وتعرف هذه الغزوة بغزوة "وخشمه" (Osma) وكان محمد بن هاشم زعيم بني هاشم في سرقسطة يخفي أطماعاً كثيرة، ويضمّر الخروج على حكومة قرطبة ونجد انه لم يشارك مع الناصر في غزوته للنصارى حتى يتمكن من تحقيق مشاريعه وأطماعه فخرج الناصر بالطائفة من قرطبة في منتصف جمادي الأولى سنة (٣٢٢هـ/٩٣٣م) في جيش كثيف^(١٦) واعتزم الناصر دخول أراضي النصارى عن طريق وادي الحجارة، وليضع حداً لما أبداه صاحب سرقسطة محمد بن هاشم التجيبي من تردد عن المشاركة معه في غزوته فاحتل الناصر "حصن ملونده"^(١٧) وهو

(١٢) ابن حبان: المقتبس ص ٥، ص ٣٣٣؛ العذري: نصوص عن الاندلس، ص ٤٤.

(١٣) بعد وفاة محمد بن عبد الرحمن التجيبي سنة (٣١٦هـ/٩٢٤م) خلفه ولده هاشم على أمر سرقسطة وطلب هاشم من عبد الرحمن الناصر التسجيل له على سرقسطة فنفا ذلك له، والتزم هاشم الطاعة، كما اشترك في الغزو مع عبد الرحمن الناصر، فكانت ولاية هاشم لسرقسطة إيمناً وولاية، وتوفي سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م). العذري: نصوص عن الاندلس، ص ٤٣.

(١٤) العذري: نصوص عن الاندلس، ص ٤٤.

(١٥) في سنة (٣٢١هـ/٩٣٣م) سار ملك ليون إلى مدينة أوسمة (وخشمه) التي كان يهددها المسلمون فردهم عنها واحتلها وكانت أوسمة حيث تقع شرقي شنتا اشتين على مقربة من دويرة وعلى خط الحصون الفاصل بين الأراضي الإسلامية وقشتالة القديمة من القواعد الدفاعية المهمة. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٠١.

(١٦) ابن حبان: المقتبس ج ٥، ص ٣٣٣؛ العذري: نصوص عن الاندلس، ص ٤٤.

(١٧) حصن ملونده: بضم أوله وثانيه وسكون الواو والنون ودال مهمة حصن من حصون سرقسطة بالاندلس يتميز بالحصانة. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٥، ص ١٩٥.

من حصون محمد بن هاشم بعد مبادرة أهل هذا الحصن بالطاعة ثم تقدم إلى "حصن روطة"^(١٨) (Ruede) وهو من حصونه أيضا وكان فيه أخوه يحيى بن هاشم فافتتحه قسرا^(١٩) ثم سار الناصر إلى سرقسطة وطوقها ببعض قواته، ونصب المكاييد حولها كما بعث قوات أخرى إلى تطليه (Tudela) وطرسونه للتضييق على أهل سرقسطة وبعد أن تمكن الناصر من حصار سرقسطة رأى أن يتحول بقواته إلى غزو أراضي النصارى^(٢٠).

وفي العام التالي سنة (٣٢٣هـ/٩٣٤م) قام الناصر بغزو سرقسطة وناجز محمد بن هاشم التجيبي المنتزي بها وهو آخر من بقي من أهل الخلف بأرض الأندلس وقد كان قواده الذين خلفهم مقيمين حولها متظاهرين على التضييق عليها ملازمين لمراتبهم من حصارها مجاهدين في حرب أهلها فاستعد لغزوها بنفسه في هذه السنة وتأهب وحشد عسكره وقد أكثر الشعراء في مدح الناصر لخروجه في هذه الغزوة^(٢١).

قصد الناصر مدينة سرقسطة وتمادي في حصارها وأمر بتشديد المباني العالية والرفيعة في خارج المدينة، ليكون مطالعا على من داخلها يمشي ماش في أزقتها، ولا يخرج خارجاً من أبوابها إلا والعين تأخذه واللسان يصف هيئته كما شدد الناصر أيضا الحصار على أهل سرقسطة، وذلك عندما قطع عنها المرافق فبالغ في ذلك وأشرف عليه بنفسه، فما كان من أهل سرقسطة إلا أنهم صبروا صبرا عظيما كذلك استطاع قواده أن يفتحوا بعض حصون سرقسطة^(٢٢) ومنها

(١٨) حصن رُوطَة: بضم أوله وسكون ثانيه وطاء مهمله حصن من أعمال سرقسطة بالأندلس موصوف بالحصانة ويقع على شاطئ البحر المتوسط. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٢، ص ٩٦. الحميري: الروض المعطار، ص ٣٤٠.

(١٩) ابن حيان المقتبس، ج٥، ص ٣٤٤، ٣٣٥؛ العذري نصوص عن الأندلس، ص ٤٤.

(٢٠) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٣٣٥.

(٢١) كان من بينهم أحمد بن عبد ربه الذي منحه بقوله:

فصول نظير اليمن والمواكب السعد والناصر والتأييد في القرب والبعد

وحزم به ينضم منصدع الدجي وعزم كحد السيف يفري بلا حد. ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٣٥٧، ٣٥٨.

(٢٢) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٣٥٩.

(حصن ورشة)^(٢٣) الذي كان فيه أخو محمد بن هاشم (إبراهيم بن هاشم)، فنازله القائد محمد بن سعيد بن منذر القرشي وضيق عليه واستطاع هذا القائد أن يفتح حصن ورشة عنوة^(٢٤) واستمر الحصار والتضييق على سرقسطة أربعة أشهر، وبعدها رجع الناصر إلى قرطبة تاركا لحصارها القائد أحمد بن إسحاق القرشي ثم أردفه بالوزير عبد الحميد بن بسيل^(٢٥) ترافقه بعض قوات الناصر^(٢٦).

وفي نفس سنة (٣٢٣هـ/٩٣٤م) عقد الناصر السلم مع راميرو الثاني^(٢٧)، أو رزمير كما تسمية الرواية العربية^(٢٨) وبعد تردد رسل رزمير ملك ليون إلى الناصر في طلب الصلح^(٢٩) أرسل الناصر إليه الوزير يحيى بن إسحاق^(٣٠) فاجتمع معه وعقد معه شروط الصلح وكان الناصر يرمي من هذا الصلح إبعاد رزمير عن التفاهم مع محمد بن هاشم صاحب سرقسطة وموعنته،

(٢٣) حصن ورشة: ورشة بالفتح ثم السكون وشين معجمة وهاء حصن من أعمال سرقسطة في غاية الحصانة والمكانة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٧٢.

(٢٤) ابن حبان: المقتبس، ج ٥، ص ٣٦١.

(٢٥) عبد الحميد بن بسيل: هو عبد الحميد بن بسيل بن عبد الواحد بن عبد السلام بن بسيل الرومي أحد أفراد أسرة بنو بسيل التي تعتبر من أكبر بيوتات الموالي الأمويين في الأندلس استوزره الخليفة عبد الرحمن الناصر وجعله على خزانة المال. القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، ج ٣، ص ١٣٥؛ ابن حبان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٤٢، ٢٤٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٨٥.

(٢٦) ابن حبان: المقتبس، ج ٥، ص ٣٦٥؛ العنزي: نصوص عند الأندلس، ص ٤٥.

(٢٧) راميرو الثاني: تمكن من الاستيلاء على عرش ليون سنة (٣٢٠ هـ/٩٣٢م) وذلك بعد الحرب الأهلية التي حدثت في ليون بعد وفاة ملكها أودونيو الثاني سنة (٩٢٥م)، فخلفه في الملك أخوه "فرويل"، فلم يحكم سوي عام ثم توفي؛ فتنازع العرش سانشو والفونسو ولدا أودونيو، وشغلت ليون بحرب أهلية استمرت بضعة أعوام، وانتهى طورها الأول ب وفاة سانشو. ثم نشبت ثانية بين الفونسو وأخيه راميرو، وانتهت بغزو راميرو، وجلوسه على عرش ليون باسم راميرو الثاني، وعرف بعدائه الشديد للمسلمين في الأندلس وهجماته المستمرة عليها. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٠٠؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ١٦٧.

(٢٨) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٨٢؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٥٥.

(٢٩) ابن حبان: المقتبس، ج ٥، ص ٣٤٢-٣٤٠.

(٣٠) يحيى بن إسحاق: هو يحيى بن إسحاق الطبيب الأندلسي أحد وزراء الخليفة عبد الرحمن الناصر، وكان إسحاق أبو يحيى نصرانياً طبيباً صانعاً بيده مشهوراً في أيام الأمير عبد الله وكان يحيى هذا ولده بصيراً زكياً في العلاج واستوزره الخليفة عبد الرحمن الناصر وولاه الولايات الجليلة بعد إسلامه.. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء تحقيق نزار رضا، دار الحياة، بيروت ١٩٦٥، ص ٤٨٨، ٤٨٩؛ الزركلي: الأعلام، ج ٨، ص ١٣٧.

فلم يدم هذا الصلح طويلا فسرعان ما نكث رزمير وعاد للتحالف مع محمد بن هاشم ضد حكومة قرطبة (٣١) سنة (٣٢٤هـ/٩٣٥م) مقابل اعتراف محمد بن هاشم بطاعته (٣٢). وفي نفس السنة أرسل الخليفة عبد الرحمن الناصر الوزير عبد الحميد بن بسيل في جيش كثيف إلى سرقسطة للتضييق عليها، وليدعم القوات المحاصرة لها، وأتبعه بجيش بقيادة الوزير سعيد بن المنذر القرشي (٣٣)، وخرج إليهم الناصر في جيش ضخم سنة (٣٢٥هـ/٩٣٦م)، وعلم الناصر في أثناء خروجه لسرقسطة أن النصارى الذين احتشدوا لمناصرة محمد بن هاشم يحاولون الزحف نحو مدينة طليطلة لإثارة الثورة فيها، فتوجه الناصر لمدينة طليطلة ليأمن أهلها ويرهب النصارى الذين فروا مذعورين إلى الشمال عندما علموا بوجوده في طليطلة، وأبقى الناصر قوة من جيشه بطليطلة وتوجه لمدينة سرقسطة، وبدأ بقلعة أيوب حيث كان فيها الثائر مطرف بن منذر التجيبي المعروف بأبي شورب الذي استعان بالنصارى، فأرسل إليه رزمير فرقة من فرسان ألبه والقلاع لإنجاده فغضب الخليفة عبد الرحمن الناصر وأرسل إليه يدعوه إلى الطاعة ويؤكد له الأمان فرفض مطرف الدعوة واعتز بمن معه من النصارى فهاجم الناصر القلعة ونجح في قتل مطرف (٣٤) ونجا أخوه حكم بن منذر، وجميع رجال بني تجيب وفرسان ألبه والقلاع إلى القصبه، وكثر القتل في المدافعين عنها فأضطر منذر أن يطلب الأمان له ولحفائله النصارى وتم فتح قلعة أيوب في التاسع عشر من شهر رمضان سنة (٣٢٥هـ/٩٣٦م) وكان

(٣١) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٣٦٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٤٠٥.

(٣٢) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٣٧٩.

(٣٣) سعيد بن المنذر القرشي: هو سعيد بن المنذر بم معاوية بن أبان بن يحيى بن عبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، كان يتولى إشبيلية في بداية عهد الخليفة الناصر، ثم قلده الوزارة بعد ذلك وكان من قادة الجيوش المشهورين. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٩٤؛ ابن سعيد المغربي: المغرب في حلي المغرب، ج١، ص ١٨٣.

(٣٤) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٣٩٤ - ٣٩٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٤٠٧، ٤٠٨.

فتح قلعة أيوب أول صدع خطير في ثورة بني تجيب حيث قتل فيها العديد من فرسان سرقسطة وأكابرها وخمسمائة من الفرسان النصارى ولم ينج منهم سوى الخمسين الذين أمنوا^(٣٥).

عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى قائده أحمد بن إسحاق القرشي بحصار سرقسطة وعينة حاكماً للشعر ولكنه تهاون في الحصار فنفاه الخليفة عبد الرحمن الناصر من الأندلس^(٣٦) واستمر حصار سرقسطة عدة أشهر والناصر يضيق الحصار بشكل أقوى حتى اضطر محمد بن هاشم أن يبعث رسالة في طلب الأمان والصلح، ويروي لنا ابن حيان في كتابه المقتبس ذلك فيقول: " لما مس آل تجيب الضر واشتد عليهم الأمر ورأوا من مساكنه السلطان عليهم في عقر دراهم وإشرافه عليهم في أفنتهم ما ضاقوا به ذرعا وخانهم صبرهم واستفتحوا باب المراسلة وطلبوا الأمان فأبدي الناصر قبوله وتسامحه وطلب أن يخرج إليه إخوة محمد بن هاشم وبكار الشخصيات في سرقسطة لعقد الصلح نفرج إليه رجال سرقسطة ومن بينهم إخوة محمد يحيى وعبد الرحمن وهذيل فقبض الناصر على تلك الصفوة المختارة من سرقسطة وحبسهم داخل سرداقه^(٣٧) فلما علم محمد بن هاشم بتلك الضربة القاسية التي حرمته من بكار معاونيه ظل ممتنعاً وورسل الناصر تردد إليه بالإنذار وأخيراً بعث الناصر إليه بوزيره جهور بن عبد الملك بن أبي عبده فاطمأن محمد بن هاشم إليه وأذعن إلى التوبة وطلب الأمان والصلح وكان ذلك خلال عيد الأضحي سنة (٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م)^(٣٨) فاستجاب الناصر لطلب محمد بن هاشم وعقد له الأمان^(٣٩) بأوثق عقد وشهد على ذلك الشهود من أهل العسكر أهل الثغور وكان ذلك في شهر محرم سنة

(٣٥) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٩٩ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٠٨.

(٣٦) مجهول: اخبار مجموعة، ص ١٢٨، ١٢٩ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٧٩.

(٣٧) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٠٣.

(٣٨) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٠٤. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص ٤١٠.

(٣٩) نص وثيقة الأمان لسرقسطة في انظر ملاحق الرسالة، ص ٣١٧، ٣١٨.

(٣٢٦هـ/٩٣٧م)^(٤٠)، وأشترط الخليفة عبد الرحمن الناصر عليه إن يتخذ منه رهائن ضماناً لطاعته، وهذا ما اشتملت عليه الوثيقة والتي نصت على:

" أن يرهن عن نفسه وما عهد عليه من الوفاء بشروطه أسن ولده وأخاه هذيلاً من بين إخوته وأسن ولد " معن بن محمد " صاحبه، وأحد ولدي قاسم، وولد كاتبه ابن العاصي، ويكون جماعتهم لدي الناصر بدين الله بحال حفظ وتكرمه، وبسبيل أمان في المسير والمقام، بيدهم، إن شاء، ستة أشهر بأكفائهم ونظرائهم من إخوانهم خاصة إلى أن يظهر لأمر المؤمنين براءة محمد بن هاشم من ممالأة المشركين وتصحيحه طاعة أمير المؤمنين، فيأتي من إعفائه من ذلك مما يراه، وعلي أن يقطع محمد بن هاشم حبله من المشركين في ظاهره وباطنه من حد بلد برشلونة إلى سرطانية إلى بنبلونة إلى ألبه إلى القلاع، وإلى جليقية، ولا يكتبهم ولا يداخلهم، ولا ينبذ إليهم نبذ أمير المؤمنين، ويدخل السرايا إلى بلدهم، ولا يصالحهم على طرف من أطراف الثغر إلا عن إذن أمير المؤمنين وترداد مشورته، وأن يورد جباية بلده بمجملها، ولا يحتبسها عن أمدها، ولا ينقصها من عددها، بعد أن يسقط عنه جباية عام محرم، لما ناله ونال البسيط من معرة الجيش وامتناع التوزيع، ثم يوردها من بعد انصرام العام، كاملة موفرة بغير رسول يحركه ولا موكل يضغظه، حاشي الكاتب إليه، إن كان عاملاً أو إلى ابنه، إن رأي أمير المؤمنين استعماله، وألا يتقبل حراً نازعاً ولا عبداً بقاً لأمر المؤمنين، ولا لأحد من رعيته، وأن يوثق من ظفر به من هذه الطبقة، ويصرفه إلى مكانه ولا يتعقب أحداً ممن يسجل له عليه، أو يسجل بعد ممن حاربه مع أمير المؤمنين، وفارقه إليه أيام الطاعة له أيام معصيته، وأن يجدد البيعة لأمر المؤمنين ويلتزم شروطها، ويخلص الطاعة له، ويوفي حقوقها، وأن

(٤٠) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٠٤.

يغزو مع أمير المؤمنين، ويعادي من عاداه ويحارب من حاربه ويسالم من سالمه من أهل الملك وغيرهم ويقطع نصيبه من كل من أخرج يده عن طاعته وإن كان ابنه أو أخاه، ويلتزم كل ما ألزمه أمير المؤمنين من ظاهر القول وباطن الإرادة، لا ينقص متأول البغية ولا يحرف عن التصحيح بالعلة، فقد ألتزم أمير المؤمنين في عقده مثل ما سأله محمد من ذلك وأوجبه على نفسه له، مع دركه لهذه المنزلة من صدق الطاعة أن يوليه مدينة سرقسطة وما وقع له في سجله معها ولاية مستمرة ولا يعزل طول أيامه عنها، ثم لا يؤاخذ به بذنوب ولا يعدد عليه اقتراف خطأ ولا عمد ولا يقبل في مقالة كاشع ولا طعن حاسد، ويصير ذلك له وصية فيمن بعده، يلزمهم الوقوف عندها على سبيل الخلفاء في خالدات عهودهم إن شاء الله" (٤١)

ووقعت الأيمان في هذا الأمان من الناصر لدين الله مستوفاة مغلظة، أخذ على محمد بن هاشم أشد منها، خلف في مقطع الحق بمسجد سرقسطة الجامع خمسين يمينا منسوقة بمحضر قاضي الجماعة بقرطبة والفقهاء وأعلام العسكر والملا من أهل بيت محمد بن هاشم ووجوه أهل الثغر، على التزام ما عقد على نفسه منه واعتداده إياه ديانتة ". ثم أشهد الناصر لدين الله على نفسه فيه جميع أهل عسكره، فكان أول من شهد عليه أولاده الحاضرون، ثم أعمامه ثم الوزراء وأصحاب الخطط ثم الفقهاء ثم وجوه أهل سرقسطة ومن حضر من أهل الثغر (٤٢)

نجد أن الخليفة عبد الرحمن الناصر اتخذ من محمد بن هاشم خمسة رهائن وهم ابنه وأخاه وأكبر أبناء معن بن محمد صاحبه، وأحد ولدي قاسم، وولد كاتبه ابن العاصي.

(٤١) ابن حبان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٠٦، ٤٠٧.

(٤٢) ابن حبان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٠٧، ٤٠٨.

ونستدل كذلك من خلال النص السابق أن هؤلاء الرهائن مؤمنون من قبل الخليفة عبد الرحمن الناصر وأنهم في حال حفظ وتكرمه، وأنه سوف يتم إيداعهم بعد ستة أشهر بخمسة رهائن آخرين يكونون على أقدارهم، أي أحد أبناء محمد بن هاشم وأبناء إخوته وكبار رجال دولته، وأن الخليفة عبد الرحمن الناصر سوف يطلق سراح هؤلاء الرهائن عندما يتأكد من حسن طاعة محمد بن هاشم.

ورغم فداحة جرم محمد بن هاشم إلا أن الخليفة عبد الرحمن قد عفا عنه ومنحه الأمان، ويرجع ذلك إلى ما كان يتمتع به محمد بن هاشم من مقدرة إدارية فائقة، ولما كان لبني هاشم في الشمال من مركز قوي مؤثر لما لهم من العصبة والأنصار، بالإضافة إلى أن الخليفة عبد الرحمن الناصر عفا عن العديد من الثوار العتاة وأحسن إليهم، وضمهم في جيشه، وقد كانت هذه سياسة مستنيرة من الخليفة عبد الرحمن الناصر للاستفادة من هذه العناصر المنحرفة القوية متى صدقت توبتها وحسن ولائها^(٤٣).

دخل الناصر سرقسطة بعد أن أسلمها إليه محمد بن هاشم وكان ذلك في الرابع عشر محرم سنة (٣٢٦هـ/٩٣٧م)، ورأي الخليفة عبد الرحمن الناصر حصانه أسوار سرقسطة فأمر بهدمها حتى لا تشجع الخارجين على الثورة ودعم الحصون برجاله ونظر في مصالحها وأمن أهلها^(٤٤).

(٤٣) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص ٤١٢.
(٤٤) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٤١٩؛ العزري: نصوص عن الاندلس، ص ٤٥.

أثر اتخاذ الرهائن على مجري الأحداث السياسية:

لقد أثر اتخاذ الرهائن تأثيراً مباشراً على الأحداث السياسية في الأندلس وأثر في ميزان القوة العسكرية لصالح الخلافة الأموية، حيث أصبح محمد بن هاشم يتفانى في سبيل إرضاء الخليفة عبد الرحمن الناصر، مالياً للخلافة الأموية معادياً لنصاري الشمال، وهذا ما سوف يظهره سير الحوادث التاريخية.

وفي أثناء مقام الخليفة عبد الرحمن الناصر في سرقسطة، أحب أن يختم غزوته بجهاد نصاري بنبلونة فبعث حملة أقوامها أربعة آلاف من الفرسان المختارين بقيادة نجدة بن حسين الصقلي مولاه وأمر محمد بن هاشم أن يرافقه في أصحابه حتى يبرهنوا على حسن ولائهم، ويثبتوا قطع صلتهم بالنصارى فسار نجدة بن حسين في اليوم السابع والعشرين من محرم سنة (٣٢٦هـ/٩٣٧م) وانضم إليه في اليوم التالي محمد بن هاشم واتجها صوب حصن شنت اشتبين^(٤٥) وكان النصر فيها حليفاً للمسلمين، وعادوا مثقلين بالغنائم إلى سرقسطة^(٤٦) وبذلك اختبر الخليفة عبد الرحمن الناصر ولاء محمد بن هاشم وأنه قطع صلته بالنصارى فغادر سرقسطة في الرابع عشر من شهر صفر فكان وصوله لقرطبة في الثالث عشر من ربيع الأول من سنة (٣٢٦هـ/٩٣٧م)، بعد غياب دام عنها ثمانية أشهر^(٤٧).

(٤٥) حصن شنت اشتبين: (قاشترمورش) أحد أهم الحصون التي أقامته دولة ليون على نهر التاجه. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٣٩٤؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ١٦٥.

(٤٦) ابن حبان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٢٠.
(٤٧) ابن حبان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٢٢، ٤٢٣؛ العزري: نصوص عن الأندلس، ص ٤٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤١٣.

وبدأ محمد بن هاشم التجيبي في تنفيذ شروط العهد الذي اتخذته عليه الخليفة عبد الرحمن فوفد على قرطبة فأكرمته الناصر تكريماً عظيماً وأقام في كنفه مدة في رغد وإيثار وكان يحضر مجالس الخليفة (٤٨) ثم غادر قرطبة في شهر رجب من نفس سنة (٣٢٦هـ/٩٣٧م) بعد أن ولاه الناصر سرقسطة وعقد له عليها وعلى الجهات التابعة لها

وولاه في نفس الوقت القيادة وبذلك رجع إلى مكائته السابقة (٤٩) وهكذا أصبحت سرقسطة ولاية تابعة للخليفة بعد أن كانت محل أخطر الثورات التي واجهها الناصر لأنها أضحت مركزاً لتجمع القوي المعادية لخلافة قرطبة وباتهاء ثورة سرقسطة انتهت تلك الثورات التي اجتاحت الأندلس في مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وكان للخليفة عبد الرحمن الناصر الدور الأساسي في توحيد الأندلس والقضاء على تفرقها (٥٠).

استمر محمد بن هاشم موالياً للخليفة الناصر حيث خرج الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (٣٢٧هـ/٩٣٨م) لمقاتلة رذمير ملك ليون (٥١) بمحلمته المعروفة بغزوة الخندق (alhandiga) ولأهمية هذه الغزوة أطلق عليها "غزاة القدرة" (٥٢) فحشد لها جيشاً ضخماً وبعث كتبة إلى الثغور واستكثر من الآلات والسلاح، وكان لمحمد بن هاشم التجيبي دور كبير في هذه الغزوة حيث تمكن من إظهار قوته وصدق طاعته حيث تقدم في نفس الوقت الذي بدأت فيه المعركة بقواته فعبّر نهر شنت مانكش المعروف بشورقة "pisuerga" والتقى بالعدو وراء النهر

(٤٨) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٢٣، ٤٢٤، ويخالف العذري قول بن حيان حيث يذكر أن محمد بن هاشم التجيبي قدم مع الخليفة الناصر إلى قرطبة العذري: نصوص عن الاندلس، ص ٤٦.

(٤٩) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٢٤؛ العذري: نصوص عن الاندلس، ص ٤٦.

(٥٠) ويقول ابن حيان في ذلك (عن الناصر صير الاندلس جميعاً في قبضة واقتلع أمر النفاق بأسرة فلم يبق له بعد محمد بن هاشم ناكب عن الطاعة فأصبح يذود أهلها طرداً بعصاه ويمضي فيهم حكمة، ووجب عند ذلك قوله إلى حضرته واستواه على أريكية لما استوي له ملك الاندلس معاً) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٢٢.

(٥١) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٣٢؛ العذري: نصوص عن الاندلس، ص ٤٦.

(٥٢) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٢٨.

حيث اشتدت بينهم الحرب، ونجح محمد في الضغط على قوات العدو فانسحبت إلى المدينة ولجأت إلى قصبة المدينة واقتحم محمد بن هاشم مدينتهم، وعاد النصارى فاجتمعوا وخرجوا من القصبة ودارت بينهم حرب صعبة سقط خلالها محمد بن هاشم عن فرسه ووقع أسيراً عند النصارى^(٥٣) وهزم المسلمون في هذه المعركة هزيمة شديدة على باب شنت مانكش، وقتل منهم كثير وارتدوا في تراجعهم إلى خندق عميق وهو الذي تنسب إليه الموقعة وتقدم الناصر بقواته واحتل بهم أعلى نهر بشورقة وعجز النصارى عنه ولبث هناك يومه وقد ساد الخلل في الجيش، وأيقن الناصر بتحيص الله للمسلمين ثم رحل قافلاً حتى وصل مدينة وادي الحجارة ثم سار إلى قرطبة^(٥٤).

وبقي محمد بن هاشم أسيراً لدى النصارى أكثر من عامين، حيث وقع في أسر رذمير ملك ليون، وكان ذلك في غزوة الخندق وبذل الخليفة عبد الرحمن الناصر جهده لفك أسر محمد بن هاشم، ففي سنة (٣٢٩هـ/٩٤٠م)، لجأ الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى إبرام السلم مع رذمير لفك أسر محمد بن هاشم وتولي إبرام السلم حسداي بن إسحاق الكاتب^(٥٥) وفي شهر صفر من سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م) وصل محمد بن هاشم التجبي إلى قرطبة بعد إطلاق سراحه حيث مكث في الأسر عامين وثلاثة أشهر، فسر الخليفة عبد الرحمن الناصر بإخلاقه كثيراً، ورفع منزلته وولاه الوزارة، وأخرجه قائداً على الثغر الأعلى كله^(٥٦) وبعد عودة محمد بن هاشم قام بدور كبير في التصدي لنصارى الشمال، عدد ما نقض غرسية بن شانجة صاحب بنبلونه

(٥٣) ابن حبان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٣٥، ٤٣٤.

(٥٤) ابن حبان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٣٦، ٤٣٧؛ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٦٣.

(٥٥) ابن حبان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٦٦، ٤٦٧.

(٥٦) ابن حبان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٧٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٨٠.

معاهدة الصلح^(٥٧)، واستمر محمد بن هاشم التجيبي واليا وقائدا بالثغر الأعلى إلى أن توفي شهر محرم سنة (٣٨٨هـ/٩٤٩م)، خلفه ابنه يحيى بن محمد بن هاشم على سرقسطة وإعمالها^(٥٨) وفي سنة (٣٤٠هـ/٩٥١م) وكانت للمسلمين فتوحات في أراضي النصارى وشارك التجيبيون في ذلك، وكان منها فتح على يد يحيى بن هاشم التجيبي^(٥٩) ومنذ أواخر فترة حكم الناصر التي انتهت في سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م)، وخلال فترة ابنه الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٣هـ/٩٦١-٩٧٦م) سعت الخلافة إلى العناية أكثر بشئون الثغر الأعلى، فوثقت صلتها بالتجيبيين وأشركتهم في حملاتها العسكرية ضد نصاري الشمال، وقد أدى التجيبيون دورا بارزا في ذلك، فقام يحيى بن محمد التجيبي والي سرقسطة بمهاجمة أراضي النصارى، واشترك مع القائد أحمد بن علي في حملة قرطبة إلى ثغر يرشولونه، كما سار مع القائد غالب إلى ألبه والقلاع سنة (٣٥٤هـ/٩٦٥م)^(٦٠) حيث تمكن من احتلال حصن غرماج (Gormmaz)^(٦١).

ونستنتج مما سبق أن السياسة التي اتبعها الخليفة عبد الرحمن الناصر مع أسرة بنو تجيب آتت أكلها حيث أنه استألف قلوبهم فأصبحوا من أشد المدافعين عن سيادة الخلافة الأموية، وخاصة بعد أن ساعدهم موقع مدينة سرقسطة في الشمال وبعده عن مركز الخلافة ومجاورتها للنصارى إلى العصيان والتحالف مع القوي النصرانية، وفي سبيل مواجهة هذه التحديات اتخذ الخليفة عبد الرحمن الناصر رهائن من محمد بن هاشم.

(٥٧) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٨٠، ١٨١.

(٥٨) العنزي: نصوص عن الاندلس، ص ٤٧.

(٥٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢١٧.

(٦٠) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٨٦؛ المقرئ: نفح الطيب ج ١، ص ٣٧٣.

(٦١) غرماج: يقع حصن على نهر دويرة على مقربة من شنت إشتين، وكان الناصر قد انتزعها من النصارى سنة (٣٢٩هـ - ٩٤٠م).

عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٨٧.

موسي بن محمد بن عبد الملك الطويل يقدم الرهائن:

لم يبقَ من زعماء المولدين على مسرح الحوادث في الثغر الأعلى إلا بعض أفراد من بني شبريط (بني الطويل)، وتولوا حكم بعض المناطق والحصون، وفقدوا الكثير من نفوذهم والتزموا الطاعة للخليفة عبد الرحمن الناصر، وخرج فرتون بن محمد بن عبد الملك مع الخليفة عبد الرحمن الناصر في غزوة الخندق سنة (٣٢٧هـ/٩٣٨م) ولكنه كان من الجند الذين جروا الهزيمة على الخليفة عبد الرحمن الناصر، وأثر الهروب فأرسل الخليفة عبد الرحمن الناصر في أثره من فقبض عليه بناحية قلعة أيوب، فقطع الخليفة عبد الرحمن الناصر لسانه وصلبه عند باب القصر^(٦٢).

فقدم موسي بن محمد بن عبد الملك الطويل إلى قرطبة مظهرًا الطاعة سنة (٣٢٨هـ/٩٣٩م) مستألفًا للخليفة عبد الرحمن الناصر وذلك عندما قام الخليفة بصلب أخيه (فرتون) بقرطبة بجريرة يوم الخندق، فاضطربت حاله فأمنه الخليفة عبد الرحمن الناصر بأمان عقده له فرفق به عبد الملك، فقدم على الخليفة فأكرمه الذي أكرمه وعرف له حق مراجعته وجدد له السجل على مدينة وشقة وذلك بعد أن حلف خمسين يمينًا، وترك ابنه عبد الملك رهينة عند الخليفة عبد الرحمن الناصر، ولما توفي موسي بن محمد ولي الخليفة عبد الرحمن الناصر على وشقة

(٦٢) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٣٧؛ العنزي: نصوص عن الأندلس، ص ٧١.

ابنه عبد الملك الذي كان رهينة عنده وأشرك معه في حكمها يحيى بن لب بن محمد بن عبد الملك سنة (٣٤٦هـ/٩٥٧م)، ثم أفرد عبد الملك بوشقة سنة (٣٤٨هـ/٩٥٩م) (٦٣). اتخذ الخليفة عبد الرحمن الناصر رهينة من موسى بن محمد الطويل وذلك حتى يضمن عدم خروجه على الطاعة وخاصة أن مدينة وشقة بعيد جداً عن قرطبة حاضرة الخلافة وقريبة من المالك النصرانية، لذلك سار موسى على الطاعة وقام الخليفة عبد الرحمن الناصر بتولية ابنه بعده على وشقة.

وقد استطاع الخليفة عبد الرحمن الناصر السيطرة تماماً على الأندلس ونجح في القضاء على جميع الحركات الانفصالية، ووحّد الأراضي الأندلسية وجعلها تحت سيطرته وبلغت الخلافة الأموية ذروة نفوذها السياسي والحضاري طوال عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر، ثم في عهد المنصور بن أبي عامر وابنه عبد الملك وأصبحت الأندلس في عصر الخلافة دولة واحدة تسيطر على كافة أراضيها حكومة واحدة.

لذلك انعدم وجود رهائن للصراعات الداخلية بعد وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر.

رهائن الصراعات الداخلية في نهاية عصر الخلافة:

خلف عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر في حكم الأندلس وحجابه هشام المؤيد أخوه عبد الرحمن بن المنصور الملقب بشنجل (٦٤)، سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٩م). حيث طلب من الخليفة

(٦٣) ابن حبان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٥٣؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٧٢.
(٦٤) شنجل: هو عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر، كنيته أبو المطرف، تولى الحكم وعمره (٢٥ عاماً) وكان يلقب منذ حدثه "شنجل"، وذلك لأنه كان حفيداً لسانشو غرسية ملك نافر، وكانت أمه الأميرة النافارية التي تزوجت المنصور و اعتنقت الإسلام، وتسمت باسم "عبد"، تولى حجابة هشام المؤيد سنة (٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م) وكان منغمساً في الشراب، وصفه ابن

هشام المؤيد أن يجعله ولياً لعهد ففعل وتلقب " بالمأمون" مما أثار أهل الأندلس ضده، وقاد الثورة ضده المهدي بن عبد الجبار^(٦٥) وعمت الفوضى كافة أرجاء الأندلس وهو ما عرفت المصادر العربية بالفتنة البربرية^(٦٦).

ويمكن تلخيص أطراف النزاع المشترك في هذه الفتنة كل من عبد الرحمن (شنجول)، ومحمد بن عبد الجبار الملقب بالمهدي، وهشام بن سليمان المستعين على اعتبار أنها أحق بالخلافة لأنهما من أفراد البيت الأموي^(٦٧)، وفي سنة (٤٠٧هـ/١٠١٦م) دخل على بن حمود الحسيني^(٦٨) قرطبة فلكها وقتل المستعين، وبقي على بن حمود في الحكم حتى قتله الصقالية في الحمام سنة (٤٠٨هـ/١٠١٨م)، خلفه في الحكم أخوه القاسم بن حمود^(٦٩)، وبقي فيها حتى ثار ضده البربر وخلعوه من منصبه وقدموا عليه ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود^(٧٠)، عندئذ

سعيد بأنه كان نحسا على نفسه وعلى أهل الأندلس، وفي عهده بدأت الفتنة العظمى، حيث طلب من هشام المؤيد أن يجعله ولياً لعهد ففعل وتلقب " بالمأمون" مما أثار أهل الأندلس ضده، وقاد الثورة ضده المهدي بن عبد الجبار، وتم قتله سنة (٣٩٩هـ/٣ مارس ١٠٠٩م). ابن سعيد: المغرب، ص ٢١٣؛ ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ٢، ص ٢٧٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٦٢٣-٦٣٧.

(٦٥) المهدي بن عبد الجبار: هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، لقبه المهدي، كنيته أبو الوليد، يعتبر باب الفتنة وسبب الشقاق، ولي الخلافة مرتين يوم خلع هشام من الحكم سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م)، وكانت مدة ولايته بقرطبة تسعة أشهر، أما الثانية بعد سليمان بن المستعين سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) لمدة (٤٩) يوماً. الحميدى: جذوة المقتبس، ص ١٨، ١٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٤، ص ٥٠؛ المقرئ: نفع الطيب، ج ١، ص ٤٢٦.

(٦٦) ابن الكردوبس: تاريخ الأندلس، ص ٦٧، ٦٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ٧٢، ٧٣؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٩١-٩٧.

(٦٧) المقرئ: نفع الطيب، ج ١، ص ٤٠٩-٤٢١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٩٠-١٤٢.

(٦٨) علي بن حمود: هو علي بن حمود بن ميمون بن أحمد الأدريسي الحسني العلوي، من سلالة الأدارسة، أول ملوك الدولة الحسنية الحمودية بقرطبة، لقبه الناصر كنيته أبو الحسن، بويغ له بالخلافة في قرطبة سنة (٤٠٧هـ/١٠١٦م)، وقتل في ذي القعدة سنة (٤٠٨هـ/١٠١٨م)، وكان سنة وقت مقتله خمس وخمسون سنة، ولم يمكث في الخلافة سوى عام وتسعة أشهر. قتله الصقالية وقدموا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر. ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١١٩، ١٢٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٩٧-٩٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ٦٦٠، ٦٦١.

(٦٩) القاسم بن حمود: لقبه المأمون، كنيته أبو محمد ولي الخلافة وعمره سبعون عاماً، وهو ثاني ملوك الدولة الحمودية بقرطبة وتولي الخلافة مرتين الأولى سنة (٤١٢هـ/١٠٢١م) واستمرت ثلاث سنين وخمسة أشهر والثانية استمرت سبعة أشهر، توفي محبوباً عند أخيه إدريس بن علي سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٥م). ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٢٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٠٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ٦٦٢.

(٧٠) يحيى بن علي بن حمود: اختلف في كنيته فقيل أبو إسحاق، وقيل أبو محمد، وأمه لبونة، بنت محمد، بن الحسن، بن القاسم المعروف بقنون، بن إبراهيم، تسمى يحيى بالخلافة بقرطبة سنة (٤١٣هـ/١٠٢٢م)، ثم هرب عنها إلى مالقة سنة (٤١٤هـ/١٠٢٣م) ثم سعي قوم من المفسدين في رد دعوته إلى قرطبة في سنة (٤١٦هـ/١٠٢٥م)، قتم لهم ذلك، إلا أنه تأخر عن دخولها باختياره، واستخلف عليها عبد الرحمن بن عطاء اليفرنى، فبقي الأمر كذلك إلى سنة (٤١٧هـ/١٠٢٦م)، ثم قطعت دعوته عن

فر القاسم من قرطبة إلى إشبيلية وذلك سنة (٤١٢هـ/١٠٢١م)، وأعلن فيها انفصاله عن قرطبة ودعا لنفسه بالخلافة وتسمي بأمير المؤمنين، وبذلك أصبح في الأندلس خليفتان، وقد علق ابن عذاري على ذلك بقوله "خليفتان وهو أمر لم يسمع بأذل منه ولا أدل على إدارار الأمور: يحيى بن علي بن حمود بقرطبة والقاسم بن حمود بإشبيلية"^(٧١)

أما أهل إشبيلية وقاضيا إسماعيل بن عباد^(٧٢)، فقد بايعوا القاسم بن حمود^(٧٣) الذي أقام في إشبيلية سنة واحدة، وقام بمحاولة العودة إلى قرطبة مستغلاً غياب يحيى بن علي بن حمود في مالقة، فخرج على رأس جيش من البربر متجهاً إلى قرطبة واستولى عليها سنة (٤١٣هـ/١٠٢٢م) وبقي فيها لمدة سبعة أشهر، وعين ابنه محمد والحسن لينوبا عنه في إدارة شئون إشبيلية^(٧٤)، ولكن أهل قرطبة لم يطيقوا صبراً فثاروا ضده بسبب سياسته وطردوه، فأتجه منزهماً إلى إشبيلية التي أغلقت أبوابها في وجهه وطردها الحامية البربرية الموجودة في إشبيلية وأخرجوا ابنه محمد والحسن، وسار يحيى في أثر عمه القاسم، وما زال به حتى هزمه وقبض عليه ثم قتله في سجنه، واستولى يحيى على سائر ما كان بيده من البلاد والثغور، وانفرد برياسة البربر في الأندلس، ثم عاد فدخل قرطبة مرة أخرى على أثر خلع المستكفي في سنة

قرطبة، وبقي يتردد عليها بالعساكر إلى أن اتفقت على طاعته جماعة البربر، وسلموا إليه الحصون والقلاع والمدن، وعظم أمره، فصار بقرمونة محاصراً لإشبيلية طامعاً في أخذها، فخرج يوماً وهو سكران إلى خيل ظهرت من إشبيلية بقرمونة، فلقبها وقد كنوا له وتم قتله وذلك يوم الأحد لسبع خلون من المحرم سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٥م). الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٢٤، ٢٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٠١ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٩٥، ١٩٦.

(٧١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٢٣.

(٧٢) إسماعيل بن عباد: أحد نبهاء أسرة بني عباد المنتمين إلى قبيلة لخم، وجاهه هو عطف هو الداخل إلى الأندلس في طاعة بلج بن بشر القشيري، ونزلوا في إشبيلية وأصبحوا من أصحاب الوجاهة والنهاية، ومؤسس هذه الأسرة إسماعيل بن عباد الذي عينه الحاجب المنصور على خطة قضاء إشبيلية، وكنى بأبو الوليد وكان مهتماً بالعلم والأدب، تميز بعد البصر والذهاء البالغ والحكمة ورجاحة العقل، عهد بأمور القضاء لابنه أبي القاسم وذلك لو هن أصاب عينه وتوفي بإشبيلية ودفن يوم الأحد لخمس خلون من ربيع الآخر سنة (٤١٤هـ/١٠٢٣م) وله خمسة وستون علماً. ابن بشكوال: الصلة، ج ١، ص ١٠٢ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٩٣، ١٩٤ ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ص ١٥٣ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٣، ص ٣١-٣٤.

(٧٣) المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٤١٣.

(٧٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٢٣-١٣٥ ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ص ١٤٠-١٤٢.

(١٦٤هـ/١٠٢٥م)، ولكنه غادرها بعد ذلك إلى مالقة التي غدت من ذلك الحين معقله وعاصمة ملكه، في أوائل سنة (١٧٤هـ/١٠٢٦م)، وتلاحقت الأحداث بسرعة فأصبحت قرطبة غير مؤهلة لإدارة أمور البلاد، فأجتمع أهل قرطبة وشيوخها وأصدروا مرسوماً يقضي بزوال الخلافة نهائياً وذلك في (١٣ ذي القعدة سنة ٢٢٤هـ/٣٠ نوفمبر ١٠٣١م) ونودي في الأسواق والأرباض ألا يبقى أحد من بني أمية ولا يكفيم أحد^(٧٥)، وكان ذلك على يد الوزير أبو الحزم بن جمهور^(٧٦).

وفي النهاية أدي ضعف السلطة المركزية في الأندلس وتلاشي مؤسسة الخلافة إلى تفرق البلاد إلى دويلات عديدة عرفت باسم دول الطوائف^(٧٧).

(٧٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص ١٣٣؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٦٦٣، ٦٦٤.

(٧٦) أبو الحزم بن جمهور: هو جمهور بن محمد بن جمهورين عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر ابن أبي عبيدة، كان موصوفاً بالدهاء، وهو من كبار وزراء المنصور بن أبي عامر ثم غلب بعد قيام الفتنة بالأندلس على قرطبة فصار رئيسها ومدير أمرها، إلى أن مات سنة (٢٥٤هـ/١٠٤٣م) وتولي ولده مكانه. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١٠٧؛ ابن الأبار: الحلة السيرة، ج٢، ص ٣٠، ٣٣؛ ابن سعيد: المغرب، ج١، ص ٥٦.

(٧٧) بلغ عدد هذه الدول أكثر من ثلاث وعشرين دولة، ولها ثلاث اتجاهات عصبية وهي البربر في الجزء الجنوبي، والصقالبة في الجزء الشرقي، أما باقي الأندلس فكانت تحت حكم العرب، ومن أهم هذه الدويلات دولة بني جمهور في قرطبة (٢٢٢-٤٦٠هـ/١٠٣٠-١٠٦٨م)، دولة بني ذي النون في طليطلة (٢٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٧٥م)، دولة بني عباد في إشبيلية (٤١٤-٤٨٤هـ/١٠٢٣-١٠٩١م)، دولة بني الأفضل في بطليوس (٤١٣-٤٨٧هـ/١٠٢٢-١٠٩٤م)، دولة بني زيري في غرناطة (٤٠٣-٤٨٣هـ/١٠١٢-١٠٩٠م) ودولة بني هود في سرقسطة (٤١٠-٥٣٦هـ/١٠١٩-١١٤١م) بالإضافة لإلي هذه الدول الرئيسية فقد كان الديد من المدن والأقاليم التي أعلنت إستقلالها وهي: دولة بني برزال في قرمونة (٤٠٤-٤٥٩هـ/١٠١٣-١٠٦٧م)، دولي بني البكري في جزيرة شلطيئش (٤٠٣-٤٤٣هـ/١٠٢٦-١٠٥١م)، دولة بني خرزون في أركش (٤٠٢-٤٦١هـ/١٠١١-١٠٦٨م). لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٣، ص ٤٦٠-٤٦٤؛ أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٨٩-٩٦؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٢٩-٢٥٠.

القاضي أبو القاسم (٧٨) محمد بن إسماعيل يرهن ابنه عباد للخليفة يحيى بن علي بن حمود:

شهدت اشبيلية حالة من الفوضى والصراعات السياسية طوال فترة استمرت عشرين عاما (٤٠٠-٤٢٠هـ/١٠٠٩-١٠٢٨م) كانت خلالها الخلافة الأموية تختصر، حيث فقدت قرطبة خلالها سيطرتها على اشبيلية، وأدرك القاضي أبو القاسم محمد (٤١٤-٤٣٣هـ/ ١٠٢٤-١٠٤٢م) مغبة نزول يحيى بجواره متحالفاً مع الحاجب البرزالي، نفشي منهما على استقلال مدينته، ولقد حدث ما خشي منه القاضي، فحضر يحيى الحصار حول مدينة إشبيلية، ولم يكن أمام القاضي سوي مساومة يحيى إذ لم تكن لديه القدرة على مواجهته، فاتفق رأيهم ورأي أهل المدينة على أن يعترفوا بخلافة يحيى وسلطته الاسمية شريطة عدم دخول البربر إلى المدينة، وقنع يحيى بذلك غير أنه اشترط أن يعطوه رهائن من أبنائهم ضماناً لوفائهم بالشروط " فغن كل بولده، وبادر القاضي فراهنه ابنه عباداً فأنفرد بالتدبير واستولى على الأمور، واستظهر بذلك بهدم البيوتات، وتشتيت ذوي الهيئات" (٧٩).

وهكذا لم يتردد القاضي بالمغامرة بابنه، وأثبت أنه خير من يعرف من أين تؤكل الكتف، وأن الخلافة يحيى قنع بهذا ورضي به فهو رهن عظيم، وكان من الطبيعي أن يعظم قدر القاضي في نفوس أهل المدينة، وبذلك يكون القاضي أبو القاسم اتخذ أول الخطوات لاستقلال مدينة اشبيلية وتحقيق سيطرته عليها من خلال رهن ابنه.

(٧٨) القاضي أبو القاسم محمد: عرف بذكائه ودهائه، تميز بالعلم والحكمة وبعد النظر والقدرة الفائقة على تدبير الأمور مما مكّنه من السيطرة على إشبيلية والإنفراد بها، مؤسس دولة بني عباد الحقيقي، ومنشئ ملكهم ورسوم مملكتهم، وعلي يده اتخذ سلطان بني عباد ألوانه الملوكية المدعمة بالقوي العسكرية وتوفي سنة (٤٣٣هـ/ ١٠٤١م) ودفن بقصر إشبيلية. ابن بشكوال: الصلة، ج ٢، ص ٥٢٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٩٤، ١٩٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٣، ص ٣٩. (٧٩) ابن بسلم: الذخيرة، ق ٢، م ١، ص ١٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٩٦.

رهائن الصرعات الخارجية في عصر الخلافة (٣١٦-٤٢٢

هـ / ٩٢٨ - ١٠٣٠ م)

رهائن للسيطرة على بلاد المغرب

كان قيام الدولة الفاطمية في المغرب نذيراً بقيام صراع (مذهبي سياسي) عنيف بين الطرفين، فالفاطيون كانوا ينظرون إلى الحكم الأموي في الأندلس على أنه امتداد لخلافة دمشق بذكرياتها البغيضة والمأساوية لهم، ولم يشعر الأمويون بالراحة والاستقرار منذ قيام دولتهم في المغرب، ومع ذلك فالأمويون وقفوا أثناء حدوث ذلك موقف المراقب المتوجس منهم، فهم لا يستطيعون التدخل وأقسام كبيرة من بلادهم متمردة عليهم لاسيما الأقسام الجنوبية المواجهة للفاطمين التي كان يسيطر عليها عمر بن حفصون الذي وجد في الفاطمين خير عضيد له فكان يستمدهم في أوقات الأزمات فيمدونه بالأموال والمساعدات^(٨٠).
لذا كان على عبد الرحمن الناصر أن يقضي على أعدائه في الداخل كبن حفصون فبعث سنة (٣٠٢ هـ / ٩١٤ م) حملة إلى الجزيرة الخضراء فضبط البحر وأحرق سفن بن حفصون ومنعه من البحر"^(٨١) ووزع الخليفة عبد الرحمن الناصر أساطيله على السواحل الجنوبية والجنوبية

(٨٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٦٥؛ أحمد بدر: تاريخ الأندلس، ص ٨٦.
(٨١) ابن حبان: المقتبس، ج ٥، ص ٨٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٦٥. السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٧٢.

الشرقية من الأندلس حتى يمنع وصول الإمدادات من القيروان إليه، وأحبط الأسطول الأندلسي محاولات الفاطميين دعم حركة عمر بن حفصون^(٨٢).

ولمواجهة الخطر الفاطمي أيضاً أقدم عبد الرحمن الناصر على إعلان الخلافة في الأندلس لتكون أسلحة الطرفين متكافئة وذلك سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م)^(٨٣)، فدعم بهذا مركزه داخل الأندلس وخارجها وفرض هيئته في نفوس أهل الأندلس حتى لا يتأثروا بالدعوة الفاطمية، ثم حاول الناصر نقل معركته مع الفاطميين إلى عمق أراضيهم ليحتفظ ببلاده بعيداً عن التطاحن الحربي فعمد إلى اجتذاب بعض قبائل المغرب إلى جانبه من خلال الترحيب بالأمرء الذين أطاح بهم الفاطميون، وفي ذلك يقول صاحب كتاب مفاخر البربر (وتخطاهم عبد الرحمن إلى من سكن خلفهم من زعماء قبائل البربر يستألفهم ويحمل أهل الطاعة على أهل المعصية منهم ممداً لمن عجز برجاله مقوياً لمن ضعف بماله ومتعهداً بوجوه رسله وخواصه إلى أن تميز أكثر بوادي زناتة في حزبه وارتسموا بطاعته)^(٨٤).

كان من بين أولئك أبناء سعيد بن صالح^(٨٥) أمرء نكور^(٨٦) الذين تغلب عليهم الفاطميون ودخلوا عاصمتهم سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م) وقتلوا أميرهم سعيد بن صالح فليجاً أولاده الثلاثة

(٨٢) ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١٧٣؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص٤٢٢.

(٨٣) ابن حبان: المقتبس، ج٥، ص٢٤١، ٢٤٢؛ ابن عذاري: البيان ج٢، ص١٩٨.

(٨٤) مؤلف مجهول: مفاخر البربر، ص٩٤.

(٨٥) سعيد بن صالح: هو سعيد بن صالح بن إدريس صاحب مدينة (نكور) تولى الإمارة بعد وفاة أبيه سنة (٢٥٠هـ - ٣٠٥هـ / ٨٦٤-٩١٧) وأراد العبيديون إدخاله في شيعتهم فأبى، وكتب عبيد الله المهدي إلى (مصالة بن حبوس) عاملة بتاهرت يأمره بمحاربة سعيد فنزال مصالة مدينة نكور ودخلها (٣٠٥هـ/٩١٧م) واستباح عسكر سعيد وقتله. ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٧٨، ١٧٩؛ الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٩٦.

(٨٦) إمارة نكور: قام بتأسيسها قائد يمني يعرف بصالح بن منصور الحميري (العبد الصالح) دخل المغرب مع جيوش الفتح العربية وأفتتح منطقة (نكور) الواقعة في الريف المغربي وهي بينها وبين البحر نحو عشرة أميال، ثم استقر بها بعد أن أقطعها إياها الخليفة الوليد بن عبد الملك، وقد أسلم على يديه العديد من البربر ونصبوه حاكماً عليهم خلفه ابنواؤه من بعده على حكمها مدينة بالمغرب بقرب مدينة مليلة، وهي مدينة كبيرة. ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٧٦؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٦، ص٢٨٣؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥٧٦.

(صالح والمعتمض وإدريس) إلى الأندلس ونزلوا بجزيرة مالقة وقد رحب عبد الرحمن الناصر بهم وأمر بإكرامهم وأغدق عليهم العطايا وخيرهم بين البقاء في مالقة أو المقام في العاصمة قرطبة ففضلوا البقاء في مالقة لقرطبة لقربها من ممتلكاتهم وليتثنى لهم مراقبة تطورات الأحداث واغتنام الفرصة لإعادة ملكهم، وانتزاعه من أيدي الفاطميين وقد حصل لهم ذلك ونجحوا في استعادة ملكهم، فكتب صالح إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر بما تم له من نصر على أعدائه فأمر الناصر بقراءة الخبر على منبر قرطبة، وأرسلت نسخ منه على كافة أقاليم الأندلس وأمر بإرسال الهدايا والتحف والألبسة^(٨٧).

وقد وجد الناصر ضالته في قبيلة زناته التي حملت لواء مقاومة النفوذ الفاطمي، ومنذ البدء كان دافعها إلى ذلك العصبية القبلية فهم على عداوة لقبائل البرانس الموالية للفاطميين، والذي زاد من عداوة قبيلة زناته للفاطميين بعد استيلاء أبي عبد الله الداعي على مدينة تاهرت عاصمة الرستمين سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) وشعروا بوطأة السلطان الفاطمي عليهم، لذا وجد الخليفة الناصر في هذه القبيلة السلاح الذي يستخدمه ضد الفاطميين، كما أن الزناتيين وجدوا في الناصر الحليف القوي الذي يعتمدون عليه أثناء مواجهتهم للفاطميين^(٨٨)، فأعلن زعيمهم محمد بن خزر الدعوة للأمويين في كل مراكز المغرب الأوسط ماعدا تاهرت^(٨٩) التي بقيت فاطمية^(٩٠).

(٨٧) البكري: المغرب، ص ٩٦، ٩٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٧٩، ١٨٠.
(٨٨) كان لبني خزر مكانة خاصة لدى أمراء بني أمية إذ أن جد محمد بن خزر بن صولات بن وزمار كبير مغراوة قد أسر أثناء الفتح فبعث إلى الخليفة عثمان بن عفان فأسلم على يديه وولاه على قومه، وقيل أن صولات هاجر من تلقاء نفسه إلى الخليفة عثمان فأكرمه وولاه على قومه فأختص صولات وسائر مغراوة بولاء الخليفة عثمان عليه السلام، وأهل بيته من بني أمية. ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٢٥٧؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٦، ص ١٧٨؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٨٧.
(٨٩) تاهرت: بفتح الهاء وسكون الراء وتاء فوقها نقطتان، وهي مدينة من مدن المغرب الأوسط قريبة من تلمسان كانت عاصمة لبني رستم الخوارج الإباضية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٧؛ الحميري: الروض المعطار، ص ١٢٦.
(٩٠) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٢٦٠؛ السمراني وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٧١.

أدرك الخليفة الفاطمي المهدي^(٩١) خطورة هذا التحالف بين الأمويين والزناتيين فأمر قائده مصالة بن حبوس المكاسي^(٩٢) صاحب تاهرت بالخروج بقواته إلى قبائل زناته سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) للقضاء على تحركات هذه القبيلة التي ما انفكت تحارب النفوذ الفاطمي، فأصطدم مصالة بقوات بن خزر الزناتي في معركة كانت نتيجتها وبالا على الفاطميين فقد هزمت قواتهم وقتل قائدهم مصالة وذلك في شعبان في سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م)^(٩٣)، فاستثمر بن خزر هذا النصر ليوسع نفوذه نحو مناطق عديدة في تاهرت^(٩٤).

شجعت هذه الانتصارات الخليفة الناصر على الاستيلاء على مدينة مليلة^(٩٥) سنة (٣١٤هـ/٩٢٦م) وحصن أسوارها^(٩٦)، وقام محمد بن خزر بفتح مدينتي شلف وتنس^(٩٧) سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) وأقام فيها الدعوة للخليفة عبد الرحمن الناصر وكان العامل بمدينة

(٩١) الخليفة عبيد الله المهدي: هو عبيد الله أبو محمد الخليفة الشيعي مؤسس الدولة العبيدية وأول حاكم فيها وهو عراقي الأصل، ولد في الكوفة سنة (٢٦٠هـ/٨٧٣م) واختبأ في بلدة سلمية بؤرة الإسماعيلية الباطنية في شمال الشام، ومن يوم أن ولد إلى أن استقر في سلمية كان يعرف باسم سعيد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القذاح، وفي منطقة سلمية مقر الإسماعيلية مات على بن حسن بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فقرر الإسماعيلية نقل الإمامة من ذرية إسماعيل بن جعفر الصادق إليه. السبوطي: العرف الورد في أخبار المهدي، تحقيق موسى إسماعيل البسيط، حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية، توفي سنة (٣٢٢هـ/٩٣٣م)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٧، ص ٧٧-٧٩.

(٩٢) مصالة بن حبوس المكاسي: كانت له رئاسة قبيلة مكناسة، وعظم أمرها في أيامه فتغلبت على قبائل البربر ولما استولى (عبيد الله المهدي) على المغرب، كان مصالة من أكبر قواده، وولاه المهدي على مدينة تاهرت والمغرب الأوسط، وزحف مصالة إلى المغرب الأقصى سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م) واستولى على فاس وعلي سجلماسة قتل محمد بن خزر الزناتي سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م). ابن عذارى: البيان المغرب، ج ١، ص ١٨٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٦، ص ١٧٦؛ الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٢٢٧.

(٩٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ١، ص ١٨٩؛ محمد بن علي بن حماد: أخبار ملوك بني عبيد، تحقيق التهامي نفرة، الحلبي عويس، دار الصحوة، القاهرة ١٤٠١، ص ٤٥.

(٩٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ١، ص ٢٦٩؛ السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، الدار القومية للطباعة، القاهرة ١٩٦٦م، ج ٢، ص ٦١٢.

(٩٥) مليلة: تقع شرقي مدينة طنجة، وهي قريبة من نهر ملوية بالمغرب، وهي مسورة بسور حجارة، وداخلها قصبة مائة وهي مدينة قديمة، وأن عبد الرحمن الناصر لدين الله افتتحها (٣١٤هـ/٩٢٦م)، وبني سورها معقلاً لموسى بن أبي العافية. البكري: المغرب، ص ٨٩؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٥٤.

(٩٦) البكري: المغرب، ص ٨٩؛ السامرائي وأخرون، تاريخ العرب، ص ٤١٢.

(٩٧) مدينة تنس: بفتح تنس والتخفيف والسين مهملة، وهي آخر إفريقية مما يلي المغرب بينها وبين وهران ثماني مراحل، وتقع بالقرب من مليانة و بينها وبين البحر ميلان، وتسمى تنس الحديثة، يذكرها بن حيان في المقتبس باسم "تنس" والأصح أنها مدينة تنس وذلك لأن مدينة شلف تقع بالقرب من مدينة مليانة وكذلك مدينة تنس. ابن حيان: المقتبس، ص ٢٦٠؛ البكري: المغرب، ص ٦١؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٨.

شلف لما أحس بدنو الخير بن محمد منه هرب في الليل إلى مدينة تاهرت، فصالحه أهل البلد على أنفسهم واتقوه بالطاعة فتقبل منهم وأخذ رهائهم فأنفذهم إلى والده محمد بن خزر، أما أهل تيس قتلوا عاملهم الشيعي وأرسلوا برأسه إلى الخير واتقوه بالطاعة فقبلهم وأخذ رهنهم وأمنهم^(٩٨).

واتخذت رهائن من مدينتي شلف وتيس وذلك لتثبيت الدعوة لبني أمية في شمال إفريقية ولكي يظل أهل هذه البلاد على ولائهم فلا يستطيعون مولاة الفاطميين، فكانت سياسة اتخاذ الرهائن لقيم إحكام السيطرة على تلك البلاد فلا تستطيع الخروج والثورة.

واستولى الخليفة عبد الرحمن الناصر على مدينة سبتة سلماً سنة (٣١٩هـ/٩٣١م)^(٩٩) واستعمل عليها قائده فرج بن غفير^(١٠٠)، كان الناصر حريصاً على تحصين مدينة سبتة ووضع حامية عسكرية فيها، وأختارهم من خيرة قادته وجنده نظراً لموقعها الإستراتيجي المهم، يقول عنها المقرئ: "وكانت سبتة مطمح هم ملوك العدوتين وقد كان للناصر المرواني صاحب الأندلس عناية واهتم بدخولها في إيالته حتى حصل له ذلك ومنها ملك المغرب"^(١٠١).

وذلك في الوقت الذي كان فيه محمد بن خزر أمير زناتة يفتح المدن باسم الخليفة عبد الرحمن الناصر وبأخذ رهائهم كدليل على الطاعة^(١٠٢)، حيث يذكر ابن حيان على لسان محمد بن خزر: "فحشدنا جميع القبائل التي بإزائنا وكل من اعتصم بطاعتنا وتمسك بأسبابنا، فأخذنا رهائهم بالمبايعة لك والافتتاح باسمك والخطبة في جميع أهل الساحل إليك، وأقبل الناس إلينا

(٩٨) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٢٦٠، ٢٦١.

(٩٩) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٢٨٨، ٢٨٩.

(١٠٠) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٢٩٩.

(١٠١) المقرئ: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة ١٩٣٩، ج ٢، ص ٢٥٧.

(١٠٢) وثيقة تثبت اتخاذ الرهائن للسيطرة على بلاد المغرب. انظر ملاحق الرسالة، ص ٣١٩ - ٣٢٢.

من كل جهة فزعين مرعوبين خائفين على أنفسهم طالبين تسكين دهمائهم وحقن دمائهم" (١٠٣).

ونجد أن محمد بن خزر يتخذ الرهائن من أهل هذه البلاد الذين سارعوا بتقديمها كدليل على الطاعة وفي مقابل حفظ دمائهم.

كان من الطبيعي أن يسعى الناصر بعد ذلك إلى التطلع نحو طنجة ثاني أهم مدن المغرب الأقصى التي كانت تحت سيطرة الأدارسة من آل محمد وزعيمهم أبي العيش^(١٠٤) الذي انتظم في سلك الدعوة الأموية وسار من جملة أتباع الناصر، فطلب منه الخليفة التخلي عن مدينة طنجة^(١٠٥)، كما حاول الناصر سنة (٩٣٢هـ/٩٣٢م) احتلال موقع مهم بالقرب من سواحل تلمسان في المغرب الأوسط وهو جزيرة أرشقول^(١٠٦) وهي جزيرة منيعة كانت من أملاك الأدارسة فحاصرها الأسطول الأندلسي مدة طويلة لكنه لم يستطع السيطرة عليها^(١٠٧)، كما استطاع الناصر كسب زعيم قبلي آخر وهو موسى بن أبي العافية^(١٠٨) زعيم قبيلة مكاسة الذي كان من أكبر قادة الفاطميين في المغرب الأقصى، خاطبه الناصر للقيام بدعوته وبذل له

(١٠٣) ابن حيان: المقتبين، ج ٥، ص ٣٠٢.
(١٠٤) أبو العيش: هو أحمد بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن إدريس، تولى الحكم بعد وفاة أبيه كنون سنة (٩٤٨هـ/٩٤٨م) كان فيها ورعاً، أقام دعوة الأمويين، خرج مجاهداً إلى أرض الأندلس تاركا الحكم لأخيه الحسن وتوفي شهيداً سنة (٩٤٨هـ/٩٤٨م). ابن خلدون: تاريخه، ج ٦، ٢٩١، السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٥١، ٢٥٢.
(١٠٥) السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٥٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٢٥، ٤٢٦.
(١٠٦) جزيرة أرشقول: هي قرية من ساحل مدينة تلمسان من أرض المغرب. البكري: المغرب، ص ٧٧.
(١٠٧) البكري: المغرب، ص ٧٧؛ عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج ٢، ص ٦١٢.
(١٠٨) موسى بن أبي العافية: هو موسى بن أبي العافية بن أبي يسال ابن أبي الضحاك المكناسي أمير مكناسة، عقد له ابن عمه مصالة بن حبوس على سائر ضواحي المغرب وأمصاره (سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م)، وأقره الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي الفاطمي عليه ثم ضم إليه مدينة فاس سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م) وصار في ملكه (سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م) من أحواز تيهيرت إلى السوس الأقصى، وملك تلمسان سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) وانتظم في ملكه المغرب الأقصى والأوسط وأقام في الدعوة الغربية، ونقض دعوة المهدي الفاطمي (في هذه السنة) وخطب للخليفة عبد الرحمن الناصر، فسير إليه المهدي من يقاتله، فظلت الحرب سجالاً إلى أن قتل سنة (٣٤١هـ/٩٥٢م). ابن خلدون: تاريخه، ج ٦، ص ١٧٦-١٧٩؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٤٦؛ الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٣٢٤، ٣٢٥.

الأموال الكثيرة فأجابه لذلك فنقض طاعة الفاطميين وخطب للناصر على منابر عمله سنة (٩٣١هـ/٩٣١م) (١٠٩).

كان ذلك حافزا لعبيد الله المهدي ليعث بقائده حميد بن يصل المكاسي^(١١٠) صاحب تاهرت في عشرة آلاف مقاتل إلى موسى بن أبي العافية فالتقي الطرفان فكانت بينهم حرب ضروس انجلت عن هزيمة بن أبي العافية وفراره إلى قاعدته في تسول^(١١١)، فتقدم حميد إلى فاس فلما اتصل الخبر بمدين بن موسى واليا هرب عنها لأحقا بأبيه في تسول فدخلها حميد بن يصل واستعمل عليها أحد رجاله ويدعى حامد بن حمدان الهمداني، ثم قفل راجعا إلى إفريقية سنة (٩٣٢هـ/٩٣٣م)، لكن حكم الهمداني لفاس لم يدم فقد ثار عليه أحد أتباع بن أبي العافية المسمى أحمد بن بكر بن عبد الرحمن الجذامي وقتل الهمداني وبعث برأسه إلى موسى الذي بعثه بدوره إلى عبد الرحمن الناصر بقرطبة، وتقدم موسى إلى فاس وأعاد الدعوة فيها للروانيين (١١٢).

وفي سنة (٩٣٢هـ/٩٣٣م) أرسل إبراهيم بن العلاء وعلوان بن سواقة، وجماعة من أهل مدينة أصيلا رسالة إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر يؤكدون له فيها أمر طاعتهم، ويذكرون له مدي أهمية مدينتهم أصيلا من حيث إشرافها على ساحل البحر وكونها باباً مشرعاً إلى الأندلس، فعندما علم الأدارسة بانضمام مدينة أصيلا إلى عبد الرحمن الناصر، ساروا بجمعهم بغية الاستيلاء عليها فقاتلهم أهل أصيلا وانتصروا عليهم ثم سارعوا إلى مولاة موسى أبو العافية

(١٠٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٢٠١؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٤٤.
(١١٠) هو ابن أخ القائد مصالاة مصالاة بن حبوس الذي تولى حكم تاهرت بعد وفاة أبيه، يصل بن حبوس سنة (٩٣١هـ/٩٣١م) بعد من عبيد الله المهدي. ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٢٨٩.

(١١١) تسول: مدينة بالمغرب الأقصى وتسمى بعين إسحاق، تحتوي على جامع وأسواق وعين عذبة، بينها وبين مدينة وفاس أربع مراحل. البكري: المغرب، ص ١٤٢.

(١١٢) السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٤٤ - ٢٤٦.

وطلبوا من الخليفة عبد الرحمن الناصر إرسال قوة إليهم، فأمر محمد بن أصبغ عامل مدينة سبتة بإرسال القوة إليهم (١١٣).

في سنة (٣٢٢هـ / ٩٣٣م) خرج أمير مدينة أصيلا عن الطاعة بعد أن قدمها أهلها فأغزي الخليفة عبد الرحمن الناصر قائده عبد الملك بن سعيد بن أبي حمامة الزي نزل أصيلا، نخافه أهلها وأسرعوا إلى تقديم الطاعة وأخذ رهائنهم ليستوثق من طاعتهم، واستعمل عليهم رجلاً من أهلها البربر، وهو إبراهيم بن العلاء وكان صحيح الولاية للخليفة الناصر وخلف معه جمعاً من الحشم والرماة (١١٤).

فأخذ عبد الملك بن سعيد قائد الخليفة عبد الرحمن الناصر رهائن من أهل مدينة أصيلا وذلك لكي يضمن طاعتهم وعدم خروجهم مرة أخرى.

وذلك في الوقت الذي كان الفاطميون فيه مشغولين ب وفاة عبيد الله المهدي وتنصيب ابنه أبي القاسم محمد القائم بأمر الله (١١٥) خليفة جديدا سنة (٣٢٢-٣٣٤هـ / ٩٣٣-٩٤٥م) (١١٦)، فرأى الخليفة الجديد أن نفوذ الفاطميين في المغرب لاسيما الأقصى قد تزعزع كثيرا لذلك أوعز إلى قائده ومملوكه ميسور الفتي بالتجهز بالعدة والتوجه لمحاربة أشيع الأمويين فيه سار ميسور من إفريقية سنة (٣٢٣هـ / ٩٣٤م)، فاتهي إلى فاس التي اضطربت أحوالها كثيرا بعد سيطرة ابن أبي العافية عليها فاستطاع ميسور بالتعاون مع بقايا الأدارسة أن يهزم بن أبي

(١١٣) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٣٢٥، ٣٢٦.

(١١٤) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٣٤٧.

(١١٥) القائم بأمر الله: هو القائم بأمر الله الفاطمي محمد بن عبيد الله ويدعى محمد أبو القاسم نزارا، ولد في بلدة سلمية سنة (٢٧٨هـ)، بويح له بخلافة (٣٢٢هـ / ٩٣٤م) وكان مهيباً شجاعاً قليل الخير، وتوفي سنة (٣٣٤هـ / ٩٤٥م). ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٢١٠؛ الصنفدي: الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ٦؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٢، ص ٤٥٠.

(١١٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٢٠٨؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٥١.

العافية ويأسر ابنه البوري ويرسله إلى المهدي ثم لم يلبث أن عاد هو أيضاً من غزوته مظفراً^(١١٧).

لقد أتاحت الظروف السياسية المضطربة التي مرت بها الدولة الفاطمية أواخر عهد الخليفة القائم للأمويين استعادة نفوذهم الذي فقدوه بعد حملة ميسور فقد حدث أن انتشرت ثورة الإباضية النكارية^(١١٨) في العديد من مدن المغرب، هذه الثورة التي كانت بقيادة الزعيم أبي يزيد الخارجي^(١١٩) واستطاع السيطرة على معظم مدن المغرب التابعة للفاطميين، ووصل خطره حداً بحيث حاصر الخليفة القائم في المهدي حتى توفي في رمضان سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م)^(١٢٠) وإزاء ذلك لم يتردد الخليفة الناصر عن تأييد هذه الثورة وإمدادها بالمساعدات التي كان يطلبها أبو يزيد مقابل اعترافه بالسيادة الأموية على المناطق التي سيطر عليه من خلال السفارات التي بعثها أبو يزيد إلى الناصر^(١٢١).

لقد أسهمت هذه الثورة في أن يستعيد أتباع الناصر في المغرب نشاطهم فقد تقدم محمد بن خزر الزناني نحو أراضي جديدة وضمها إلى مناطق نفوذه كما ساعدت هذه الثورة التي كانت سببا في ضعف الفاطميين على انضمام البربر إلى الأمويين مثل يعلي بن محمد اليفرني^(١٢٢)، ولكن

(١١٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٩٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص٥١، ٥٢.

(١١٨) النكارية: فرقة من الإباضية الخوارج سموها نكاراً لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ثاني أئمة الدولة الرستمية، الذي تولى الحكم سنة (١٧١هـ/٧٨٧م) وكان ينزع هذه الفرقة يزيد بن قندين. ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص٥٢.

(١١٩) أبو يزيد الخارجي: هو يزيد مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزناتي نازح من زعماء الإباضية في المغرب كان يغلب عليه الزهد والتشوف، ولد ونشأ في قسطنطينة، وسافر إلى تاصرت فكان معلماً للصبيان فيها وانتقل إلى تقيوس ولما مات عبيد الله المهدي خرج أتباعه سنة (٣٢٢هـ/٩٣٣م) بناحية جبل أوراس وعظم أمره وأمتلك رقادة والقيروان وسوسه ثم هزمه المنصور فمات متأثراً بجراحه. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٨٨، ١٨٩؛ ابن خلدون: وفيات الأعيان، ج١، ص٧٧؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص٥٢ - ٥٤.

(١٢٠) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٨٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص٥٢ - ٥٤.

(١٢١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢١٢، ٢١٣.

(١٢٢) يعلي بن محمد اليفرني: هو يعلي بن محمد بن صالح اليفرني أمير من أشراف البربر من أهل "تاكرونة" كانت له مدينة "افكان" في إفريقية، ابتداء بتأسيسها سنة (٣٢٨هـ/٩٤٩م). وفي هذه السنة دخل "وهران" وملكها. واستمر في إمارته إلى أن

ثورة أبي يزيد تم القضاء عليها من الخليفة المنصور بالله بن القائم سنة (٣٣٤ - ٣٤١هـ / ٩٤٥ - ٩٥٢م) (١٢٣).

وعندما تولى الحكم المستنصر الخلافة سنة (٣٥٠ - ٣٦٦هـ / ٩٦١ - ٩٧٦م) كان النفوذ الأموي ضعيفاً في المغرب، وذلك بعد حملة جوهر الصقلي على المغرب الأقصى، فاقصر سلطانهم على قاعدتهم الحصينة سبتة، فأراد الحكم توطيد الحكم الأموي في المغرب، فأمر سنة (٣٥١هـ / ٩٦٢م) بترميم سور سبتة ثم عاد وأمر سنة (٣٥٣هـ / ٩٦٤م) بإسقاط جميع المغارم والضرائب على أهالي مدينة سبتة، وبذلك اكتسب محبتهم (١٢٤).

لقد حصل الأمويون على فرصة ذهبية لتثبيت نفوذهم في المغرب بعد نجاح الجيوش الفاطمية في الاستيلاء على مصر سنة (٣٥٨هـ / ٩٦٨م) (١٢٥)، فلم يعد للصراع مع الفاطميين ذلك الطابع العسكري المهدد لنفوذ الأموي في المغرب بعد أن أصبح المغرب مجرد ولاية من ولايات الدولة الفاطمية لا قاعدة لها (١٢٦) وأصبح صراعاها العقائدي والسياسي مع الدولة العباسية، وخف اهتمام الفاطميين بالمغرب، وأصبح المجال أوسع للأمويين لتوطيد نفوذهم (١٢٧)، واستفاد الأمويون من النزاع الذي حدث بين الزعماء المغاربة المواليين للفاطميين على نيابة الفاطميين في حكم المغرب فقد كان لقيام المعز الفاطمي بتسليم حكم

قتله الصقلي غدرا سنة (٣٤٧هـ / ٩٥٨م). ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٥٩؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١ ص ٢٥٤؛ الزركلي: الأعلام، ج ٨، ص ٢٤٠.

(١٢٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢١٥. ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٥٩.

(١٢٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ١، ص ٣٢٤.

(١٢٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٣٠٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٦١.

(١٢٦) بدر: تاريخ الأندلس، ص ٩٣.

(١٢٧) بيبضون: الدولة العربية، ص ٣٢١.

المغرب إلى زيري بن مناد الصنهاجي^(١٢٨) أثراً سيئة في نفس جعفر بن علي الأندلسي^(١٢٩) الذي تفاني هو وعائلته في خدمة الفاطميين فقد جعفر على الفاطميين والصنهاجيين معا وكان زيري الصنهاجي يحس بالحق والضعيفة اللتين يكنهما جعفر له فبدأ يستفزه بأعماله العدوانية فكان يعمد إلى مهاجمة القبائل المغربية التي تسكن بالقرب من المسيلة^(١٣٠) الداخلة في دمة جعفر بن الأندلسي ووصل حقد زيري حداً أن اتهم ابن الأندلسي لدي محمد بن الخير بن خزر الزناتي ضد الفاطميين وكان سببا في قيام المعز الفاطمي باستدعاء ابن الأندلسي إليه^(١٣١).
أثار إلحاح المعز على بن الأندلسي بالقدوم إليه مخاوف جعفر من الغدر به فتظاهر بالإذعان له، وخرج من المسيلة سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م) مع أهله ومواليه ولكنه بدلا من أن يتوجه نحو المعز في إلى قبائل زناتة خالعا طاعة الفاطميين، ولما بلغ الخبر إلى زيري الصنهاجي بادر بالخروج مسرعاً لقتاله بقوات قليلة لأن معظم قواته كانت مع ابنه بلكين في قاصية الغرب، فالتقي بجعفر وجموع الزناتيين سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م) لكن جعفر استطاع التغلب على قوات صنهاجة

(١٢٨) زيري بن مناد الصنهاجي: هو زيري بن مناد الصنهاجي الحميري أول من ملك من الصنهاجيين بالمغرب الأوسط، وهو الذي بني مدينة (أشير) وإليه تنسب وحصنها في أيام خروج أبي يزيد مخلد الخارجي لما خرج على القائم بن المهدي وعلي ولده المنصور إسماعيل، وأعطاه المنصور إسماعيل (تاهرت) وأعمالها، وكان حسن السيرة شجاعا، وأمر ابنه بلكين ببناء مدينة ومدينة الجزائر والمدينة، وكان ماليا لملوك (الفاطميين) عند ظهورهم، وقتل في معركة بينه وبين جعفر ابن علي الأندلسي وذكر أن فرسه كبا به؛ فسقط إلى الأرض فقتل في شهر رمضان سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م). ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٢، ص ٣٤٣؛ الزكي: الأعلام، ج ٣، ص ٦٣.

(١٢٩) جعفر بن علي الأندلسي: هو جعفر بن علي بن حمدون المعروف بالأندلسي جدهم الأكبر عبد الحميد وفد إلى الأندلس وسكن البيرة، وانتقل حمدون إلى بجاية بالمغرب ومال إلى الدعوة الفاطمية فكانت له مكانة رفيعة لدى الفاطميين، توارث هذه المكانة ابنه علي الذي أصبح من أكبر قادة الفاطميين في عهد عبيد الله المهدي وبني بتكليف منه مدينة المسيلة وتولى أمرها من بعده ابنه جعفر. ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن على الحجى، ص ٣٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٦٠؛ ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٣٠٥ - ٣٠٨.

(١٣٠) المسيلة: مدينة من بلاد الزاب بالمغرب الأوسط، أسسها علي بن حمدون الأندلسي بأمر من أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله الشيعي سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م) وهي تقع بالقرب من قلعة بن حماد، وهي مدينة كثيرة الخيرات وتسكنها قبائل كثيرة من البربر كهوارة وبني برزال. الحميري: الروض المعطار، ص ٥٥٨.

(١٣١) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجى، ص ٣٥ - ٣٧؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ٥٧؛ بدر: تاريخ الأندلس، ص ٩٤.

بعد مقتل زعيمها زيري الذي كبا به فرسه صريعاً^(١٣٢) فأحتر جعفر رأسه وبعث به إلى خليفة الحكم المستنصر مع أخيه يحيى^(١٣٣)، ثم لم يلبث أن لحق بأخيه عبداً إلى بر الأندلس وافداً إلى خليفته المستنصر الذي استقبله أحسن استقبال وأنزله المكانة الرفيعة^(١٣٤).

كانت هذه الحادثة ضربة قوية لنفوذ الدولة الفاطمية وحليفاتها القوية صنهاجة في حين كانت انتصاراً للسياسة الأموية في المغرب^(١٣٥)، وقد رد الفاطميون على ذلك بحملة قوية قادها بلكين بن زيري^(١٣٦) الذي كان يحمل حقداً ورغبة في الانتقام لمقتل والده فاستعد بنو خزر والزنايتون لمواجهة فوقعت الحرب بينهما لكن الزناتيين خسروها ومزق جيشهم فأقدم زعيمهم محمد بن الخير بن خزر على الانتحار خوفاً من سطوة بلكين^(١٣٧) فتقدم بلكين نحو تاهرت وبسكرة^(١٣٨) وطبنة^(١٣٩) والمسيلة حتى يقال إنه (لم يترك عند أحد منهم فرساً ولا جملاً)^(١٤٠)، وبعد أن شفي بلقين غلة من الزناتيين عاد قافلاً إلى القيروان حيث استقبله المعز

(١٣٢) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجى، ص ٣٧؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص ٧٤. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٢، ص ٣٦٠.

(١٣٣) ابن أبي دينار: المؤنس، ص ٧٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٩١.

(١٣٤) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجى، ص ٤٤؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٤٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٦٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٩١.

(١٣٥) بيضون: الدولة العربية، ص ٣٢٢.

(١٣٦) بلكين بن زيري: (٣٦١-٣٧٣هـ/ ٩٧١-٩٨٣م) بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، أبو الفتوح، سيف الدولة، المسمى (يوسف) يرفع نسبته إلى حمير: مؤسس الإمارة الصنهاجية بتونس، كان في بدء أمره من قواد المعز الفاطمي، وأبلى في إخضاع زناتة بالمغرب البلاء الحسن، فلما استولى الفاطميون على مصر وأراد المعز الانتقال من المهديّة إلى الديار المصرية سنة (٣٦١هـ/ ٩٧١م)) ولّاه إفريقية، ما عدا صقلية وطرابلس الغرب وسماه يوسف (بدلاً من بلكين) وكتاه أبا الفتوح ولقبه سيف الدولة، وفي أيامه ثار أهل المغرب الأقصى فخلعوا طاعة الفاطميين وخطبوا للمروانيين (أصحاب الأندلس) فسار إليهم بلكين ودخل مدينة فاس عنوة، واستولى على سجلماسة، وأخرج عمال بني أمية، وأعاد الخطبة للفاطميين. ودان له المغرب كله. وتوفي في موضع بين سجلماسة وتلمسان يقال له (واركنفو) سنة (٣٧٣هـ/ ٩٨٣م). ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٣٢٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٨٦؛ الصفي: الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ١٨١.

(١٣٧) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجى، ص ٣٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٩٤.

(١٣٨) بسكرة: بكسر الكاف وراء بلدة بالمغرب من نواحي الزاب بالمغرب بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان. الحموى، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٢٢؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ١١٣، ١١٤.

(١٣٩) طبنة: من بلاد الزاب بالمغرب بينها وبين المسيلة مرحلتان وهي مدينة كبيرة وعليها سور من حجر متقن البناء. البكرى: المغرب من ذكر إفريقية والمغرب، ص ٥١؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٨٧.

(١٤٠) ابن أبي دينار: المؤنس، ص ٧٥.

خير استقبال وخلع عليه الخلع وولاه حكم المغرب نيابة عنه فيما رحل هو إلى مصر حاضرتة الجديدة (١٤١) .

الحسن بن كنون يعرض تقديم الرهائن للخليفة الحكم المستنصر:

دفعت حملة بلكين بن زيري الناجحة بالأدارسة من آل محمد وزعيمهم الحسن بن كنون (١٤٢) إلى إعلان ولائهم إلى الفاطميين وخلع طاعة الأمويين مغضبين بذلك الخليفة الحكم المستنصر الذي رأي أن سياسة التدخل غير المباشرة في المغرب بواسطة حلفائه المغاربة لم تعد تجدي نفعا وأنه حان الوقت للقيام بعمل تأديبي في المغرب الأقصى لذلك أمر بإعداد جيش أندلسي ضم حسن الأهبة تحت إمارة قائده ووزيره محمد بن القاسم بن طملس فعبر هذا الجيش إلى سبتة في شوال سنة (٣٦١هـ/٩٧١م) (١٤٣)، واستعد للقاء الحسن بن كنون الذي كان في طنجة فلما علم بقدوم القوات الأندلسية تهيأ للقاءها والتحم الطرفان بأحواز طنجة وكانت نتيجة المعركة أن هزم ابن كنون وقتل العديد من أتباعه (١٤٤).

(١٤١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص ٣٣٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ٦٢، ٦٣.
(١٤٢) عندما خرج أبو العيش الإدريسي إلى أندلس للجهاد ومات شهيدا عام (٣٤٨هـ/٩٥٩م) إستخلف على عمله أخاه الحسن بن كنون وهو آخر الملوك الأدارسة في المغرب ولم يزل الأخير مستمسكا بدعوة آل مروان حتى مجئ جواهر الصقلي إلى المغرب فبإيعاز الفاطميين لكنه رجع عن بيعتهم وعاهد بني أمية ثانية وكان نفوذ الأدارسة قد تقلص إلى منطقة الريف المغربي. السلاولي: الإستقصا، ج١، ص ٢٥١-٢٥٣.

(١٤٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجى، ص ٨٠.

(١٤٤) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجى، ص ٨٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٤٩٥.

وتقدم الجيش الأموي واستولى على طنجة بعد أن خرج شيخهم بن الفاضل مناديا بالطاعة لله تعالى ولأمير المؤمنين المستنصر وفي أثناء ذلك أرسل الحكم إلى قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس وأمر رجاله بالتأهب وإعداد الأساطيل (أسطولي المرية وإشبيلية) ليكونوا بالقرب من القائد بن طلوس، وليطلعوا الحكم على أخباره وتحركاته، فبشروه أولاً بفتح طنجة وفرار بن كنون ثم التقي بن طلوس مع ابن كنون مرة أخرى فهزمه فالتجأ إلى جبل حصين قرب طنجة يدعى جبل الريح وتحصن به ولكن جنود ابن طلوس استطاعوا أن يستولوا على الجبل واستطاع ابن كنون الهرب ثانية فواصل الجيش تقدمه نحو أصيلا التي استولى عليها^(١٤٥)، ثم زحف الجيش الأموي نحو قلعة دلول^(١٤٦) وتحصنوا فيها فيما كان الحسن بن كنون بعد هزيمته يجمع قواته ويعيد تنظيمها ثم التقي بالقوات الأموية في مكان يعرف بـ(فحص مهران) بالقرب من طنجة^(١٤٧) فدارت الدائرة على الأندلسيين الذين خسروا المعركة وقتل قائدهم محمد بن القاسم بن طلوس سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م)، في حين اتجهت فلول الجيش الأموي إلى مدينة سبته وتحصنوا بها وبعثوا إلى الخليفة الحكم يخبروه بالأمر^(١٤٨).

لقد أدرك الحسن بن كنون خطورة ما ارتكبه فأراد التوبة فأرسل يطلب الصلح من الخليفة الحكم وتقديم الطاعة وبذل الرهائن^(١٤٩)، ورفض الخليفة الحكم طلبه وبادر بإرسال كبير

(١٤٥) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٩٠، ٩١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٧، ص ٢٦؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٤١٢.

(١٤٦) دلول: قلعة حصينة في أعلى جبل منيف بينها وبين مدينة مستغانم بقرب نهر شلف مسيرة يومين وبينها وبين البحر خمسة فراسخ. الحميري ك الروض المعطار، ص ٤٧٠.

(١٤٧) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٩٦. يذكر السلاوي أن المعركة حدث في فحص بني مصرخ بالقرب من طنجة. السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٥٦.

(١٤٨) مجهول: ممفاخر الزبير، ص ٩٨؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ٢٤٥، ٢٤٦؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٥٦؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٤١٢، ٤١٣.

(١٤٩) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٩٧.

قادته وأكفهم غالب بن عبد الرحمن^(١٥٠) وأمدّه بالجند والأموال الكثيرة ليشتد في قاتلة ابن كنون وقال له: (سير سير من لا إذن له في الرجوع حياً إلا منصوراً أو ميتاً فعدوياً وإبسط يدك في الإنفاق فإن أردت نظمت للطريق بيننا قطار مال)^(١٥١) وإن دل ذلك إنما يدل على عظم أهمية الغرب لاسيما الأقصى لخلفاء بني أمية في الأندلس بوصفه خط دفاع متقدم للأندلس فضلاً على أهميته السياسية والاقتصادية والتجارية.

وسار القائد غالب بقواته الجارّة من قرطبة سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م) وعبر البحر من الجزيرة الخضراء إلى قصر مصمودة^(١٥٢) وكان الحسن بن كنون قد تحصن في قلعة حجر النسر^(١٥٣)، فقام القائد غالب بالاستيلاء على مدينة البصرة^(١٥٤)، وأخذ رهنهم وسار إلى الطاعة جميع أهل الغرب^(١٥٥)

ف نجد أن القائد غالب في سبيل أن يمكن للدعوة الفاطمية في بلاد المغرب اتباع سياسة اتخاذ الرهائن من هذه البلاد.

(١٥٠) غالب بن عبد الرحمن: هو القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري صاحب مدينة سالم، وكان مولى للخليفة عبد الرحمن الناصر، وكان غالب، فضلاً عن كونه من نصحاء الحكم، ومستشاريه المقربين من أعظم قادة الأندلس ورجالاتها في هذا العصر وكان من أكابر دولة الحكم، وكان الحكم، عرفاً منه بقدر هذا القائد المظفر، قد أسند إليه القيادة العليا، وأصدر مرسومه بذلك إليه في سنة (٣٦١ هـ / ٩٧١م)، ودخل غالب الناصري في عداة شديدة مع المنصور بن أبي عامر لإنفراد الحكم وحجّره على الخليفة هشام المؤيد وتوفي غالب الناصري سنة (٣٧١ هـ / ٩٨١م). ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٧٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٨٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٣٧٨.

(١٥١) مجهول: ممفاخر البربر، ص ٩٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٦، ص ٢٩١؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٨٧.

(١٥٢) قصر مصمودة: حصن كبير بينه وبين سبتة اثنا عشر ميلاً، وهو على ضفة البحر تخرج منه المراكب التي يسافر بها إلى بلاد الأندلس وهو على رأس المجاز الأقرب إلى ديار الأندلس، وبين قصر مصمودة وطنجة وعشرون ميلاً. الحميري: الروض المعطار، ص ٤٧٦.

(١٥٣) حجر النسر: قلعة منيعة تقع جنوب نطوان، وهي حصناً منيعاً بناه محمد بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس البكري: المغرب، ص ١١٥؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٤٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٩٣.

(١٥٤) البصرة: مدينة مغربية كبيرة قيمة بين طنجة وفاس بينها وبين فاس مرحلتان. الحميري: الروض المعطار، ص ١٠٨.

(١٥٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٤٧.

اتجه القائد غالب الناصري من مدينة البصرة إلى قلعة النسر التي تحصن بها ابن كنون فحاصرها حصاراً شديداً (١٥٦) لكن مناعة قلعة النسر أطال من عمر هذا الحصار، فتحرك الأسطول الذي يقوده بن رحامس من طنجة إلى أصيلة حيث أسطول المرباط ليكون على مقربة من الحدث وقد بارك المستنصر هذه الخطوة بقوله: (إن اجتماع الأسطولين من صواب التدبير والأخذ بالجزم) (١٥٧) وقاتله غالب أياما وسرب الأموال إلى رؤساء البربر الذين مع الحسن بن كنون ووعدهم ومناهم فانفضوا عن الحسن، حتى لم يبق معه إلا خاصته ورجاله فلما رأى ذلك سار إلى حجر النسر فتحصن به واتبعه غالب فحاصره به ونزل عليه بجميع جيوشه، وقطع عنه المواد وأمدته الحكم بعرب الدولة الذين بالأندلس ورجال الثغور فوصل المدد إلى غالب بقيادة القائد يحيى بن محمد التجيبي في غرة المحرم سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م) (١٥٨)، فاشتد الحصار على الحسن بن كنون فطلب من غالب الأمان على نفسه وأهله وماله ورجاله وينزل إليه فيسير معه إلى قرطبة فيكون بها فأجاباه غالب إلى ذلك وعاهده عليه فنزل الحسن بأهله وماله ورجاله وأسلم الحصن إلى غالب فملكه، في جمادي الآخرة سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م) ودعي للحكم على منبر مسجدها (١٥٩)، ثم تتبع بقايا الأدارسة ببلاد الريف وفاس حتى استأصل شافتهم وأخضع المغرب الأقصى للدعوة الأموية (١٦٠).

(١٥٦) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجى، ص ١٣٤؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٤٧؛ السلاوى: الإستقصا، ج ١، ص ٢٥٧.

(١٥٧) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجى، ص ١١٦.

(١٥٨) مجهول: ممفاخر البربر، ص ٩٩؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجى، ص ١٢٨. ابن خلدون: تاريخه، ج ٦، ص ٢٩١.

(١٥٩) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجى، ص ١٥١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٩٣.

(١٦٠) السلاوى: الإستقصا، ج ١، ص ٢٥٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٦، ص ٢٩١، ٢٩٢.

زعماء الأدارسة رهائن عند الخليفة الحكم المستنصر:

وفي أواخر سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م) عاد القائد غالب الناصري إلى الأندلس مستصجبا معه الحسن بن كنون وأتباعه الأدارسة، وقد بالغ الحكم المستنصر في إكرامهم وعفا عن الحسن بن كنون وأوسع لرجاله وأدخلهم في ديوان العطاء وكانوا سبعمائة رجل أنجاد وأسكنهم قرطبة^(١٦١). ونجد أن الحسن بن كنون ومن معه من الأدارسة أصبحوا رهائن عن الخليفة الحكم المستنصر، فهم تركوا أملاكهم التي ورثوها في بلاد المغرب، وأن الحكم أبقاهم رهائن عنده وذلك حتى لا يرمقوا في أحضان الدولة الفاطمية في مصر ويعملوا على استعادة أملاكهم، فحياتهم أصبحت مرهونة ببقائهم في مدينة قرطبة تحت عين الخليفة الحكم المستنصر، ومتعرضين لكرمه أو سخطه ونكته.

لم تدم علاقة المودة بين الحكم المستنصر والحسن بن كنون، إذ سرعان ما كدر صفوها سوء خلق بن كنون وسماجته التي طالما أظهرها للمستنصر، الذي لم ينس ما قام به ابن كنون بأسرى الجيش الأندلسي عندما كانت الحرب دائرة بينهم، فقد كان يلقي بهم من أعلي قلعته في المغرب فيصلون الأرض مقطعين إربا، فأدي ذلك إلى نكبة الخليفة فجرده من أمواله وأملاكه سنة (٣٦٥هـ/٩٧٥م)^(١٦٢)، ثم انشغل الخليفة الحكم بمرضه تاركا أعباء الحكم

(١٦١) مجهول: مفاخر البربر، ص ٩٩، ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٤٨؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٦، ص ٢٩٢؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٥٨.
(١٦٢) مجهول: مفاخر البربر، ص ١٠٠، ١٠١؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٥٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٩٩.

لوزيره جعفر بن عثمان المصحفي^(١٦٣) الذي رأي من الأفضل أن يعود يحيى بن محمد التجيبي إلى عمله في الثغر الأعلى الذي كان يشهد نشاطاً واسعاً من قبل الأسبان، وأسند أمر المغرب إلى جعفر بن علي الأندلسي وأخيه ليحكمه باسم الخليفة الحكم المستنصر وجهزهما بالأموال وانخلع ليجمعا حولهما زعماء البربر، فوصلا إلى قلعة النسر وسلم إليهما يحيى التجيبي مقاليد حكم المغرب وقفل راجعاً إلى قرطبة فدخلها سنة (٣٦٥هـ/٩٧٥م) ثم أرسل إلى سرقسطة (١٦٤).

وأقدم المصحفي على خطوة كانت لها عواقبها السيئة على النفوذ الأموي في المغرب فيما بعد وهي إخراج الحسن بن كنون وأتباعه من الأدارسة من الأندلس وترحيلهم إلى المشرق وأخذ عليه المواثيق والعهود على ألا ينزلوا بالمغرب^(١٦٥)، وزودهم بالأموال التي يستعينوا بها على سفرهم، ووكل بهم من يخرجهم من الأندلس عن طريق المرية فعبروا البحر إلى تونس أواخر سنة (٣٦٥هـ/٩٧٥م)، وذلك للتخلص من نفقاتهم الباهظة^(١٦٦)، مما أدى إلى أن يلجأ هؤلاء الأدارسة إلى الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)^(١٦٧)، الذي

(١٦٣) جعفر بن عثمان المصحفي: هو جعفر بن أحمد بن سلمة بن عباد بن يونس بن عبد الله بن كسيلة من برابر بلنسية يعرف بالمصحفي، وكان شاعراً وأديباً متمكناً في الرسائل المملوكية، ولي جزيرة ميورقة في أيام الناصر. ولما ولي الحكم استوزره، وضم إليه ولاية الشرطة. وألت الخلافة إلى هشام المؤيد ابن الحكم، فتقلد حجابته وتصرف في أمور الدولة، وقوي عليه المنصور بن أبي عامر بخدمته لصبح (أم هشام المؤيد) فاعتقله وضيق عليه، فاستعطفه جعفر بمنظومه ومثوره، فلم يرق له، وصادره في ماله حتى لم يترك له ولا لابنائه ما يسدون به أرقامهم، وسجنه بالمطبخ إلى أن هلك فيه سنة (٣٧٢هـ/٩٨١م) وبعث بجسده إلى أهله الحميدي: جنوة المقتبس، ص ١٨٧، ١٨٨؛ ابن الأثير: الحلة السيرة، ج ١، ص ٢٥٧-٢٦٧؛ المقرئ: نفع الطبيب، ج ١، ص ٤٥؛ الزركلي: الأعلام ج ٢، ص ١٢٥.

(١٦٤) مجهول: مفاخر البربر، ص ١٠٣. ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٤٩.

(١٦٥) مجهول: مفاخر البربر، ص ١٠٤.

(١٦٦) ابن خلدون: تاريخه، ج ٦، ص ٢٩٢؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٥٩؛ العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٣٤.

(١٦٧) الخليفة العزيز بالله: (٣٤٤ - ٣٨٦هـ/٩٥٥ - ٩٩٦م) هو أبو المنصور نزار، الملقب بالعزيز بالله، ابن المعز بن منصور بن القائم بن المهدي، ولد في المهدي سنة (٣٤٤هـ/٩٥٥م)، وبويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة (٣٦٥هـ/٩٧٥م) وكانت في أيامه فتن وقلقل. كان كريماً شجاعاً، حسن الصفح، يكره سفك الدماء، وكان أديباً =

فاضلاً. ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٢٢٩، ٢٣٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢٧، ص ١٢٩؛ الزركلي: الأعلام ج ٨، ص ١٦.

أكرمهم ووعدهم بالنصر والأخذ بثأره من الأمويين^(١٦٨)، فكان الأدارسة بقيادة الحسن بن كنون سلاحاً استخدمه الفاطميون لإضعاف نفوذ الأمويين في المغرب فيما بعد^(١٦٩).

ولقد أخطأ الأمويون عندما أخرجوا الحسن بن كنون من الأندلس فبعد أن كان رهينة تحت أعينهم أصبح حرباً عليهم.

نزل الحسن بن كنون مصر سنة (٢٦٥هـ/٩٧٥م) وبقي فيها، غير أن الخليفة الفاطمي أراد بدوره إخلاص من نفقات الحسن بن كنون فشاوور وزيره يعقوب بن كلس^(١٧٠) في أمر الحسن بن كنون وإخلاص منه، وخصوصاً أن الحسن بن كنون كانت لديه الرغبة في العودة إلى بلاده في المغرب الأقصى لاستعادة ملك أباته الأدارسة، فأيده الخليفة الفاطمي العزيز وزيره في تحقيق رغبته وأقره على ولاية الغرب الأقصى، وكتب إلى بلكين الصنهاجي لمساعدة الحسن بن كنون^(١٧١)، وأمره بطرد الأمويين ودعوتهم من المغرب الأقصى، فسار الحسن بن كنون من مصر إلى المغرب الأقصى سنة (٣٧٣هـ/٩٨٣م) في جيش صغير والتقي ببلكين الصنهاجي الذي أمدّه بالمال والرجال ونجح الحسن في نشر دعوته باستعادة ملك الأدارسة في الوقت الذي توفي فيه بلكين الصنهاجي^(١٧٢).

(١٦٨) السلاوي: الإستقصا، ج١، ص ٢٥٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٤٩٩.

(١٦٩) بدر: تاريخ الأندلس، ص ١٠٠.

(١٧٠) يعقوب بن كلس: هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلس، وزير العزيز نزار بن المعز صاحب مصر كان يعقوب يهودياً يزعم أنه من ولد هارون بن عمران ولد ببغداد وأنقذه إلى مصر سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) وأصبح من جملة كتاب كافور، وأسلم سنة (٣٥٦هـ/٩٦٦م) وولي الوزارة للخليفة العزيز بالله سنة (٣٦٨هـ/٩٧٨م) وكان أول من وزر للدولة الفاطمية في مصر، وكان يعقوب يحب أهل العلم ويجمع عنده العلماء، وعظمت منزلته عند الخليفة العزيز بالله، وتوفي في صباح الاثنين لخمس خلون من ذي الحجة سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م). ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٧، ص ٢٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٨، ص ٨٧-٩١.

(١٧١) ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٥٤٤.

(١٧٢) مجهول: مفاز البربر، ص ١٠٨؛ إبراهيم بيضون: الدولة العربية في أسبانيا، ص ٣٤٦.

ولما سمع المنصور بن أبي عامر خبر دخول الحسن بن كنون إلى المغرب الأقصى جهز جيشاً بقيادة ابن عمه الوزير أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عامر المعروف بعسقلاجة (١٧٣) لمحاربته، وخرج المنصور معه إلى الجزيرة الخضراء في شهر ربيع الأول سنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م) وقد سار مع عسقلاجة محمد بن أحمد بن جابر، الذي زوده المنصور بالأموال لصرفها عند الحاجة، وأيضاً صهره الوزير عبد الرحمن محمد التجيبي وغيره من كبار قواد الجيش الأندلسي وأنضم إلى عسقلاجة زعماء مغراوة وفي مقدمتهم زيري بن عطية بن خزر (١٧٤) (١٧٥) كما أمد المنصور عسقلاجة بجيش آخر تحت قيادة ابنه عبد الملك الذي كان سنه آنذاك اثني عشرة سنة، وطارد عسقلاجة الحسن، ثم أحاطه بقواته وحاصره حتى أرهقه الحصار، فما كان من الحسن بن كنون إلا أن لجأ إلى حيلته الأولى ولم يربداً من طلب الأمان والتسليم، على أن يسير إلى الأندلس كسابق عهده، فأجيب إلى طلبه، وبعث به إلى قرطبة تحت حراسة مشددة، وكان المنصور بن أبي عامر قد رأي أنه لا ذمة لحسن بن كنون مع كثرة نكته وسعيه بالفساد ضد الخلافة الأموية، فأنفذ إليه من قتله في الطريق وأتاه برأسه، وذلك في جمادى الأولى سنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م) وانهارت بذلك دعوة الأدارسة (١٧٦).

(١٧٣) الحكم عمرو بن عبد الله: هو بن عم المنصور بن أبي عامر، وقد أنفذه المنصور سنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م) من أجل محاربة الحسن بن كنون، ثم قلده أمر المغرب وكل أعماله، ثم استدعاه إلى الأندلس سنة (٣٧٦هـ/٩٨٦م). ابن خلدون: تاريخه، ج، ص ٢٧؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٥٩.

(١٧٤) زيري بن عطية: زيري بن عطية الخزري المغراوي الزناتي: أمير زناتة. ولما قامت (صنهاجة) بدعوة العبيديين، في المغرب ثبتت زناتة على الدعوة للامويين، وقادها زيري بن عطية فملك مدينة (فاس) وغيرها، واتسع سلطانه، وخاض حروباً كثيرة، أخزها بينه وبين جيوش (ابن أبي عامر) فأتخن فيها بالجراح، ومات بعد ذلك سنة (٣٩١هـ/١٠٠٠م). ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٤٢٥؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٦٥؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٠٢، ٢٠٣؛ الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٦٣.

(١٧٥) مجهول: مفاخر البربر، ص ١٠٩؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٦٤.
(١٧٦) مجهول: مفاخر البربر، ص ١١٠؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٦٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٥٤٥.

أبو البهار بن زيري يقدم ابنه رهينة للمنصور بن أبي عامر:

شغلت بلاد المغرب معظم اهتمام الحاجب المنصور بن أبي عامر وسار على نفس سياسة الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر في السيطرة على بلاد المغرب، واصطناع بربر زناتة في المغرب الأقصى حتى يضمن ولائهم، وقد دخلت في الطاعة الأموية كل البلاد المغربية الممتدة إلى سجلماسة جنوباً سنة (٣٧٠هـ/٩٨٠م)، وإلى ولايتي تلمسان وتاهرت شرقاً سنة (٣٨١هـ/٩٩١م) (١٧٧).

ورغم سيطرة المنصور بن أبي عامر على تلك المناطق إلا أن أبو البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي قد خالف على ابن أخيه منصور بن بلكين ابن زيري بن مناد الصنهاجي أمير إفريقية وخلع دعوة الشيعة ومال إلى دعوة المروانيين وغلب على المهديّة وتونس وشلّشال وتلمسان ووهران وشلف وكثير من بلاد الزاب وخطب للخليفة هشام المؤيد وحاجبه المنصور بن أبي عامر وبعث ببيعته إليهم، وذلك في سنة (٣٧٧هـ/٩٨٧م)، فلما وصلت بيعته إلى المنصور بن أبي عامر بعث إليه بعده على ما بيده من البلاد وبهدية وخلع وبأربعين ألف دينار فلما قبض أبو البهار المال والهدية أقام على بيعتهم نحو الشهرين ثم خلعهم وعاد إلى العبيدين فبلغ ذلك المنصور فغاضه وكتب إلى زيري بن عطية بعده على بلاد أبي البهار وأمره بقتاله عليها فسار إليه زيري بن عطية من فاس في جيوش لا تحصى من قبائل زناتة وغيرهم ففر أبو البهار أمامه ولحق بابن أخيه منصور بن بلكين وترك له البلاد فلك زيري بن عطية تلمسان وسائر أعمال أبي

البهار فانبسط سلطانه بالمغرب من السوس الأقصى إلى الزاب وكتب بالفتح إلى المنصور بن أبي عامر وبعث له بهدية عظيمة^(١٧٨).

وطلب أبو البهار بن زيري الدخول في الطاعة مرة أخرى فعفا عنه المنصور، وفي سنة (٣٧٩هـ/٩٨٩م)، نقض أبو البهار بن زيري العهد الذي بينه وبين المنصور بن عامر، فزحف إليه المنصور إلى تاهرت، ففر أبو البهار إلى الغرب، ودخل عسكر المنصور تاهرت فنهبوا وقتلوا، ثم أمنهم بعد ذلك^(١٧٩)، ورجع المنصور عن تبع عمه أبو البهار، وآوي على تاهرت أخاه يطوفت ومضي المنصور إلى مدينة أشير وكتب أبو البهار إلى ابن أبي عامر، يسأله الدخول في طاعته، وأن يكتب له إلى زيري بن عطية الزناتي صاحب فاس أن يكون مواليا ومصافيا لابن أبي عامر، فكتب ابن أبي عامر إلى أبي البهار: أن كنت على نية فيما وصفته عن نفسك، فأرسل إلى ابنك، يكون رهينة عندي وأفعل عندك ما أحببته! فوجه إليه ابنه في مركب مع ميمون المعروف بابن الدابة كأبيه، فعطب المركب وماتا جميعا في البحر، فوجه إليه ولده الآخر، فوصل إليه فوجه ابن أبي عامر لأبي البهار أموالا وكسي وكتب إلى زيري بن عطية في زحفه أن يعاضده وينصره، ويكون معه، فلما بلغ ذلك أبا البهار وصل إلى فاس واتفق مع زيري بن عطية صاحبها^(١٨٠).

(١٧٨) مجهول: مفاخر البربر، ص ١١٣؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٦٦.
(١٧٩) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٤٤١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٦، ص ٢٠٨.
(١٨٠) ابن خلدون: تاريخه، ج ٦، ص ٢٠٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٨٥.

زيري بن عطية يعرض تقديم الرهائن للمنصور بن أبي عامر:

عندما علم المنصور بن أبي عامر بموت الوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السليبي حاكم المغرب عقد لزيري بن عطية على المغرب وندبه لحكمه بالتعاون مع جيش المنصور المقيم هناك^(١٨١)، فأخذ زيري مدينة فاس مقرأً له وقام بالدعوة للخليفة هشام المؤيد بالله ولحاجبه المنصور بن أبي عامر، وكان زيري هذا زعيم قبيلة مغراوة التي تعتبر أهم القوي السياسية التي اعتمد عليها المنصور بن أبي عامر في المغرب، والتي ظلت تناصر دعوة الأمويين في المغرب والممثلة في شخص المنصور بن أبي عامر^(١٨٢) وأعتمد المنصور بن أبي عامر في تنظيم جيشه على هذه القبيلة التي أمدته بأعداد وافرة من الرجال وقد تمتع المغرب بالهدوء والاستقرار زهاء عشرة سنوات من سنة (٣٧٦-٣٨٦هـ/٩٨٦-٩٩٦م) إذ كانت العلاقات بين المنصور والزنايين ودية وتسم بالتعاون ما نال زعيم الزنايين زيري بن عطية مكانة رفيعة لدى المنصور بن أبي عامر^(١٨٣)

استدعى المنصور بن أبي عامر زيري بن عطية في سنة (٣٨٢هـ/٩٩٢م) للقدوم عليه، فاستخلف زيري على المغرب ولده المعز وصار زيري إلى قرطبة قدم إلى المنصور ومعه هدايا عظيمة^(١٨٤)، وأعجب المنصور بتلك الهدايا ومنح زيري لقب الوزارة وجدد له عهده على المغرب، ولكن زيري لم يبتهج من لقب الوزارة بل على العكس ساء ذلك، حيث كان

(١٨١) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٥٤٦.

(١٨٢) مجهول: مفاخر البربر، ص ١١١، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٢٨١.

(١٨٣) مجهول: مفاخر البربر، ص ١١١، إبراهيم بيضون: الدولة العربية في أسبانيا، ص ٣٤٧، ٣٤٨.

(١٨٤) لمزيد من التفاصيل عن تلك الهدايا أنظر: مجهول: مفاخر البربر، ص ١١٢، السلاوي: الإستقصا، ج١، ص ٢٦٦.

يعتبر نفسه في مرتبة الإمارة ولذلك قال زيري بعد عودته إلى المغرب " الآن علمت أنك لي" ويقصد بذلك بلاد المغرب، وصار إلى طنجة وهناك أشاع خبر استقلاله بالمغرب حيث قال لبعض رجاله يتوعد المنصور: " والله لو كان بالأندلس رجل ما تركه على حاله وإن له منا يوماً " وصل المنصور خبر غضب زيري عليه، فتركه المنصور حيث أن الوقت لم يكن مناسباً للرد عليه ومع ذلك لم يبدأ زيري بإشهار معاداة المنصور لاسيما أن المنصور حقق له رغبته في حكم المغرب ومن ثم استمرت العلاقات بين المنصور وزيري بن عطية طيبة حتى سنة (٣٨٦هـ/٩٩٦م) كما سنرى ⁽¹⁸⁵⁾.

وما كاد زيري بن عطية يصل إلى طنجة بعد عودته من الأندلس حتى علم بأن خصومه من بني يفرن تحت قيادة زعيمهم يدو بن يعلي الذي انتهز فرصة غياب زيري عن المغرب، وزحف على فاس واستولى عليها سنة (٣٨٢هـ/٨٩٢م) وقتل كثيراً من رجال مغاوة في فاس، فجhez زيري جيشاً لملايه يدو بن يعلي، وقامت بينهما معارك عديدة انتهت بهزيمة يدو بن يعلي وقتله، ثم أرسلت رأسه إلى المنصور بن عامر في أوائل سنة (٣٨٣هـ/٨٩٦م) ⁽¹⁸⁶⁾.
 . وأصبح زيري بن عطية بعد هزيمته لبني يفرن ولزعيمهم أعظم أمراء المغرب قوة وبأساً، وعلي الرغم من أنه ظل يتظاهر بولائه للمنصور بن أبي عامر وللدعوة الأموية في المغرب، إلا أنه كانت لديه نية الاستقلال بالمغرب، ولما كانت مدينة فاس بموقعها في الطرف الغربي للمغرب وعلي مقابلة من مواطن القبائل المعادية له فقد أصبحت لا تصلح لمشاريعه المستقبلية، لذلك أنشأ لنفسه مدينة جديدة وهي مدينة وجده الواقعة جنوب شرق مليلة، وعلي مقربة من جنوب غرب تلمسان، وشرع في بنائها سنة (٣٨٤هـ/٩٩٤م) وأحاطها بأسوار ضخمة، وأنتقل

(١٨٥) مجهول: مفاخر البربر، ص ١١٧؛ السلاوى: الإستقصا، ج ١، ص ٢٦٩.

(١٨٦) السلاوى: الإستقصا، ج ١، ص ٢٦٨.

إليها بسلاحه وجنده وأخذها مقرأً لحكمه سنة (٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م) وذلك لموقعها المتوسط بين
المغربين الأوسط والأقصى^(١٨٧).

لما أدرك المنصور بن أبي عامر نوايا زيري بن عطية الاستقلالية بعث كاتبه عيسى بن سعيد
اليحصي إلى المغرب في جيش ضخم، وقلده النظر في شأن زيري بن عطية، ولما وصل إلى
المغرب قام بعدة حملات مع زيري بن عطية لتصفية خلافاته مع المنصور، ولكنه لم يستطع
تصفيتها نظراً لعدم موافقة زيري مصالحة المنصور، فمكث عيسى بقية سنة
(٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م)^(١٨٨)

وأعلن زيري الثورة علناً سنة (٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م) وذلك بسبب استبداد المنصور بالسلطة والنفوذ
في الأندلس وحججه على الخليفة هشام المؤيد، وكانت السيدة صبح قد حرضت زيري على
المنصور لمحججه على ابنها هشام، وبعثت إليه الأموال ليتمكن من الدخول إلى الأندلس بجيشه
للإطاحة بالمنصور بن أبي عامر وإعادة سلطات الخلافة لابنها هشام، وكان أول ما قام به
زيري أن طرد عمال المنصور على المغرب، ما عدا عماله على القواعد الأندلسية المطلة على
المضيق مثل سبته ومليلة، ومن ضمن أسباب ثورة زيري أيضاً هو أن زيري احتقر لقب
الوزارة الذي منحه له المنصور، وأن السبب الحقيقي لخروج زيري عن طاعة المنصور بن أبي
عامر هو رغبته في الاستقلال بالمغرب، وجعل من تمسكه بالولاء للخليفة هشام المؤيد ذريعة
لتحقيق أهدافه بالاستقلال، وجعل زيري شعاره في حروبه مع المنصور "هشام يا منصور
" بينما كان شعار جند المنصور "يا منصور" وبذلك نكث زيري بن عطية المغراوي طاعته

(١٨٧) الفلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٨٥، ١٨٦.

(١٨٨) مجهول: مفاتيح البربر، ص ١١٧، ١١٨.

للبن صبور بعد الحب الشديد والولاء الأكيد، وطعن على بن أبي عامر تغلبه على هشام وسلبه ملكه" (١٨٩).

فما كان من المنصور إلا أن قطع رزق الوزارة عن زيري، وحشي اسمه من ديوانه وتبرأ منه في شوال سنة (٣٨٧هـ/٩٩٧م)، فرد عليه زيري بطرد عماله الذين لجأوا إلى مدينة سبته، وقطع أيضاً ذكره من الخطبة في المساجد واقتصر على ذكر الخليفة هشام المؤيد بالله، فجhez المنصور جيشاً كبيراً وأسّس قيادته إلى فتاه واضح الصقلي قائد مدينة سالم، حيث كان المنصور يثق في قدرته القتالية وزوده بالمال والسلاح، فعبر واضح بالجيش المضيق في نهاية شهر شوال سنة (٣٨٧هـ/٩٩٧م) ونزل مدينة طنجة (١٩٠) وكان المنصور قد أمد واضح بمن كان في الأندلس من زعماء زناته والخراجين على زيري فتكاملت جيوش واضح وفي طنجة انضم إلى واضح عدد من زعماء زناته وحالفوه على محاربة زيري، نفّرج واضح في جمع غفير من الجيش قاصداً مدينة فاس، وخرج زيري بن عطية لملاقاته، فالتقي الجيشان بوادي زارات جنوب طنجة، ونشبت بينهما معارك حربية عنيفة استمرت على مدي ثلاثة أشهر استطاع زيري أن يهزم واضح وجيشه وقتل معظمه إلا أن واضح ومن بقي معه من الجيش تمكن من الفرار إلى طنجة وكتب للمنصور بن أبي عامر يستنجد به بجيش آخر وشرح له ضراوة الحرب مع زيري بن عطية طيلة الثلاثة أشهر (١٩١).

وبعد سماع المنصور خبر هزيمة جيشه اضطر إلى اتخاذ إجراءات أكثر فاعلية للقضاء على زيري فأعلن الجهاد في المسجد الجامع بالزاخرة عقب صلاة الجمعة التاسع من شهر شعبان سنة

(١٨٩) مجهول: مفاخر البربر، ص ١١٨.

(١٩٠) مجهول: مفاخر البربر، ص ١١٧؛ السلاوي: الإستقصا، ج ٢، ص ٢٦٩.

(١٩١) مجهول: مفاخر البربر، ص ١١٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٥٥٧.

(٣٨٨هـ / ٩٩٨م) ثم سار إلى الجزيرة الخضراء في أعداد كبيرة من الجيش، وقد أسند قيادة الجيش إلى ابنه عبد الملك لما مكان يتمتع به من مهارة قتالية وسمعة طيبة في صفوف الجيش، وعبر عبد الملك وجيشه إلى مدينة سبتة لملاقاة زيري بن عطية سنة (٣٨٨هـ / ٩٩٨م) وبقي أبيه المنصور في الجزيرة الخضراء يراقب العمليات الحربية مستخلفاً ابنه عبد الرحمن على الزاهرة (١٩٢).

شاع خبر وصول عبد الملك إلى زيري بن عطية فتأهب للملاقاته وكتب إلى جميع أنصاره من قبائل زناته يستجدهم فأتمته القبائل من سائر بوادي زناته، وخرج عبد الملك والفتي واضح من طنجة في جيش ضخم والتقي الجيشان (بواي منى) من أحواز طنجة ودارت بينهم معارك عظيمة استمرت يوماً وليلة قتل فيها من الجانبين عدد كبير من الرجال وكان في معسكر زيري غلام أسود اسمه كافور بن سلام كان زيري قد قتل أخاه فوجد هذا الغلام الفرصة مواتية للانتقام من زيري واستطاع هذا الغلام الوصول لخيمة زيري وضرب زيري بسكين في نحره بثلاث ضربات لم تقتله، ثم أقبل الغلام مسرعاً إلى عبد الملك وبشره بقتل زيري فلم يصدقه عبد الملك إلى أن جاء أحد أصحابه وأخبره أن زيري قد جرح جرحاً خطيراً، فهجم عبد الملك على جيش زيري وهزمه، واستولى على ما بيد زيري من مال وسلاح إلا أن زيري تمكن من الهرب وهو مجروح إلى مكان يعرف بمضيق الحية قرب مكاسة، وأجتمع حوله فلول قومه وعزم على العودة لمحاربة عبد الملك ولما علم بذلك عبد الملك بعث إليه الفتى واضح ومعه خمسة آلاف فارس، فصار واضح بجيشه وتوغل في جيش زيري على غرة في الليل وقتل منهم أعداداً كبيرة، وأسر من أشرف مغاوة نحو ألفي رجل وكانت تلك المعركة في منتصف

شهر رمضان سنة (٣٨٨هـ/٩٩٨م) ثم فر زيري مع نفر من أصحابه إلى مدينة فاس فأغلق أهل فاس أبواب المدينة في وجهه وكانوا قد علموا بهزيمته، فطلب زيري منهم أن يخرجوا إليه أسرته فأجابوا طلبه وسلموه أهله وزوده بالزاد والدواب، فأنصرف بهم إلى الصحراء قاصداً بلاد صنهاجة (١٩٣).

وبعد هزيمة زيري بن عطية دخل عبد الملك مدينة فاس يوم السبت نهاية شهر شوال سنة (٣٨٨هـ/٩٩٨م) وكتب إلى أبيه المنصور يديره بالنصر، فقرأ كتاب عبد الملك على منابر الأندلس، وأعتق المنصور بهذه المناسبة ألف وثلاثمائة مملوكة أنثى وخمسمائة عبد وذلك من جملة صدقات كثيرة أعدها بمناسبة فتح المغرب، وقام بتولية ابنه عبد الملك على المغرب وأوصاه بحسن معاملة أهلها، ومكث عبد الملك بمدينة فاس ستة أشهر وعاد بعدها إلى الأندلس وكان أهل فاس قد أعجبوا بعدله وحسن معاملته لهم ثم تعاقب على حكم فاس في المغرب ولادة كثيرون بعد عودة عبد الملك إلى الأندلس فمنهم عيسى بن سعيد صاحب الشرطة إلى أن عزله المنصور (٣٨٩هـ/٩٩٩م)، وعين بدلا منه الفتي واضح (١٩٤).

وقد فر زيري بعد هزيمته في مضيق الحية هاربا كما ذكرنا إلى بلاد صنهاجة فوجد أهلها قد اختلفوا على ملكهم باديس بن منصور بن بلكين الصنهاجي صاحب، فزحف زيري بجيشه وتوغل في بلاد صنهاجة وهزم جيشهم ودخل مدينة تاهرت وبعض بلاد الزاب وتلمسان وشلف والمسيلة وأقام بها الدعوة للخليفة هشام المؤيد كما حاصر مدينة أشير قاعدة بلاد صنهاجة ثم كتب إلى المنصور بن أبي عامر يسترضيه ويطلب منه الأمان ويشترط على نفسه الرهن (ابنه وابن أخيه) والاستقامة والولاء إذا أعاده المنصور إلى حكم بلاد المغرب فعفا عنه

(١٩٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٢٨٢؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص ٢٧١ .

(١٩٤) مجهول: مفاخر البربر، ص ١٢١؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص ٢٧٢ .

المنصور وأعيد إلى ولاية على المغرب، وبينما كان زيري على حصار آشير انتفضت عليه جراحه القديمة فمات بسببها في شهر محرم (٣٩١هـ/١٠٠١م) فتولي حكم زناته بعده ابنه المعز بن زيري، كما أقره المنصور على ولايته للمغرب^(١٩٥).

عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر يأخذ رهائن من زعماء المغرب:

اتبع عبد الملك سياسة أبيه المنصور الحازمة في العودة المغربية مما جعل زعماء زناته يبايعونه ويدعون له مع الخليفة هشام المؤيد على منابر المغرب الأقصى كما سار عبد الملك على نهج أبيه في استخدام رجال زناته في جيشه^(١٩٦)، وأحكم السيطرة على المغرب الأقصى وخاصة المناطق الساحلية الهامة فيه، وعمل على اكتساب محبة البربر وخاصة قبيلة زناته وذلك لكي يبعد تلك البلاد عن أطماع الفاطميين، بل الأمر ذلك وعمل على اكتساب بعض الزعماء الزيريين من قبيلة صنهاجة الموالية للدولة الفاطمية إلى جانبه وأحاطهم بالخفاوة والتكريم، وكان على رأس هؤلاء زاوي بن زيري الصنهاجي الذي عينه عبد الملك في خطة الوزارة^(١٩٧) وفي سبيل إحكام قبضته على المغرب الأقصى مارس سياسة اتخاذ الرهائن.

حيث جدد البيعة للمعز بن زيري بن عطية^(١٩٨) على حكم المغرب الأقصى سنة (٣٩٣هـ/١٠٠٢م) على أن يؤدي إليه كل سنة مالا معلوماً، وخيولاً وقدم المعز بن زيري ابنه معنصر

(١٩٥) مجهول: مفاخر البربر، ص ١٢٣، ١٢٤؛ السلاوي: الإستقصا، ج ١، ص ٢٧٢.

(١٩٦) العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٦٨.

(١٩٧) عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج ٢، ص ٦٤٧، ٦٤٨.

(١٩٨) وثيقة توضح تولية المعز بن زيري على المغرب الأقصى. أنظر وثائق الرسالة، ص ٣٢٤.

رهينة عند عبد الملك، وبذلك عاش المغرب الأقصى خلال عهد عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر في أمن واستقرار (١٩٩).

كما استمرت ولاية المعز بن زيري على المغرب الأقصى خلال حكم عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر في الأندلس وتوطدت العلاقات بينهم، فقد قدم المعز لعبد الرحمن بن المنصور هدية ثمينة فيها "خمسون فرساً"، وحينما وصلت هذه الهدية لعبد الرحمن أطلق سراح معنصر بن المعز وأعادته إلى أبيه في المغرب، فرد المعز على ذلك الصنيع بأن بعث إلى عبد الرحمن بهدية ثانية وكانت تلك الهدية "تسعمائة فرس" بعد مقتل عبد الرحمن بن المنصور ظل المعز بن زيري يحكم بلاد المغرب إلى أن توفي سنة (٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م) (٢٠٠).

(١٩٩) مجهول: مفاخر البربر، ص ٨١.
(٢٠٠) مجهول: مفاخر البربر، ص ١٣١؛ السلاوى: الإستقصا، ج ١، ص ٢٧٧؛ عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج ٢، ص ٥١٣، ٥١٤.

الرهائن السياسيون مع الممالك النصرانية

الخليفة عبد الرحمن الناصر يستنقذ زعماء بنو ذي النون من الرهن:

أثَّرتُ الفتنُ والتمرداتُ الداخليةُ التي مرَّتْ بها الأندلسُ في النصفِ الأخيرِ من القرنِ الثالثِ الهجري/ التاسع الميلادي على قوَّةِ الأندلسِ ومواردها، وأخذتُ إسبانيا النصرانيةُ تنفُسُ الصعداءَ بعد أن أمنتُ الحملاتُ الإسلاميةُ آنذاك، فأشتدَّ ساعدها ونمَّتْ مواردها وتوطدتْ حكوماتُها ولم يأتِ القرنُ الرابعُ الهجري/ العاشرُ الميلادي حتى بلغتْ مملكةُ جليقيةَ مستويَ عالياً من القوَّةِ يتيحُ لها أن تخوضَ مع الأندلسِ صراعاً عنيفاً، وقد بدأتْ تتوسَّعُ في ممتلكاتها واستولتْ على الأراضي الإسلامية القريبة منها بعد طرد المسلمين منها وإحلال مواطنهم محلهم، فأصبحتْ هذه الأراضي مناطق الصراع بين إسبانيا الشمالية والأندلس، ولم تُعدَّ القوَّةُ التي تجابهُ الأندلس في شمالها قوَّةً واحدةً متمثلةً بمملكة ليون، بل تعددتْ لتشمل مملكتي (نافار وقشتالة) اللتين كانتا تابعتين للمملكة ليون إدارياً لكنهما استطاعتا التحرر من هذه التبعية وأعلنتا استقلالهما لتصبحا قوتي جديدة يحسب حسابها^(٢٠١).

حاولَ الخليفةُ عبد الرحمن الناصر في بداية حكمه الإغضاءَ حيناً عن تصرفات الممالك الإسبانية الشمالية العدائية للتفرغ للجهة الداخلية والتمردات التي شملت البلاد في الوقت الذي كانت فيه

(٢٠١) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٥٨٨، ٥٨٩؛ رجب عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ١٦٣؛ عبد الرحمن الحجى: التاريخ الأندلسي، ص ٢٤٤، ٢٤٥؛ بدر: تاريخ الأندلس، ص ٥٦.

هذه الممالك تعمل على إذكاء عوامل الفتنة في الأندلس والإغارة على الثغور، فقد أغار ملك ليون أردونيو الثاني (٣٠١-٣١٢هـ/٩١٣-٩٢٤م) على مدينة يابرة (٢٠٢) سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) وأباد حامية المدينة بأكملها وسي أكثر من (٤٠٠) من النساء والولدان، فأثارت هذه الحادثة الرعب في المناطق الغربية من الأندلس فبدأت المدن بتقوية تحصيناتها وأسوارها (٢٠٣)، وفي سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م) حاصر أردونيو الثاني مدينة ماردة ولكنه عجز أمام حصانها فاسترضاه أهلها بالهدايا فتركها ورحل في أثناء سيره في المنطقة التي مر بها قتل وسي الكثير من سكانها (٢٠٤)، فلم يعد بإمكان الخليفة عبد الرحمن الناصر الصبر على هذه الاعتداءات فقام بإرسال حملة للمالك النصرانية سنة (٣٠٤هـ/٩١٦م) بقيادة الوزير أحمد بن أبي عبدة، فالتقي بالنصارى وهزمهم في عدة مواقع وغنم منهم مغنم كثيرة (٢٠٥)، فأراد أردونيو الثاني الرد على هذه الهجمة فقام سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م) بالهجوم على مدينة طليبة وأحرق قراها فضج سكانها طالبين العون من الخليفة عبد الرحمن الناصر، فسير لهم ويره وقائده أحمد بن أبي عبدة في جيش كثيف وزحف نحو شنت أشتبين، ف ضرب حولها الحصار وأسرع أردونيو الثاني بمجموعه لتجديتها ونجح في هزيمة القائد أحمد بن أبي عبدة الذي رفض الانسحاب وصمد مع نفر من جنده المخلصين فاستشهدوا جميعا سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م) (٢٠٦) وعمد أردونيو في العام التالي إلى الهجوم على الثغر الأعلى فعاث في أنحاء مدينة ناجرة، وتطلية، وتكررت هذه الهجمات فخلفت قلقاً عظيماً في بلاط قرطبة فقاد الخليفة عبد الرحمن الناصر

(٢٠٢) يابرة: مدينة قديمة من أعمال باجة، وتقع في غربي الأندلس في منطقة البرتغال الحالية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ٤٢٤؛ محمود شيت: قادة فتح الأندلس، ج ١، ص ٧٠.

(٢٠٣) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٩٣ - ٩٦.

(٢٠٤) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ١٢٠ - ١٢٣.

(٢٠٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٦٩؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٦٥.

(٢٠٦) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٨٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٣٩٤.

حملة سنة (٣٠٨هـ/٩٢٠م) توجهت ناحية مدينة أوسمة (وخشمة) وأقتحم الحصون التي على نهر دويرة حتى وصل إلى قلهرة التي كان سانشو يتحصن بها ففر عند اقتراب الجيش الإسلامي الذي استولى عليها وعلى مدينة تطلية (٢٠٧).

لم تستأثر ليون وحدها بمقاومة المسلمين فقد كان لمملكة نافار نصيبها أيضاً من هذه العلاقات العدائية، ففي سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) قام ملك نافار سانشو الأول (٢٩٣-٣١٤هـ/٩٠٥-٩٢٦م) بالهجوم على مدينة بقريرة (٢٠٨)، فحاصرها واستولى عليها، وأسر العامل عليها محمد بن عبد الله بن محمد بن لب، والعديد من علماء المدينة، وسجنهم في بنبلونة ثم قتلهم جميعاً ماعدا مطرف بن موسى بن ذي النون الذي استطاع الفرار، فاستاء الخليفة عبد الرحمن الناصر من هذه الفعلة وأرسل حملة بقيادة وزيره عبد الحميد بن بسيل إلى الثغر الأعلى حتى يتم هو تهئة حملة كبيرة لتأديب النصارى، فوصل الوزير ابن بسيل إلى مدينة تطلية واتخذها قاعدة عسكرية يرسل منها الحملات إلى أراضي نافار حتى أوقع بهم وهزمهم في عدة وقائع (٢٠٩).

وما أن أتم الخليفة عبد الرحمن الناصر أهبته حتى غادر مدينة قرطبة قبل ميقات الصوائف سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) في جيش جرار وهو يعتزم التكيل بالنصارى والانتقام لوقعة المسلمين بقريرة، وتوجه الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى مدينة قلهرة وقام بحرقها، واستولى على حصن بيطرانة أو قنطرة البه كما يسميها ابن حيان (٢١٠)، وباقي الحصون التي حوله كحصن فالجش

(٢٠٧) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٤١٥٩؛ إبراهيم بيزنون: الولة العربية، ص ٣٠٠.
(٢٠٨) بقريرة: بالفتح ثم الكسر مدينة في شرقي الأندلس معدودة في اعمال تطليبة بينهما أحد عشر فرسخا. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٧٣.

(٢٠٩) ان حيان: المقتبس، ج ٥، ص ١٨٦-١٨٩.

(٢١٠) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ١٩١.

وحصن قرقيشتال الواقع شمال شرقي مدينة تطلية وهدم سائر القلاع في تلك المنطقة وأحرقها، وزحف نحو نافار وأحرق عاصمتها بنبلونة ودمر تحصيناتها وهزم ملك نافار الذي تحالف مع ملك ليون ورجع الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى قرطبة في الثاني والعشرين من جمادي الأولى سنة (٣١٢هـ / سبتمبر ٩٢٤م) بعد أن استمرت غزواته التي تسميها المصادر (غزوة بنبلونة) أربعة أشهر (٢١١).

ونجد أن الإمارات النصرانية في الشمال لم تكف عن الغارات العدائية على الأندلس، حيث أنه بعد أن استقر ملك ليون لراميرو الثاني (٢١٢) استأنف الصراع القديم ضد المسلمين، وكان يري أن العمل على إذكاء عوامل الفتنة في المملكة الإسلامية هو خير السبل إلى تبديد قوي المسلمين، وشجع راميرو بدسائسه ووعوده، زعماء مدينة طليطلة على التمادي والثورة على الخليفة عبد الرحمن، وشن الغارات على الأندلس وأحتل مدينة أوسمه سنة (٣٢١هـ / ٩٣٣م) فاستردها الناصر بنفسه سنة (٣٢٢هـ / ٩٣٤م) (٢١٣).

وشجعت القوي النصرانية كل حركات الخروج والثورة ضد الخلافة الأموية، فكانوا يمدون يد العون لمحمد بن هاشم التجبي المنتزي بسرقسطة، فغزا الخليفة عبد الرحمن الناصر بقواته أراضي

(٢١١) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٩١ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٨٦ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٠٠.

(٢١٢) وتوفي الملك أردونيو الثاني ملك ليون سنة (٣١١هـ / ٩٢٣م) ودخلت مملكة ليون في حالة من الفوضى، فقد انفجر الصراع بين ولديه سانشو والفونسو حول تولي الحكم وانتهى هذا التنافس بتولي الفونسو العرش بمساعدة صهره ملك نافار سانشو الأول، لكن سانشو لم ييأس فجمع جيشاً من أنصاره وتوجه نحو (شانت ياقب) وأعن نفسه ملكاً عليها، وحاول مراراً الاستيلاء على ليون ولكنه فشل، واستمرت هذه الحرب أعواماً بين الأخوين انتهت بوفاة سانشو بن أردونيو الثاني سنة (٣١٧هـ / ٩٢٩م) فاستقر الملك لأخيه الفونسو الرابع، لكن هذا الاستقرار كان مؤقتاً فقد بدأ الصراع مجدداً سنة (٣١٩هـ / ٩٣١م) حيث تنازل الفونسو الرابع عن الحكم لأخيه الأصغر راميرو ثم تزهب حزنه الشديد على زوجته التي توفيت فالتجأ إلى عزلة الدير، ولكنه سرعان ما مندم على تنازله عن الحكم فترك عزلة الدير وطالب أخاه بالعرش ودخل في صراع شديد مع أخيه وانتهى هذا الصراع بقيام راميرو ويسمل عين أخيه الفونسو سنة (٣٢٠هـ / ٩٣٢م) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٣٤٥، ٣٤٧ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٤٢ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ٤٠١ .

(٢١٣) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٠١.

بنبلونه عاصمة نافار سنة (٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م)، وهي أقرب الجهات إليه، فوفدت عليه رسل الملكة (طوطة ابنة ايشيز ملكة نافار) التي قامت بالأمر بعد وفاة زوجها سانشو ملك نافار (٢٩٣ - ٣١٤ هـ / ٩٠٥ - ٩٢٦ م)، تسأله عقد الصداقة والسلم^(٢١٤) فلم يرفض الناصر طلبها بل رحب به فوفدت إليه ومعها وجوه من رجالها وقواميسها وأساقفتها فاستقبلها الناصر وهو بمدينة " قلهره"^(٢١٥) (Calahorra) وتحيط به جيوشه الكثيفة فأحسن الناصر استقبالها وأكرم منزلتها، وقد تعهدت الملكة (طوطة) للناصر بما يلي:

- الالتزام بالطاعة
 - الابتعاد عن محالفة أي ملكٍ أو أميرٍ نصراني.
 - كف الأذى عن المسلمين.
 - معاونة قواد الثغر الأعلى في محاربة كل من خرج عن الطاعة.
 - أن تخلي سبيل رهائن بنو ذي النون.
- ويذكر ابن حيان كذلك معلومات أوفر عن هؤلاء الرهائن حيث يبين أنهم أصبحوا رهائن وذلك " بما قد عجزوا عن إحضاره"^(٢١٦)، فنستدل أن هؤلاء الرهائن كانوا أسرى عند ملكة نافار، وأصبح فك أسرهم مرهون بمطالب عجز بنو ذي النون عن تنفيذها.
- وكان عدد المرتهنين من بني ذي النون أربعة رجال ليحيى بن الفتح منهم ولدان ولابنه ولابن عمه ولد واحد وفعلاً تم إطلاق سراحهم ليعودوا إلى موطنهم تحت ظل الخليفة، وسجل الناصر

(٢١٤) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٣٣٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٠٢.
 (٢١٥) قلَّهره: يفتح أوله وثانيه وضـم الهاء وتشديد الراء وفتحها مدينة من أعمال تطيلة في شرقي الأندلس، وهي من المدن الشديدة الحصانة وكانت تؤخذ وتسترد دائماً في الصراع بين المسلمين ونصارى مملكة نبرة ويصنفها =
 = البكري ضمن إقليم طركونه. البكري جغرافيا الأندلس، ص ٦٢؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٩٣؛ ارسلان: الحل، ج ٢، ص ١٧٦.
 (٢١٦) ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٣٣٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٢٦٥.

ما تعهدت به وأشهد الشهود على ذلك كما أقر الناصر ابنها غرسية على بنبلونه وأعمالها ثم رجعت الملكة ورجعها إلى البلاد محملين بالهدايا القيمة (٢١٧).

وكان لحرص الخليفة عبد الرحمن الناصر على إطلاق رهائن بني ذي النون أثر كبير في نفوسهم فكانوا يقدرون كل ما تقدمه الدولة من أجلهم وتمسكوا بخدمتها، وكان لهم دور كبير في الجهاد ضد النصارى (٢١٨).

سفير أوتو (إمبراطور ألمانيا) رهينة بيد عبد الرحمن الناصر:

كانت أهم السفارات التي تلقاها الخليفة عبد الرحمن الناصر هي سفارة أوتو الأكبر (٣٢٥-٣٦٣هـ/٩٣٦-٩٧٣م) (٢١٩) إمبراطور ألمانيا، وقد كان أوتو يومئذ زعيم النصرانية، كما كان عبد الرحمن الناصر زعيم الإسلام. وتشير الرواية الإسلامية إلى تلك السفارة في غموض وإيجاز، وتصف أوتو بملك الصقالبة أو ملك "اللمان" وتسميه "هوتو" أو "هوتو، وتتفق مع الرواية الفرنجية في تاريخ هذه السفارة سنة (٣٤٤هـ/٩٥٦م) (٢٢٠)

حيث وفد على قرطبة سفير أوتو وهو حبر يدعى يوحنا الجورزني نسبة إلى الدير الذي ينتمي إليه في جورزني على مقربة من مئز، وكان يوحنا من أكابر العلماء، والظاهر أنه قد وقعت

(٢١٧) ابن حبان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٣٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٠٢.

(٢١٨) ابن حبان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٨٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٤٥.

(٢١٩) أوتو الكبير: تولى عرش المانيا وهو في الرابعة والعشرين من عمره، ونجح أوتو نجاحاً كبيراً في سياسته الداخلية والخارجية حتى أطلق عليه معاصروه أوتو الكبير. محمود سعيد عمران: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٠م، ص ١٩١.

(٢٢٠) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٢ ص ٢١٨؛ ابن خلدون ج ٤ ص ١٤٣.

فعلا قبل ذلك مراسلات كلامية بين الناصر وأوتو عن الإسلام والنصرانية، وأن الناصر قد عرض في بعض رسائله بالنصرانية وتعاليمها، فألقي أوتو القرصة سانحة لأن يدافع سفيره قضية النصرانية لدي خليفة قرطبة بيد أنه يبدو من أقول الروايات الكنسية أن هذه المهمة الجدلالية، لم تكن إلا مهمة ثانوية إلى جانب موضوع سفارته الأصلية، وأن مهمته الحقيقية كانت تتعلق بشأن توغل المستعمرات العربية المغامرة، في جنوبي فرنسا وسويسرا، وعيها في تلك الأنحاء، بصورة تبث الرعب والروع إلى كثير من المدن، والاستعانة بنفوذ خليفة الأندلس الذي تنتمي إليه هذه المستعمرات من الناحية الأدبية، لوقف عدوانها، وقدم يوحنا إلى قرطبة ومعه طائفة نفيسة من الهدايا برسم الخليفة، فاستقبل بحفاوة، وأُزيل في إحدى الدور الرسمية، ولكن الناصر لم يبادر باستقباله حين وقف على موضوع رسالته، ولم يقبل بالأخص أن تكون المسائل الدينية موضوع جدل بينهما، ولما ألح يوحنا في طلب المقابلة والمحادثة، أجاب الناصر بأنه سبق أن أرسل رسولا أسقفاً إلى أوتو فاعتقله مدة ثلاثة أعوام، وأنه سيعتقله أي يوحنا، أضعاف هذه المدة، لأنه أرفع مقاماً من ملك النصرانية، وأخيراً تقرر أن يرسل الناصر إلى ملك الألمان رسولا آخر يستوثق من عواطفه ونياته نحوه، وأن يبقى يوحنا معتقلاً حتى يعود السفير، واختار لهذه السفارة قس من رعاياه هو ربيع أو ريفا الأسقف، وكان عالماً متمكناً يشغل في البلاط منصباً هاماً، فاخترق فرنسا إلى ألمانيا ومثل لدي الإمبراطور أوتو في تورنجن، وكان أوتو يجوز يومئذ بعض المتاعب الداخلية من جراء ثورة ولده عليه، فأبدي تساهلاً في قبول وجهات نظر الخليفة، وأكرم مثنوي سفيره، وعاد ربيع الأسقف إلى قرطبة، بعد سنتين من سفره (٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م). فارتاح الناصر لنتائج سفارته، وأذن برؤية يوحنا سفير الإمبراطور، واستقبله بقصر قرطبة في احتفال نفيم، وأفضى إلى الخليفة بموضوع سفارته، ولسنا نعرف ماذا

كانت نتائج هذه السفارة، لأن الرواية العربية لا تحدثنا عن موضوعها، ولا تحدثنا الرواية الكنسية عن نتائجها (٢٢١)

ولكن المرجح أن وجهة النظر التي أبدتها حكومة قرطبة لسفير الإمبراطور، فيما يتعلق بأمر المستعمرات العربية المغامرة، وغزواتها في غاليس وشمال إيطاليا وسويسرا، أنها ليست لها علاقة بتلك المستعمرات، وأنها لا تتحمل تبعة أعمالها، ولا تستطيع أن تتدخل في شأنها، أو تبذل نصيحها لأولئك المغامرين الخارجين عن طاعتها، وهو استنتاج يؤيده صمت الرواية العربية عن ذكر أخبار هذه المستعمرات، مما يدل على أن حكومة الأندلس، لم تكن ذات علائق رسمية بها، وإن كانت بلا ريب تنظر إلى غزواتها وتوغلها في الأراضي النصرانية، بعين العطف والرضى. ولكن لوتبراند وهو مؤرخ كنسي معاصر، يؤكد لنا أن الخليفة كان يحمي هذه المستعمرات، ويمدها بالتشجيع والعون (٢٢٢).

والذي يهمنا في هذا الموضوع أن الخليفة عبد الرحمن الناصر احتجز سفير أوتو الحبر يوحنا الجورزيني في قرطبة، وأصبح رجوعه إلى دياره مرهونا برجوع رسول الخليفة عبد الرحمن الناصر المحتجز منذ ثلاث سنوات عند الإمبراطور أوتو الأول.

(٢٢١) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج، ص ٤٥٦، ٤٥٧.

(٢٢٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج، ص ٤٥٨.

رهائن الصراعات الخارجية في عهد الخليفة الحكم المستنصر:

لم تكن لدي الخليفة المستنصر مشاكل داخلية ذات أهمية بعد أن سحقت جميع التمردات والفتن في عهد أبيه الخليفة عبد الرحمن الناصر، لذلك كان همه موجها نحو الأخطار الخارجية. ولقد سبقت الإشارة إلى أن الخليفة عبد الرحمن الناصر قد أعان الملك سانشو الأول على استرداد عرش ليون مقابل أن تسلم بعض الحصون للخليفة عبد الرحمن الناصر لكن ما أن توفي الناصر سنة (٣٥٠ هـ / ٩٦٢ م) حتى رفض سانشو الأول تنفيذ الاتفاق عندما طالبه الخليفة الجديد بذلك بعد أن استقامت له الأمور وشعر بقوته (٢٢٣)، فاستفاد الملك المخلوع أردونيو الرابع من توتر العلاقة بين سانشو الأول وحكومة قرطبة فأقدم على الوفود على الخليفة الحكم المستنصر طالبا منه المساعدة على استرداد عرش ليون فاستقبله الحكم بحرارة وأحاطه بمظاهر الحفاوة الملكية ووعده خيراً، وكان أردونيو الرابع على جانب من الدهاء والقدرة على استغلال المواقف ولم تكن زيارته لضريح الناصر أثناء وجوده في قرطبة وإظهار الاحترام والتقدير لروح الخليفة الراحل إلا مظهراً من مظاهر الدهاء والمرونة، وتعهد للخليفة الحكم بأن يضع نفسه وبلاده تحت رعاية الخليفة الحكم المستنصر وأن يقدم ولده غرسيه رهينة لوفائه (٢٢٤)، وبعد أن اطمأن على تحقيق أغراضه عاد من حيث أتى.

(٢٢٣) إبراهيم بيضون: الدولة العربية، ص ٣١٨.

(٢٢٤) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٨٦؛ المقرئ: نفع الطبيب، ج ١، ص ٣٠٢، ٣٠٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٤٨٥.

لقد أفقدت زيارة أردونيو الرابع للحكم المستنصر صواب ملك ليون سانشو فسارع إلى تحسين موقفه بإرسال وفد من أكابر مملكته وأجبارها إلى الخليفة الحكم يعلنون فيه خضوع ليون لحكومة قرطبة واستعدادها لتنفيذ ما تعهد به ملكها للناصر من قبل (٢٢٥)، خاصة بعد أن اضطربت أحوال مملكته بعد قيام أهالي قشتالة بالثورة ضد تسلط ليون عليها وإعلان زعيمهم فرنالد جونتال للاستقلال بقشتالة وتنصيب نفسه ملكا عليها (٢٢٦)، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان إذ توفي أردونيو الرابع نهاية سنة (٣٥١هـ/٩٦٢م) فنقض سانشو الاتفاق مع الحكم مرة أخرى (٢٢٧)، وعقد عدة محادثات مع قشتالة ونافار لتقوية مملكته، فخرج إليه الحكم المستنصر بالصائفة سنة (٣٥٢هـ/٩٦٣م) وحاصر قلعة شنت أشتبين التي سميت الغزوة باسمها، واستولى عليها ونجحوا في هزيمة قوات قشتالة بقيادة لكونت فرنان جونتال ومزقت قواته فأضطر إلى طلب الصلح (٢٢٨).

وأرسل الحكم جيشا بقيادة يحيى بن محمد التيجيبي حاكم سرقسطة باتجاه نافار وكانت ملكها غرسيه سانشين بن الملكة طوطة قد أغار على الأراضي الإسلامية ناقضا للعهد، فعاث في أراضيهم وحاول الملك سانشو إنقاذ نافار بقواته فأشتبك الفريقان في معركة هزم فيها النصارى وامتنعوا بالجلال، وكانت تهاجم نواحي نافار الغربية في الوقت نفسه قوة إسلامية أخرى بقيادة غالب الناصري ونجح في افتتاح مدينة قلهرة وحصنها وشكها بالرجال والعتاد، وقد شغلت هذه الحملات الأعوام من سنة (٣٥٢-٣٥٣هـ/٩٦٣-٩٦٤م) (٢٢٩).

(٢٢٥) ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١٨٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص٤٨٦.

(٢٢٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص٥٤٣.

(٢٢٧) بدر: تاريخ الأندلس، ص٦٦، ٦٧.

(٢٢٨) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص٤٨٦.

(٢٢٩) ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١٨٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص٤٨٧.

وفي خلال هذه الفترة توفي ملك ليون شانجة الأول سنة (٣٥٥هـ/٩٦٦م) مسموماً (٢٣٠) وخلفه على العرش ابنه رذمير الثالث الذي كان تحت وصاية عمته (البيرة) كما توفي أيضاً الكونت فرنان جونثال سنة (٣٥٩هـ/٩٧٠م) وتولي الحكم بعده ابنه غرسيه فرناندر فيما تولى عرش نافار سانشو غرسيه الثاني بعد وفاة والده غرسيه سانشيز فكان لهذه الأحداث تأثيرٌ كبيرٌ على إسبانيا النصرانية حيث أنها أنهت التحالف الذي كان قائماً بين هذه الممالك، وشجعت على قيام الكثير من الإمارات المستقلة مما أدى إلى اتساع الخلاف بين الأمراء الإسبان فتوالت وفودهم على بلاط قرطبة التي بسطت سيادتها السلبية على سائر إسبانيا، وكفلت بذلك السكنية العامة (٢٣١).

والملاحظ أن الخليفة الحكم المستنصر لم يتخذ رهائن من نصارى الشمال رغم كثرة السفارات (٢٣٢) التي جاءت إلى قرطبة تطلب السلم والمصالحة وذلك يبرر بأن الخلافة الأموية في الأندلس وصلت إلى درجةٍ كبيرةٍ من القوة العسكرية تمكنها من استخدام الردع المسلح في أي مكان وفي أي وقت، ولأنها تخلصت من مشاكلها الداخلية وأصبحت مهيمنة على جميع أراضها فلم يكن الحكم المستنصر في حاجة لالتخاذ رهائن.

والغزوات في عصر الخلافة على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر أخذت طابع القوة والهجوم مما جعل تلك الممالك والإمارات النصرانية تخشع قوة الخلافة، ومع ذلك لم يكن الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر يخطط في غزواته للاستيلاء

(٢٣٠) قام بقتله لكونت جوندسالفو (غندشلب) سانشيز حاكم جليقية حيث دعاه إلى مأدبة أقامها وقدم إليه فاكهة مسمومة تناولها سانشو دون أن يخامرهم الريب، وسرعان ما شعر بالموت، فحمل إلى ليون وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، ودفن بها تحقيقاً لرغبته، وكان ذلك في سنة (٣٥٦هـ/٩٦٦م). عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص٥٩٦.

(٢٣١) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص٤٨٩، ٤٩٠.

(٢٣٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص٤٩٠، ٤٩١.

على أراضي النصارى، وإنما كانت غزواته تستهدف إظهار قوة جيش الخلافة وإرهاق الممالك النصرانية لتدفعها إلى المسالمة والتخلي عن أراضي المسلمين (٢٣٣) ولم يرد ذكر لاتخاذ الرهائن في عهد المنصور بن أبي عامر مع الممالك النصرانية في إسبانيا، إذ كانت العلاقات بينهم علاقة حرب طوال حكمه إذ كان يغزو في السنة الواحدة مرتين تعرف الأولى بالصائفة وتعرف الثانية بالشتاء، وقدر عدد غزواته بأكثر من اثنين وخمسين غزوة خرج منها منتصراً، وكان المنصور بن أبي عامر يرى أن غزوه للممالك النصرانية يدعم سلطانه في الدولة ويردع بها إسبانيا، ويكف عدوانها على الأراضي الإسلامية (٢٣٤).

مجاهد العامري يفدي ابنه على المرهون في سردانية:

بعد مقتل عبد الرحمن بن المنصور الملقب بشنجل سنة (٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م) (٢٣٥)، غادر معظم الفتيان الصقالبة قرطبة، فراراً من اضطهاد العهد الجديد، وقصدوا إلى شرقي الأندلس، حيث كانت الأحوال أهدأ وأكثر استقراراً، وكان منهم عدة من الفتيان الفحول والخصيان الأذكاء ذوي الإقدام والعزم مثل مجاهد العامري الذي غلب على مدينة دانية (٢٣٦) والجزائر

(٢٣٣) عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي، ص ٢٩٨، ٢٩٩.

(٢٣٤) الحميدى: جذوة المقتبس، ص ٧٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٥٧٢.

(٢٣٥) ابن سعيد: المغرب، ص ٢١٣؛ ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ٢، ص ٢٧٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٦٢٣ - ٦٣٧.

(٢٣٦) دانية: بعد الألف نون مكسورة بعدها ياء مثناة من تحت مفتوحة، تقع شرقي الأندلس وهي من أعمال بلنسية وتقع على ضفة البحر شرقاً. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٤؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٢٣١، ٢٣٢.

الشرقية^(٢٣٧)، وأخذ يفكر في مشروع ضمّ ربما كان أعظم مشروع فكر فيه أمير من أمراء الطوائف ذلك هو غزو جزيرة سردينية^(٢٣٨) وافتتاحها^(٢٣٩)، فجند دار الصناعة القديمة التي كانت بدانية، واستكثر من السفن والمعدات الحربية واستطاع في فترة قصيرة إن ينشئ أسطولاً كبيراً يربط في مياه دانية والجزائر^(٢٤٠)، ووضع خطة للاستيلاء على جزيرة سردينية فحشد أسطولاً قوامه مائة وعشرين سفينة^(٢٤١) وقوة من ألف فارس وأقلعت السفن الغازية من دانية في ربيع الأول سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م)، وكانت المسافة بين مياه دانية والجزائر وبين سردينية، يومئذ تستغرق ثمانية أيام^(٢٤٢)، ما كادت سفن مجاهد العامري ترسو على شواطئ الجزيرة حتى شق جنوده طريقهم إلى الداخل بمنتهى القوة ووقعت بينهم وبين أهل الجزيرة معارك دموية هائلة قتل فيها عدد جم، وأسروا جموعاً غفيرة وسبوا كثيراً من النساء والأطفال واستطاعوا أن يحتلوا معظم أراضي الجزيرة وأن يسيطروا على معظم حصونها بالرغم من المقاومة العنيفة التي لقوها^(٢٤٣).

(٢٣٧) الجزائر الشرقية: هي عدة جزر تقع أمام الساحل الشرقي لاسبانيا وأهمها ثلاثة جزر هي: ميورقة majorca ومنورقة minorca ويابسة ibiza وتسمى في المصادر العربية بالجزر الشرقية، خضعت لنفوذ قرطبية سنة (٢٣٤ هـ - ٨٤٨م) في عهد الأمير عبدالرحمن الثاني الأوسط الأموي غير أنها لم تضم نهائياً بواسطة عمال الدولة الأموية بالأندلس إلا منذ سنة (٢٩٠ هـ / ٩٠٢م) حينما أرسل إليها الأمير عبدالله بن محمد قائده عصام الخولاني حاكماً عليها وظلت في يد المسلمين إلى أن احتلها ملك أراجون خايمي الأول (٦٢٨ - ٦٨٦ هـ - ١٢٣٠ - ١٢٨٧م). الحميري: الروض المعطار، ص ٥٤٩، ٥٧٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٦، ص ٤٣٨؛ عصام سالم: جزر الأندلس المنسية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤، ص ١٥ - ١٨.

(٢٣٨) جزيرة سردينية: يفتح أوله وسكون ثانيه ثم دال مهمله وبعد الألف نون مكسورة وباء آخر الحروف، جزيرة على طرف من البحر الشامي، وهي كبيرة النظر كثيرة الجبال قليلة المياه، طولها مائتان وثلاثون ميلاً وعرضها من الغرب إلى الشرق مائة وثمانون ميلاً، وأهل سردينية في الأصل روم وهم أهل نجدة وحزم لا يفارقون السلاح. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠٩؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٣١٤، ٣١٥.

(٢٣٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٥٥؛ السامرائي آخرون: تاريخ العرب، ص ٢٤٥.

(٢٤٠) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٤١٤.

(٢٤١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٧٢.

(٢٤٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٧٢؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢١٩.

(٢٤٣) ابن خلدون: تاريخه، ج ١، ص ٣١٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٣، ص ١٩١.

وهكذا فتحت جزيرة سرديانية على يد مجاهد العامري سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م)، الذي قرر البقاء فيها حتى يوطد مركزه بها، واختط بها مدينة واسعة شرع في بنائها وانتقل إليها بأهله وولده^(٢٤٤)، ولبث مجاهد العامري في سرديانية حتى نهاية سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م) أي نحو عشرة أشهر وفي خلال ذلك كانت البابوية والدول الإيطالية القريبة قد اهتزت لهذا الحادث الخطير وزاد في روعها وخطها ما عمد إليه مجاهد من الإغارة بسفنه على الشاطئ الممتد بين جنوه^(٢٤٥) وبيزا، وهما يومئذ أقوى المدن البحرية في هذه المياه ولكلتيهما مصالح تجارية عظيمة تحرص على حمايتها، وفي الحال أعلن البابا بندكت الثامن (٤٠٣-٤١٥هـ/١٠١٢-١٠٢٤م)، الحرب الصليبية وعقد تحالفاً مع مدينتي جنوه وبيزا على محاربة المسلمين وطردهم من الجزيرة، فأخذ مجاهد العامري يبذل جهده في تحصين جزيرة سرديانية للدفاع عنها، ولما قدمت سفن جنوه وبيزا والسفن النصرانية، قاومه أهل الجزيرة من الداخل وتمرد الجند المرتزقة النصارى في أسطوله، وواجه العواصف القاصفة، هذه الأمور كلها فتت في عضده وحطمت خطط دفاعه فلم يقوي طويلاً على المقاومة وأصابته السفن النصرانية بهزيمة فادحة^(٢٤٦)، وتحطمت معظم سفن مجاهد، ومنها ما أسروا منها ما أغرق، وقتل معظم أصحابه، واستولى العدو على سائر غنائمه وسبيته وعلي أهله وحريمه وولده وفيه نساؤه وبناته وعلي ولده (علي)، ولم ينبج من أسطوله الضخم سوي بضع سفن شقت به عرض البحر مسرعة وبذلك ووقعت هذه الهزيمة الساحقة على مجاهد العامري سنة (٤٠٧هـ/١٠١٦م)^(٢٤٧).

(٢٤٤) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢١٩.

(٢٤٥) جنوة: مدينة قديمة في شمال غرب إيطاليا على البحر المتوسط تقع على الخليج المسمى باسمها. وهي إحدى المدن التجارية الهامة، أنشئت سنة (٧٠٧ م) واتخذت المدينة التجارة مهنة لها وناقست جمهوريتي (بيزا) و (البندقية) وأصبحت سيدة البحار الشرقية إلى أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي. الحميري: الروض المعطار، ص ٤٣٣؛ عبد الله عنان: دولي الإسلام، ج ٣، ص ١٩٢.

(٢٤٦) السامرائي آخرون: تاريخ العرب، ص ٤١٥.

(٢٤٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٧٢؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢١٩.

وهكذا تحطم هذا المشروع الضخم، الذي كان في الواقع أضخم من مقدرة أمير من أمراء الطوائف، وكانت الدول النصرانية كلها تتحفز لحماية هذه الجزائر كي تمنع النسياب الأساطيل الإسلامية إلى المياه الإيطالية، وكان في تفوق الجمهوريات الإيطالية البحري في هذه الفترة ما يكفل تحقيق هذه الغاية (٢٤٨).

رجع مجاهد العامري إلى مملكته وعمل على تنظيم شئونها والعمل على النهوض من عثرته، وكانت محنته يومئذ أسر ولده وأهله في سردانبة، وقد استطاع أن يفندي زوجته وبناته وإخوته في مدة قريبة ورفضت أمه وكانت نصرانية العود إليه وكذلك أختها، وآثرتا العيش مع النصارى فأعرض عنهما، وبقيت مشكلة ولده على وكان وقت أسره في سردانبة سنة (٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م) طفلاً في السابعة من عمره، وكان وحيداً يومئذ، وقد رفض السردانة كل عرض لافتدائه وأخفق كل مجهود بذله مجاهد لرده، ومضت الأعوام والغلام يعيش في الأسر بين النصارى يربي على دين النصرانية ويتحدث لغتهم، وأخيراً وفق مجاهد إلى إقناع السردانة بقبول افتدائه وإطلاق سراحه وذلك بعد عشرة أعوام من أسره سنة (٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م) (٢٤٩)، وكانت وجهة نظر السردانة في احتجاز الغلام على هذا النحو هي استبقاؤه رهينة ثمينة لمنع مجاهد من القيام بأية مغامرة أخرى ولم يرتضوا إطلاق سراحه إلا بعد أن دفع لهم مجاهد فدية هائلة وقطع على نفسه أوثق العهود بأن يتركهم في سلام وألا يعود إلى إزعاجهم (٢٥٠).

(٢٤٨) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٤، ص ١٩٣.

(٢٤٩) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٧٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٥٥؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢١٩.

(٢٥٠) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٣، ص ١٩٥.

وخرج على من الرهن وهو فتي يتكلم بلسان "الروم" ويتزيا بزيهم ويعتق دينهم، فلما وصل إلى دانية عرض عليه أبوه الإسلام، فقبله وحسن إسلامه وعني مجاهد بتأديبه وتثقيفه وكان قبل افتدائه من الأسر قد اختار لولاية عهده ولده الأصغر حسن الملقب بسعد الدولة، ولكنه عدل عن هذا الاختيار لما آنسه في ولده الأكبر على من مخايل الشجاعة والذكاء والعزم فقدمه على أخيه الأصغر وعينه لولاية عهده، وعهد إليه بقيادة الجيش وكان لذلك فيما بعد أثره في توتر العلاقات بين الأخوين (٢٥١).

وهكذا حقق اتخاذ على بن مجاهد العامري رهينة عند السراذنة مقاصده حيث لم يرد أن قام مجاهد العامري بغزوهم مرة أخرى منذ رجوع ابنه إليه.

الرهائن السياسيون في عصر ملوك الطوائف

حينما تردت الحالة السياسية في بلاد الأندلس وعجزت دولة بني أمية عن السيطرة على الوضع هناك أعلن في ذي الحجة سنة (٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م) إلغاء الخلافة الأموية، وهكذا انفرط عقد الوحدة بين مسلمي الأندلس، فبعد أن كانوا يخضعون لمظلة دولة إسلامية واحدة، وكان سياسي موحد يمتد من نهر دويرة شمالاً إلى مضيق جبل طارق جنوباً، ومن البر المتوسط

شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً تناثر هذا الكيان إلى أشلاء ممزقة ورقاع متناثرة^(٢٥٢)، وقد بلغت في مجموعها ست وعشرين دولة^(٢٥٣)، وفي هذا يقول المراكشي "وأما حال سائر الأندلس بعد اختلال دعوة بني أمية: إن أهلها تفرقوا فرقاً، وتغلب في كل جهة منها متغلب^(٢٥٤)، وضبط كل متغلب منهم ما تغلب عليه، وتقسّموا ألقاب الخلافة، فمنهم من تسمي بالمعتضد، وبعضهم تسمي بالمأمون، وآخر تسمي بالمستعين، والمقتدر، والمعتصم، والمعتمد، والمتوكل"^(٢٥٥).

ولقد كان لهذه الدول ثلاث اتجاهات عصبية هي البربر في الجزء الجنوبي والصقالبة في شرق الأندلس، أما باقي الأندلس فكان تحت حكم العرب^(٢٥٦)، وبالرغم من ضعف هذه الكيانات فلم تكن متعاونة مع بعضها البعض، أو ساعية لتحقيق مصلحة المسلمين، بل كانت المنافسة والأطماع الشخصية هي السمة المميزة في علاقاتها فيما بينها، وقد صور ابن الخطيب تلك الحالة بقوله "وجعل الله بين أولئك الأمراء ملوك الطوائف من التحاسد والتنافس والغيرة، ما لم يجعله الله بين الضرائر المترفات، والعشائر المتغايرات، فلم تتصل لهم في الله يد ولا نشأ على التعاضد عزم"^(٢٥٧)، وقال عنهم ابن دينار "إنما أهلكتهم التحاسد واختلاف الكلمة"^(٢٥٨).

(٢٥٢) المقرئ: نفخ الطيب، ج ١، ص ٤٣٨؛ عبد الله غنان: دولة الإسلام، ج ٢، ص ٦٧٦، ٦٧٧.

(٢٥٣) رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأشبانيا النصرانية، ص ٢٧٢.

(٢٥٤) خريطة توضح دول الطوائف في الأندلس، أنظر ملاحق الرسالة، ص ٣٣٣.

(٢٥٥) المراكشي: المعجب، ص ١٠٥.

(٢٥٦) لمزيد من التفاصيل أنظر: عبد الله غنان: دولة الإسلام، ج ٣، ص ١٥؛ أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب

والأندلس، ص ٨٩-٩٦.

(٢٥٧) الصلابي: فقه التمكن عند دولة المرابطين، ص ٨٢.

(٢٥٨) ابن دينار: المؤنس، ص ١٠١.

واقسمت العلاقة بين هذه الدويلات بالعداء الشديد والتصارع المستمر مما أدى إلى إنهاك قوتها (٢٥٩)، في الوقت نفسه كانت قوي النصارى في الشمال تتوحد تحت قيادة سياسية واحدة (٢٦٠) وكان النصارى يستغلون انشغال الدويلات الإسلامية في حروبها الداخلية فيهاجمون المناطق الحدودية ويسيطرون عليها فتتوسع الممالك النصرانية على حساب الدويلات الإسلامية الأندلسية (٢٦١).

ولقد ارتبط بحالة النزاعات بين هذه الدويلات عامل كان له أسوأ النتائج على الأندلس ألا وهو دخول الدويلات الأندلسية المتنازعة في سلسلة من التحالفات مع القوات النصرانية الشمالية، ويقوم هذا التحالف على استعداد إحدى الدويلات لدفع كل ما تحتاجه القوات النصرانية من أموال مقابل الهجوم على دويلة أخرى متنازع عليها (٢٦٢).

ولقد أطلق المؤرخون على عصر الطوائف تسميات عدة تدل على الضعف العام الذي مني به مسلمو الأندلس في ذلك العصر، فقد أطلق على زعماء ذلك العصر ملوك الطوائف (٢٦٣)، وعصر الفتنة (٢٦٤)، كما أطلقوا على مؤسسي هذه الكيانات لقب: وأمراء الفرقة الهمل (٢٦٥). وهذا الواقع يدل دلالة واضحة على الحال الذي وصلت له الأندلس، وهذا الحال لم يكن خافياً على العدو النصراني المتربص، ولا سيما ألفونسو السادس ملك قشتالة الذي كان يدرك حقيقة ذلك الواقع، وهذا ما جعله يرسم الخطط، ويضمّر النيات للاستفادة من تلك الفوضى السياسية

(٢٥٩) عودات: تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٧.
(٢٦٠) توحدت الدويلات النصرانية على يد الملك سانشو وخلفه ولده فرديناند الذي وجه اهتمامه إلى السيطرة على المناطق الإسلامية وبعد وفاته (٤٦٣هـ/ ١٠٦٥م) انقسمت الدولة بين أبنائه، لكن ألفونسو السادس تمكن من توحيدها من جديد وتقترب من البابوية في روما لدعمه في حربه ضد المسلمين. لمزيد من التفاصيل ينظر: يوسف أشياخ تاريخ الأندلس، ص ٦٨.
(٢٦١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٣، ص ٢٨١.
(٢٦٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٣، ص ٢٨٠.
(٢٦٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص ١٤٤.
(٢٦٤) ابن بسام: الزخيرة، ق ٣، ج ١، ص ٢٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٩٤.
(٢٦٥) المقرئ: نفح الطيب، ج ٣، ص ٤٥٣.

التي حلت بجيرانه، فقد أفصح عن هذه الخطة وتلك النيات حينما قال لرسول المعتمد بن عباد لما قدم إليه: " كيف أترك قوماً مجانين تسمي كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم،... وكل واحد منهم لا يسأل في الذب عن نفسه سيفاً، ولا يرفع عن رعيته ضيماً ولا حيفاً، قد أظهروا الفسوق والعصيان، واعتكفوا على المغاني والعيدان!، وكيف يحمل لبشر أن يقر منهم على رعيته أحداً، وأن يدعها بين أيديهم سدى؟! " (٢٦٦).

هذا الواقع السياسي دفع بالعديد من ملوك الطوائف أن يقدموا رهائن للممالك النصرانية.

القادر يحذر برهن أبناء طليطلة لألفونسو السادس:

تعتبر مملكة بني ذي النون في طليطلة من أكبر دول الطوائف في الأندلس، فهي تحكم مدينة طليطلة صاحبة الموقع الاستراتيجي على مشارف الأندلس الشمالية والوسطى وتعتبر حاجز الدولة الإسلامية وجناحها الشمالي الأوسط، ضد عدوان النصارى، وكانت هذه المملكة تشمل رقعة كبيرة في قلب الأندلس تمتد شرقي مملكة بطليوس من قورية وترجأله نحو الشمال الشرقي حتى قلعة أيوب وشنتمرية الشرق جنوب غربي مملكة بني هود في الثغر الأعلى وتمتد شمالاً بشرق فيما وراء نهر التاجه متاخمة لقشتالة القديمة وجنوباً بغرب حتى حدود مملكة قرطبة عند مدينتي المعدن والمدور وتوسطها عاصمتها طليطلة، ومن أعمالها مدينة سالم ووادي الحجارة وقونقة ووبذة وإقليش ومورة وطلبيرة وترجأله، وكانت هذه المنطقة الشاسعة الهامة

(٢٦٦) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٩.

وقت الفتنة غنماً لبني ذي النون^(٢٦٧)، أقاموا بها مملكة لامعة زاهية ولكن سيئة الطالع قصيرة الأمد^(٢٦٨). وتولي إسماعيل بن ذي النون حكم طليطلة وأعمالها، وتلقب بالظافر سنة (٤٢٧ هـ - ١٠٣٥ م)، ولم يطل أمد إسماعيل في الملك أكثر من بضعة أعوام، إذ توفي في سنة (٤٣٥ هـ - ١٠٤٣ م)، خلفه ولده يحيى بن إسماعيل وتلقب بالمأمون وسار على سنة أبيه في تقديم الوزير ابن الحديدي، والاعتماد على رأيه في مهام الشئون وفي عهد المأمون اتسعت حدود مملكة طليطلة وترامت شرقاً حتى بلنسية وأضحت من أعظم دول الطوائف، واستطال عهد المأمون الذي دام ثلاثة وثلاثين عاماً، والذي كان في الوقت نفسه مليئاً بالحروب والخصومات التي اضطرت بين المأمون وبين منافسيه القويين ابن هود صاحب سرقسطة والثغر الأعلى، وابن عباد صاحب إشبيلية، واستعانوا فيها بنصاري الشمال وحصل النصاري في مقابل ذلك على الجزية والعديد من التحف والهدايا^(٢٦٩).

وبعد وفاة فرناندو ملك قشتالة سنة (١٠٦٥) واثارت بين أولاده الثلاثة سانشو ملك قشتالة، وألفونسو ملك ليون، وغرسية ملك جليقية، حرب أهلية استمرت أعواماً، وانتهت مرحلتها الأولى في سنة ١٠٧١ م، بانتصار سانشو واغتصابه ملك أخويه، والتجأ غرسية إلى حماية ابن عباد ملك إشبيلية، والتجأ ألفونسو إلى حماية المأمون بن ذي النون، وعاش في بلاط طليطلة

(٢٦٧) كانت طليطلة حينما اضطرت الفتنة وانهار سلطان الحكومة المركزية، قد قام بالأمر فيها وضبطها قاضيها أبو بكر يعيش بن محمد بن يعيش الأسدي. وأنه لم يكن منفرداً بالرياسة، وأنه كان يحكم معه جماعة من الرؤساء على نحو ما كانت الجماعة في بدايتها بقرطبة، وكان من هؤلاء ابن مسرة، وعبد الرحمن ابن متيوه. ثم وقع الخلاف بين الجماعة، وعزل القاضي ابن يعيش، وسار إلى قلعة أيوب وتوفي بها في سنة (٤١٨ هـ - ١٠٢٧ م) ولما توفي عبد الرحمن بن متيوه، خلفه في الحكم ولده عبد الملك وأساء السيرة واضطربت الأمور فرأى أهل طليطلة أن يتخلصوا من أولئك الزعماء جملة، وبعثوا رسلهم إلى عبد الرحمن ابن ذي النون في شنتبرية يستدعونه لتولي الرياسة، فوجه إليهم ولده إسماعيل، وكان ذلك في سنة (٤٢٧ هـ - ١٠٣٥ م)، وتولي إسماعيل بن ذي النون حكم طليطلة وأعمالها، وتلقب بالظافر وامتدت سياسته شرقاً حتى قونقة وجنالة، واعتمد في تدبير الأمور على كبير الجماعة بطليطلة أبي بكر بن الحديدي، وكان عالماً وافر العقل والدعاء، يحظى بتأييد الكثرة الغالبة من أهل المدينة، فكان إسماعيل لا يقطع أمراً دون رأيه ومشورته. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٣، ص ٩٧.

(٢٦٨) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٣، ص ٩٤، ٩٥.

(٢٦٩) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٧٧.

زهة تسعة أشهر معزلاً مكرماً، حتى توفي أخوه سانشو قتيلاً تحت أسوار سمورة، حينما أراد انتزاعها من يد أخته أوراكا فغادر طليطلة إلى ليون واسترد عرشه وأما ألفونسو فقد استطاع خلال إقامته بطليطلة في ضيافة المأمون أن يدرس أحوالها وأحوال بلاطها ومواطن ضعفها، وأن يستغل ذلك فيما بعد في تدبير القضاء على مملكة المحسن إليه.

ولم يلبث المأمون طويلاً حيث توفي سنة (٤٦٧هـ/١٠٧٤م)، وخلف حفيده يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر (٤٦٧-٤٧٨هـ/١٠٧٤-١٠٨٥) الذي كان فتي حدثاً قليل الخبرة والتجارب ربي في أحجار النساء ونشأ بين الخصبان والغايات فملك أمره العبيد والموالي، فطمع في بلاده الرؤساء وأحتقره القراء والغرباء^(٢٧٠)، فكان المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود (٤٤١-٤٧٤هـ/١٠٤٩-١٠٨١م) صاحب سرقسطة يرهقه بمطالبه وغاراته واستعان عليه بملك أرجون وانتزع منه مدينة شنتبرية^(٢٧١)، ومن جهة أخرى فقد ثار أبو بكر بن عبد العزيز^(٢٧٢) ببلنسية وخلع طاعة بني ذي النون، ونادي بنفسه أميراً مستقلاً^(٢٧٣)، وقامت الثورات العارمة في مدينة طليطلة وقتل فيها الفقيه أبو بكر الحديدي^(٢٧٤)، وانهت دور

(٢٧٠) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٨٠، ٨١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١١٠.

(٢٧١) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٧٩، ٨٠.

(٢٧٢) أبو بكر بن عبد العزيز: هو أبو بكر بن محمد بن موان بن عبد العزيز القرطبي، كان أبوه عبد الله محمد بن عبد العزيز المشهور بابن رويش وزيراً للأمير عبد العزيز العامري صاحب بلنسية ثم وزيراً لابنه من بعده عبد الملك المظفر بن عبد العزيز، وبعد وفاة هذا الوزير سنة (٤٥٦هـ) خلفه في الوزارة ابنه أبو بكر بن عبد العزيز فلم يكد في منصبه طويلاً حتى سقطت بلنسية في يد المأمون الذي أقره في منصبه ثم عينه نائباً عنه في حكم المدينة بعد أن عزل أميرها عبد الملك المظفر وأن الوزير أبو بكر استمر يحكم بلنسية باسم بني ذي النون إلى أن مات المأمون سنة (٤٦٧هـ/١٠٧٥م)، فأنتهز هذه الفرصة وخلع طاعة خليفته القادر بن ذي النون ونادي بنفسه أميراً مستقلاً وتحالف مع المستعين بن هود صاحب سرقسطة وزوجه ابنته، وظل يحكم الوزير أبو بكر بن عبد العزيز بلنسية إلى أن توفي سنة (٤٨٧هـ/١٠٨٥م). ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، هامش ص ٨٠، ٨١.

(٢٧٣) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٨٠، ٨١.

(٢٧٤) أبو بكر الحديدي: هو كبير الجماعة بطليطلي منذ أيام ملكها إسماعيل الظافر بن ذي النون الذي كان لا يقطع أمراً دون إستشارته، وبعد وفاة إسماعيل الظافر سنة (٤٣٥هـ/١٠٤٣م) سار ولده المأمون على سياسته في تقديم وزيره ابن الحديدي والإعتماد على رأيه ومشورته وبعد وفاة المأمون سنة (٤٦٧هـ/١٠٧٥م) خلفه حفيده يحيى القادر فالتفت حوله نصحاء السوء وأقنعوه بضرورة التخلص من ابن الحديدي كي يخلو له الجو في جميع أعماله وتصرفاته، وابن الكردبوس يجعل مقتل ابن الحديدي في خلال ثورة عارمة قام بها العامة ضد أعيان المدينة لدرجة أن أقادر استنجد بالملك ألفونسو السادس، أما المصادر

الأعيان وذلك سنة (٤٦٨هـ/١٠٧٦م)، فاستنجد القادر ابن ذي النون بالملك القشتالي ألفونسو السادس (٤٦٥-٥٠٢هـ/١٠٧٢-١١٠٩م) لقمع هذه الثورات التي ظهرت ضده فطلب منه الملك القشتالي أن يمدّه بالمال مقابل نجدة، فجمع القادر الرعية وقال لهم " أقسم لئن لم تحضروني هذا المال الذي طلب في الحين ن لأجعلن عنده رهناً لجميع من عندكم من العيال والبنين" (٢٧٥).

ولما سمع أهل طليطلة ما قاله القادر لم يجه أحد منه بحرف غير أبي شجاع ابن لبون (٢٧٦) فقد أنكر عليه هذا العمل وقال له: " لقد خلعت نفسك بما قلت، وربما أزعمت عليه وعولت"، ففسدت نفس الجماعة وروا أنه لا تجب له عليهم طاعة، وبعد هذا الموقف ثار أهل طليطلة ضد القادر سنة (٤٧٢هـ/١٠٧٩م) حيث كاتبوا ابن الأفطس (٢٧٧) ففر القادر من تلك المدينة لما أحس بالخطر إلى مدينة وبذة (٢٧٨)، وأصبح أهل طليطلة أنفسهم بلا أمير ولا حكومة تقي المدينة شر الفوضى فرأى الجماعة منهم أن يستدعوا المتوكل بن الأفطس أمير بطليوس ليتولى أمرهم وقبل المتوكل هذه المهمة كارهاً وقدم إلى طليطلة وقام بالأمر فيها. فكان قسم القادر بأخذ أبناء طليطلة رهائن لألفونسو السادس إذا لم يجمعوا له المال كان سبباً في خلعهم من حكم مدينة طليطلة.

العربية الأخرى تشير بوضوح إلى أن القادر هو الذي دبر مؤامرة لقتل ابن الحديدي سنة (٤٦٨هـ/١٠٧٦م). ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، هامش ص ٨١.

(٢٧٥) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٨٢.

(٢٧٦) أبي شجاع بن لبون: هو أبو شجاع أرقم بن لبون، ينتمي إلى أسرة بني لبون من المولدين، تولى قيادة مدينة وبذة، توفي شهيداً سنة (٤٨١هـ/). ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ٢، ص ١٩٩؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٩٨.

(٢٧٧) ابن الأفطس: هو عمر المتوكل بن الأفطس الذي حكم غرب الأندلس سنة (٤٦٤هـ/١٠٧٢م) وأنتهت حياته بالقتل على يد المرابطين سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٤م) بعد أن ثبتت لهم خيائته واتصاله سرّاً بالعدو. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٨٣.

(٢٧٨) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٨٢.

القادر يرهن حصون سرية وقورية وقنالش لأفونسو السادس:

أسرع القادر بن ذي النون وكتب إلى أفونسو ملك قشتالة يذكره بسالف الود بينه وبين جده المأمون وما كان للمأمون من فضل في عونه وإغاثنه ويطلب منه العون في محنته فاستجاب أفونسو لدعوته، وتلقاه القادر واتفقا على محاصرة طليطلة حتى يخرج منها ابن الأفطس ويصرفها إليه على أن يجعل جميع أموالها في يديه، وأن يأخذ حصن سرية، وحصن قورية^(٢٧٩) رهنا فأعطاهما له، فأدخل فيهما أفونسو قواته وحصنهما أشد تحصين^(٢٨٠)، ولم يرجع الفونسو الحصنين المرهوتين للقادر، وذلك لأن الفونسو شد من حضانة الحصنين، وهذا يؤكد لنا أيضا أن الفونسو كان لدية كامل الرغبة في أخذ الحصنين سواء كان مبطناً ذلك عن القادر أو مظهرها له.

وحاصر أفونسو مدينة طليطلة أشد حصار فلما رأى ابن الأفطس ضيق الحال عليه غادر طليطلة مسرعاً إلى حاضرتة سنة (٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م) وذلك بعد أن قضى في حكمها زهاء عشرة أشهر، فدخلها القادر واستأصل جميع أموالها فلم يقبلها أفونسو السادس منه فأحضر جميع ما

(٢٧٩) حصن قورية: بالضم ثم السكون والراء مكسورة وباء خفيفة يقع بناوحي مدينة ماردة جنوبي جبل الشارة، وهو أحسن المعاقل. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤١٢؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٤٨٥؛ شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج ١، ص ٧٤.

(٢٨٠) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٨٣.

كان عنده من نفيس الذخائر الموروثة عن أبيه وجده فلم يفِ بما قاطعه عليه فأخذ منه حصن قنالش (٢٨١) رهناً (٢٨٢).

وتولد عن هذا الأمر كره شديد من أهل طليطلة لحاكمهم القادر فنهزم من فرساً إلى حكم ابن هود وبقي تحت نظره ومنهم من فر إلى حصن مجريط وتحصنوا به معلنين خلعهم للقادر واستقلالهم بالحكم (٢٨٣).

ألفونسو السادس يشترط اتخاذ رهائن للاستيلاء على مدينة طليطلة:

أصبح انخلال الداخلي في مدينة طليطلة بالإضافة إلى ضعف القادر مدعاة لكل الأمراء الطامعين في الحصول على أجزاء من مملكة طليطلة، فشن ابن عباد الغارات عليها من ناحية الغرب، وركز ابن هود هجموه على مملكة طليطلة من ناحية الشرق (٢٨٤).

وعندما تحقق للقادر أنه لا طاقة له على الدفاع عن ملكه كتب إلى ألفونسو السادس متخلياً له عن حكم طليطلة مقابل أن يمكنه من بلنسية وأحوازها مقابل تسلمه طليطلة (٢٨٥)، وفي نهاية

(٢٨١) حصن قنالش: يقع في شمال شرق طليطلة في منطقة وادي الحجارة على الحدود القشتالية. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، هامش ص ٨٣، ٨٤.

(٢٨٢) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٨٣. الأمير عبدالله: التبيان، ص ٧٧.

(٢٨٣) ابن بسم: الزخيرة، ق؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٨٤.

(٢٨٤) الحميدى: جنوة المقتبس، ص ٢٩؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٨٤.

(٢٨٥) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٨٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤٣٩؛ ابن سعيدي: المغرب، ج ٢، ص ١٣ المقري: نفح الطيب، ج ٤، ص ٣٥٢.

- الأمر سقطت مدينة طليطلة بعد حصار دام أكثر من تسعة أشهر في يد ألفونسو وذلك بعد أن اتفق مع أهالي طليطلة على العديد من الأمور هي:
- أن يؤمن أهل طليطلة على أنفسهم وبينهم وأموالهم.
 - عدم منع من أراد الخروج من طليطلة وللخارج اخذ أمواله معه.
 - عدم إلزام من بقي بطليطلة سوي بالجزية المقررة عليه وعلى من عنده من الأشخاص.
 - من أراد العودة بعد خروجه فله ما كان بيده من عقار دون تعرض له.
 - تسليم المدينة لألفونسو.
 - يحتفظ المسلمون المقيمون بطليطلة بتطبيق شريعتهم ونظمهم وتقاليدهم والاحتكام إلى قضاتهم.
 - احتفاظ المسلمين بمسجد طليطلة الجامع.
 - يؤدي المسلمون ما كانوا يؤدونه من ضرائب إلى ملك قشتالة.
 - أن يقدم أهل طليطلة عدداً من أعيانهم كرهائن.
- وبهذه الشروط تم أداء اليمين من قبل ألفونسو ووافق أهل طليطلة على التسليم (٢٨٦)
- وبهذا سقطت مدينة طليطلة بيد النصارى في سنة (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) وكان سقوط طليطلة لعدة عوامل أهمها فقر أهلها وضعف الجانب الاقتصادي لديهم وتشتت أمر المسلمين في طليطلة خاصة وفي الأندلس عامة بالإضافة لضعف حاكمها القادر وهذه العوامل كلها يسرت وقوع طليطلة بيد ألفونسو دون مشقة والغريب في الأمر هو حرص ألفونسو السادس على اتخاذ رهائن من أعيان المدينة وذلك حتى لا يواجه أي مقاومة في المدينة.

(٢٨٦) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ٨٥؛ الأمير عبد الله: التبيان، ص ٧٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٣، ص ١١٣-١١٤.

المعتمد بن عباد وتبادل الرهائن مع الكونت ريمون بيرنجير الثاني ملك برشلونة:

تمكن فردينال الأول ملك قشتالة من فرض الجزية على العديد من دول ملوك الطوائف، حيث فرضها على بطليوس وسرقسطة وطليطلة وفرضها على إشبيلية سنة (٤٥٥هـ/١٠٣٦م) وعلي عهد المعتضد الذي استمر في دفعها حتى وفاته سنة (٤٦٤هـ/١٠٧١م)^(٢٨٧)، وخلفه على الحكم ابنه المعتمد بن عباد (٤٦٤-٤٨٤هـ / ١٠٧١-١٠٩١م) وفي الوقت الذي كان فيه المعتمد بن عباد يعمل على توطيد حكمه في إشبيلية وأنحاءها، تمكن ألفونسو السادس من توحيد مملكة قشتالة وليون وجليقية تحت سلطانه، وفي عهد المعتمد كان يفد على إشبيلية سفارتين قشتاليتين، الأولى لأخذ الهدايا والعطايا، والثانية لأخذ الجزية، ويرد عليهما المعتمد بسفارتين مماثلتين^(٢٨٨).

وفي هذا الوقت كان ملوك الطوائف يتسابقون في عقد الاتفاقيات مع ألفونسو السادس، فقد عقد ملك غرناطة معاهدة صداقة مع ألفونسو السادس، ووثق علاقته به ضد المعتمد بن عباد، وفي أعقاب هذه المعاهدة أسرع المعتمد بن عباد إلى عقد اتفاقية صداقة وتعاون مماثلة مع ألفونسو السادس ضد مملكة غرناطة وقد أرسل المعتمد بن عباد سفارة إلى ملك قشتالة وليون برئاسة ابن عمار، ووقعت اتفاقية بين الطرفين كان أهم ما جاء بها: أن تستمر مملكة إشبيلية بدفع الجزية السنوية وتقدر بمخمين ألف دينار لألفونسو السادس، وأن يقدم ألفونسو

(٢٨٧) ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ٢٠٣ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٣، ص ٤٨؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم، ص ٢٣٠.

(٢٨٨) ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ٢٠٣.

السادس المساعدة للمعتمد لفتح غرناطة على أن تكون أموالها لألفونسو والمدينة لابن عباد، وعلي أثر الاتفاق بدأ النصارى بالإغارة على غرناطة، ولكن ألفونسو السادس فشل في الاستيلاء على غرناطة وعقد اتفاقاً مع ملكها^(٢٨٩)، ونظراً لحصانة أسوار غرناطة فشلت جيوش المعتمد وألفونسو السادس في الاستيلاء عليها، وعقد بين ملكها عبد الله بن بلقين وألفونسو السادس اتفاقاً ينص على ما يلي:-

أن يدافع ألفونسو عن غرناطة إذا تعرضت لأي خطر خارجي، وأن تدفع غرناطة جزية سنوية لألفونسو السادس قيمتها خمسين ألف مثقال من الذهب ثم خفضت إلى أن أصبحت ثلاثين ألف مثقال، كما عمل ألفونسو على إنهاء الخلافات بين المعتمد بن عباد وعبد الله بن بلقين وعقد اتفاق بين الجانبين، والواقع أن ألفونسو السادس كان يهدف من تقديم المساعدة للمعتمد ضد غرناطة في الوقت الذي وقع فيه اتفاقية صداقة مع عبد الله بن بلقين هو الحصول على الجزية من كلا الجانبين، وهذا ما حدث فعلاً، فمن هذا الصراع بين غرناطة وإشبيلية خرج ألفونسو منتصراً فقد حصل على جزية سنوية من غرناطة قدرت بحوالي ثلاثين ألف مثقال من الذهب، كما ضاعف الجزية على مملكة إشبيلية مقابل مساعدته لها والتي وصلت لخمسين ألف دينار^(٢٩٠).

فألفونسو السادس أرد أن يضع حداً لأطماع ملك إشبيلية الذي كان يريد توسيع مملكته على حساب جيرانه ملوك الطوائف، وهذا يتعارض مع سياسة ألفونسو السادس التي تهدف إلى إضعاف الجميع وضربهم ببعض وإطالة أمد الصراع فيما بينهم لتسهيل السيطرة عليهم فيما

(٢٨٩) مذكرات الأمير عبد الله: التبيان، ص ٧١-٧٤.

(٢٩٠) مذكرات الأمير عبد الله: التبيان، ص ٧٤، ٧٥.

بعد (٢٩١)، وتؤكد هذه السياسة الحروب التي جرت بين غرناطة وإشبيلية فيما بعد، وكان ألفونسو السادس مسئولاً عن استقرارها، فقد أمد الطرفين بالمال والمساعدات بموجب الاتفاقيات التي بينهم (٢٩٢)، ولم يكتفِ المعتمد بطلب المساعدة من ألفونسو السادس ضد مملكة غرناطة بل أرسل سفارة برئاسة وزيره بن عمار إلى الكونت ريمون بيرنجير الثاني ملك برشلونة، وعقد ابن عمار ملك برشلونة اتفاقاً على أساس أن يدفع له المعتمد عشرة آلاف مثقال من الذهب مقابل معاونته لفتح مرسية ومساعدته في حروبه ضد غرناطة (٢٩٣)، ولضمان الثقة بين الطرفين قدم كل منهما رهينة للأخر، فقدم المعتمد بن عباد ابنه الرشيد رهينة للملك برشلونة الذي قدم ابن أخيه رهينة للمعتمد (٢٩٤)، وبدأت بعدها قوات المعتمد بن عباد بقيادة وزيره ابن عمار، وملك برشلونة محاصرة مدينة مرسية ولكن المعتمد تأخر في دفع المال المطلوب منه، فاعتقد ريمون بيرنجير أن المعتمد غرر به، فقبض على وزيره بن عمار ووزيره الرشيد، وترك محاصرة مدينة مرسية، فأضطر المعتمد إلى دفع المال وإرسال رهينة الكونت بعد مفاوضات طويلة وتم الإفراج عن ابن عمار والرشيد وأخفقت هذه الحملة الأولى في فتح مدينة مرسية (٢٩٥).

(٢٩١) رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأشبانيا النصرانية، ص ٣٦٤، ٣٨٥، ٣٨٨.

(٢٩٢) مذكرات الأمير عبد الله: التبيان، ص ٧١.

(٢٩٣) يوسف أشياخ: تاريخ الأندلس، ص ٥١.

(٢٩٤) رينهارت دوزي: المسلمون في الأندلس، ج ٣، ص ١١١ يوسف أشياخ: تاريخ الأندلس، ص ٥١.

(٢٩٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ١٦٠ رينهارت دوزي: المسلمون في الأندلس، ج ٣، ص ١١١، ١١٢ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص.

جنود ألفونسو السادس رهائن عند المعتمد بن عباد:

كانت العلاقات القائمة بين مملكة إشبيلية ومملكة قشتالة سلمية بشرط أن يبقى المعتمد بن عباد خاضعاً لسيطرة ألفونسو السادس ودافعاً للجزية السنوية ملبياً لمطالبه، وكان المعتمد يقضي حياته في اللهو والترف وحب النساء والجواري^(٢٩٦)، وقد استغل ألفونسو ذلك أحسن استغلال فأراد مضاعفة الجزية على المعتمد وإرغامه على دفعها فكان يقوم بالإغارة على أراضي مملكة إشبيلية وإحراق قراها، وفي كل مرة كان المعتمد يرسل وزيره ابن عمار لمفاوضته، وكان ابن عمار يفشل أحياناً في مهمته، ويضطر المعتمد لدفع الجزية المضاعفة^(٢٩٧) والذي أدى إلى توتر العلاقات بينهم، تلك السفارة الأخيرة التي أرسلها ألفونسو السادس إلى المعتمد بن عباد عقب سقوط طليطلة في يديه سنة (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م)، حيث أرسل وزيره ابن شاليب اليهودي ومعه خمسمائة فارس عسكروا خارج مدينة إشبيلية وطلبوا الجزية من المعتمد، فأرسل إليهم المعتمد بعض أشياخ إشبيلية ومنهم الوزير ابن زيدون وأرسل معهم بعض الأموال فرفضها بن شاليب لأنها من معدن غير نقي، وهدد ابن شاليب المعتمد بأنه إذا لم يأخذ المال من معدن نقي فإن ألفونسو السادس سوف يهاجم مدينته، وتذكر الروايات أن تشدد ابن شاليب في طلبه كان سبب غضب المعتمد بن عباد وقتل الوزير اليهودي، حيث أن ابن شاليب زاد في طلباته، فعدا عن الجزية فطلب من المعتمد بن عباد التخلي عن بعض

(٢٩٦) رينهارت دوزي: المسلمون في الأندلس، ج ٣، ص ١٠١.

(٢٩٧) رجب عبد الحليم: العلاقات، ص ٤٣٦.

الحصون والقلاع المحيطة بإشبيلية لألفونسو السادس، فرفض المعتمد بن عباد وقام بإلقاء القبض على ابن شاليب والفرسان القشتاليين وأمر بصلب ابن شاليب، وألقي بالفرسان بالسجن، وعندما علم ألفونسو السادس بما حصل لوزيره وفرسانه القشتاليين، أرسل إلى المعتمد يطلب منه إطلاق سراح فرسانه، فأشترط المعتمد لذلك تخلي ألفونسو السادس عن حصن المدور (٢٩٨).

فوافق ألفونسو، ولكنه توعد بالرد بفhez جيوشه من القشتاليين والبشكنس وبدأ بالهجوم على أحواز باجة حتى وصل إشبيلية فكان يحرق وينهب ويسبي كل ما يقع تحت يديه، وبقي ألفونسو السادس في أحواز إشبيلية لمدة ثلاثة أيام، وكتب إلى المعتمد يسأله أن يرسل إليه مروحة لطرد الذباب، ولم يتحمل المعتمد هذه الإهانة فرد: "قرأت كتابك وفهمت خيلاءك وإعجابك، وسأنظر إليك في مراوح من الجلود اللطيفة تروح منك ولا تروح عليك" (٢٩٩) وتحرك المعتمد للاستعانة بالمرابطين (٣٠٠) وقال مقولته رعي الجمال خير من رعي الخنازير (٣٠١).

كان قيام المعتمد بن عباد باحتجاز جنود ألفونسو السادس رهائن عنده سبباً مباشراً لقيام ألفونسو السادس بغزوه، فلجأ المعتمد للاستعانة بالمرابطين.

(٢٩٨) عبد الله بلقين: التبيان، ص ١٠١، ١٠٢؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٤٤، ٢٤٥؛ المراكشي: الحلل المشوية، ص ٤٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٣، ص ٧٣.

(٢٩٩) الحميري: الروض المعطار، ص ٢٨٨؛ المقرئ: نفع الطبيب، ج ٤، ص ٣٥٨.
(٣٠٠) المرابطين: يرجع تأسيس الدولة المرابطية قبيلة لمتونة، وهي إحدى بطون قبيلة صنهاجة البرانس، وعرف أتباع الدولة المرابطية بالمرابطين نسبة إلى رباط عبد الله بن ياسين، وعرفوا كذلك بالملتمين. البكري: المغرب، ص ١٦٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٤، ص ٧.

(٣٠١) المراكشي: الحلل المشوية، ص ٤٥؛ السلاوي: الإستقصا، ج ٢، ص ٣٩؛ المقرئ: نفع الطبيب، ج ٤، ص ٣٥٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٣، ص ٣١٧.

المعتمد بن عباد وفكرة أخذ رهائن من يوسف بن تاشفين:

في أعقاب سقوط طليطلة بيد ألفونسو السادس (٤٧٩هـ/١٠٨٥م) اتفق فقهاء الأندلس وعلمائها إلى ضرورة الاستنجاد بالمرابطين، و تزعم المعتمد بن عباد هذا الأمر، وأرسل رسالة إلى يوسف بن تاشفين حملها وزيره ابن زيدون وقد بين المعتمد بن عباد مدي الضعف الذي وصل إليه حال الإسلام والمسلمين، وزيادة نفوذ وخطرة ألفونسو السادس وسيطرته على طليطلة وإغارته على كافة حصون المسلمين، وعدم مقدرة مملكة إشبيلية وملوك الطوائف على مقاومة الممالك النصرانية في الشمال، فطلب المعتمد من يوسف بن تاشفين العبور إلى الأندلس ليخلص الإسلام والمسلمين من عدوهم (٣٠٢).

وعبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) (٣٠٣) وألتقي مع النصارى في موقعة الزلاقة ونجح في الانتصار عليهم وذلك يوم الجمعة (١٢ رجب سنة ٤٧٩هـ/٢٣ أكتوبر سنة ١٠٨٦م)، وغنم المسلمون غنيمة عظيمة، وذلك في سنة تسع وسبعين وأربعمائة، وعف يوسف عن الغنائم، وآثر بها ملوك الأندلس ليم لهم الأجر، فأحبوه وشكروا له، وكانت ملحمة عظيمة قل أن وقع في الإسلام مث لها، وجرح فيها ملك الفرنجة، وجمعت رؤوس الفرنجة، فكانت كالتلّ العظيم (٣٠٤).

(٣٠٢) المراكشي: الحلل الموشية، ص ٤٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٣، ص: دوزي: المسلمون في الأندلس، ج ٣، ص ١٣٠، ١٣١.

(٣٠٣) مذكرات الأمير عبد الله: التبيان، ص ١٠٢؛ المراكشي: الحلل الموشية، ص ٤٦؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، ج ٣، ص ١٣١.

(٣٠٤) لمزيد من التفاصيل عن موقعة الزلاقة انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ٤٤٥- ٤٤٨؛ المقرئ: فتح الطيب، ج ٤، ص ٢٤٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٣، ص ٣٢٠-٣٢٢؛ الصلابي: المرابطين، ص.

وعزم ابن عبّاد على أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أن ينزل في ضيافته، فأجابه، فأنزله في قصوره على نهر إشبيلية، فرأى أماكن زهرة، كثيرة الخير والحسن والرزق، وبالغ المعتمد بن عبّاد وأولاده في خدمته، وكان رجلاً بربرياً قليل التّنعّم والتّلذّذ والرّفاية فرأى ما هاله من الحشمة والفرش والأطعمة الفاخرة فأقبل خواصّه عليه ينهونه على تلك الهيئة ويحسنونها، ويقولون: ينبغي أن تتخذ ببلادك نحو هذا فأنكر عليهم وكان قد دخل في الشيوخوخة وفنيت إرادته وأدمن على عيش بلاده، ثم أخذ يعيب طريقة المعتمد وتنعمه المفرط، وقال: من يتعاین هذه اللذات لا يمكن أن يعدل كما ينبغي أبداً ومن كان هذا همته متى تشد في حفظ بلاده ورعيته! ثم سأل يوسف: هل يفعل المعتمد هذا التّنعّم في كلّ أوقاته؟ فقبل له: بل كلّ زمانه على هذا فسكت، وأقام عنده أياماً فأتي المعتمد رجلاً عاقل ناصح نخوفه من غائلة ابن تاشفين وأشار عليه بأن يقبض عليه وأن لا يطلقه حتى يأمر كلّ من بالأندلس من عسكره أن يرجع من حيث جاء، ثم تتفق أنت وملوك الأندلس على حراسة البحر من كل سفينة تجري له، ثم تتوثق منه بالأيمان أن لا يغدر، ثم تطلقه وتأخذ منه على ذلك رهائن، فأصغى المعتمد إلى مقالته واستصوبها، وبقي يفكر في انتهاز الفرصة، وكان له ندماء قد انهمكوا معه في اللذات، فقال أحدهم لهذا الرجل: ما كان أمير المؤمنين، وهو إمام أهل المكرّمات ممّن يُعامل بالخيّف ويغدر بالضيّف، قال: إنّما الغدر أخذ الحقّ ممّن هو له، لا دفع المرء عن نفسه، قال النّدِيم: بل كظم مع وفاء خير من حزم مع جفاء، ثم إن ذلك الناصح استدرك الأمر وتلافاه، وشكر له المعتمد وأجازه، فبلغ الخبر ابن تاشفين فأصبح غادياً فقدم له المعتمد هدايا عظيمة فقبلها وعبر إلى سبّة إلى بقي جُلّ عسكره بالجزيرة يستريحون (٣٠٥).

(٣٠٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٤، ص ٢٣٤؛ الصّفي: الوافي بالوفيات، ج ٢٩، ص ٧٦؛ المقرئ: نفع الطيب، ج ٤، ص ٣٧٦، ٣٧٧.

ولو أن المعتمد بن عباد أخذ رهائن من يوسف بن تاسفين لعجل بسقوط الأندلس في يد
النصارى.

الخاتمة

استهدفت الدراسة رصد ظاهرة اتخاذ الرهائن في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الطوائف (٩٢-٤٧٩هـ/٧١٢-١٠٨٦م) رسداً تاريخياً يتطرق إلى ذكر العوامل المؤدية لحدوثها ونتائجها على كافة الجوانب في الأندلس، وقد خرج البحث بالعديد من النتائج من أبرزها:

- لم يستقم أمر الإسلام في بلاد المغرب إلا عن طريق سياسة اتخاذ الرهائن.
- سياسة أخذ الرهائن التي ابتدعها حسان بن النعمان وتوسع فيها موسى بن نصير قد أدت إلى نمو حركة التعريب وانتشار الإسلام وأقرت الأوضاع نهائياً لصالح المسلمين في بلاد المغرب.
- أثبتت الدراسة بما لا يدع مجالاً للشك أن الجيش الفاتح للأندلس كان أغلبه من الرهائن.
- أثرت جغرافية بلاد الأندلس تأثيراً مباشراً في سياسة اتخاذ الرهائن.
- تنوع عناصر المجتمع الأندلسي كان أحد الأسباب المحركة لاتخاذ الرهائن.

- استنتجت الدراسة أن حصانة بعض المدن في الأندلس ووضعها الاقتصادي كانت من العوامل الداعمة للثورات المستمرة الأمر الذي لجأت أمامه السلطات الحاكمة في الأندلس لسياسة اتخاذ الرهائن.
- أثبتت الدراسة بقاء الأمير عبد الرحمن الداخل عند قبيلة مغيلة كان مرهوناً بمبلغ من المال.
- حققت سياسة اتخاذ الرهائن أهدافها السياسية في كثيرٍ من الأحيان وأثرت تأثيراً مباشراً على العلاقات السياسية مع الممالك النصرانية والقوى الخارجية.
- استخدمت السلطات الحاكمة في الأندلس سياسة اتخاذ الرهائن لفرض السلطة والنفوذ على المناطق الخارجة عن سيطرتها.
- أن تقديم الرهائن كان وسيلة لإظهار الخضوع والطاعة.
- تفاوتت معاملة الرهائن من رهينة لآخر.
- توصلت الدراسة إلى وجود دار للرهائن في قرطبة خاصة بالأطفال، اعتمدت على سياسة محددة في التعليم، كان لهذه السياسة نتائج سلبية على السلطة الحاكمة في الأندلس.
- أثبتت الدراسة أن سياسة اتخاذ الرهائن لجأت لها العديد من القوى آنذاك.

- تبين من خلال الدراسة دعم النصارى بشكل مباشر وغير مباشر للثورات المستمرة في الأندلس.
- أكدت الدراسة أن أسر المولدين كان لها أدوار سياسية بارزة في الأندلس أدت لسياسة اتخاذ الرهائن.
- وأضحى الدراسة أن ألفونسو السادس لم يتجرأ على الاستيلاء على مدينة طليطلة إلا بعد أن اتخذ من أعيانها رهائن.

ملاحق الرسالة

وثائق الرسالة

الوثيقة الأولى

كتاب الصلح الذي عقد بين عبد الرحمن الداخل وفرويل الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب أمان ورحمة، وحقق دماء وعصمة، عقده الامير الاكرم الملك المعظم عبدالرحمن بن معاوية، ذو الشرف الصميم، والخير العميم، للبطارقة والرهبان، ومن تبعهم من سائر البلدان، أهل قشتالة وأعمالها، ما داموا على الطاعة في أداء ما تحملوه، فأشهد على نفسه أن عهده لا ينسخ ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب، وعشرة آلاف رطل من الفضة، وعشرة آلاف رأس من خيار الخيل، ومثلها من البغال، مع ذلك ألف درع وألف بيضة، ومن الرماح الدردار مثلها في كل عام، ومتى ثبت عليهم النكث بأسير يأسرونه، أو مسلم يغدرونه، انتكث ما عاهدوا عليه، وكتب لهم هذا الامان بأيديهم إلى خمس سنين، أولها صفر عام اثنين وأربعين ومئة.

نقلاً من الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٢٥٠.

الوثيقة الثانية

خطاب لويس التقي لأهالي مدينة ماردة

يذكر سيمونيت أن الامبراطور
لويس التقي خاطب أهل ماردة في كتاب أرسله اليهم عام
(٢١١ هـ) ٨٢٦م رداً على كتاب أرسلوه اليه يبيثونه فيه
شكايتهم من السياسة الغاشمة التي يتبعها الأمير عبد الرحمن
الأوسط معهم ، وجاء في كتاب الامبراطور ما يلي « سمعنا
بما تعاونونه من مضايقات بسبب قسوة الملك عبد الرحمن الذي
لم يتردد في تجريدكم من أملاككم متبعاً في ذلك كل وسائل
القهر والعنف والعنف ، ، وعرفنا ما كان يفعله أبوه (الحكم
الريضي) Abolaz الذي ضاعف عليكم الضرائب والجزيات
وكان يتقبضها منكم بالعنف وجعل من الاصحاب اعداء ومن
أهل الطاعة ثواراً ، وحاول أن يجردكم من حريتكم ولكنكم كما
سمعنا عنكم كعهدينا بكم دائماً تمكنتم من الرد على هذه المظالم
بشجاعة ، وتصديتكم لسياسته الغاشمة معكم . ولهذا حرصنا
على مواصلة الدفاع عن حريتكم ضد ملك قاسى وسنحاول
بمعون الله أن نرسل اليكم جيشنا في الصيف المقبل الى حدود
مملكنا لكي ينتظروا هناك وصول أوامرنا وفيها الوقت المحدد
للمعبر الى بلادكم ، اذا رأيتم أن في ذلك مساعدة لكم ضد
عدونا المشترك الذي يستقر لصق حدودنا بحيث اذا أراد
عبد الرحمن أو جيشه أن يتوجه ضدكم نمنعه بحد السيف » .

نقلاً من سحر عبد العزيز سالم: تاريخ بطليوس، ج ١، ص ٢٣٢.

الوثيقة الثالثة

وثيقة تسليم سرقسطة

الأمان لمحمد بن هاشم واخوته، وبنيه، وذويه، وجميع اصحاب ورجاله، ومن اتصل به وبهم جميعاً، من اهل مدينة سرقسطة، مدة يرضاها الناصر لدين الله، ويملكه إياها تملكاً يدخل فيها من يشاء من أهلها في العدد الذي يرضاه من رجاله وأحشامه، ويكون أهل مدينة سرقسطة، ومن يبقيه محمد بن هاشم بينهم من أهله وأتباعه، أمنين بأمان الله، محفوظين بعهد الله، متمسكين بمثل أمان محمد بن هاشم، غير متعقبين في أنفسهم ولا مأخوذِينَ بذنب سلف.

وأن يخرج محمد بن هاشم عن سرقسطة بنفسه، ومن أحب إخراجَه معه من خواص عياله وولده، إلى مدينة تُطيله أو غيرها من مدن الثغر، وحصوله مسجلاً له على الموضع الذي يختاره، موسعاً عليه فيما يتصل به، ويبقى بسرقسطة من أحب منهم في دوره، ويختلف إليهم وكلائه، وعلى المولى بسرقسطة بعده إحسان صحبتهم ومحافظة مدة معينة عنهم، وعليه أن يباعد منزله عنهم، فيتخذ لنفسه داراً في أحد جوانب المدينة، لا يقربه شيء من دور محمد بن هاشم، مخافة ما يقع بين الحاشية، أو ينزل القصر القديم بعد خروج محمد بن هاشم عنه، بجميع ماله فيه.

وعلى أن يسجل الناصر لدين الله لأخيه يحيى بن هاشم، على ما كان بيده من مدينة لاردة وأحوازها، فإذا انصرفت المدة التي يضر بها الناصر لدين الله لمحمد، توجه إلى الحضرة فوطاً البساط بها، وأقام فيها ثلاثين يوماً أو نحوها، مظهراً لصديق طاعته، ماحياً لكل ما انتشر في أقطار الأرض من معصيته، وهو في توجهه إليه آمن في طريقه ومدة مقامه ومنصرفه، غير مقطوع به ولا معترض دون الانصراف، إذا انقطعت المدة التي وضعت له، ولا مدسوس

عليه في ظاهر ولا باطن، ولا متغلب عليه فيمن يتوجه بهم من أصحابه، أو من يخلفهم لسد مواضعه، وله على السلطان، إذا وفى بما عقد عليه من الشخوص إلى باب سدته، أن يكتب له عهداً على مدينة سرقسطة، ويصرِّفه إليها عاملاً وقائداً، ويعزل عنها عامله وقائده، بعد أن يناله من كرامته، ويظهر عليه من آثار نعمته ما يعود معه إلى أحسن الأحوال، التي كان عليها قبل هفوته.

وتاريخ الكتاب المحرم سنة ستة وعشرين وثلاث مائة.

نقلاً من ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٠٦، ٤٠٥

الوثيقة الرابعة

الشروط التي يحكم بها محمد بن هاشم

" أن يرهن عن نفسه وما عهد عليه من الوفاء بشروطه أسن ولده وأخاه هذيلًا من بين إخوته وأسن ولد " معن بن محمد " صاحبه، وأحد ولدي قاسم، وولد كاتبه ابن العاصي، ويكون جماعتهم لدى الناصر بدين الله بحال حفظ وتكرمه، وبسبيل أمان في المسير والمقام، يبذلهم، إن شاء، ستة أشهر بأكفائهم ونظرائهم من إخوتهم خاصة إلى أن يظهر لأمير المؤمنين براءة محمد بن هاشم من مملأة المشركين وتصحيحه طاعة أمير المؤمنين، فيأتي من إعفائه من ذلك مما يراه، وعلى أن يقطع محمد بن هاشم حبله من المشركين في ظاهره وباطنه من حد بلد يرضونه إلى سمرطانية إلى بنبلونة إلى ألبه إلى القلاع، وإلى جليقية، ولا يكتبهم ولا يداخلهم، ولا ينبذ إليهم نبد أمير المؤمنين، ويدخل السرايا إلى بلدهم، ولا يصلحهم على طرف من أطراف الثغر إلا عن إذن أمير المؤمنين وترداد مشورته، وأن يورد جباية بلده بجملة، ولا يحتبسها عن أمدها، ولا ينقصها من عددها، بعد أن يسقط عنه جباية عام محرم، لما ناله ونال البسيط من معرة الجيش وامتناع التوزيع، ثم يوردها من بعد انصرام العام، كاملة موفرة بغير رسول يحركه ولا موكل يضغظه، حاشى الكاتب إليه، إن كان عاملاً أو إلى ابنه، إن رأى أمير المؤمنين استعماله، وألا يتقبل حرا نازعا ولا عبداً أبداً لأمير المؤمنين، ولا لأحد من رعيته، وأن يوثق من ظفر به من هذه الطبقة، ويصرفه إلى مكانه ولا يتعقب أحداً ممن سجل له عليه، أو يسجل بعد ممن حاربه مع أمير المؤمنين، وفارقه إليه أيام الطاعة له أيام معصيته، وأن يجدد البيعة لأمير المؤمنين ويلتزم شروطها، ويخلص الطاعة

له، ويوفي حقوقها، وأن يغزو مع أمير المؤمنين، ويعادي من عاداه ويحارب من حاربه
ويسالم من سالمه من أهل الملك وغيرهم ويقطع نصيبه من كل من أخرج يده عن طاعته
وإن كان ابنه أو أخاه، ويلتزم كل ما ألزمه أمير المؤمنين من ظاهر القول وباطن الإرادة،
لا ينقص متأول البغية ولا يحرف عن التصحيح بالعلة، فقد ألزم أمير المؤمنين في عقده
مثل ما سأله محمد من ذلك وأوجبه على نفسه له، مع دركه لهذه المنزلة من صدق الطاعة أن
يوليه مدينة سرقسطة وما وقع له في سجنه معها ولاية مستمرة ولا يعزل طول أيامه عنها، ثم
لا يؤاخذ به بذنوب ولا يعدد عليه اقتراف خطأ ولا عمد ولا يقبل في مقالة كاشع ولا طعن
حاسد، ويصير ذلك له وصية فيمن بعده، يلزمهم الوقوف عندها على سبيل الخلفاء في
خالدات عهدهم إن شاء الله"

نقلاً من ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٠٦، ٤٠٥

الوثيقة الخامسة: كتاب محمد بن خَزَرٍ يتضمن اتحاذ رهائن من قبائل المغرب

قال : وفي هذه السنة وَرَدَ كِتَابُ مُحَمَّدَ بْنِ خَزَرَ ، أمير رَنَاتَة ، على الناصر لدين الله ، مُطَالِعاً بِأُمُورِهِ ، مُنْهِيّاً أَخْبَارَ جِهَتِهِ عَلَى عَادَتِهِ ، فَوَقَّفَ الناصر لدين الله على ما سَرَّه من ذلك ، فَأَجْمَلَ جَوَابَهُ عَنْهُ ، وَأَزْدَادَ مِنْ ثِقَتِهِ بِهِ ، وَإِسْمَائِهِ لِمَحَلِّهِ ، وَكَانَ نُسْخَةُ الْفَصْلِ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ :

« فَإِنَّ كِتَابِي ، أَبْقَى اللهُ أمير المؤمنين ، مِنْ بِلَدِ السَّاحِلِ مِنْ مَدِينَةِ تَسْفَا (7) ، المشهورة بمدينة الْعُلُويِّينَ ، وَهِيَ مَدِينَةُ حَصِينَةِ أَوْلِيَّةٍ مُتَوَسِّطَةٍ

لِلْمَرَّاسِي التي تُقَابِلُ مَرَّاسِي الْأَنْدَلُسِ ، وَهِيَ مُنْتَظِمَةٌ بِهَا وَقَرِيبَةٌ مِنْهَا ، وَهِيَ بَغْرَبِي تَاهَرَتْ ، دَارُ الْفَاسْقِينَ وَقَرِيبَةٌ مِنْهَا ، بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، وَإِنَّمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَرَّاسِي أَقَلٌّ مِنْ يَوْمٍ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ بَعْدَ انْتِقَالِي مِنْ بِلَدِ الْغُوطِ (8) بِالْأَهْلِ وَالْوُلْدِ وَالْأَصْحَابِ وَالْحَشَمِ وَالْعَبِيدِ وَالْمَوَالِي ، وَأَهْلَ وَلَايَتِنَا ، وَصُنُوفِ رَعِيَّتِنَا ، وَضُرُوبِ أَهْلِ طَاعَتِنَا ، وَالْخَاصَّةِ / وَالْعَامَّةِ لَدَيْنَا ، انْتَقَلْنَا إِلَيْهَا بِقَبِيلَتِنَا وَجَمَاعَةٍ مِنْ قَبِيلِنَا ، وَلَمْ نُخْلَفْ بَعْدَنَا أَحَدٌ مِنْ مَذْكَورِ رِجَالِنَا ، وَحُمَاةِ أَنْصَارِنَا ، وَجَمَاعَةِ فُرْسَانِنَا ، وَوُجُوهِ عَشِيرَتِنَا (١) فَهُمْ مَعَنَا وَبَيْنَ أَيْدِينَا ، لَمْ يَنْتَحِلْ لَنَا نِظَامٌ ، وَلَا نَخْلُتْنَا فَرْقَةٌ ، بَلْ جَمِيعُنَا مُسْتَعِدُّونَ بِدَعْوَتِكَ ، وَمُعْتَصِمُونَ بِطَاعَتِكَ ، نَاصِحُونَ لَكَ ، مُجِبُّونَ لِأَيَّامِكَ وَذَوْلَتِكَ الْمُبَارَكَةِ ، الَّتِي مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا كَانَ لَهُ الْأَمْنُ وَالسَّلَامَةُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَتِهِ ، وَمَنْ صَدَّ [عنها] وَابْتَغَى سَبِيلًا غَيْرَهَا ، تَزَلَّ بِهِ الذِّلُّ وَالضُّفَارُ ، وَقَارَنَهُ الْجَزْيُ وَالْهَوَانُ .

وَالَّذِي أَرَدْتُ عِلْمَهُ ، أَبْقَاكَ اللهُ ، مِنْ خَبَرِ خُرُوجِنَا عَنْ الْبِلَدِ الَّذِي كُنَّا نَحْلُهُ ، وَسَبَبِ انْتِقَالِنَا عَنْهُ ، فَإِنَّهُ لَمْ نُخْرِجْنَا عَنْهُ خَصَاصَةً ، وَلَا أَرْعَجْتْنَا مَذَلَّةً وَلَا تَخَوُّفًا وَلَا جَزْيَةً وَلَا تَغْيِيرَ حَالٍ وَلَا شِدَّةً ، وَإِنَّمَا أَخْرَجْنَا عَنْهُ بِقَضَاءِ اللهِ حُبِّنَا الدُّنْوَ مِنْكَ ، وَالتَّسَمُّ لَكَ ، لِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ الطَّبَوِيَّةِ لَكَ ، وَصِدْقِ النِّيَّةِ فَيْكَ ، وَمَخْضِ الْمَوَدَّةِ لَكَ ، وَبِجَمِيعِ مَنْ تَعَلَّقَ بِكَ وَانْتَسَبَ إِلَيْكَ ، وَذَلِكَ أَنَا كُنَّا عَنْ أَفْئِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ نَازِحِينَ ، وَعَنْ مُوَاضِلَتِكَ شَاحِطِينَ لِابْتِعَادِ الدَّارِ بِنَا (2) وَانْتِزَاجِ التَّنَائُفِ بَيْنَنَا ، عَلَى [أَنَّ] شَحْطَ الدَّارِ وَبُعْدَ الشُّقَّةِ ، مِمَّا لَا يُقْصَى بِذِي الْهِمَّةِ عَنْ الرَّمْيِ بِهِمَّةٍ ، وَلَا يَرُدُّ ذَا الْعَزِيمَةِ عَنْ إِنْفَادِ عَزِيمَتِهِ ، وَلَا يَدُّ لِقَدَرِ اللهِ تَعَالَى مِنْ تَفَادٍ ، وَلِعِزَائِمِ أَقْضِيَّتِهِ مِنْ تَمَامٍ ، وَذَلِكَ أَنَّا نُنْظَرُنَا ، أَعَزَّكَ اللهُ بِطَاعَتِهِ ، فِي أَمْرِنَا إِذْ لَمْ تَمَكِّنَّا مُوَاضِلَتَكَ وَالتَّعَلُّقَ بِأَسْبَابِكَ إِلَّا بِالْأَدْوِ مِنْكَ

والمجاورة لك والبعاد عن بُعدك ، فأجمعنا الانتقال بالكلية إلى أطراف
أعمالنا وحواشي كورنا من نحو المراسي المنتظمة بجزيرة الأندلس ،
التي وصفنا لك خبرها ، فلما وردنا البلد بالأهل والولد ، أخذنا في جمع
العُد لإقامة الأود (3) بتنقيف العوج من أهل المعصية ، الذين كانوا
للإهودي مشايخين ، وفي أمره مداهنين ، فحشدنا جميع القبائل التي
بإزائنا وكل من اعتصم بطاعتنا وتمسك بأسبابنا ، فأخذنا رهائنهم
بالمبايعة لك والافتتاح باسمك والخطبة / في جميع أهل الساحل إليك ،
واقبل الناس إلينا من كل جهة فزعين ، مرعوبين ، خائفين على أنفسهم ،
طالبين تسكين دهمائهم وحقن دمائهم ، مستجيبين لدعوتك ، والحين على
طاعتك ، معترفين بتقدمنا قديماً عليهم وإمرتنا فيهم وولايتنا قديماً على
جميع لسان البربرية ، حيث كانوا وأين كانوا من نسل زناتة خاصة وغيرهم
عامة ، ولأبائنا من قديم الدهر وحديثه ، ولأعقابنا من بعد ، حتى يرث الله
الأرض ومن عليها ، وذلك ببركة أمير المؤمنين ودولة آبائه الأبرار والخلائف
الطيبين ، رضي الله عنهم أجمعين ، ونضر في القيامة وجوهمهم ، فهم الذين لم
تزل القلوب عليهم متألفة والأهواء فيهم مائلة ، والجماعة بهم راضية ، فها أنا
الآن ، ياسيدي ، جاد مجد ، مشمر مواظب في تقويم أود أهل المعصية ،
وتنقيف العوج من جميع أهل العنوة ، وضرب المقيل منهم بالمدير (X) ،
رحم المطيع على العاصي ، حتى يفتح الله لأمير المؤمنين مشارق الأرض
ومغاربها وسهالها وأوعارها وبراريها وبحارها ، بنا وعلى أيدينا ، وتتصل
طاعته ، إن شاء الله ، إلى أقصى العراق ويرد ثرات خلافة آبائه الطيبين
الأبرار الأكرمين ، إن شاء الله ، وبه نستعين على ما يتولى ، وإياه
نستحفظ ونستكفي ، > [الله] لا إله إلا هو ، رب العرش العظيم < (2) .

وها نحن ، يا سَيِّدَنَا ، أَعَزَّكَ اللهُ ، عازمون ، والعزيمة لله ، على
النهوض إلى المَدْرَةِ السَّوْءِ ، تَاهَرْتُ ، وما هُنَاكَ ، لِأَغْتِيَالِهَا وَمُحَاصَرَةِ
الفاسقين بها ، والتَّخْيِيرِ عَلَيْهِمْ ، وَقَطَعَ المَرَاقِقَ عَنْهُمْ ، وَحَلَّ عُرَى الْيَهُودِيِّ
مِنْهَا وَإِبْعَادِ رَجْسِهِ عَنْهَا ، وَهِيَ كَمَا بَلَغَكَ مِنْ وُجُودِهَا وَصُعُوبَتِهَا وَشُمُوحِ
أَجْبِلِهَا وَأَشْبَ شَعَارِهَا ، وَالْبَرَابِرِ مِنْ قِلَّةِ الْبَصْرِ وَمُحَاصَرَةِ المَدَائِنِ
وَمُسَاوَرَةِ المَعَاوِلِ وَمُكَابَدَةِ الحُصُونِ وَالْحَيْلِ عَلَيْهَا بِحَيْثُ تَعْلَمُهُ مِنَ الْعَجْزِ
عَنْ ذَلِكَ ، وَالْقُصُورِ عَنْ رُؤْمِهِ ، وَلَا يَقُومُ بِهَذَا الشَّأْنِ إِلَّا الْقَرَبُ وَذَوُو
الْخُنْكَةِ الْمُحْتَضِرُونَ أَصْحَابُ الْأَسْلِحَةِ الشَّاكَّةِ وَالنُّشَابِ وَالْعُدَّةِ ، وَأَهْلُ
الْاِقْتِدَارِ عَلَى تَشْيِيدِ الْبِنَاءِ ، وَمَا يَصْلُحُ لِنِكَايَةِ الْأَعْدَاءِ .

فَإِنْ رَأَى / سَيِّدِي ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْ يُقَوِّيَ عَبْدَهُ ، السَّاعِي
فِي دَوْلَتِهِ بِأَسْهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، بِالَّذِي يَرَى لَنَا فِيهِ صَلَاحًا ، وَلِسَعِينًا
تَجَاحًا ، مِمَّا يَكُونُ لَهُ أَوْفَقُ ، وَبِنَا أَرْفَقُ ، مِنَ الْقُوَّةِ وَالْعُدَّةِ وَأَصْنَافِ
الْأَسْلِحَةِ وَالنُّشَابِ وَالْآلَةِ وَالرَّمَاةِ ، وَبَعْضُ مَنْ يُحْكَمُ سِيَاسَةً مُحَاصَرَةِ
الْحُصُونِ وَتَكْمُلُ حَالَ الْعَسَاكِرِ الْكِبَارِ الثِّقَالِ ، فَإِنْ عِنْدَنَا مَا شِئْنَا
مِنْ خَيْلٍ وَرِجَالٍ وَمَسَاعِيرِ الْأَبْطَالِ الْكُفَاةِ ، ذَوِي عِدَّةٍ وَعُدَدٍ وَبَأْسٍ وَجَلَدٍ ،
مِنْ صُنُوفِ الْعَشَائِرِ وَضُرُوبِ الْعَسَاكِرِ وَالْحَمَاةِ الْكُفَاةِ وَالْأَبْطَالِ الْكُفَاةِ ،
قَدْ نَهَضْنَاهُمْ (I) لَتَقْلِيصِ أَطْرَافِ الْيَهُودِيِّ مِنْ تَاهَرْتُ ، وَقَضْمِ غُرَاهِ
مِنْهَا ، وَإِبْعَادِ رَجْسِهِ عَنْهَا ، ثُمَّ يَكُونُ الصَّنْدُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا وَرَاءَهَا مِنْ
مَدَائِنِ الْيَهُودِيِّ وَمَنَابِرِهِ وَأَمْصَارِهِ وَمَعَاوِلِهِ وَضِيَاصِيهِ وَقُصُورِهِ وَقُرَاهِ (2)
وَكُورِهِ وَقَصَبِيِّ بِلَادِهِ ، حَتَّى يَقْطَعَ اللهُ أَثَرَهُ وَيَصْرِمَ مُدَّتَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ .
وَالَّذِي أَرَدْتُ عِلْمَهُ ، أَعَزَّكَ اللهُ ، مِنْ خَبَرِ أَخِي قُلْقُلٍ ، هَدَاهُ اللهُ ، فِي
جَسَدِهِ لَنَا وَبَغْيِهِ عَلَيْنَا وَسُوءِ سِيرَتِهِ وَنَقْلِ ضَمِيرِهِ وَسَرِيرَتِهِ ، الَّذِي أَلْبَسَهُ
اللهُ رِدَاءَهَا بِمَا اكْتَسَبَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ رَحَلَ عَنَّا مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ مِنَّا

ولا مُطالعة ولا مُشاورة لنا ، وزَعَم ، عِنْدَ عَزْمِهِ عَلَى الرَّحِيل ، أَنَّهُ يَلْتَمِسُ
خُصْبَ الْمَرْعَى لِمَنَافِعِ الْمَاشِيَةِ ، فَأَبْعَدَ النُّجْعَةَ وَلَمْ يَزَلْ يَطْوِي السَّبَاسِبَ
وَالْقِفَارَ وَالْأَوْبِيَةَ وَالْمَهَامِيهَ ، مُتَنَكِّبًا لِلْحَوَاضِرِ وَالسَّبِيلِ الْمَسْلُوكَةِ ، حَتَّى
وَرَدَ أَطْرَافَ أَعْمَالِ الْيَهُودِيِّ ، الْمُبْدَلِ لِلدِّينِ ، الْخَارِجِ عَنْ بِلَّةِ الْمُسْلِمِينَ ،
فَنَزَعَ إِلَيْهِ ، هُوَ وَوَلَدُهُ ، وَشِرْذِمَةٌ مَعَهُ مِمَّنْ تَبِعَهُ وَشَايَعَهُ فِي أَمْرِهِ وَصَحْبِهِ
فِي غَوَايَتِهِ ، فَلَمَّا وَرَدُوا عَلَى الْيَهُودِيِّ ، تَلَقَّاهُمْ بِالسُّرُورِ وَالْحُبُورِ ،
وَمَتَّاهُمْ بِالكَثِيرِ ، وَزَخَّرَفَ لَهُمْ قَوْلَهُ بِالْغُرُورِ ، فَصَارَ مِنْهُمْ كَالسَّرَابِ ،
يُخْلِفُ مَنْ رَجَاهُ وَيَغُرُّ مَنْ رَأَاهُ ، «يَخْصِبُهُ الظُّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ
يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ» (3) ، الْآيَةُ .

فَارْتَهَنُوا عِنْدَهُ أَهَالِيَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ ، بَعْدَ أَنْ أَخْلَفَ اللَّهُ ظَنَّهُمْ فِيهِ ، وَخَيَّبَ
رَجَاءَهُمْ ، وَصَدَرُوا عَنْهُ عَلَى سُرُوجِهِمْ إِلَى نَحْوِ بَلَدِ الزَّابِ ، إِلَى الْقَبَائِلِ
بِتِلْكَ الْأَطْرَافِ مِنْ بَنِي مَغْرَاوَةَ خَاصَّةً ، لِيَسْعَوْا لَهُمْ وَيُطِيعُوا / أَمْرَهُمْ ، فَمِنْهُمْ
مَنْ رَحَلَ إِلَيْنَا هَارِبِينَ يَأْتِفُسُهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَشْتَعِلْ بِهِمْ ، وَلَمْ
يَخْفَلْ بِأَمْرِهِمْ ، وَذَلِكَ لِإِدْبَارِ وَلَدِ الْيَهُودِيِّ عَنَّا ، وَنُزُولِ نَعَمِ اللَّهِ بِهِ عَلَى أَيْدِينَا ،
وَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ وَرَدَ كِتَابُ الْيَهُودِيِّ إِلَيْنَا ، يَذْكُرُ فِيهِ نُزُوعَ الْغَاوِيِّ قُلُوقَ أَخِي
إِلَيْهِ ، وَرَغْبَتِهِ فِيمَا لَدَيْهِ ، وَاعْتِرَافَهُ بِالْحَقِّ وَرُجُوعِهِ عَنِ الْبَاطِلِ ، وَحُسْنِ
قَبُولِهِ إِيَّاهُ ، وَكَرَمِ مُنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ ، وَإِعْطَاءِهِ إِيَّاهُ كُلَّ مَا سَأَلَهُ مِنْهُ ، وَأَمْلَهُ لَدَيْهِ ،
وَيُحَضِّنِي (I) عَلَى امْتِثَالِ فِعْلِهِ ، وَيُنْدُبُنِي إِلَى الرَّجُوعِ إِلَيْهِ ، وَيُرَغِّبُنِي
فِي الْوُلُوجِ فِي طَاعَتِهِ وَالتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ ، وَيُمَيِّنُنِي عَلَى ذَلِكَ الْكَثِيرِ ، وَيَعِدُنِي
بِالْجَزِيلِ ، وَيَقُولُ لِأَنَّهُ لَا يُحَاوِلُ مِنِّي ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً ، وَلَا يُكَلِّفُنِي نَائِبَةً ،
غَيْرَ الْإِفْتِتَاحِ بِاسْمِهِ ، وَالْخُطْبَةِ فِي الْمَنَابِرِ عَلَيْهِ ، وَصَرَفَ السِّكَّةَ بِذِكْرِهِ ،
وَأَرْسَالَ أَحَدٍ وُلْدِي إِلَيْهِ أَوْ بَعْضِ إِخْوَتِي ، لِيَشِيعَ فِي النَّاسِ أَنِّي قَدْ رَجَعْتُ
إِلَيْهِ وَصِرْتُ فِي طَاعَتِهِ ، وَكُلَّ ذَلِكَ لَمْ أَخْفَلْ بِكِتَابِهِ ، وَأَمَرْتُ بِجَوَابِهِ بِمَا

نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الْبَيِّنَةِ مِنْ أَمْرِنَا وَالْأَسْتِثْنَاءِ بِبَيْعَتِنَا ، لِمَا قَدْ بَلَّوْنَاهُ مِنْ إِفْكِهِ
وَبَغْيِهِ ، وَعَلِمْنَاهُ مِنْ كُفْرِهِ وَكَيْدِهِ وَقِلَّةِ وَفَائِهِ (2) وَنَقَضَهُ لِعَهْدِهِ ، فَنَحْنُ ،
أَيْدُكَ اللَّهُ ، لَا نُقَصِّرُ فِي نِكَايَتِهِ ، وَلَا نَنْبِي فِي قَطِيعَتِهِ وَحَرْبِهِ وَإِدْخَالِ الضَّرَرِ
عَلَيْهِ وَانْتِقَاضِ أَطْرَافِهِ وَاقْتِنَاصِ أَهْلِ طَاعَتِهِ ، حَتَّى يُمَكِّنَ اللَّهُ مِنْهُ وَيَقْطَعَ
دَائِرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

نقلًا من ابن حيان: المقتبس، ج ٥، ص ٣٠٠-٣٠٥

الوثيقة السادسة

حديث المنصور بن أبي عامر عن الثغور عند وفاته

فلما حضرته الوفاة بكى فقال له حاجبه كوثر الفتي "مهم تبكي يا مولاي؟ لا بكت عيناك". فقال "مما جنيت على المسلمين، فلو قتلوني وحرقوني ما انتصفوا مني". فقال له وكيف ذلك؟ وأنت أعززت الإسلام وفتحت البلاد وأذلت الكفر وجعلت النصارى يتقنون التراب من أقصى بلاد الروم إلى قرطبة حين بنيت بها جامعها. فقال له: لَمَّا فتحت بلاد الروم ومعاقلهم عمرتها بالأقوات من كل مكان وسجنها بها حتى عادت في غاية الإمكان، ووصلتها ببلاد المسلمين وحصنها غاية التحصين فاتصلت العمارة. وهأنذا هالك

وليس في بني من يخلفني، وسيشتغلون باللهو والطرب والشرب، فيجيء العدو فيجد بلاداً عامرة وأقواتاً حاضرة فيتقوى بها على محاصرتها، ويستعين بوجدانها على منازلتها فلا يزال يتغلبها شيئاً فشيئاً، ويطويها طياً فطياً حتى يملك أكثر هذه الجزيرة، ولا يترك فيها إلا معاقل بسيرة. فلو ألهمني الله إلى تخريب ما تغلبت عليه وإخلاء ما تملكته، وجعلت بين بلاد المسلمين وبين بلاد الروم، مسيرة عشرة أيام فيافيًا وقفارًا، لا يزالون لو راموا سلوكها حيارى، فلا يصلون إلى بلاد الإسلام، إلا بمشقة وكثرة الزاد وصعوبة المرام". فقال له الحاجب: «أنت إلى الراحة إن شاء الله أقرب، فتأمر بهذا الذي رأيت». فقال له هيهات! حال الجربض دون القريض، والله لو استرحت، وأمرت بما ذكرت، لقال الناس: مرض ابن أبي عامر فأورثه مرضه جنونًا وهو ساسم من دماغه، فخرّب بلاد المسلمين وأجلاهم وأقفرها».

الوثيقة السابعة:

(رسالة عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر إلى أهل المغرب بتولية المعز بن زيري عليهم)
 " من الحاجب المظفر سيف الدولة دولة الإمام الخليفة هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين أطال
 الله بقاءه عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر إلى كافة أهل مدينتي فاس وكافة أهل المغرب
 سلمهم الله أما بعد أصلح الله شأنكم وسلم أنفسكم وأديانكم فالحمد لله علام الغيوب وغفار
 الذنوب ومقلب القلوب ذي البطش الشديد المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا راد لأمره ولا
 معقب لحكمه بل له الملك والأمر ويده الخير والشر إياه نعبد وإياه نستعين وإذا قضى أمرا
 فإنما يقول له كن فيكون وصلي الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين وجميع
 الأنبياء والمرسلين والسلام عليكم أجمعين وإن المعز بن زيري بن عطية أكرمه الله تابع رسله
 لدينا وكتبه متنصلا من هنات دفعته إليها ضرورات ومستغفرا من سيئات حطتها من توبته
 حسنات والتوبة ممحاة الذنب والاستغفار منقذ من العتب وإذا أذن الله بشيء يسره وعسي
 أن تكرهوا شيئا ولكم فيه خيره وقد وعد من نفسه استشعار الطاعة ولزوم الجادة واعتقاد
 الاستقامة وحسن المعونة وخفة المؤنة فوليناه ما قبلكم وعهدنا إليه أن يعمل بالعدل فيكم وأن
 يرفع أعمال الجور عنكم وأن يعمر سبلكم وأن يقبل من محسنكم ويتجاوز عن مسيئكم إلا في
 حدود الله تبارك وتعالى وأشهدنا الله عليه بذلك وكفي بالله شهيدا وقد وجهنا الوزير أبا على
 بن حذيم أكرمه الله وهو من ثقاتنا ووجوه رجالنا ليأخذ بشأنه ويؤكد العهد فيه عليه بذلك
 وأمرناه بإشراككم فيه ونحن بأمركم معتنون ولأحوالكم مطلعون وأن يقضي على الأعلى للادني
 ولا يرضي فيكم شيء من الأدنى فثقوا بذلك واسكنوا إليه وليض القاضي أبو عبد الله أحكامه

مشدودا ظهره بنا معقودا سلطانه بسلطاننا ولا تأخذه في الله لومة لائم فذلك ظننا به إذ وليناه
وأملنا فيه إذا قلدناه والله المستعان وعليه التكلان لا إله إلا هو وتبلغوا منا سلاما طيبا جزيلا
ورحمة الله وبركاته"

نقلًا من السلاوي الإستقصا ج ١، ص ٢٧٤، ٢٧٣.

ولاة الأندلس			
الرقم	اسم الوالي	بداية الحكم	مدة الحكم
١	عبد العزيز بن موسى بن نصير	ذي الحجة ٩٥هـ	سنة وسبعة أشهر
٢	أيوب اللخمي	رجب ٩٧هـ	٦ أشهر
٣	الحرث الثقفي	ذي الحجة ٩٧هـ	سنتين وثمانية أشهر
٤	السمع بن مالك الخولاني	رمضان ١٠٠هـ	سنتين وشهرين
٥	عبد الرحمن الغافقي (الولاية الأولى)	ذي الحجة ١٠٢هـ	شهرين
٦	عنبسة الكلبي	صفر ١٠٣هـ	٤ سنوات ونصف
٧	عذرة الفهري	شعبان ١٠٧هـ	شهرين
٨	يحيى الكلبي	شوال ١٠٧هـ	سنتين ونصف
٩	حذيفة القيسي	ربيع أول ١١٠هـ	٦ أشهر
١٠	عثمان الخنعي	شعبان ١١٠هـ	٥ أشهر
١١	الهيثم الكلابي	محرم ١١١هـ	١٠ أشهر
١٢	محمد الأشجعي	ذي الحجة ١١١هـ	شهرين
١٣	عبد الرحمن الغافقي (الولاية الثانية)	صفر ١١٢هـ	سنتين وثمانية أشهر
١٤	عبد الملك الفهري (الولاية الأولى)	شوال ١١٤هـ	سنتان
١٥	عقبة السلوي	شوال ١١٦هـ	خمس سنوات
١٦	عبد الملك الفهري (الولاية الثانية)	صفر ١٢٣هـ	سنة وشهر
١٧	بلع بن بشر	محرم ١٢٤هـ	١١ شهر
١٨	ثعلبة العاملي	ذي القعدة ١٢٤هـ	١٠ أشهر
١٩	أبو الخطار الكلبي	رجب ١٢٥هـ	٣ سنوات
٢٠	ثوابة الجذامي	رجب ١٢٨هـ	٦ أشهر
٢١	عبد الرحمن اللخمي	محرم ١٢٩هـ	٣ أشهر
٢٢	يوسف الفهري	ربيع الثاني	تسع سنوات وتسعة أشهر

جدول يوضح ولاة الأندلس نقلاً من <http://www.islamstory.com>

ملاحق الرسالة

سـ	الكنية	الاسم	تاريخ ولاية الحكم	مدة الحكم		
				سنة	شهر	يوم
١	أبو المطرف أبو سليمان	عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الداخل	ذو الحجة ١٣٨ هـ - غرة جمادي الأولي ١٧٢ هـ	٣٣	٤	١٤
٢	أبو الوليد	هشام بن عبد الرحمن بن معاوية	غرة جمادي الأولي ١٧٢ هـ - الخميس ١٣ صفر ١٨٠ هـ	٧	٩	١٣
٣	أبو العاص	الحكم بن هشام بن عبد الرحمن	الخميس ١٣ صفر ١٨٠ هـ - الخميس ٤ بقين من ذوالحجة سنة ٢٠٦ هـ	٢٦	١٠	١٣
٤	أبو المطرف	عبد الرحمن بن الحكم بن هشام	٤ بقين من ذوالحجة سنة ٢٠٦ هـ - الخميس ٣ ربيع الأول ٢٣٨ هـ	٣١	٢	٦
٥	أبو عبد الله	محمد بن عبد الرحمن	الخميس ٣ ربيع الأول، وقيل الآخر ٢٣٨ هـ - ربيع الأول ٢٧٣ هـ	٣٤	١١	-
٦	أبو الحكم	المتدر بن محمد	غرة ربيع الأول ٢٧٣ هـ - السبت ١٣ صفر ٢٧٥ هـ	١	١١	أيام
٧	أبو محمد	عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن	السبت ١٣ وقيل ١٥ صفر ٢٧٥ هـ - الثلاثاء غرة ربيع الأول ٣٠٠ هـ	٢٥	-	١٥
٨	أبو المطرف	عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (الناصر لدين الله)	مستهل ربيع الأول ٣٠٠ هـ - الأربعاء ٣ رمضان ٣٥٠ هـ	٥٠	٦	أيام
٩	أبو العاص	الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (المستنصر بالله)	رمضان ٣٥٠ هـ - السبت ١٠ محرم ٣٦٦ هـ	١٥	٤	أيام
١٠	أبو الوليد	هشام بن الحكم بن عبد الرحمن (المؤيد بالله)	الفترة الأولي محرم ٣٦٦ هـ - الفترة الثانية ٨ ذوالحجة ٤٠٠ هـ/إلى ٣ بقين من شوال ٤٠٣ هـ	٣٦	٢	١٠

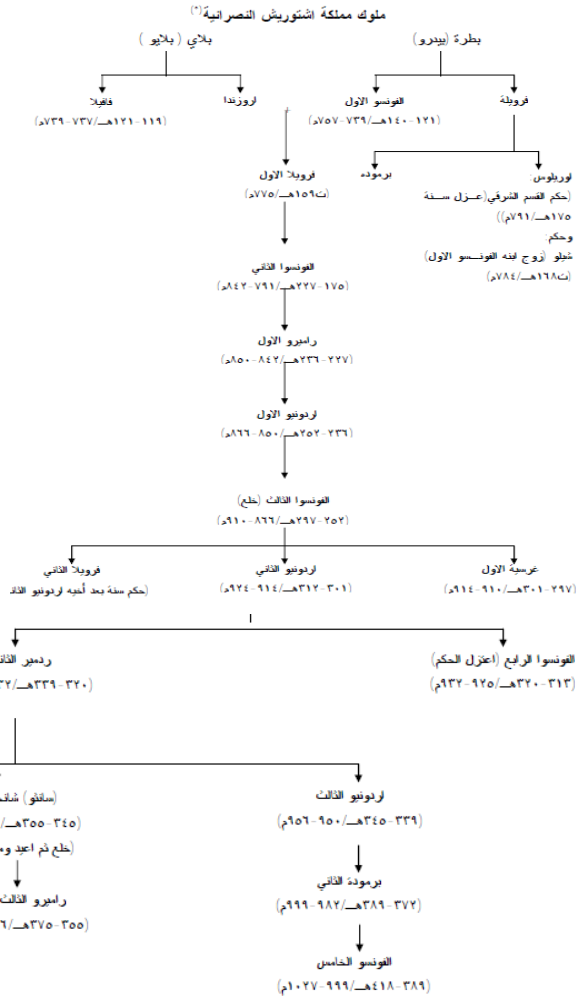
١٩	١٠	-	المرّة الأولى الخميس ١٤ جمادى الأخيرة ٣٩٩ هـ إلى ربيع الأول ٤٠٠ هـ - المرة الثانية شوال ٤٠٠ هـ	محمد بن هشام بن عبد الجبار (المهدي)	أبو الوليد	١١
-	١٠	٦	المرّة الأولى الثلاثاء ١٧ ربيع الأول ٤٠٠ هـ - الأحد ١٠ شوال ٤٠٠ هـ المرّة الثانية شوال ٤٠٣ هـ إلى محرم ٤٠٧ هـ	سليمان بن الحكم بن سليمان (المستعين بالله، الظافر بحول الله)	أبو أيوب	١٢
-	٢	-	الثلاثاء ١٣ وقيل ١٦ رمضان ٤١٤ هـ / إلى السبت ٣ ذي القعدة ٤١٤ هـ / ١٠١٤ م	عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار (الظافر، المستظهر بالله)	أبو المطرف	١٣
-	٤	٣	٣ ذي القعدة ٤١٤ هـ / إلى الثلاثاء خمس بقين من ربيع الأول ٤١٦ هـ	محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله (المستكني بالله)	أبو عبد الرحمن	١٤
-	-	٥	ربيع الأول وقيل الآخر ٤١٨ هـ / ١٠١٨ م إلى ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م	هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر (المعتمد على الله)	أبو بكر	١٥

جدول يوضح أمراء وخلفاء البيت الأموي في الأندلس

نقلاً من محمد عبد الظاهر أحمد: الحرف والصناعات في الأندلس في عهد الدولة الأموية

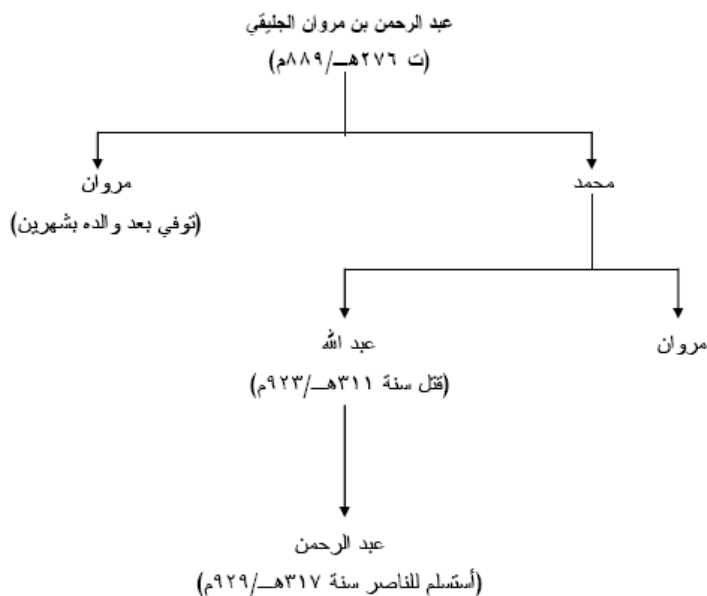
(١٣٨ - ٤٣٣ هـ / ٧٥٦ - ١٠٣١ م) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب بينها ٢٠١٠

م، ص ٢٦٨، ٢٦٩.



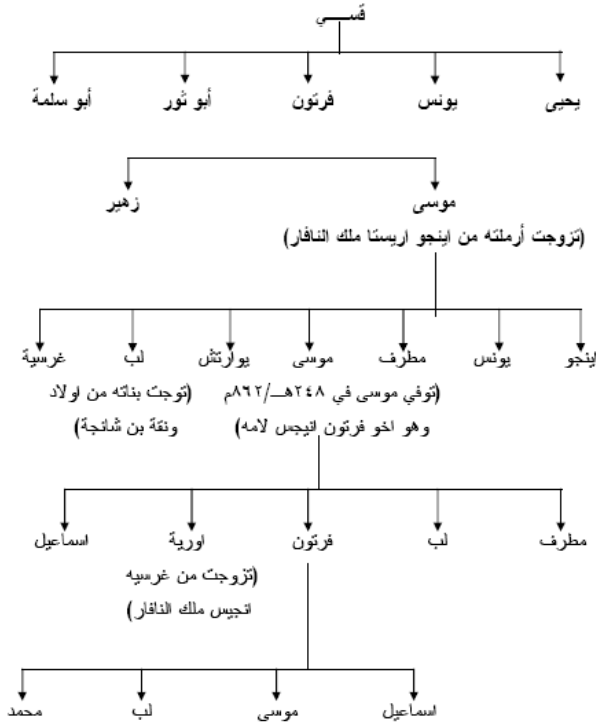
نقلًا عن عبد الرحمن علي المحي: تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى سقوط غرناطة،

نسب بنو مروان الجليقي بالثغر الأدنى

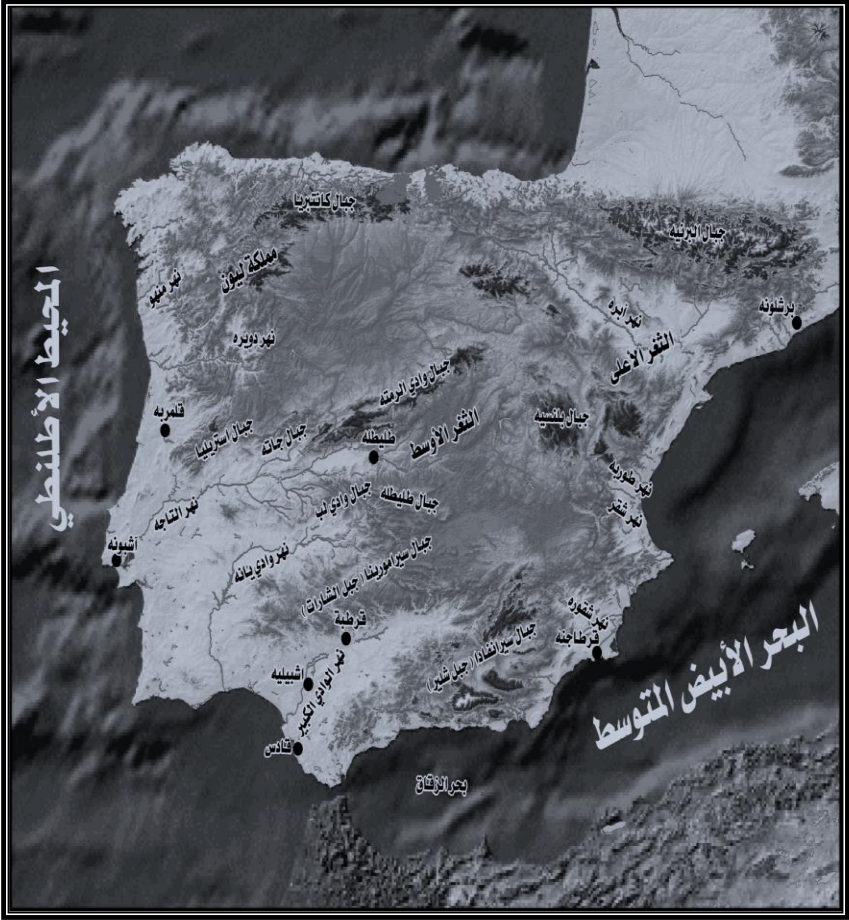


نقلًا عن عبد الرحمن المحمي: أندلسيات، ج ٢، ص ١١٩.

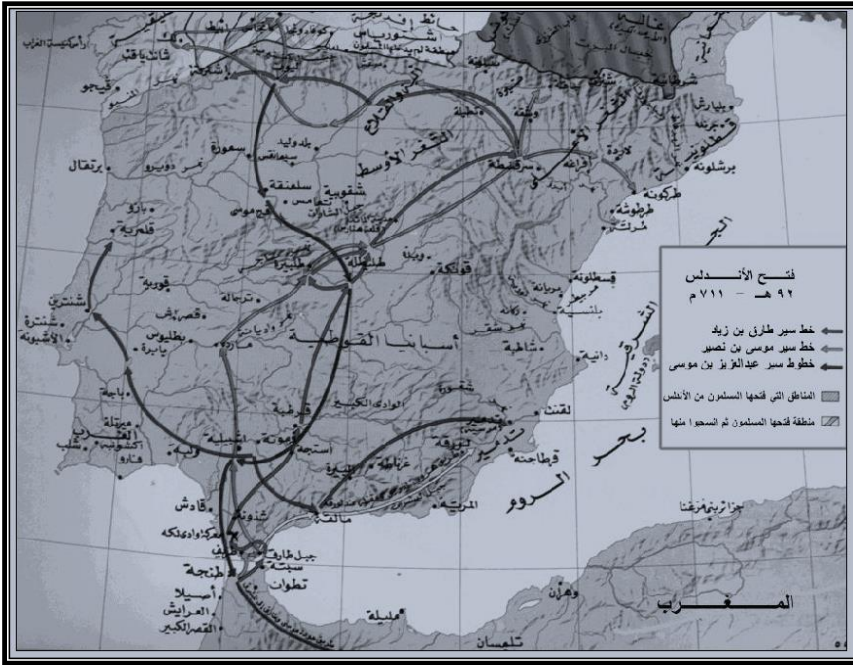
نسب بنو قسي بالشعر الأعلى



نقلاً عن عبد الرحمن المحي: أندلسيات، ج ٢، ص ٢١٥.



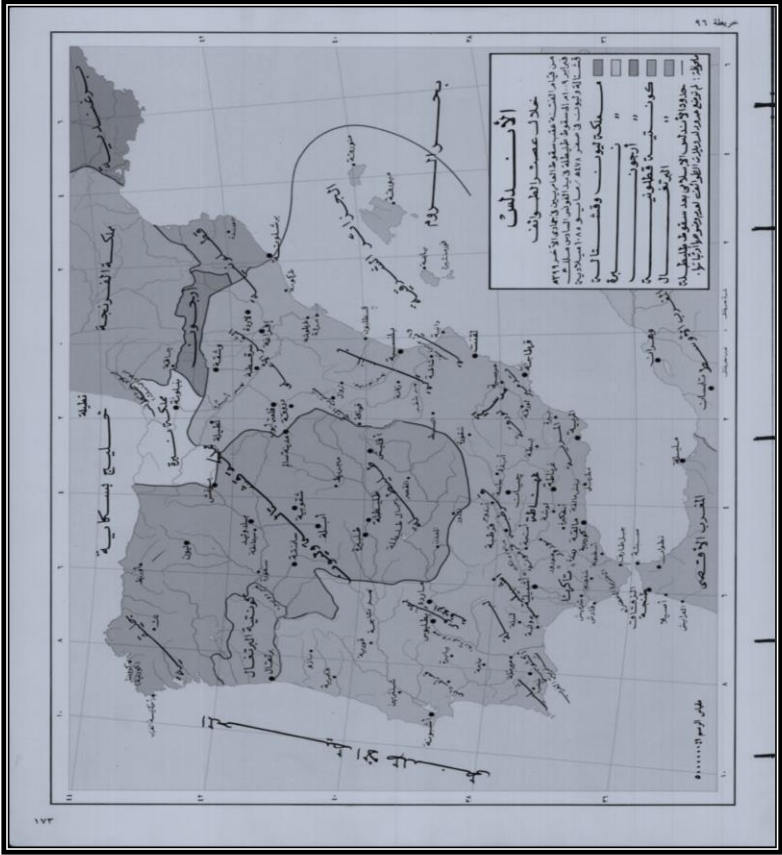
خريطة توضح جغرافية الأندلس



خريطة فتح الأندلس

حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلامي، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٩٨٧م،

ص ١٢٣.



حسين مؤنس: أطلس التاريخ الإسلامي، ص ١٧٣

قائمة المصادر والمراجع

▪ القرآن الكريم.

• الحديث الشريف

- سنن الترمذي، تحقيق إشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت،
١٩٩٨ م.

• ابن أبي أصيبعة: (أحمد بن القاسم) ت ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء تحقيق نزار رضا، دار الحياة، بيروت
١٩٦٥.

• ابن الأبار: (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي)

ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م.

- إعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتري، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٦١م.

- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت ١٩٩٠م.

- الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، ط ٢، القاهرة ١٩٨٥.

• ابن الأثير: (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري)

ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م

- الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية،

بيروت ١٩٨٧م.

- اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب

العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض، عادل أحمد عبد

الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت ١٩٩٦م.

• ابن الجوزي: (عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج)

ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م

- المنتظم، دار صادر- بيروت ١٩٢٩.

• ابن الخطيب: (لسان الدين أبو عبد الله السلماني) ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من

شجون الكلام، تحقيق ليفي برونسفال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٦م.

- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي،

ط ٢، القاهرة ١٩٧٣م.

- ابن الشباط: (محمد بن علي بن محمد المصري التوزري) ت ٦٨١هـ / ١٢٨٣م
- قطعة في وصف الأندلس وصقلية من كتاب السمط وسمه المرط لابن الشباط، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة الدراسات الإسلامية، إسبانيا - مدريد ١٩٦٧، المجلد الرابع عشر.
- ابن الفرضي: (عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي القرطبي) ت ٤٠٣هـ / ١٠١٣م
- تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ١٩٩٧م.
- ابن القوطية: (أبو بكر محمد بن عمر) ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م
- ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإياري، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، القاهرة - بيروت ١٩٨٩م.
- ابن الكردبوس: (أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري)
ت ٥٧٣هـ / ١١٧٧م
- قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء (ضمن "تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط" نصاب جديدان)، تحقيق أحمد مختار

العبادي، مجلة المعهد المصري الدراسات الإسلامية بمديرد ١٩٦٥،

المجلد الثالث عشر.

- ابن المعتز: (عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد)

ت ٢٩٦هـ / ٩٠٨م

- طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة

١٩٥٦.

- ابن بسام: (أبو الحسن علي بن بسام الشتريني) ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م.

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت

١٩٩٧م.

- ابن بشكوال: (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢

- كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلماهم ومحدثهم وفقهائهم وأدباءهم، الهيئة المصرية

العامة للكتاب، ط ٢، القاهرة ٢٠٠٨م.

- ابن بطال: (أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي)

- شرح صحيح البخاري، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد،

ط ٢، الرياض ٢٠٠٣.

- ابن حجر: (أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي) ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م

- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت

١٩٩١م.

- ابن حزم: (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م.

- الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث، القاهرة ١٩٨٣.

- نقط العروس في تواريخ الخلفاء (ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، ج ٢،

تحقيق إحسان عباس، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت

١٩٨٧م.

- طوق الحمامة، تحقيق الطاهر أحمد مكي، دار الهلال، الرياض ١٩٩٤م.

- جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت

٢٠٠١م.

- ابن حماد: (محمد بن علي بن حماد)

- أخبار ملوك بني عبيد، تحقيق التهامي نقرة ، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة
١٩٨٠م.

• ابن حيان: (أبو مروان محمد بن خلف بن حسين بن حيان)

ت٤٦٩هـ / ١٠٧٦م

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، القطعة الخاصة بعصر عبد الرحمن الأوسط
، تحقيق محمود علي مكي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (ب.ط)، القاهرة
١٩٩٤م.

- القطعة الخاصة بعصر الأمير محمد بن عبد الرحمن، تحقيق محمود علي
مكي، دار الكتاب العربي، (ب.ط)، بيروت - لبنان، ١٩٧٣م.
- المقتبس في تاريخ الأندلس (عهد الأمير عبد الله بن محمد) تحقيق
إسماعيل العزب، دار الأفاق الجديدة، المغرب ١٩٩٠.

- المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق بيدرو شالميتا، فيديريكو كورينتي، المعهد
الإسباني العربي للثقافة، مدريد ١٩٧٩.

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار

الثقافة، بيروت ١٩٨٣.

- ابن خاقان: (الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي الإشبيلي)

ت ١١٣٥هـ/ ١١٣٥م

- مطمح الأنفس ومسرح الأنس في ملح أهل الأندلس، ط، تحقيق محمد

على الشوابكة، دار الرسالة، بيروت ١٩٨٣.

- ابن خرداذبة: (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م

- المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩م.

- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن خلدون) ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م.

- العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل

شحادة، سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠م.

- ابن خلكان: (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان) ت ٦٨١هـ/

١٢٨٢م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق إحسان عباس، دار

صادر، بيروت ١٩٩٤م.

- ابن دحية: (ذو النسبين أبي الخطاب عمر بن حسن) ت ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م
- المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الإيباري - أحمد بدوي،
المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٤٥م.
- ابن رشد: (أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي) ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م
- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل للمسائل المستخرجة،
تحقيق محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، بيروت ١٩٨٨م.
- ابن سعيد: (أبو الحسن علي بن موسى) ت ٦٥٨هـ/ ١٢٨٦م
- المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة
١٩٥٥.
- ابن سمالك: (أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد) ت حوالي القرن التاسع الهجري/
الخامس عشر الميلادي.
- الزهرات المنتثرة في نكت الأخبار المأثورة، تحقيق محمود علي مكي، مجلة
المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، م العشرون ١٩٧٩ -
١٩٨٠م، والمجلد الحادي والعشرون ١٩٨٠ - ١٩٨٢م.

- ابن سيده: (أبو الحسن علي بن إسماعيل) ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥.
- المخصص، تحقيق خليل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٦م.
- ابن عبد البر: (الحافظ يوسف بن عبد البر النمري) ت ٤٦٤هـ/١٠٧١م
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٦.
- الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط ٣، القاهرة ١٩٨٢م.
- ابن عبد الحكم: (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن أعين القرشي المصري) ت ٢٨٧هـ/٩٠٠م.
- فتوح مصر، مكتبة مدبولي، ط ٢، القاهرة ١٩٩٩.
- ابن عبد ربه: (أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي) ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م
- العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قبيحة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣.
- ابن عذاري: (أبو محمد عبد الله بن محمد المراكشي) ت ٧١٢هـ/١٣١٣م
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج، س؛ كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط ٣، بيروت ١٩٨٣م.

- ابن عساکر: (الامام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله

الشافعي المعروف بابن عساکر) ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م

- تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت

١٩٩٨ م.

- مختصر تاريخ دمشق، تحقيق إبراهيم صالح، دار الفكر، دمشق ١٩٨٧ م.

- ابن غالب: (محمد بن أيوب) توفي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر

الميلادي.

- فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس.

ابن فرحون: (إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون برهان الدين اليعمري)

ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحدي أبو

النور، دار التراث، القاهرة (ب، ت).

- ابن قتيبة الدينوري: (أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري)

(ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م)

- الإمامة والسياسة، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م.

- الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ط٢، القاهرة ١٩٥٨.

ابن كثير: (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي)

ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م

- البداية والنهاية، مكتبة الصفا، القاهرة ٢٠٠٣م.

- تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر

والتوزيع، ط٢، القاهرة ١٩٩٩م.

• ابن منظور: (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) ت ٧١١هـ/١٣١١م

- لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٨٨٢.

• ابن هشام: (أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري)

ت ٢١٣هـ/٨٢٨م

- السيرة النبوية، تقديم وتعليق: طه عبد الرؤف سعد، دار الجيل، ط٢، بيروت

١٩٧٥م.

- أبو الفداء: (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر) ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م
- تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود البارون، ماك توكين، صادر، بيروت (د. ت).
- أبو الفرج الأصفهاني: (أبو الفرج علي بن حسين القرشي الأموي)
- ت ٣٥٧هـ/٩٦٧م
- الأغاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر، ط ٢، بيروت (د. ت).
- أبو المحاسن: (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي)
- (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).
- أبو حاتم البستي: (الإمام أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي)
- ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م
- مشاهير علماء الأمصار، تحقيق مجدي بن منصور بن سيد الشوري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م.

- أبو زكريا: (يحيى بن أبي بكر) ت ٤٧١هـ/١٠٧٨م
- سير الأئمة وأخبارهم: تحقيق إسماعيل العربي، ط ٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٢م.
- أبو عبيد: (القاسم بن سلام بن مسكين بن زيد الأزدي) ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م
- الأموال، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٩م.
- نسب قریش، تعليق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، ط ٣، القاهرة ١٩٥٣م.
- أبو يعلى: (القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء)
- ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م
- الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، ط ٢، بيروت ٢٠٠٠م.
- الإدريسي: (أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م
- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د. ت)
- الألوسي: (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي)
- ت ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، (د. ت).
- البكري: (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي) ت ٨٧٤هـ/ ١٠٩٤م
- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د. ت).
- جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن على الحجي، دار الإرشاد، بيروت ١٩٦٨.
- الحميدي: (أبو عبد الله بن محمد بن نصر الأزدی) ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، القاهرة ٢٠٠٨م.
- الحميري: (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) ت ٧١٠م/ ١٣١٠م
- الروض المعطار، تحقيق إحسان عباس، دار السراج، مؤسسة ناصر للثقافة، ط ٢، بيروت ١٩٨٠م.

- الحميري صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار) تحقيق ليفي بروفنسال، دار الجيل، ط ٢، بيروت ١٩٨٨ م.
- الخشني: (أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني) ت ٣٦١هـ / ٩٧١ م
- قضاة قرطبة: تحقيق إبراهيم الإياري، القاهرة - بيروت، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني ط ٢، بيروت ١٩٨٩ م.
- الذهبي: (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان) ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤ م
- العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بسبوني، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٥.
- تذكرة الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٩٨ م.
- تهذيب سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨١ م.
- الرازي: (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر) ت حوالي سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٨ م
- مختار الصحاح، مكتبة لبنان، لبنان ١٩٨٩ م.

- الزبيدي: (أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيدي)
ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م
- الزمخشري: (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد) ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م
- أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨.
- الزهري: (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر) توفي أواسط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي
- كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د. ت).
- السبتي: (محمد بن القاسم بن محمد بن أحمد بن عبد الملك الأنصاري)
٨٢٥هـ/ ١٤٢١م
- اختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سني الآثار؛ تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط ٢، الرباط ١٩٨٣م.
- السرخسي: (شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل) ت ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م
- المبسوط، تحقيق خليل محي الدين، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠م.

- السلاوي: (أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري) ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م
- الإستقصا في الأخبار المغرب الأقصى، تحقيق جعفر السلاوي، دار الكتاب،
الدار البيضاء ١٩٩٧م، ج ١، ص ١٢١.
- السمعاني: (الإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي)
(ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م)
- الأنساب، تعليق: عبد الله بن عمر البارودي، دار الجنان، بيروت ١٩٨٨.
- السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد الخضير)
ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م
- العرف الوردي في أخبار المهدي، تحقيق موسى إسماعيل البسيط، (د. ت).
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار
الفكر، ط ٢، لبنان ١٩٧٩م.
- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة،
القاهرة ١٩٥٢.
- الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.

- شرف الدين المجاوي: (شرف الدين موسى بن أحمد) ت ٩٦٠هـ/١٥٥٢م
- الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق عبد اللطيف محمد موسي السبكي، دار المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة (د. ت).
- الشهرستاني: (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م
- الملل والنحل، تحقيق محمد محمد فريد، المكتبة التوفيقية، القاهرة (د. ت).
- الشوكاني: (محمد بن علي بن محمد) ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م
- فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير، مراجعة يوسف الغوش، دار المعرفة، ط ٤، بيروت ٢٠٠٧م.
- الشيباني: (محمد بن الحسن) ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م
- السير الكبير، تحقيق أبو عبد الله حسن محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٩٧م.
- صاحب بن عباد: (أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس) (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م)
- المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٧٥م.
- الصفدي: (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م

- الوافي بالوفيات تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ٢٠٠٠م.
- الضبي: (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة بن يحيى) ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م
- بغية الملتبس، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة ١٩٨٩م.
- الطبري: (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م.
- تاريخ الأمم والملوك (المعروف بتاريخ الطبري)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، القاهرة ٢٠٠٠م.
- الطرطوشي: (أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الأندلسي) ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م.
- سراج الملوك، دار صادر، بيروت ١٩٩٥.
- عبيد الله بن صالح: (عبيد الله بن صالح بن عبد الحليم) توفي حوالي القرن السابع الهجري/ الحادي عشر الثالث عشر الميلادي.

- فتح العرب للمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، تعليق: حسين مؤنس، صحيفة المعهد

المصري للدراسات الإسلامية، المجلد الثاني، مدريد ١٩٥٤م.

• العذري: (أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائلي)

ت١٠٨٥/هـ٤٧٨م

- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب

البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية

في مدريد ١٩٦٥م.

• الفيروز آبادي: (مجد الدين محمد بن يعقوب) ت٨١٧هـ١٤١٤م

- القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، القاهرة ١٨٨٣.

• الفيومي (أحمد بن محمد بن علي المقرئ) ت٧٧٠هـ١٣٦٨م

- المصباح المنير: مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٧م.

• القرطبي: (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر) ت٦٧١هـ١٢٧٢م

- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة

وأى الفرقان، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية،

ط ٢، القاهرة ١٩٦٤م.

• القزويني: (زكريا بن محمد بن محمود) ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م

- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت ١٩٦٠.

• القلقشندي: (أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م

- نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإياري، دار

الكتاب اللبناني، ط ٢، بيروت ١٩٨٠م.

- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الإياري، دار

الكتاب المصري، ط ٢، القاهرة ١٩٨٢م.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر،

دمشق ١٩٨٧م.

• الماوردي: (أبو الحسن علي بن محمد) ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق د أحمد مبارك البغدادي، دار

ابن قتيبة، الكويت ١٩٨٩م.

- الحاوي في فقه الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤م.

- مجهول: عاش في القرن الرابع أو القرن الخامس الهجري/ ق ١٠ أو ق ١١ م
 - أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة ١٩٩٤ م.
- مجهول: عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي
 - الاستبصار في عجائب الأمصار: تحقيق سعد زغول عبد الحميد، إدارة الشيء ون الثقافية العامة، الكويت ١٩٨٥.
- مجهول: عاش في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي
 - ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد ١٩٨٣ م.
- مجهول: (ألف كتابه سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)
 - مفاخر البربر: دراسة وتحقيق عبد القادر بويابة، دار أبي رقرق، الرباط ٢٠٠٥.
- المراكشي: (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري) ت ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣ م
 - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة

، بيروت ١٩٦٥.

• المراكشي: (محي الدين عبد الواحد بن علي التيمي) ت ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس

الأعلى للشيء ون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٣.

• المسعودي: (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي) ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م

- مروج الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط ٥،

بيروت ١٩٧٣.

• المقدسي: (شمس الدين أبو عبد الله محمد) ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٧م

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة،

دمشق ١٩٨٠.

• المقدسي: (المطهر بن طاهر) ت ٥٠٧هـ/ ١١١٣م

- البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د. ت).

• المقرئ: (شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني)

ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م

- أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإياري، عبد الحفيظ شلي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٩م
- نفع الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨.
- المقرئزي: (تقي الدين على بن أحمد المقرئزي) ت ٨٤٥ / ١٤٤١م
- المقرئ الكبير، تحقيق محمد العلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩١م.
- المنبجي:
- المنتخب من تاريخ المنبجي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار المنصور، لبنان ١٩٨٦م.
- النبهاني: (أبو الحسن بن عبد الله النبهاني المالقي الأندلسي) ت ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م
- النبهاني تاريخ قضاة الأندلس المسمى " المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الكتاب المصري القاهرة ١٩٤٨م.
- التويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٢هـ / ١٣٩٠م

- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قحبة وآخرون، دار الكتب العلمية،

بيروت ٢٠٠٤م.

• النشرشي: (أحمد بن يحيى) ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م

- المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس، تحقيق محمد حجي

وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣م.

• ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبو عبد الله) ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م

- معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م.

اليقوي: (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح) ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م

البلدان، مطبعة ليدن ١٨٩١م.

المراجع العربية

- إبراهيم العدوي:
 - المسلمون والجرمان، دار رياض الصالحين للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٤م.
- إبراهيم القلا:
 - تاريخ مصر الإسلامية وجوانب من حضارتها منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ - ٥٦٧هـ / ٦٤٠ - ١١٧١م دار العلم والإيمان، القاهرة ٢٠٠١م.
 - نظم الحضارة العربية الإسلامية، دار العلم والإيمان، القاهرة ٢٠٠٧م
- ابراهيم بيضون:
 - الدولة العربية في إسبانيا، دار النهضة العربية، (د. ت) بيروت ١٩٧٨.
- أحمد بدر:
 - دراسات في تاريخ الأندلس، دار أطلس، ط ٢، سوريا ١٩٧٢م.
- أحمد رضا:

- قاموس العامي الفصيح: دار الرائد العربي، ط ٢، بيروت ١٩٨١ م.
- أحمد مختار العبادي:
- في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٥.
- حتملة:
- موسوعة الديار الأندلسية، المكتبة الوطنية، عمان ١٩٩٩ م.
- حسن إبراهيم حسن:
- سيرة عمرو بن العاص، دار ابن خلدون، ط ٢، الإسكندرية ١٩٢٤ م.
- حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف
- عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعلية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة
- ١٩٤٧ م.
- حسن الباشا:
- الألقاب الإسلامية، الدار الفنية، القاهرة ١٩٨٩ م.
- حسين مؤنس:
- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط ٢، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٦ م.

- فجر الأندلس، دار العصر الحديث، دار المناهل، بيروت - لبنان ٢٠٠٢ م
- موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٦ م.
- أطلس تاريخ الإسلام، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٩٨٧ م.
- حسين يوسف دويدار:
- المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (١٣٨ - ٤٢٢ هـ / ٧٥٥ - ١٠٣٠ م) مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة ١٩٩٤ م.
- حمدي عبد المنعم:
- ثورات البربر في الأندلس في عهد الإمارة الأموية (١٣٨ - ٣١٦ هـ / ٧٥٦ - ٩٢٨ م).
- أعضاء جديدة حول ثورات طليطلة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٨.
- دولة بني برزال في قرمونة، مرآة الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية (د.ت).
- التاريخ السياسي لمدينة إشبيلية في العصر الأموي، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٧ م.
- خالد الصوفي:

- تاريخ العرب في الأندلس (عصر الإمارة) منشورات جامعة قاريونس، ط ٢، (د. ت) ليبيا، ١٩٨٠م.
- خالد يونس الخالدي:
- اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس (٩٢ هـ / ٨٩٧ م) (د. ن) (د. ت)
- خليل السامرائي وآخرون:
- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديدة، بيروت ٢٠٠٠م.
- خير الدين الزركلي:
- الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥، بيروت ٢٠٠٢م.
- رجب عبد الحليم:
- العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، دار الكتاب المصري، القاهرة (د. ت).
- سحر عبد العزيز:
- تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (د. ت).

- سامية مصطفى مسعد:
- التكوين العنصري للشعب الأندلسي، عين للدراسات، القاهرة ٢٠٠٧ م.
- السيد عبد العزيز سالم:
- المغرب الكبير، الدار القومية للطباعة، القاهرة ١٩٦٦ م، ج ٢، ص ٦١
- تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، دار المعارف، لبنان ١٩٦٢ م
- تاريخ مدينة المرية الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩
- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢ م،
- تاريخ المسلمون وأثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢ م.
- شكيب أرسلان:
- الحلل السندسية، المطبعة الرحمانية، القاهرة ١٩٣٦ م.
- تاريخ غزوات العرب، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٣٣.
- شوقي ضيف:

- المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مطبعة الشروق الدولية، ط ٤،
القاهرة ٢٠٠٣.

• صابر محمد دياب:

- بلاد المغرب في القرن الأول الهجري، مكتبة النصر، القاهرة ١٩٩٢ م.

• صفى الرحمن المباركفوري:

- الرحيق المختوم، دار ابن خلدون، الإسكندرية، (د ت).

• الصَّلَائي:

- الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار الكتب العلمية، بيروت

١٩٩٠.

- عمر بن عبد العزيز، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٦ م.

- فقه التمكن عند دولة المرابطين، دار اقرأ، القاهرة ٢٠٠٦ م.

- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار الدعوة، الإسكندرية

٢٠٠٨ م

• عبد الفتاح عوض:

- فصول في تاريخ الأندلس، عين للدراسات والبحوث، القاهرة ٢٠٠٩.
- عبادة كحيلة:
- تاريخ النصارى في الأندلس، دار الكتاب الحديث، القاهرة ١٩٩٣ م.
- انحصوية الأندلسية وأصولها الجغرافية، دار عين للدراسات والبحوث، القاهرة ١٩٩٥.
- عبد البديع لطفي:
- الإسلام في إسبانيا، ط ٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٩ م.
- عبد الرحمن علي الحجي:
- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط ٢، دار القلم، دمشق ١٩٨١.
- عبد العزيز فيلاي:
- العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط ٢، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٩.
- عبد القادر عودة:

- التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).
- عبد اللطيف عامر:
- أحكام الأسرى والسبايا في الشريعة الإسلامية، دار الكتب الإسلامية، القاهرة ١٩٨٦م.
- عبد الله عنان:
- دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، الهيئة المصرية للكتاب، ط ٤، القاهرة ٢٠٠٣م.
- عصام سالم:
- جزر الأندلس المنسية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤.
- عفاف سيد صبره:
- الإمبراطورية الرومانية الغربية زمن شارلمان، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٢.
- عمر رضا كحالة:
- معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، دمشق ١٩٥٧.

- محمد أحمد أبو الفضل:
 - تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٦م.
- محمد حميد الله:
 - مجموعة الوثائق السياسية في العصر النبوي والخلافة الراشدة، ط ٦، دار النفائس بيروت ١٩٨٧.
- محمد خير هيكل:
 - الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ط ٢، دار البيارق، لبنان بيروت ١٩٩٦ م.
- محمد رواس قلعه جي، حامد صادق قنيبي:
 - معجم لغة الفقهاء: دار النفائس، ط ٢، بيروت ١٩٩٨ م.
- محمد صبحي حسن:
 - الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكايل والأوزان والنقود الشرعية، مكتبة الجيل الجديد، اليمن ٢٠٠٧.
- محمد عبد الحميد عيسى:

- الفتح الإسلامي للأندلس، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة ١٩٨٥ م.
- محمد عيسى الحريري:
- لدولة الرسمية في المغرب الإسلامي، دار القلم، ط ٣، الكويت ١٩٨٧.
- محمد مرسي الشيخ:
- دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية
- ١٩٨١ م.
- محمد نايف:
- مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ٥٦.
- محمود سعيد عمران:
- معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية
- ٢٠٠٠ م.
- محمود شيت خطاب:
- قادة فتح الأندلس، دار منار للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٣ م.
- مصطفى عبد الكريم:

- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦
- مني حسن أحمد:
- المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٦.
- قاعدة زبونة ودورها في الجهاد ضد الفرنجة، دار عين للدراسات والبحوث
- الإنسانية، القاهرة ٢٠٠٠ م.

المراجع المترجمة

- أجويس ديونيسيوس وريتشارد هيتشكوك:
- التأثير العربي في أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٦٠.
- ألفرد ج. بتلر:
- فتح العرب لمصر، ترجمة: محمد فريد أبو حديد، المركز العربي للنشر والتوزيع، ط ٢، القاهرة (د. ت.).

• أرشبالد لويس:

- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (د.ت).

آنخل جنثالث بالنثيا:

- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٥٥م.

• إينهارد:

- سيرة شارلمان، ترجمة وتعليق: عادل زيتون، دار حسان، دمشق ١٩٨٩.

• جوزيف رينو: الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا، ترجمة: إسماعيل العربي، دار الحداثة، بيروت ١٩٨٤.

خوليان ريبيرا:

- التربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط ٢، القاهرة ١٩٩٤.

• ديونسيوسوس أجيوس:

- التأثير العربي في أوروبا، ترجمة: قاسم عبده قاسم، عين للبحوث والدراسات، القاهرة ٢٠٠٠م.

• دورثي لورد:

- إسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة طارق فوده، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م

• رينهرت دوزي:

- المسلمون في الأندلس، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة

١٩٩٨م،

• ستانلي بول:

- العرب في أسبانيا، ترجمة على الجارم، دار المعارف، ط ٩، القاهرة ١٩٦٠م.

• فشر:

- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: محمد مصطفى زيادة- السيد الباز العريخي،

دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦.

• فلهاوزن يوليوس:

- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد

الهادي أبو ريذة، القاهرة ١٩٥٨م.

- كولان، ج هـ س:
- الأندلس، ترجمة، إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، دار
الكتاب المصري، القاهرة ١٩٨٠ م.
- كي لسترنج:
- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرامسيس - كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة،
ط٢، بيروت ١٩٨٥ م.
- ليوبولدو تورس بالباس:
- المدن الإسبانية الإسلامية، ترجمة: إليودورو دي لابينيا، مركز الملك فيصل للبحوث
والدراسات الإسلامية، الرياض ٢٠٠٣ م.
- مونتيجمري وات:
- في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة: محمد رضا، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،
ط٢، بيروت ١٩٩٨ م.
- ول ديورانت:
- قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة
١٩٦٨ م.

- :Chapman, charles

.Ahisory of Spain, Newyork ,1965

-Collins, Roger:

.Early medieval Spain

:- Crow John Armstronh

.Spain the root and the flower , printed in the USA, 1985

:- Contor (N. F)

.Medieval History The Macmillan Company, New York, 1964

-Hole, Edwyn :

Andalus: Spain under the Muslims , London, 1958.

-Imemuddin, S.M:

.Apolitical History of Muslim Spain, Pakistan, 1969

:-lane Poole

Stanley, the moors in spain, khayatsreprint, Beirut,1967.

-Lévi ,provençal: -

.Espagne musulmane au Xè siècle, Paris,1953

:- T.B.Trend

the civilization of Spain , London ,1967.

- سعيد عثمان: خراسان منذ ظهور السلاجقة حتى الغزو الغزنوي ؛ رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادي ٢٠٠٠م.
- شياء فرغلي سيد علي: الجريمة والعقوبة في الأندلس عصري الإمارة والخلافة (١٣٨ - ٤٢٢ هـ / ٧٥٦ - ١٠٣١م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة ٢٠١٠.
- محمد عبد الظاهر أحمد: الحرف والصناعات في الأندلس في عهد الدولة الأموية (١٣٨ - ٤٣٣ هـ / ٧٥٦ - ١٠٣١) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة بنها ٢٠١٠ م
- ناصر محمد بسيوني: السياسة الخارجية للدولة الأموية بالأندلس في عهد الإمارة؛ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٩٩.

الدوريات العلمية.

- أحمد مختار العبادي:
 - سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس: مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد الخامس، مدريد ١٩٥٧م.
- أميرة بنت أحمد الجعفري:
 - سياسة الدولة الأموية في إدارة الثغور الأندلسية، مجلة المؤرخ العربي، عدد (١٤) القاهرة ٢٠٠٦.
- عبد الله بن سليمان المنيع:
 - تحويل الموازين والمكاييل الشرعية إلى المقادير المعاصرة، مجلة البحوث الإسلامية، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، العدد التاسع والخمسون الرياض، ٢٠٠٠م، ص ١٨٤.
- منيرة بنت عبد الرحمن الشرقي:
 - اللباس الزينة في إفريقية في القرن الثالث الهجري، مجلة التاريخ والمستقبل، جامعة المنيا، عدد يوليو ٢٠٠٦.

• محمد مفتاح:

- مفهوم الجهاد والإتحاد في الأدب الأندلسي، مجلة عالم الفكر، م ١٢، عدد ١، ص ١٩٨٢.

• الموسوعة الفقهية الكويتية

- وزارة الأوقاف والشئ ون الإسلامية - الكويت، مطابع دار الصفوة، القاهرة ١٩٨٣.

مواقع الإنترنت

- http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term.&id=159276&m=1
- <http://www.islamstory.com>.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	٦
المقدمة	٨
التمهيد	١٤
الفصل الأول: جغرافية بلاد الأندلس وسكانها وأثرهما في سياسة اتخاذ الرهائن	٣٢
أولاً: جغرافية بلاد الأندلس وأثرها في اتخاذ الرهائن	٣٣
ثانياً: عناصر المجتمع الأندلسي وأثرها في سياسة اتخاذ الرهائن	٦٠
الفصل الثاني: رهائن الصراعات الداخلية والخارجية في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الولاة (٩٥- ١٣٨هـ/ ٧١٤- ٧٥٦م)	٩٤
أولاً: رهائن الصراعات الداخلية	١٠٥
ثانياً: - رهائن الصراعات الخارجية	١٣٢
الفصل الثالث: الرهائن السياسيون في الأندلس منذ عهد عبد الرحمن الداخل إلى نهاية عهد عبد الرحمن الأوسط (١٣٨ - ٢٣٨هـ / ٧١٤- ٨٥٢م)	١٦٣
أولاً: رهائن الصراعات الداخلية في الأندلس	١٦٤
١ - عهد عبد الرحمن الداخل	١٧٣
٢ - عهد الأمير هشام الرضا	١٩٩
٣ - الرهائن السياسيون في عهد الأمير الحكم الأول	٢٠١
٤ - الرهائن السياسيون في عهد عبد الرحمن الأوسط	٢٠٨
ثانياً: رهائن الصراعات الخارجية في الأندلس: ١ - عهد عبد الرحمن الداخل	٢٢٣

٢٣٤		٢- الرهائن السياسيون في عهد خلفاء الأمير عبد الرحمن الداخل حتى نهاية عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط.
٢٤٦		الفصل الرابع: الرهائن السياسيين في الأندلس منذ عهد الأمير محمد إلى نهاية عصر الإمارة (٢٣٨-٣١٦هـ / ٨٥٢-٨٥٢م).
٢٤٧		أولاً: رهائن الصراعات الداخلية في الأندلس: ١- عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط.
٢٨١		٣ - عهد الأمير عبد الله بن محمد
٢٨٩		٤ - عهد عبد الرحمن الناصر
٣٣٢		ثانياً: رهائن الصراعات الخارجية في الأندلس: ١- رهائن الصراعات الخارجية منذ عهد الأمير محمد إلى نهاية عصر الإمارة.
٣٤٠		الفصل الخامس: الرهائن في عصري الخلافة وملوك الطوائف (٣١٦-٤٢٢هـ / ٩٢٨-١٠٣٠م).
٣٤١		أولاً: رهائن الصراعات الداخلية في الأندلس في عصر الخلافة وملوك الطوائف
٣٦٣		ثانياً: رهائن الصراعات الخارجية في عصري الخلافة وملوك الطوائف
.....		الخاتمة
٤٢٧		
٤٢٩		الملاحق
٤٥٢		المصادر والمراجع
٤٩٥		فهرس الكتاب

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع



ببلومانيا
للنشر والتوزيع

